نعم...
نحن نظلم النصارى

د. محمد عباس



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : نعم.. نحن نظلم النصارى

المؤلف : د. محمد عباس

رقم الإيداع : ٢٠١١/٥٨٧٤

الطبعة الأولى ٢٠١١



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

إهداء

إلى الشهيد سيد قطب.

ظلموه بالباطل.

فسلط الله عليهم نظير جيد (شنودة)..

يظلمهم.. بالباطل!!

المقدمة

الفتنة الطائفية!!.

هذا موضوع لم أتخيل أن أكتب فيه أبدا.

وبالفعل، لم أبدأ الكتابة فيه إلا بعد أن تجاوزت الستين.

وطوال عمري الذي عشته قبل ذلك كنت أرفض طول الوقت أن أعترف بمجرد وجود هذه الفتنة المدعاة.

كانت بالنسبة لي هواجس مفزوعين أو خيالات مهووسين أو مبالغات هنا وهناك لا يرضى بها الدين.

وكنت أؤكد طول الوقت أنها مجرد فرقعات صوتية تطلقها حثالات خائنة مرتبطة بالخارج لا تنتمي لروح الأمة ولا تشكل أهمية ولا خطرا.

وكنت واثقا أن الجسد السليم للأمة قادر على مواجهة هذه الحثالات قدرة الجسد البشري على تحمل روائح النتن والماء الملوث، فضلا عن أنها ليست من جسد الأمة تماما كما أن ما يخرج من الإنسان ليس جزءا منه.

لم أعترف، بل لقد كان احتمال الاعتراف مجلبة للعار والخزي.

مصر العظيمة لا يمكن أن يحدث فيها فتنة، ليس لأن النصارى قلة أو كثرة، ضعفاء أو أقوياء، أنقياء أم مخترقين، بل لأن روح مصر العظيمة الحرة تأبى ذلك، والوصايا العمرية أمرتنا أن نضرب ابن الأكرمين من أجل قبطي.

ستون عاما، احذف من بداياتها للطفولة ما شئت، ظللت خلالها أرفض الاعتراف، حتى أدركت حزينا مصعوقا مخزيا أنني أخطأت.

أعترف، أخطأت.

بل توجد فتنة طائفية، حتى لو كانت منبتة الصلة بالدين وثيقة الصلة بالصهاينة والصليبيين، وحتى لو اعترف وزير استخبارات إسرائيل أنه وراءها، حتى، فهي ترتدي رداء الفتنة الطائفية، لم تكن موجودة حتى عام ١٩٧١، ثم وجدت.

أنكرتها بكل قواي واستنكرتها لكنها وجدت لم يمنعها إنكاري ولا استنكاري، تماما كما لا يمنع استنكارك فحص الحمض النووي من أن يقر بأن هذا المخلوق ليس ابنك وأنه ابن سفاح.

لا تقتصر الفجيعة على الاكتشاف، فالاكتشاف في حد ذاته موجع.

أما عدم الاكتشاف فإنه فاجع، وكلما طالت المدة زاد الوجع وفاض الجزع.

لم أصدق الواقع، ولم أكتشف الأمر من تلقاء نفسي، وإنما ذات ليلة رمضانية جاء إليّ شاب نبيل-أسميه كذلك في المقالة الأولى- حيث أصر ألا أبوح باسمه كي لا أنقص من أجره. لكنني أصرح باسمه في آخر الكتاب. جاء ليكشف لي ما لم أكن أعرف أو أتخيل. وقد فضلت عدم ذكر اسمه الآن ليعيش القارئ الأحداث كما عشتها مع هذه المقالات التي نشرت عبر الأعوام الأخيرة. نشرت ممزوجة بالألم معجونة بالغضب متأججة بالدهشة والاستنكار مجللة بالعار.

أعترف، وأطأطئ الرأس أمام من يتهمني بالتقصير لأنني لم أفطن للكارثة في الوقت المناسب. أعترف، وأعترف أيضا بتقصيري وعجزي.

وأعترف أنني مع المقالة الأخيرة في هذا الكتاب كنت قد انتويت التوقف عن الكتابة نهائيا، وكنت غاضبا وثائرا وحزينا، كنت أريد أن أتوقف احتجاجا.

وهكذا أعلنت في مقالتي الأخيرة، لكن الله القوي القهار المعز المذل شاء شيئا آخر، كانت المقالة قد نشرت في مجلة المختار الإسلامي في السابع من يناير ..

وانفجرت الثورة في ٢٥ يناير.

فلله الحمد والمنة.



مفتتح :

نداء إلى المشير ورئيس الوزراء :

إني أتهم.. وأحذر.. وأرفض

هذه لحظة فارقة فاصلة يا سيادة المشير ويا رئيس الوزراء..

لحظة ينبغي أن أحدثكما فيها بكل صراحة لا أخفي شيئا.. أحدثكم بِصِدْقٍ كامل.. صِدْقَ من يعلم أن الله يسمع ويرى.. صدق من يحبكما ولا يخاف منكما.. بل يخاف عليكما!!.. صدق من يثق أنكما مع الأمة في ذات الدائرة التي تستهدفها مؤامرة هائلة تمتد خيوط نسيجها بين الداخل والخارج. مؤامرة لا تتورع عن فعل شيء بما فيه الانقلاب العسكري وإشعال الحرب الأهلية والاستعانة بأمريكا وإسرائيل لتمكينهم من الأمة. وإنني أتوقع وأحذر.. الخطوة التالية هي الاغتيالات.

هذه لحظة فارقة فاصلة أردت فيها أن أبرئ ذمتي أمام الله يوم القيامة.. وأردت أن أشهد عليكما الأمة والتاريخ.. ولذلك.. فإنني أضع هذا الكتاب بين أيديكما.. لأنني لاحظت أحيانا أن معلوماتكما في هذا الصدد غير كاملة ولا وافية ولا شاملة. وكان هناك احتمالان.. إما أن مستشاريكما لا ينقلون إليكما الحقيقة.. أو أنكما تمتنعان عن الاعتراف بها للمواءمة السياسية أو مجاملة النصارى.. إخوتنا في الوطن.. ولأن هذه اللحظة فارقة فاصلة فإن أنصاف الحلول، أو المجاملة فيها، أو غض البصر هو سبيل الهاوية وطريق الكارثة. خاصة أن الكثيرين يرون أن النصارى قد حصلا في عهدكم بالباطل على ما لم يحصلوا عليه في عصر مبارك نفسه. وأن الحياد الكامل الذي يبديه الجيش أمر مطلوب، إلا في حالة الحياد بين الحق الصادح والباطل الفادح، كما حدث على سبيل المثال في حياده بين الشهداء والمجرمين ليلة الأربعاء الدامي، الثاني من فبراير ٢٠١١ في ميدان الشهداء، وكما حدث في موقفه من نصارى إمبابة الذين أطلقوا النار على المسلمين. أما الدكتور عصام شرف، الذي نحبه حقا وندافع عنه، حتى ضد أصدقائه اللدودين، الذين وصفه رقيع منهم بأنه كقطعة البسكوت، لكن موقفه الضعيف تجاه تجاوزات النصارى كان بمثابة إشعال

لمزيد من النيران في قلوب الأغلبية، التي تشعر بالتمييز ضدها، منذ نابليون ومحمد علي، وحتى عهد طنطاوي وعصام شرف!.

إنني أعتقد أنكما بهذا الموقف تظلمان النصارى.. تظلمانهم بمفهومنا الإسلامي الراقي العظيم.. تظلمانهم لأنكما لا تردانهم عن ظلمهم وعن ادعائهم بالباطل أنهم مظلومون من المسلمين.

إنني لا أستغل حدث الثورة بأي شكل، فإن هذا الكتاب كله عدا المقدمة وهذا المفتتح قد كتب قبل الثورة. ولكنني أرى نشر الكتاب لتكون محتوياته بين أيدى الأمة كلها شهادة لنا أو علينا.. كما أنها تتيح لإخوتنا في الوطن النصارى.. أو أعدائنا من المنافقين والعلمانيين أن يكذبوا أي واقعة في هذا الكتاب إن استطاعوا. فإن لم يستطيعوا.. ولن يستطيعوا.. فقد ألزمت الجميع الحجة.

***

سوف أحاول قدر جهدي أن أطفئ النار المستعرة بين جوانحي. سوف أحاول أن أكبح براكين الغضب، وعواصف القلق، وسوف أحاول أن أخفي أمواج القلق وهواجس الشك وآلام انعدام اليقين. سوف أحاول أن أمسك الجمر فلا أصرخ، بل أهمس لكم همسا خفيضا رقيقا:

-من فضلكم.. الجمر في يدي وفي قلبي.. أرجوكم .. خففوا أواره.!

سوف أحاول أيضا أن أوجز وأجمل وأختصر.

***

بادي ذي بدء فإنني أقول لكما أن الأحداث الأخيرة كلها، بما فيها أحداث إمبابة، هي أحداث مصطنعة من تدبير الثورة المضادة، وهدفها الرئيسي هو نشر الفوضى العارمة، التي تجعل من إكمال الطريق نحو صندوق انتخابات يحقق الديمقراطية ويجعل الحكم للشعب أمرا مستحيلا .

لا شيء سيقف أمام المخطط الخائن المسعور سوى القوة الحازمة العاقلة العادلة الحكيمة.

هذه الفئة الضالة تحاول استباق الزمن. إنهم يقولون لأنفسهم لو انتظرنا صندوق الانتخاب فسوف يحصل الإسلاميون على الحكم. ولو وصلوا إلى الحكم فإن الديمقراطية الحقيقية ستسود ولن نعود إلى مكانتنا أبدا.

إن الإسلاميين جميعا لا يمكن أن يتورطوا في هذه المحاولات لإثارة الفوضى، لسبب بسيط، هو أن مصلحتهم في أن يسود الهدوء، لأن أملهم في صندوق الانتخاب كبير.. وليس معقولا أن يثير الإسلاميون الفوضى التي ستؤدي إلى عرقلة وصولهم إلى صندوق الانتخاب. هل يعقل أو يتصور أن يقتل أب جنين ابنه الذي ظل ينتظره بعد ستين عاما عقيمة؟!

***

إلا أنني أعتب على المجلس العسكري وعلى رئيس الوزراء: لماذا احتفظتم بكل أعدائكم.

تقول علوم الجريمة: فتش عن المستفيد..

والمستفيد هنا كل من يهدد صندوق الانتخاب استقراره. فإنه يدخل في معركة حياة أو موت لمنع الوصول إلى صندوق الانتخاب. معركة حياة أو موت، بكل معنى الكلمة.

لا ينبغي أن أذكر مصطلح الثورة المضادة دون تحديد، يجب أن أحدد تماما ما أقصده، دون تردد ودون اعتبار لحساسية ودون ادعاء أيضا أنني أملك ميزان الصواب والخطأ. فالأمر جد لا هزل، والأمة في خطر.

تتكون الثورة المضادة من قوى هائلة، لن أخدع نفسي ولن أخدعكم لأقول أنها فلول، لا، بل هي ما تزال تملك من القوة المادية أكثر مما تملكه ثورة الأمة، ثورة ٢٥

يناير.

تتكون الثورة المضادة من الرئيس السابق وأبنائه وحاشيته، والكثيرين جدا من رجال الأعمال، وجهاز مباحث أمن الدولة كله بقوته الأسطورية واتصالاته المرعبة وأذرعه الأخطبوطية، وتتكون أيضا من جل أعضاء الحزب الوطني ومن أعضاء المجلسين المزورين، ومن جل من عينهم النظام السابق كوزراء ومحافظين ورؤساء جامعات وعمداء كليات بل وحتى العمد وصولا إلى الدكتور السباعي. الثورة المضادة تضم أيضا كل الأحزاب المصنوعة، أحزاب الأنابيب، التي فقدت كل قيمتها بعد ثورة ٢٥ يناير، كعملة مالية تم إلغاؤها، وتضم القضاة الفاسدين ومن استمرأ تلفيق التهم من نيابة أمن الدولة وقيادات الأمن. لكن الأخطر من هؤلاء والأشد تأثيرا فئة واسعة تتشكل من الصحافيين والإعلاميين والكتاب، وهي نخبة لم تحصل على نخبويتها بالانتخاب الطبيعي من بين آخرين، ولا بمواهبها، وإنما برضى النظام ومباحث أمن الدولة عنها. عنها جميعا، المعارضون قبل المؤيدين، فقد كان المعارضون يمثلون الديكور الفاخر للنظام، كانوا غطاء يغطي عوراته، ومحللا ديوثا لا يغار على شرف الأمة المغتصبة. وهم ليسوا مثقفين وليسوا نخبة. إنهم بلطجية الثقافة، وعلاقتهم بالثقافة كعلاقة أصحاب موقعة الجمل بالسياسة. مجرد مرتزقة.

***

لم ننته بعد..

فهناك قوة لا تقل عن كل أولئك خطورة بل وتتميز عليهم باتصالاتها الأجنبية الخطيرة وبامتداداتها في الخارج. هذه القوة الكبيرة هي قوة البابا شنودة وعدد كبير من أتباعه الذين يخرجون الآن على الشاشات يصرخون أنهم يندمون على اشتراكهم في ثورة ٢٥ يناير. وهذا كذب. لأنهم لم يشتركوا في ثورة ٢٥ يناير. بل كانوا ضدها.

كانوا ضدها قبل قيامها بأربعين عاما، منذ تولى البابا، الذي منع تأبين من مات من النصارى فيها.

***

للبابا شنودة -كرجل دين- كل الاحترام، لكن من حقي أن أنتقده بحرية كزعيم سياسي. لقد هاجمت مبارك دون اعتبار لأي حساسيات. لكنني مع البابا شنودة سأراعي حساسيات كثيرة وسأكبح من جماح قلمي.

لقد راهن البابا شنودة رهانا خاسرا على نظام الرئيس مبارك، ووضع كل أوراقه في سلته، حتى أثار انتقاد الأقباط أنفسهم، الذين قالوا له : إنك تناقض نفسك وتضعف موقفنا وموقفك، إذ كيف تملأ العالم صراخا وضجيجا حول الظلم الذي يتعرض له الأقباط في مصر، في نفس الوقت تؤيد رئيس هذا النظام-المسؤول عن تلك المظالم- تأييدا مطلقا وتبالغ في مديحه.. كما تؤيد توريث ابنه من بعده.

ولكم صرخ العديد من النصارى والمسلمين يحذرون البابا شنودة من وجهة نظر براجماتية بحتة، مؤكدين له أن النظام يوشك أن ينهار وأنه بذلك يعرض مصالح النصارى للخطر. وحذره البعض مما هو أسوأ، إذ أنه برهانه ذلك يضع أتباعه من النصارى في صف الفساد ضد الإصلاح،. بل وحذره البعض من أنه يسيء إلى الديانة المسيحية بموقفه ويهدد مستقبل رعاياه بموقفه، ولقد وصل الأمر أن طالب بعض الأقباط بعزله ومحاكمته، وأظنهم كانوا على صواب.

منذ ستين عاما كان الناس يقولون : إنه مسيحي لكنه مخلص جدا وأمين جدا وكفؤ جدا. الآن يقولون: إنه قسيس.. لكنه لص يسرق أراضي الدولة ويقتل الأعراب ويكذب في الفضائيات.

لقد انضم البابا شنودة إلى الاتجاه الخطأ والفئة الخاسرة.. ويبدو أنه كالرئيس السابق: معه دكتوراه في العناد!.. وعلى الرغم من ذلك بلغت السماحة بأهل مصر -

بمعظم مسلميها وكثير من مسيحييها- أنهم خجلوا من مواجهته بأن عليه أن يدفع ثمن رهانه الخاسر كما دفع مبارك وأتباعه ثمن رهاناتهم الخاسرة ..

خجلوا من أن يقولوا له أن:

البابا أصبح دولة تقوم بفرض إرادتها على الدولة... و أنه هو سبب الفتنة الطائفية. وأن الأقباط الآن يضطهدون المسلمين ويستقوون بأمريكا. وأن هناك مخططا صهيونيا لتهجير المصريين المسلمين إلى الجزيرة العربية وأن سر خضوع الدولة للكنيسة أنها خاضعة أولاً لأمريكا، بالإضافة إلى تنازلها عن حق المواطنة للمسيحيين المصريين واعتبرتهم لا يتبعونها. وبدلاً من أن تعتذر الكنيسة جعل البابا شنودة الدولة تعتذر ومجلس الشعب يعتذر، ومجلس الوزراء يعتذر، وذلك لأنه خرج بمسألة المظاهرات، والكنيسة رسخت لمبدأ أن المظاهرات قوة سياسية لها. إن الاضطهاد أصبح بالعكس، فالمسيحي الآن يضطهد المسلم، وهذا ليس اضطهادًا بل تعاليًا واستعلاء من قبل الأقباط ضد المسلمين، وذلك مدعومًا بالتوجه الأمريكي والاستقواء بالخارج، وكذلك استقواء بالاضطهاد، فالاضطهاد أصبح حالة إرهابية تفرض على الجانب الذي به أغلبية. إن فئات من أقباط المهجر يتبعون أجندة خارجية يثيرون بها مشاكل الأقباط وقد بدأت مجاميع المسيحيين داخل مصر تتعاطف معهم. لأول مرة نجد داخل الكنيسة شخصية دينية تطالب بتدخل أجنبي، ويقوم بالترسيخ لقسمة الوطن بين المسلمين والمسيحيين، ويرسخ لأشياء غير موجودة وغير صحيحة، منها أن مصر ملك للمسيحيين. إن أسقف القوصية توماس يكتب تقارير للمنظمات الصهيونية مقابل آلاف الدولارات. ولم يصدر قرار ضد توماس حتى هذه اللحظة، ولم يصدر تصريح أو بيان من داخل الكنيسة يستنكر أو ينفي أو يعتذر وهذا خطأ، وهذا يجعل الرأي العام يربط بين توماس كخائن للوطن وبين الكنيسة. فتوماس أراد أن ينظر لمسألة الفصل بين المسلمين

والمسيحيين، ووصل به الجهل إلى القول عن المصري المسيحي الذي أسلم عن اقتناع أنه لم يعد مصريًا بل صار عربيا تابعا للجنسية العربية، كحضارة أخرى متخلفة بالنسبة لهم، وهو بذلك يطبق النظرية الصهيونية كاملة، بمعنى أنك مسلم الآن، ووقتها لن تصبح مصريًا، ولا هويتك مصرية. وعندما تقوى الكنسية ستقوم بفرض تلك الهوية المسيحية على كل المصريين.

ستؤدي تلك الدعاوى إلى حرب أهلية، وتدخل خارجي أمريكي، والسؤال الآن، أين سيذهب المسلمون المقيمون في مصر منذ ١٤٠٠ عامًا؟

***

هل تجاوزت؟.. لكنني أحمل لكم مفاجأة..!!

فكل ما قلته في الفقرة السابقة – وتحته خط- كلام كاتب وسياسي مسيحي إرثوذكسي من أتباع البابا شنودة..!

هذا السياسي الصادق الشريف هو جمال أسعد عبد الملاك الذي أبى عليه ضميره إلا أن يصرخ ضد البابا وضد بعض الأقباط في حديث صحفي أجراه معه في ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٨ الصحافي أحمد سعد.

ولقد استشهدت بحديث جمال أسعد لأنه من أخف ما وجه إلى البابا من الأقباط لا المسلمين.

لقد اعترف محافظ قنا السابق وهو مسيحي أن المسيحيين كانوا خلف كل الفتن الطائفية في محافظته.

***

لطالما حذر عشرات الأقباط البابا شنودة ومنهم الرائع العظيم المنصف الدكتور رفيق حبيب .

دعنا الآن من رأي رئيس الجمهورية الأسبق أنور السادات في البابا شنودة..

ودعنا من حكم المحكمة وحيثياته في بداية عصر مبارك.

ودعنا من «التقرير الرهيب» الذي نشره الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه «قذائف الحق».

ودعنا من كتابات الدكتور محمد عمارة والمستشار طارق البشري والأستاذ جلال كشك والدكتور عبد الودود شلبي والدكتورة زينب عبد العزيز وعشرات الكتاب المصريين والأجانب ومئات الوثائق التي تتحدث عن محاولات تنصير العالم وفي صدارته مصر.

دعونا من هذا كله ولننتقل إلى واقع قديم ما زال حيا في عنفوانه وجنين مستقبل لم يولد بعد تحاول الثورة المضادة قتله أو إجهاضه.

دعونا من هذا كله ولننتقل إلى واقع حقيقي أليم .. واقع نرجو أن يكون قد أوشك على الانتهاء بقيام ثورة ٢٥ يناير التي تحاول الثورة المضادة اغتيالها.. نرجو.. لكننا غير واثقين..

لقد دفع البابا مصر بمسلميها ومسيحييها إلى طريق وعر. وكما حصل مبارك على ما حصل عليه اختلاسا وكذبا وتزويرا فقد سار البابا على إثره. ابتز كل منهما الآخر ودفعت الأمة الثمن .

***

هناك واقع لم يمت وحلم لم يولد يجعلني أتهم الجميع بدءا من كل أتباع رئيس الجمهورية السابق وعائلته وانتهاء بأصغر مخبر في مباحث أمن الدولة باضطهاد الإسلام والمسلمين وبمحاباة النصارى على حساب المسلمين وبحجب الحقائق عن الأمة لأن إعلانها سيفجر الوضع المأساوي للمسلمين وقدر الاضطهاد الذي يتعرضون له مقارنة بالنصارى.

ربما تحسن الأمر بعد الثورة.. لكن الثورة المضادة تحاول القضاء على ذلك

التحسن.

الجدير بالذكر هنا، أن كل المجرمين، تعودوا أن يرتكبوا من الجرائم ما يشاؤون، ثم تنسب جرائمهم للإسلاميين زورا وظلما وعدوانا، فلما جاء نظام حكم شريف أصابتهم الصاعقة، لأن تحقيق العدل بالنسبة لهم كارثة، كما أن صندوق الانتخابات مصيبة.

يذكرني هذا بطرفة عن قاتل مجرم كان في طريقه إلى المحكمة، وكانت أمه لا تكف عن الدعاء بأن يظهر الله الحق، فلم يتمالك الرجل نفسه فصرخ فيها: إن ظهر الحق فيها إعدام.

نعم.. بالنسبة للثورة المضادة: إن ظهر الحق فيها إعدام!. ومن هنا كان هجومهم الكاسح على المجلس العسكري وعصام شرف. إنهم يريدون حكما يواصل الظلم والبطش والتزوير لا حكما يحكم بالعدل ويرسخ الديمقراطية.

***

المحزن أن البابا شنودة قد ارتضى لنفسه أن يكون النواة والعمود الفقري للثورة المضادة، ثم أنه قد حول الانتماء الديني إلى نوع من الحصانة يحصل بها على الامتيازات، تماما كأعضاء المجلسين المزورين ومباحث أمن الدولة ونخب الصحفة والإعلام. والمحزن أنه تحالف مع مبارك ضد الأمة، واثقا من اتهام الإسلاميين بما شاء هو وشاء مبارك.

***

بعد أحداث إمبابة، وعندما بدت بوادر عدل حقيقي يمارس لأول مرة منذ ستين عاما، بدا أعضاء الثورة المضادة متلبسين بالكذب متورطين في خداع الأمة وتشويه المسلمين، ذكرني منظرهم بمشاهد الأفلام القديمة، عندما تهاجم الشرطة بيتا سيئ السمعة، فتحمل رواده ملفوفين في الملاءات. كان في أعينهم وأعينهن ذات نظرة

الذل والعار والانكسار. في اليوم التالي كانوا قد امتصوا الصدمة، تماما كمل يفعل رواد البيت سيئ السمعة أمام النيابة بعد أن يتمالكوا أنفسهم ويأتيهم المحامون ويتصلون بذوي النفوذ الذين يحمونهم. فيواجهون النيابة والناس بكل وقاحة.

ثلاث فضائيات أو أربع تحمل عبء نشر الفتنة وتزييف الوعي وإشعال النار..

إحدى المذيعات فيها كانت تبدو كلبؤة متنمرة تتلمظ لالتهام البشر. قرأت في عينيها أن الحل عندها هو شن حرب إبادة ضد المسلمين واستئصال شأفتهم جميعا.. عرضت في قناتها جنازات النصارى لإشعال الفتنة ولم تعرض جنازة مسلم!. وهكذا فعلت معظم الصحف.

***

لا أريد الدخول في التفاصيل.. فالأمر واضح لكن العيون الخسيسة لا تراه..

امرأة.. أي امرأة في الدنيا.. غيرت دينها.. سواء كانت من أتباع الشياطين أو الأولياء الصالحين.. ووثقت تغيير دينها في الأزهر.. اختطفها أهلها وسلموها إلى الكنيسة التي سجنتها تمهيدا لتغييبها في الدير.. استغاثت بزوج أو حتى بعشيق (لاحظوا أنها قد تسجن بسبب الزوج لكنها لن تسجن إن أقرت أنه كان عشيقا!) استغاث الرجل بأجهزة الدولة وبالمسلمين.. ذهب الشيخ واللواء محاطين بمجموعة من المسلمين كي يحلوا الأمر فأطلق بعض النصارى النار عليهم.. مات ستة من النصارى وستة من المسلمين.

هذه هي الحكاية باختصار..

***

في الساعات الأولى بدت الكنيسة والعلمانيون في غاية الارتباك، خاصة بعد أن صرح الجميع: لواء الجيش ووزير الداخلية والشهود أن النصارى هم الذين أطلقوا النار مثيرين الشبهة المخيفة عن تسليح الكنائس، ولكن.. لأن أجهزة الإعلام كلها

ما تزال في يد اليسار الخائن الغبي.. وأجهزة الإعلام الخاصة كلها عبدة إحسانات ساويرس.. ولأن الإسلاميين يفتقدون أي وسيلة مؤثرة للإعلام .. فقد أفاق القوم من ارتباكهم سريعا ليلبسوا الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق.

***

ولقد نبهت القراء كثيرا لكي يحذروا عندما تنطلق جل أجهزة الإعلام ككلاب مسعورة أعطاها سيدها إشارة القنص. فتنطلق لا تلوي على شيء يصم نباحها الآذان ويملأ صخبها الأفق.

إعلام خائن يذكرنا بصخبهم وضجيجهم ضد كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله. يذكرنا بصخبهم وضجيجهم في موقعة الجزائر، وفي موقعة غزة وفي موقعة الوليمة: أمثلة لا حصرا. إعلام مبارك. لم يتغير ولم يتبدل. وفي هذا أعاتب المشير ورئيس الوزراء. فقد كان طبيعيا لإعلام لم يتغير أشخاصه ألا تتغير وسائله.

نفس الحملة المسعورة انطلقت بعد أحداث إمبابة.

لقد تجاهل جل هذا الإعلام الحقائق وروج الشائعات وألبس الباطل صوت الحق والحق صوت الباطل. تجاهل مع سبق الإصرار الخسيس والترصد البئيس سبب امشاكل منذ البداية وكون الكنيسة تتصرف كما لو كانت فوق الدولة ولها حق اعتقال أي شخص. ثم كان التجاهل لتفاصيل الفتنة وأن من أطلق الرصاص هو عادل نبيب و١٢ من أقاربه و١٥ بلطجيا. تجاهلت النخبة الخائنة التفصيلات السابقة التي أعلنها الجيش ثم راحت -كما كانت تفعل طول عمرها- تكذب وتكذب وتكذب.

***

أستعير تقديم «أدونيس» وهو كاتب أكرهه، لكتاب « المثقفون والغرب» للكاتب هشام شرابي وهو كاتب أحترمه ولا أوافقه، عندما قال أدونيس: «إن

أوروبا لم تعد بالنسبة لنا نحن هذه الشعوب الجاهلة المتخلفة الفقيرة سوى جيفة متمدنة».

أستعير لأقول:

إن الإعلام الافتراضي الكذوب بالنسبة لنا ولكل الأمة المهمشة لم يعد سوى جثث متعفنة تلبس أقنعة من الماكياج، إنه قد يكون أقل قوة مادية من مباحث أمن الدولة لكنه أشد خطورة وأكثر دنسا.

***

الحقيقة أن البابا شنودة منذ مجيئه ينفذ مخططا لإشعال حرب أهلية، ومهما خضعت له السلطة وتجنبت التصعيد فإنه سيصر على إشعال النار من جديد. ليس من مصلحة المسلمين إثارة الفتنة. لكن البابا وهو على خطأ يظن أن الظرف العالمي المعادي للإسلام يوفر له فرصة لن تتكرر لتحقيق مكاسب حاسمة لأبناء طائفته لن يحصل عليها إلا بإشعال الفتنة. ولقد بلغ التحرش حد الاعتداء على الشرطة ثم الجيش ثم وصل إلى الخيانة العظمى بالتجمهر حول السفارة الأمريكية كي يستغيثوا بها ضد بلادهم .

لقد اعترف موسى شاريت: « بأن أجهزة المخابرات الصليبية والصهيونية سوف تحرك الأقليات في العالم الإسلامي وفي قلبه مصر لتدمير هذه المجتمعات المستقرة» فمن الذي ينفذ أغراضهم؟.

***

الوقوران الشريفان: المشير طنطاوي والدكتور عصام شرف: أعرف أنكما لن تتحيزا أبدا للمسلمين، ونحن نؤيدكما في ذلك، ونذكركما بأن الله سبحانه قد أنزل في كتابه الكريم اثنتي عشرة آية تدافع عن يهودي وتنتصر له من مسلم.

نريد عدالة مطلقة.. فهذه لحظة فارقة فاصلة يا سيادة المشير ويا رئيس الوزراء..

لقد قرأت على الفيس بوك جملة أرعبتني.. لقد كتب أحدهم يندد بحماقة النصارى الذين يشعلون نار الفتنة.. كتب يقول أنهم لو استنجدوا بأمريكا فإن الأمريكيين عندما يأتون لن يجدوا نصرانيا يدافعون عنه. إنهم .. هم والجيش لا يعرفون كم الضغط الخطير في قلوب المسلمين الذين يشعرون بالامتهان والظلم طول الوقت.

وقال آخر:

-لكن السلفيين هم الذين بدأوا كل هذا بحماقتهم وعدم خبرتهم..

فرد عليه واحد في غضب:

-بل بدأ شنودة بالاستقواء والضغط على الدولة ورفض حكم المحاكم وإصراره على جعل الأقباط فوق المسلمين بل أنشأ سجونا ومعتقلات، نحن لم نتخذ أي إجراء ضد أي مسلم تنصر. ماذا كان يحدث لو أن شيخ الأزهر اعتقل مسلما تنصر وعذبه ومنع الدولة من الوصول إليه.. لقد أخطأ السلفيون في إعطاء العلمانيين والنصارى ذريعة، وعلى أي حال لو لم يمكنهم السلفيون لاخترعوا ذريعة أخرى. إنهم مصرون على الوصول إلى حافة الهاوية. لا يدركون مدى الخطورة عليهم.

***

إن منطق الثورة المضادة ركيك جدا وكذوب جدا وساقط جدا. ولكنهم أغبياء، فلم يكن لمنطقهم أن يقنع أحدا. كان الممكن فقط منع الآخرين من الرد عليه. وهذا الآن غير ممكن.

***

يا سيادة المشير طنطاوي..يا سيادة رئيس الوزراء.

النخبة المثقفة خائنة.. وهي ابنة سفاح لأمن الدولة..

والأقباط ليسوا مظلومين في مصر..

إنهم أسعد أقلية في العالم..

إن وضعهم أفضل بكثير من الأغلبية.

ليت المسلمين يحصلون على حقوق كحقوقهم..

ربما يوجد سوء تنظيم لكن لا يوجد ظلم..

يوجد أيضا شحن مسعور بالكراهية للمسلمين يقوم به عبيد للشيطان يزعمون أنهم قسس أو رهبان ..

ويوجد أفكار مجنونة مثل أن مصر بلادهم وأن المسلمين غزاة..

ويوجد تخلف وأساطير مثل ظهور العذراء..

وتوجد طبقة علمانية سافلة تنصرهم وهم على الباطل نكاية في الإسلام..

وأغلب هذه الطبقة مسلمون بالاسم لكنهم أسوأ من الكفار والمرتدين والزنادقة.

بهذا الشحن وصل كثير من الأقباط إلى حد الجنون فعلا.. أما قوادهم الذين يشحنونهم فيدركون أن الفرصة سانحة لهم الآن فإن لم يهتبلوها فلن تسنح لهم بعد ذلك أبدا.. فرصة ضعف الدولة وانهيار الأمن وخوف الجيش من التورط في الفتنة..

إنه الابتزاز..

لكنه ابتزاز أحمق مجنون.. لأنه سيعود عليهم بالدمار والخراب.

***

يا سيادة المشير طنطاوي.. يا سيادة رئيس الوزراء.

لكم هو محزن أنه منذ ٦٧ فإنني أقرأ الواقع فأحذر وأرفض وأعترض.. فلا

يسمع لي انطاغوت فيحدث كل ما تنبأت به.

ومنذ سبعة أعوام حذرت الأقباط من الاستعلاء والاستقواء واستغلال الظرف.. حذرتهم من فتنة لا تبقى ولا تذر.

منذ سبعة أعوام كتبت:

سوف يركع نظام الحكم أمام شنودة بل سيسجد. سوف يسلم له بكل ما يريده. سوف يسقط الجرائم التي يرتكبها النصارى على الإسلاميين وسيحاول استئصال شأفتهم، سوف يهاجم النصارى الشرطة فتلفق التهم للإسلاميين. سوف يتحدى النصارى الدولة فيُنكل بالإسلاميين. سوف يحملون السلاح فتنسب الجريمة إلى الإسلاميين. سوف يمارسون الإرهاب فيتهم به الإسلاميون. سوف يطالبون بالمساواة والمساواة عندهم إلغاء وجود الإسلاميين وطرد المسلمين جميعا من مصر وهو الأمر الوحيد الذي يقنع شنودة وبيشوي.

سوف يحدث ذلك. وسوف تحقق سياسة شنودة نفس ما حققته سياسة هتلر في أوروبا في بداياتها. لكن كيف كانت النهاية. الدمار الكامل والسحق الشامل. ولو طال بمن يحملون هذه الرؤية الشاذة العمر لانتحروا كما انتحر هتلر. لست أدري لماذا يعرِّضون النصارى لكل هذه المخاطر. هل يدركون ماذا تعنيه حرب طائفية؟ في البداية سيقتل النصارى من المسلمين مائة ألف أو حتى مليون. لكن ماذا سيحدث بعد ذلك. كم سيبقى من النصارى؟!. هل سيبقى منهم مائة ألف أو مليون. وهل سيقر للباقين قرار أم سيلحقون بإخوتهم المهاجرين إلى أمريكا. هل سيبقون مالا أو قوة؟. سوف يدمر اقتصاد مصر. وسوف تتدخل أمريكا. لكن هل استطاعت أمريكا حماية نصارى العراق؟ وهل تستطيع كل قوى الدنيا أن تمنع استشهاديا أو انتحاريا من تفجير نفسه أينما شاء؟!. ثمة نقطة أخرى، إن الخراب الذي سيلحق بمصر لن يؤثر كثيرا في عامة الناس والمسلمين، فثرواتهم منذ البداية

منهوبة وقوتهم محاصرة وتأثيرهم محيّد. لكنه سيؤثر على طغمة اللصوص المسيطرة الآن. ستضعف الدولة. سيتهاوى النظام. وبتهاوي النظام ستقوى الحركة الإسلامية إلى ما غير حد. وسوف يؤدي هذا إلى تنامٍ مذهلٍ للمد الإسلامي في العالم كله. فمصر دولة محورية، ويمكن إن غيرت موقفها أن تغير موازين السياسة في العالم.

يا شنودة: إنك لم تكف عن التصعيد منذ أربعين عاما، وإن كل ما يحدث الآن بسبب تصعيدك. أنت تريد معاملة المسلمين كعبيد لا حقوق لهم. وهذا لن يحدث. لقد واجهتك سلطة رخوة وشعب مقهور. لكن إذا ما واصلت الضغط والاستفزاز والابتزاز ستنهار السلطة وسينفجر الشعب.

***

ليت السلفيين هم الذين يواجهون النصارى يومها.. بل سيواجههم من لم يقرأ كتابا ومن لم يدخل مسجدا .. من لا يصلهم عواء العلمانيين ولا نباحهم. لن تكون عصبية تحركها الشريعة بل عصبية خارج إطار الشريعة. وأقسم بالله غير حانث.. أنني أظن أنه عندما يحدث ذلك فإن السلفيين سيبادرون إلى حماية النصارى ولو بأرواحهم. بحكم الشريعة عليهم وإلزامها لهم .

***

يا سيادة المشير طنطاوي.. يا سيادة رئيس الوزراء.

هل تريدون حلا؟

إليكم هذا الحل:

إلغاء تعيين شنودة في منصبه كبابا للإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية.

استدعاء أغابيوس للشهادة أمام النيابة وإجبار الكنيسة على تسليم كاميليا شحاتة إلى المجلس العسكري وإعدادها نفسياً لحين ظهورها المرتقب.

استدعاء عبد المسيح بسيط والتحقيق معه عما قاله مع إبراهيم عيسى على قناة الجزيرة للوصول إلى حقيقة تسليح الأقباط من عدمه .

تجريم كل من يُعطي لقب الشهادة لأحد خفاءً أو علانيةً.

إلغاء لجان النصح والإرشاد للمتحولين لعدم قانونيتها ولما تسببه من أضرارٍ للمجتمع.

فتح تحقيق فوري في مقتل الراهبة أغابي يوحنا الحبيب في دير ماريوحنا في أكتوبر ٢٠٠٧ واستدعاء بطرس أسقف الدير للتحقيق معه بعد أن أغلق شنودة التحقيق في مارس ٢٠٠٨ .!!

فإن شنودة يأخذ مصر بأكملها الى المجهول لا يبالي بأحد ولا يردعه أحد... لقد أساء باقتدار إلى العلاقة والأخوة بين المصريين بعضهم البعض ... ولم يتخذ موقفا من صبيانه على الفضائيات ينهشون في الآخر وهو صامت لا يبالي بأحد !! ولم يبال فهو ليس باب وليس له ابن يحس به ويتوق إلى أحضانه... إن شنودة وبقلبه الثلجي يعصر هذه الأمة هو رجاله بلا رادع وتحت سمع وبصر الجميع بلا استثناء ليعيش هو وكهنوته .

ما كان أسهل وأسرع من خلع مبارك !! ولكن أمام كاهنٍ متشح بالسواد تجَمَد المسلمون قبل المسيحيين والمسؤولون قبل الشعب في استحياء وخجلٍ ظانين أن من خلفه يقبع الإله ولكنهم واهمون وعن الحقيقة متعامون.

لدي سؤال له ليس ببعيد عنه وهو: هل لا زلت ياشنودة مباركيا؟ ... ولم لا فكل الشواهد تؤكد صدمته لخروج مبارك من الحكم ومعارضته لتظاهرات الأقباط حينها ...؟ ولكن ألا نحتاج الآن وعلى وجه السرعة يا شرفاء المصريين لقرار ساداتي لا ستعادة السيادة المصرية على أراضيها بإلغاء تعيين شنودة في منصبه كبابا للإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ؟!. من هو هذا الشجاع و السباق إلى

مصلحة الوطن... الجيش أم رئيس الوزراء ؟

في حالة كاميليا شحاتة كان هناك من يشكك في خطفها وتعذيبها بالرغم من قول الشهير أغابيوس وعلى الهواء مباشرة : « اللي بيحصل كدة هو تقريباً حاجة زي غسيل مخ وحاجات زي كدة فلازم إحنا نعمل غسيل للغسيل » وأما في حالة عبير فخري فالجريمة واضحة ومن فم الضحية مباشرة خطف وإجبار على اعتناق ما لا تريد وتعذيب واحتجاز ... إلخ إنها جرائم واضحة المعالم متكاملة الأركان يا رئيس الوزراء ويا وزير العدل فماذا بالله عليكم تنتظرون ؟ إن الأحداث تتلاحق مسرعة وتتراكم لتصب ناراً على الجميع واعلموا أن ظهور عبير فخري على السطح لن يُنسيَ أحد قضايا كاميليا ووفاء والأخريات .

إن المطالبين بلجان النصح والإرشاد للمتحولين هم من المشاركين في هدم هذا البلد وإنني أسألهم كما أسأل الكهنة أين كنتم إذاً طوال عُمر المتحول (البالغ) وأين كان إرشادكم ووعظكم ونصحكم ؟ إن أعينكم كانت وأبداً على صناديق النذور والعشور والزكاة فقط وأن يتحول شخص تقيموا الدنيا عليه ولا تقعدوها يا أولاد جهنم... «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحد، ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا» متى ٢٣ .

لا بد من كبح جماح هذه المدعوة بالكنيسة قبل فوات الأوان إن لم يكن قد فات فعلاً ... ولا وألف لا للجان الإرشاد والوعظ ... إن الكنيسة لا يهمها أولادها وهي تقود مصر إلى حرب أهلية لا محالة ورسالتي الى هذه الكنيسة إذا كانوا يقرؤون: لن تنفعكم أمريكا (راجعوا مسيحيي العراق) لن ينفعكم الجيش المصري ولا الشرطة (راجعوا أحداث إمبابة) علاقات المحبة والأخوة الحقيقية من القلب للقلب بينكم وبين جميع المسلمين في الحلو والمر بعينه . . وحذروا ماذا ؟ ...) ? guess what) إنها تتوافق

وبشدة مع تعاليم المسيح أما لعب التلات ورقات وألاعيب شيحة (تَخَصُصك ياكنيسة) فلن تنفعكم والهلاك في انتظاركم وانتظارنا.

إن توزيع الكنيسة لصكوك الشهادة على قتلى الاشتباكات لهو يعني ويعلن تجهيز الكنيسة لجيش من الانتحاريين من أولادنا المغيبين يحملون الصك المزعوم على صدورهم آملين في الشهادة (لاحظوا أنه لم تقم دعوى قضائية واحدة ضد الكنيسة من آباء وأمهات فتيات المعادي الغرقى وقتلي كنيسة القديسين ونجع حمادي .... وأخيراً وليس آخراً إمبابة وراجعوا أيضاً تصريحات بيشوي عن الشهادة.

***

هذا هو الحل..

لكن..

معذرة يا سيادة المشير طنطاوي ويا سيادة رئيس الوزراء.

معذرة يا قراء..

لقد أخفيت عنكم أمرا.. أخفيته عامدا متعمدا.. هذا الأمر هو أنني لست صاحب هذا الحل.. صاحبه كاتب مسيحي هو الأستاذ هاني سوريال .. وهو منشور في الصحف!!

***

نعم..

كاتب مسيحي أدرك الحقيقة فكتبها.. لم يتدنس بدنس أقباط المهجر وعملائهم في الداخل من نصارى ومسلمين.. أقصد علمانيين يحملون أسماء المسلمين.

كاتب مسيحي أدرك أن الكنيسة هي التي تقود الاعتصام وأن الشباب القبطي أدوات في يد الكنيسة. إن جميع المظاهرات التي خرجت من الكنائس كانت تتم بشحن وتوجيه من الكهنة، وأنا أجد تناقضاً غريباً بين ما تنادي به الكنيسة وبين ما

هو موجود بالفعل في ماسبيرو، أجد في ماسبيرو مظاهرات تطغى عليها روح الطائفية، كل شخص يرفع صليبا في يده، كيف تنادي بدولة مدنية وأنت ترفع صليباً في يدك، دولة مدنية يتزعمها كهنة وقساوسة وقمامصة، كيف يفض الاعتصام تلبية لمطلب البابا شنودة وليس تلبية لمطلب جهات سياسية؟ هذا تناقض غريب، للأسف القبطي لم يتظاهر من أجل حقوقه السياسية بل تظاهر من أجل مطالب طائفية، بناء كنيسة، زيادة مساحتها، عودة وفاء وكاميليا، لم أجد قبطياً يرفع شعاراً وطنياً بل صليباً.

أما حكاية أن الأقباط تمردوا في البداية على كلام البابا برفضهم الانصياع الى تعليماته بفض الاعتصام ، فهذا تمرد ظاهري وتوزيع أدوار ولا تنس أن متياس نصر وفلوباتير جميل ، قيادات دينية تحت رئاسة البابا وأن من يقود المعتصمين كهنة يخضعون لرئاسته مباشرة ، ومع ذلك لم يتخذ ضدهم أي قرار بتحويلهم إلى لجنة المحاكمات الكنسية باعتبارهم عصاة، والبابا قام بتوزيع الأدوار باقتدار ، حيث ذهب مرقص عزيزإلى أمريكا ، وهناك زكريا بطرس في قناة الحياة القبطية ومتياس وفلوباتير في ماسبيرو وبذلك تحول الكهنة إلى قادة سياسيين.

للأسف أن بعض أقباط المهجر يلعبون دورا في منتهى الخطورة ويطلبون الحماية الدولية، وهناك طلب مقدم من القمص مرقص عزيز أحد كهنة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الذي يقود إحدى الكنائس في أمريكا للمطالبة بالحماية الدولية ويحاول من خلال قنواته التليفزيونية على القمر الأوروبي تجييش الأقباط للتوقيع الإلكتروني على طلب الحماية الدولية للأقباط في مصر لتقديمه إلى الأمم المتحدة واستطاع حتى الآن جمع ٢ مليون وتسعمئة ألف توقيع[١] ويحتاج إلى مئة ألف توقيع فقط لاكتمال

(١) الرقم محل شك كبير جدا وقد يكون مختلقا من الأساس. ليس معقولا أن يكون ثلاثة أرباع النصارى حمقى أو خونة!.

الثلاثة ملايين اللازمة لنظر الأمم المتحدة في الطلب، وأنا هنا أتساءل لمصلحة من ينادي بعض أقباط المهجر بحماية دولية وحكم ذاتي للأقباط طبعاً المقصود تقسيم مصر فلمصلحة من ولماذا هذا التواجد غير المسبوق لأقباط المهجر في ماسبيرو؟.!

***

معذرة مرة أخرى!.. فالفقرة السابقة كلها لكاتب مسيحي منشورة في صحيفة «المساء» للمفكر القبطي بولس رمزي.

***

يقول فلوباتير عليه من الله ما يستحق أن النصارى يتظاهرون ؛ لأن الجيش لا يستجيب إلا بالضغط عليه.

لكن ما يدريك يا جيش إن استجبت لضغوط الثورة المضادة ، ومنها ضغوط النصارى والمتحالفين معهم لتحتج وتعترض وترفض.

ماذا سيفعل الجيش عندها؟

سيادة المشير.. سيادة رئيس الوزراء:

هذه لحظة فارقة في تاريخ الأمة والدولة فواجها بقوة.. فأنتما إزاء من لا يفهم إلا القوة..

واجهها بسيادة القانون ، فأنتما تواجهان قوما تعودوا أن يسرج لهم القانون ليركبوه لا ليتبعوه..

يا أيها الجيش.. واجه صعاليك العلمانيين..

وواجه متطرفي النصارى والمسلمين..

واجه بقوة وبحزم وبحسم.. والله معك والأمة معك..

سيادة المشير.. سيادة رئيس الوزراء:

هذه لحظة فارقة في تاريخ الأمة والدولة فواجهها..

وفقكم الله وجعل مصر في رباط إلى يوم القيامة.





الحقيقة كما حدثت لا كما قيلت :

النصارى يحكمون مصر !

والبابا يتبختر كقيصر !!

كلما ازدادت الخطوب، وتهاطلت المصائب، وتكاثرت الفتن، تدهمني الحيرة، وينقض السؤال ظهري؛ سؤال يقول: في أي الشؤون أكتب، ولأي الفتن أتصدى، وعن أي الخطوب أدافع، أتقلب على الجمر و أقبض عليه إذ أتساءل: أي الكوارث أولى بالمواجهة، و أي المصائب لا يجوز التواني عن الحديث عنها، كلما حدث ذلك تتغير أولوياتي، فأنصرف عما نويت التصدي له، وأتحول عما أردت الخوض فيه، ليس انصرافا عن المهم، بل اتجاها للأهم، فأكون كالأب الذي ينصرف عن ابنه الذي تصرعه الحمى، إلى ابنه الآخر الذي يكاد النزيف أن يقتله، وما أكثر ما انتويت أن أكتب حاشية في أمر ما، حاشية من بضعة سطور، فإذا بالحاشية تتحول إلى مقال، وكم من مرة انتويت أن أكتب مقالا واحدا أعود بعده إلى ما كنت فيه، لكن المقال يستدعي أجزاء و أجزاء و أنا أدرك أنني لم أكمله، و أن هناك نقاطا في غاية الأهمية لم أذكرها، أقول كلما حدث ذلك ينساب إليّ خيال حزين . ربما كان رؤيا، وربما كان من خلال أستار الزمن رؤية، عن فارس، ربما كان في الاندلس أو في العراق أو في فلسطين أو في سيناء أو في البوسنة والهرسك أو الفلبين أو كوسوفا أو في بخارى أو في سمرقند، أو الشيشان أو كشمير أو في دمشق وبيروت والرياض والقاهرة، فارس يحاول الدفاع عن قلعة تهدمت حصونها ونقبت ثغورها، وانشغل ولاتها الخونة، و أمراؤها اللصوص، انشغلوا عن الدفاع عنها بجمع ما سرقوه منها والهرب، ويقف الفارس حيران، هذا الثقب أولى بالدفاع أم تلك الثغرة، تلك الثلة من فرسان العدو أم تلك القلة، هل يندفع إلى اليسار أم اليمين أولى، إلى الأمام أم الخلف أخطر، كلما اتجه إلى مكان اكتشف أن الخطر في المكان الآخر أشد، وكلما عزم على أمر وجد أن فرصة تنفيذه قد ولت، تجيئه النداءات من كل صوب، والاستغاثات من كل جهة، اختلطت الأصوات فما عاد يعلم إن كان الصوت صوت أخيه أم صوت عدوه، وما إذا كانت الاستغاثة صادرة لتحذيره أم لتضليله

كي يندفع إلى المكان الخطأ في الزمان الخطأ، اشتبكت الأصوات واختلطت الملامح، الأعداء يلبسون زى قومه وقومه يلبسون زى الأعداء، لم يعد يعرف، لم يعد يفهم، عيناه تكذبان وأذناه تكذبان وفكره يختل، إلى من يستجيب؟ من يُنجد وبمن يستنجد؟ ؟ تدور عيناه، تنسعر عيناه، يجرى لكن في نفس النقطة من المكان، يلهث، يدور حول نفسه، يظل يدور، ويدور ويدور.

***

يستبد بي هذا الخيال الكابوسي، ثم ما يلبث حتى يستسلم لواقع لا يكاد يختلف عنه، فمنذ شهور، مرت كدهور، و أنا أنوي العودة للكتابة عن شهيد الإسلام سيد قطب، لعن الله قاتليه، و نصر متبعيه وتابعيه، ورحت أؤجل وأؤجل، ملتمسا الأعذار لنفسي، فالشهيد – إن شاء الله- يستطيع أن ينتظر، وهو – إن شاء الله- في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وعندما انتقلت المجاهدة زينب الغزالي – وهي الشهيدة في فراشها إن شاء الله – إلى رحاب الله، قلت لنفسي : قد آن الأوان إذن، لأن مدخل الكتابة عن الفصل الأخير من حياة الشهيد سيد قطب، لابد أن يمر من خلال أيام من حياة المجاهدة العظيمة، و عزمت، وتوكلت، وقدرت، ونويت.

نعم، عزمت، وتوكلت، وقدرت، ونويت، لكن الله قدر أمرا آخر، عندما اشتعلت النار في مكان آخر، من الشلو المليء بالحروق، والجسد المليء بالجراح، و أقصد بهذه النار تلك المسرحية المجرمة، التي تسيىء إلى الإسلام أبلغ إساءة، والتي مثلت على مسرح إحدى الكنائس في مدينة الإسكندرية، ربما كان المسيح عليه السلام يقصد مثلها عندما تحدث عمن يحولون دور العبادة إلى مغارات لصوص.

و أنبه القارئ الكريم إلى ملابسات لابد يدرك أسبابها حيث أنني سأحاول قدر ما أستطيع، أن أستعيض بالتلميح عن التصريح، وبالإشارة عن العبارة، ليس لمجرد

الحفاظ على الوطن من تداعيات الفتنة، بل رعبا من تحذيرات سيدي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، رعبا من أن أخطئ في حق ذمّيّ أو معاهد ولو بغير قصد فلا أشم رائحة الجنة، رعبا من أن أخالف الرسول الخاتم الذي اجترأ عليه عباد الشيطان رغم أنه يقول في قبط مصر:

- «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما»

الراوي: عبد الله بن عمرو بن العاص - خلاصة الدرجة: صحيح - المحدث: البخاري - المصدر: الجامع الصحيح - الصفحة أو الرقم: ٣١٦٦

- «إنكم ستفتحون مصر. وهي أرض يسمى فيها القيراط. فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها. فإن لهم ذمة ورحما ». الراوي: أبو ذر الغفاري - خلاصة الدرجة: صحيح - المحدث: مسلم - المصدر: المسند الصحيح - الصفحة أو الرقم: ٢٥٤٣

- «الله الله في قبط مصر؛ فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله».

الراوي: أم سلمة هند بنت أبي أمية- خلاصة الدرجة: إسناده صحيح رجاله ثقات- المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: ٣١١٣

- «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم ذمة و رحما».

الراوي: كعب بن مالك - خلاصة الدرجة: صحيح على شرط الشيخين - المحدث: الألباني - المصدر: السلسلة الصحيحة - الصفحة أو الرقم: ١٣٧٤

***

إن القارئ الذي يتابعني، يعلم أنني عزفت منذ عشرين عاما عن الدخول في هذا الأمر إلا في لمحات سريعة، ولعله يدرك السبب، ذلك أنني - كما تعود القارئ

مني- لا أسمي الأشياء بغير أسمائها، ولا أري التأول والتقية حقا لي، و أنني عندما لا أستطيع قول ما أعتقد أنه الحق فإنني أصمت، ليس جبنا، و إنما فطنة المؤمن.

تجنبت الحديث عن الفتنة الطائفية لأنني أرى أن هذه الفتنة وما سبقها ليست فتنة طائفية بالمعنى الصحيح، فهي ليست بين أتباع محمد و أتباع عيسى عليهما السلام، و إنما هي بين أنصار الله و أنصار بوش، بين أتباع محمد وعيسى وموسى عليهم السلام جميعا و أتباع المخابرات المركزية الأمريكية والموساد. بين أبناء مصر وأعداء مصر. بين الشرفاء والخونة، بين العملاء والوطنيين، بين الأصلاء والدخلاء، إنها قضية ينبغي أن تحكم فيها المخابرات لا الشريعة، وألا يحدد الفقهاء الجرائم الكامنة فيها، بل محاكم أمن الدولة، وأن يتحرى عن مخازيها ومؤامراتها جهاز مباحث أمن الدولة لو كان بالفعل جهاز مباحث أمن دولة وليس فرعا للموساد والسي آي إي.

وعندما نبهني البعض إلى موقع عبد الشيطان زكريا بطرس شعرت بالاشمئزاز والعزوف فالرجل كلب من كلاب النار يمزق الحقيقة وخنزير يدنسها. تجنبت الرد عليه والانشغال به، فمن ناحية ليس فيما يطرحه أي جديد، ومن ناحية أخرى هو عميل لجهاز مخابرات ما، ومهمته أن يشغلنا بسفاسفه وحديث إفكه عما هو أهم من مواجهة أكاذيبه. بل إن مجهود هؤلاء الناس غالبا ما يصب في صف الإسلام، لأن من يستمع إلى مثله ويصدقه، تكون صدمته هائلة عندما يكتشف الحقيقة، ويترتب على هذه الصدمة إما الإلحاد بمعنى الكفر بالدين كله و إما الدخول في الإسلام. وبغض النظر عن الصواب والخطأ فإن الكفر بالدين كله قد يتسق اتساقا شيطانيا، أما الإيمان باليهودية دون المسيحية والإسلام، أو الإيمان باليهودية والمسيحية والكفر بالإسلام فعبث لا يمكن للعقل البشري أن يتورط فيه، ذلك أن نقطة العبور أو التحول، أو الحد الفاصل بين بشر كالأنعام أو أضل، وبشر كالملائكة أو

أفضل، هي نقطة الإيمان بالغيب كمطلق، وبعد هذا الإيمان يأتي الإيمان بالرسل، جميعا، كنتيجة طبيعية بل وحتمية للإيمان بالغيب.

ولقد ذكرت في مقال سابق ما قاله المفكر المسيحي الشهير نظمي لوقا في كتابه محمد الرسالة والرسول: «أن التسليم بوجود رسل ونزول وحي يجعل من الصعب التسليم برسالة ورفض الأخرى، والإقرار بظهور رسول ونفي ذلك عن آخر»(ولأنه تحدث عن نبي الإسلام بموضوعية و إجلال في كتابه«محمد الرسالة والرسول» فقد طرده البابا شنودة شر طردة، وحرم الصلاة عليه في كنائسه، ودارت أرملة الكاتبة صوفي عبد الله على الكنائس دون فائدة: راجع المقال بالغ الأهمية للأستاذ جمال سلطان– مجلة المنار الجديد – شتاء ٢٠٠٥).

نعم، لم يكن الأمر صراعا بين المسلمين والمسيحيين بل صراعا بين الأمناء والخونة، بين الشرفاء والعملاء، بين الطيبين البسطاء والجواسيس، وليس عندي في ذلك شك.

بيد أننا يجب أن نعترف أن أولئك وهؤلاء يوجدون على الجانبين، ولست أظن – على سبيل المثال – أن البابا شنودة، أشد خطرا على الأمة – وبالتالي الوطن والدولة – من وزير الأوقاف أو بعض كبار الشيوخ في الأزهر. كما لا أظن أن أقباط المهجر رغم خيانتهم وعمالتهم أشد خطرا من كتائب المثقفين المجندين كعملاء في الداخل. والعملاء لا تستعمل هنا ككناية أو تشبيه أو مجاز، بل كصفة، فهؤلاء تسميهم الصحف الفرنسية والألمانية بكتاب المارينز وبصحف المارينز، والمقصود بالنسبة لهؤلاء، الصحف والأقلام التي سخرت وتسخر للترويج لأفكار أمريكا الساعية إلي تعميم الحرية والديمقراطية عبر العالم والتي تعتم علي كل الأخبار حول جرائم أمريكا وإسرائيل، والتي خصصت لها الحكومة الأمريكية بمختلف فروعها حوالي ٦٢٨ مليون دولار في السنة المالية ٢٠٠٤. الصدمة التي أحدثها إدراك المحافظين

الجدد في واشنطن بأن مخططهم لغسل عقول المسلمين لم يحقق نجاحا يذكر زادهم شراسة في حرب التضليل. إلا أن العقول والقلوب المدربة على توقي الخطر الخارجي قد تغفل عن الخطر الداخلي، رغم أن الخطر الداخلي لا يقل خطورة عن الآخر وقد يزيد.

نعم، انحرافات المنافقين أشد خطرا، وكذلك انحرافات المنحرفين عن طريق الإسلام ولو دون ردة ظاهرة أو باطنة.

هل هناك فرق حقيقي بين مجلة روز اليوسف ومواقع الأقباط؟ بين عبد الله كمال و أوغسطينوس؟ بين رفعت السعيد وزكريا بطرس.

هل هناك أي فرق؟ !.

***

ليس من حقي التأول ولا التقية، فإما أن أصمت و إما أن أقول الحقيقة بملء فمي.

مهما كانت جارحة أو محرجة أو دامية.

وليس أمامنا سوى أن نسمي الأشياء بأسمائها، لا بعكس أسمائها كما يفعل سوانا فيسمي الاستسلام سلاما والخيانة تحررا والكفر فكرا والزنا حبا والسرقة مهارة والاختلاس شطارة، والتجهيل تنويرا، والكذب تطويرا، والانحلال حرية، والاستغلال حقوقا، وينسب الخمر إلى الروح فيقول المشروبات الروحية.و.و.

الحقيقة التي أواجهها اليوم هي أن المسرحية التي مثلت في مغارة اللصوص السكندرية، هي بالفعل مسرحية سافلة مجرمة، ولقد كنت حريصا على ألا أكتب حرفا واحدا قبل أن أشاهدها أكثر من مرة، ولقد دهشت لكمّ الإجرام والبذاءة والكذب فيها، ولكن دهشتي وذهولي الأكبر، كانت عندما تصدى البعض لينكر ذلك، وليدعي أن المسرحية لا تمس الإسلام بل تحارب الإرهاب. وكان هذا القول

كذبا فاجرا كالمسرحية نفسها، كذب يزداد فجوره كلما ازداد منصب قائله ومدعيه. كان ممن قاله صحافيون علمانيون، وكان منهم أقباط غير شرفاء، لكن المذهل حقا أن يتورط في هذا الكذب الفاجر قيادات كنسية.

كان كذبا فاجرا، لأن من يقول أن المسرحية لم تتطرق للإسلام بل للإرهاب يعلم ما في المسرحية، ويعلم أنها كلها تسفه الإسلام وتحقره وتزدريه، وأن الكاهن الذي وقف يحيي الممثلين في نهاية المسرحية قد مرغ قداسته المدعاة في الوحل، وهبط إلى مرتبة كمراتب عادل إمام، أو أي ممثل أو ممثلة ساقطة في مسرحية هابطة في ملهى ليلي.

نعم.

أعترف.

آذت المسرحية مشاعري، لكن ما آذاها أكثر كذب كبارٍ غير محتاجين إلى الكذب.

إن الكذب كله مرفوض، وهو رذيلة، بل كبيرة من الكبائر، يدل على خسة في النفس، وفساد في الطبع، ولعلنا نذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سئل: «أيزني المؤمن؟ قال: نعم. أيسرق المؤمن؟ قال: نعم. أيكذب المؤمن؟ قال: لا»[1].

إذن فصفة الإيمان – كلها – منفية عن كل من يكذب في أي ملة و أي دين.

و أولئك الذين كذبوا ليسوا عبادا لله سواء حرف دينهم أم لم يحرف،

ليسوا عبادا لله بل عبيدا للشيطان. لا فرق بين كبير وصغير، بل إن الشيطان يتسلط على الكبار أكثر، ملوكا كانوا أو رؤساء أو بابوات وشيوخ.

***

لعل القارئ يدرك أن المسرحيات لا تُحكى، لأن ما يتم قوله فيها بالصمت

(١) الحديث رواه مالك وآخرون لكنه لم يرد في كتب الصحاح ولم أعثر على تخريج له لكن المعنى صحيح فالكذاب منافق والمنافق في الدرك الأسفل من النار.

والإشارة والموسيقى والديكور و الإيماءات والإيحاءات لا تقل أهمية عما يقال بالكلمات، لذلك أقول للقارئ أن ما ورد في هذه المسرحية الساقطة إساءة للإسلام نفسه، إساءة فاجرة، للإسلام وليس للإرهاب، الإسلام المتمثل في القرآن الكريم و النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشخصه والسنة الشريفة مباشرة وليس في أقوال الفقهاء أو سيرة العلماء أو فقه التابعين وتابعيهم.

نعم، الإهانة موجهة للإسلام: للقرآن الكريم و للرسول العظيم ﷺ.

ولقد قال بعضهم أن المسرحية تشبه أفلام عادل إمام.

ولقد كذب وكذب عادل إمام.

عادل إمام، الشيوعي، عميل الداخلية، المستهزئ بدين الله وبعباده الصالحين، والذي يدعي البعض علاقته الوثيقة برئيسنا القادم، جمال مبارك، عادل إمام هذا – رغم تفاهته وفسوقه– لم يبلغ هذا القدر المنحط من المجاهرة بالعداء للإسلام والسخرية من القرآن، إلا أنني أحسب أن عادل إمام لم ينكص عن ذلك بسبب بقايا إيمان أو إخلاص أو حتى احتراما لعشيرته وقومه، لكن عادل إمام أكثر حصافة و أقل وقاحة لذلك فهو يعرف الحدود التي يجب أن يقف عندها.

الفارق إذن هو الفارق بين مهارة قرد يتسلق ويتسلل ويهرب، وغباء ثور يقتحم ويحطم حتى لو تهاوى السقف على أم رأسه، وحتى لو تسبب بحماقته وطيشه في أن يرجمه الناس كالزناة والخطاة.

هل يدرك الثور الغبي أنه غبي؟ !

ملحوظة: في نهاية المسرحية يقف شخص يلبس ملابس قسيس ليحيي الممثلين، وكلما حيا ممثلا انطلق الممثل ليقبل يده!!، والملحوظة مهداة لأدعياء التنوير الذين لو رأوا مشهدا مماثلا مع مسلم لا يمثل الإسلام في شيء لما كفوا عن العواء والنباح والفحيح.

لا أكتب في صحيفة يومية، والصحيفة الأسبوعية التي كنت أكتب فيها أغلقت لأنها دافعت عن الإسلام، لذلك لن يكون مجديا أن أتصدى لتفاصيل المسرحية التي أفاضت الصحف اليومية والأسبوعية في عرضها، لكنني أشهد أمامكم يا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة أنه لا توجد صحيفة واحدة تزيدت أو أضافت إلى ما ورد بالمسرحية فعلا، ومن الناحية الأخرى، فلا يوجد أي صحيفة، ولا حتى الصحف كلها، قد استطاعت أن تعرض كل ما ورد في العمل الفاجر.

تقول المسرحية الفاجرة ، أن الإسلام دين لا يفهمه أحد ، وأن القرآن لا معنى له وأن المسلمين مخادعون وإرهابيون و أن القرآن يدعو للعنف والفواحش و أن المسلم متوحش متخلف مجرم لا يستمع لمنطق العقل ويقتل لأتفه الأسباب و أن الشرع يتم تفصيله حسب المقاس و أن هدف المسلمين تدمير المسيحيين وتخريب الكنائس وقتل القساوسة.

دعنا الآن من أن هذا كله ليس قول الإنجيل ولا المسيح ولا حوارييه، وإنما قول بوش وشارون والموساد والسي آي إيه وعملائهم أينما كانوا، إن هذه هي الآلية التي يتبعها أي مجرم لكي يوجد لنفسه المبررات والدوافع للجرائم التي ارتكبها أو تلك التي يوشك على ارتكابها، دعنا من ذلك، ودعنا أيضا من مزيد من التفاصيل عن المسرحية الفاجرة.

دعنا من ذلك لنطرح بعض التساؤلات:

إن كان هناك جاهل منحرف ألف هذه المسرحية المجرمة الساقطة، فماذا عن العشرات والمئات الذين من المحتّم أنهم علموا بالجريمة فصمتوا.

يدّعي المجرمون أن المسرحية لم يشاهدها أي مسلم، فمن الذي سرب تسجيلها إلى المسلمين،

لماذا هذا التوقيت بالذات يتم توزيع ٢٠٠٠٠٠ أسطوانة والمسرحية على شباب الجامعات في مظروف مكتوب عليه: «كل عام وأنتم بخير وبمناسبة شهر رمضان الكريم». لاحظوا عدد الأسطوانات الموزعة، وبالتالي التكلفة التي تناهز نصف مليون جنيه، من السهل تعقب مصدرها لمن يريد،

لقد أعلن «عدلي أبادير »في أحد قنوات القمر الصناعي أنه يجهز لفيلم تسجيلي عن اختطاف فتاة مسيحية وإرغامها على الإسلام؟ ؟ وأنه سيفضح المسلمين ومصر على مستوى العالم. وعدلي أبادير هذا مكانه مستشفى للأمراض العقلية، لكن الكونجرس يستضيفه والمخابرات الأمريكية والإسرائيلية تحركه، لكن ما العجب في ذلك؟ بوش المجنون نفسه: مجنون ويحكم، وكذلك شارون المجرم، وبلير الشاذ وبيرلسكوني اللص، فما كل أولئك سوى دمى تحركها أجهزة المخابرات في لعبة سيدها الشيطان.

– هذه المسرحية السافلة ليست سوى قمة جبل الثلج العائم الذي يختفي معظمه، هي المفضوح والمكشوف فما هو المخبوء والمستور؟ إنها متصلة بسياق يتصل فيه الداخل بالخارج والماضي بالحاضر في منظومة شيطانية واحدة منذ يوحنا الدمشقي حتى الآن، سياق المؤامرة، سياق الغارة على العالم الإسلامي، سياق التبرير للجرائم التي يوشكون على ارتكابها فيبادرون بالتمهيد والتبرير لها. وفي هذا السياق المتصل يقول أحدهم في مجلة صوت مصر الحر:

«أنا القبطي الفرعوني صاحب الأرض، أنا القبطي الشامخ صاحب هذا الوطن الذي سُلِبَ مني منذ الغزو الإسلامي وإلى الآن، وسيرحل قريباً كما رحل من أسبانيا، فلم تعد النعرة الإسلامية لها جاذبيتها الآن في جو أصبح الغرب المتحضر يفهم أن العرب جرب»..

هذا الآثم يجيب لنا عن سؤال يقول: ماذا يريد أقباط المهجر عملاء المخابرات

الأمريكية والإسرائيلية.

في نفس السياق أيضا يقول عميل آخر لا أدري لماذا تستضيفه الجزيرة ولماذا تسمح له القدس العربي بالكتابة فيها، يقول هذا الخنزير (واسمه مجدي خليل):

«لقد دفع الأقباط المسالمون حوالي ٤٠٠٠ قتيل وجريح خلال العقود الثلاثة الماضية بدون سبب سوى لكونهم مسيحيين، هذا بالإضافة إلى تخريب ونهب ممتلكات بعشرات الملايين وممارسة التهجير القسري لخلخلة الصعيد من الكثافة القبطية، بالإضافة إلى تطفيش مئات الألوف للهجرة للغرب حيث الحريات والفرص المتكافئة ».

٤٠٠٠ أيها الكذاب.

٤٠٠٠.!!

والأمر الطبيعي بعد الكذبة الشنيعة أن يتدخل العالم لإنقاذ الأقباط من المذابح، لذلك فإن هذا العميل طالب بالتدخل الأجنبي في شؤون مصر، بدعوى حماية الأقباط!!، فكتب يقول: «إن المطالبة بممارسة ضغوط دولية على الدول من أجل المحافظة على حقوق مواطنيها واحترام المواثيق الدولية هو أمر مشروع تماما، داخليا وخارجيا، ولا عجب في هذا، فنحن نعيش في عصر الدولة ناقصة السيادة، وهذا أحد أهم أوجه ظاهرة الكونية»

فهل رأى الناس كذبا أكثر وقاحة وفجرا، كذب الماضي وكذب الحاضر، كذب يبارزون فيه الشيطان فيبزونه، كذب يستمر فيتحدث الكاتب العميل عن واقعة لم تحدث كما رواها ولا في خيال الشيطان ذاته حيث يقول الكذاب العميل: «بكى البابا شنودة على العنف الموجه ضد الأقباط والذي كان هو شاهد عيان عليه منذ حادثة السويس في ٤ يناير ١٩٥٢، والذي قامت به جماعة الإخوان المسلمين حيث تم حرق عدد من الأقباط بشكل بربري والطواف بهم في الشوارع وإلقائهم في

إحدى كنائس السويس وإشعال النار فيها»[1].

هل سمع أحدكم بمثل هذا الكذب الفاجر.

بل هل تتخيلون يا قراء أن تصل الخسة والانحطاط إلى هذا الحد؟ !.

المسلمون هم الذين يقتلون ويحرقون، لكننا لا نقول المسيحية ولا حتى الصليبية بل نقول الأمريكيين أو البريطانيين أو الروس أو الهنود أو الصرب أو التايلانديين،

لا نتهم المسيحية - رغم ما يفعله بنا أتباعها - سموا ونبلا وترفعا عن الألم وإدراكا أن وازرة لا تزر وزر أخرى.

لا نتهمها رغم أن كل بلايانا من أتباعها، وكل كوارثنا من أبنائها، وليسوا أتباعها ولا أبناءها بل أتباع الشيطان وعبيده.

لا نتهمها رغم اعترافات اللورد كرومر بخيانات بعضهم كما خان البعض الآخر إبان الحملة الفرنسية، إذ يكشف اللورد كرومر في مؤلفه (مصر الحديثة) الروح المتعصبة لبعض الأقباط المتطرفين (مجلد ٢ فصل ٣٦ الطبعة الإنجليزية) بقوله:

«إن مبادئ الحيدة الدقيقة التي طبقها البريطاني كانت غريبة عن طبيعة القبطي وعندما بدأ الاحتلال البريطاني أخذت تساور عقله آمال معينة فكان القبطي يقول لنفسه: إنني مسيحي والإنجليز مسيحيون فلو كان الأمر بيدي لكنت تعصبت للمسيحيين على حساب المسلمين. وكان يقول لنفسه ولما كان للإنجليز السلطة فإنه من المؤكد أنهم سوف يحابون المسيحيين على حساب المسلمين، هذا هو الخطأ المحزن الذي يلام هؤلاء الأقباط عليه ولما اكتشف القبطي أن هذا الأسلوب في التفكير

(١) كان المجاهد الشيخ حافظ سلامة أحد شهود هذه الواقعة. وسوف نورد شهادته في نهاية الكتاب. وهي تكشف عن قدرة مذهلة على الكذب وقلب الحقائق. وما حدث عكس ما رواه الكاتب الكذاب. كان يمكن للصحيفة التي نشرت أكاذيبه وكذلك الفضائية أن توثقا الحدث وتواجهاه بأنه عكس ما يقول. ولكن الصحيفة والفضائية جزء من المشكلة لا الحل.

عقيم وأن سلوك الإنجليزي مرجعه مبادئ لم يضعها القبطي في اعتباره ويعجز عن فهمها تملكه إحساس بالفشل عمق ضغينته، لقد كان يرى أن تطبيق العدالة بالنسبة للمسلمين يعنى الظلم له وكان يعتقد ولو بطريقة غير شعورية بأن الظلم وعدم محاباة الأقباط ألفاظ مترادفة».

نعم فكر خسيس، نعم، لكننا لم نحمله على الأقباط جميعا بل حملناه على من قاله.

***

هناك حكاية فرعية أريد أن يكون القارئ على علم بها كي يعيش معي الأحداث كما حدثت، ففي منتصف رمضان فوجئت بمكالمة هاتفية ذكرتني بالمسرحية الشهيرة: «القصة المزدوجة للدكتور بالمي»تأليف الكاتب الأسباني الكاتب «أنطونيو بويرو باييخو»(١٩١٦-٢٠٠٠م) ، ترجمة الأستاذ الدكتور الحداثي صلاح فضل (ينطق اسمه زملاؤه وتلاميذه بطريقة أخرى: إذ يقولون: بل كان صلاحاً فضلّ!.) وقد مثلت المسرحية على المسرح في الثمانينيات، ثم عارضها الكاتب المسرحي السوري سعد الله ونوس في مسرحية (الاغتصاب) حاول في إعداده لهذه المسرحية مقاربة الهم الفلسطيني، على خلفية نفس الأحداث.

لحظة التنوير في المسرحية تبدأ بكتاب، تحمله زوجة معتقل مات من التعذيب، إلى زوجة الضابط الجلاد الذي قتله، ولم يكن لدي المسكينة أي فكرة عن طبيعة عمل زوجها، الجلاد، الحيوان الوحش المسعور (وليأخذها مني ضباط الأمن في كل أرجاء عالمنا العربي والإسلامي: كل من يمارس التعذيب جلاد، حيوان وحش مسعور، أما من يمارسها لصد الناس عن دين الله وهو يعلم، فليس في كفره شك، ولتعلم زوجته و أبناؤه و أهله أن حكمه حكم الكافر). أقول إن لحظة التنوير تبدأ بهذا الكتاب، والأرملة المعذبة تتحدث إلى زوجة الجلاد بألم لا يوصف وبازدراء، لأنها زوجة جلاد لم تحاول أن تعرف عن طبيعة عمله شيئا. وتدور أحداث المسرحية

بعد ذلك لتنتهي بالجلاد قتيلا.

في تلك الليلة الرمضانية هاتفني شخص ما:

هناك قرص مدمج (CD) أريد أن أوصله إليك:

حاولت أن أؤجل مجيئه حتى ينتهي رمضان، كان سيقطع أكثر من مائتي كيلومتر، وكان سيضيع عليّ برنامجي في تلك الليلة، حاولت، لكنني فهمت منه أن الأمر يثقل ضميره، و أنه يريد أن يلقي الحمل عليّ بعد أن فعل ما بوسعه.

كان حييا مهذبا، تكتسي ملامحه بتلك النظرة النبيلة الحزينة التي يتسم بها من يحملون هم نصرة لا إله إلا الله محمد رسول الله، أعطاني القرص المدمج وسألني إن كنت قد سمعت شيئا عن قصة المسرحية التي مثلت في كنيسة مار جرجس في الإسكندرية، وعن المظاهرات التي تمت في الأسبوع الأول من رمضان بسببها، كانت معلوماتي محدودة، وكنت حريصا على ألا أحكم قبل أن أرى، بدا لي الشاب الجميل كما لو كان جنديا، ظل يجري ويسابق الزمن مائتي كيلومتر، كي يبلغني، أنا الجندي الأقدم منه، بالكارثة الجديدة التي حلت، وبدا لي، أنه في اللحظة التي أبلغني فيها، قد أبرأ ذمته أمام الله، وارتاح ضميره، بعد أن نقل إليّ همه وغمه وعذابه، وبدا كما لو أنه قد تخلص من حمل ثقيل أبهظ ظهره، لينقض ظهري أنا، وتحدثت ملامحه: «لا أطلب منك شيئا، أتركك لضميرك».

هالني ما سمعت، ها هي ذي قصة الوليمة[1] تتكرر مرة أخرى، قصة الفسوق والمجون والكفر، قصة الإجرام والإسفاف والاعتداء على قدس أقداسنا وكرامة رسولنا ﷺ، ها هو جيش الشيطان يتجمع من جديد، وها هي ذي الشراذم الساقطة الباقية من جسد سلطة تعفنت وتحللت ولم يعد لها من الأمر إلا أن تقايض بكل

(١) وليمة لأعشاب البحر. والتفاصيل مطروحة في كتابي: «الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة» - مكتبة مدبولي-٢٠٠١.

شيء كي تستمر عاما آخر.

ترددت في جنبات نفسي أصداء ندائي يومذاك : «من يبايعني على الموت». أنت تعلم يا علام الغيوب أنني كنت أعنيها وكنت قد أعددت نفسي لها، و أنني أتشبث بها، دثارا يغطي نار القلق المستعرة داخلي خوفا من الحساب، من النار، وقبل الحساب وقبل النار خوفا من خزي الوقوف أمامك وأنا من أمة مهزومة، وما كان لها أن تُهزم، فليس أمامها من سبيل إلا الشهادة أو النصر.

نكأ الشاب النبيل الجرح، طلبت منه أن يشرح لي الأمر.

وها أنذا أنقلها بنفس حروفه تقريبا كما سمعتها منه تحمل مشاعره كما أحسها وبألفاظه كما قالها، شهادة أمام الله والأجيال القادمة يعرفون منها كيف حدث ما حدث، يعرفونه يقطر صدقا لا كذبا، شرفا لا خسة، أمانة لا عمالة، ولكي تكتمل شهادتي فإنني لم أجر إلا قليلا من التصويبات النحوية و الإملائية، كما أنني لاحظت ربما مرة أو مرتين أنه ذكر اسم البابا دون لقبه، فأضفت اللقب[(١)].

والآن إلى حديث الشاب النبيل في تلك الليلة الرمضانية.

منذ أكثر من ثمانية شهور بدأ عرض المسرحية والجمر يشتعل تحت الرماد، وذهب بعض الشباب إلى جهاز مباحث أمن الدولة في الإسكندرية وأبلغوه بالأمر و أعطوهم نسخة من القرص المدمج بالمسرحية.

بعجرفة وصلف رد المسؤول بأنهم سينظرون في الأمر، ثم لا شيء.

ظلت النار تشتعل، وقلوب الشباب الغض تحترق وكل آن و آخر يستغيثون بمسؤول هنا أو هناك بلا جدوى.

ثم بدأت القضية تطفو على السطح بتحقيق نشرته جريدة الميدان الأسبوعية بتاريخ (٦/ ١٠/ ٢٠٠٥) عرضت فيه نصوصا من المسرحية وتحدثت عن توزيعها

(١) سوق يلاحظ القارئ أنني في نهاية الكتاب أنحو نحوه بعد جسامة ما اكتشفته.

على نطاق واسع في الجامعات ، وتابعتها جريدة الأسبوع في الأسبوع التالي بتحقيق للصحفية زينب عبد الله نبهت فيه على خطورة المسرحية وما تحتويه من سب وتهكم على أقدس المقدسات الإسلامية، وعادت الميدان فنشرت تحقيقاً موسعاً عن المسرحية ومحتوياتها واستطلعت آراء عدد من المسلمين والمسيحيين الكتاب والمفكرين، وذهبت أيضا إلى كنيسة مار جرجس بمحرم بيك لسماع رأيهم ولكن لم يسمح للصحفيين بالدخول واكتفي القساوسة بقولهم أن البابا أمرهم ألا يتحدثوا في المسرحية لأنه شخصياً يتابع الحدث، وذهبت الجريدة أيضاً إلى مقر البطريركية في العباسية فلم يتحدث لها أحد ورفضوا لقاء الصحفيين، ومع هذا التفاعل وانتشار الخبر وتكبر الكنيسة عن الحديث إلى المسلمين وسكوت القيادات الأمنية والدينية والقانونية على هذه الجريمة قامت أول مظاهرة للشباب المسلم أمام الكنيسة الآثمة في الإسكندرية بعد صلاة التراويح يوم الجمعة (١٤/ ١٠/ ٢٠٠٥).

خرج الشباب تملأ حلوقهم المرارة القاسية، مرارة الشعور بالخديعة ونكران الجميل من الكنيسة التي ما عاشت الأمان إلا في ظل الإسلام وأهله، وبينما تظهر لهم التسامح ظاهرياً فهي من أعماق قلبها تزرع الكراهية والحقد والكذب تجاه المسلمين في نفوس أتباعها، وفي الوقت الذي تظهر فيه احترامها للإسلام ظاهرياً فهي في أعماقها تجعل من أقدس مقدساته مادة للضحك والسخرة والتندر، خرج الشباب تملأ حلوقهم المرارة، مرارة الشعور بالغدر والخيانة من قيادات الدولة ومؤسساتها الذين يملؤون الدنيا ضجيجاً ويشحنون الأمة كلها لوفاة ممثل أو مرض رئيس أو هزيمة رياضية، وعندما يُسب ربّ المسلمين ويستهزئ بكتابهم ويطعن نبيهم بصمت الجميع وكأن شيئاً لم يحدث، لقد غدروا بالشباب المسلم عندما استنفدوه في مناسباتهم التافهة وتركوه وهو جريح والكلاب تنهش في دينه وعقيدته بلا رأي ولا عون، خرج الشباب يملؤهم الغضب لله ورسوله تجاه الكنيسة.ولكن

لم يدفعهم الغضب إلى التحطيم والتخريب ، وإنما وقف الشباب يتظاهرون معبرين عن غضبهم وقد أقاموا بأجسادهم سوراً حول الكنيسة حتى لا ينفلت الزمام من أيديهم ويثور العامة على الكنيسة ومن فيها، كانت تلك الوقفة النبيلة تحرص على ألا يصيب الكنيسة أو من فيها أذى، لم تكن تريد ذلك، كانت تريد فقط أن تلقي الضوء على الحدث وتعبر عن غضب الشباب تجاهه وتعلن مطالبها للجميع. وانصرف الشباب بعد وعود من الأجهزة الأمنية والإدارية في الإسكندرية بالتحقيق ومعاقبة الجاني والمسؤول عن هذه الجريمة، ولكن ثورة جمرة الغضب لم تهدأ في نفوس المسلمين في الإسكندرية فقامت في الأيام التالية عدة مظاهرات خرج فيها أهالي الإسكندرية رجالا ونساء ليعبروا عن غضبهم ويعرضوا مطالبهم حتى أنه خرجت مظاهرة نسائية يوم السبت (١٥/ ١٠) تعبر عن الغليان في صدور أبناء هذا الدين.

مرت الأيام والمظاهرات والكنيسة صامتة صمت القبور، وكلما خاطبت أحد رجالها يقول لك . البابا بنفسه يتولى هذا الموضوع ، وفعلا بعد المظاهرة الأولى توجه البابا شنودة إلى الإسكندرية ، ونزل بها لعدة أيام وانتظر ، المسلمون ما تتمخض عنه الاجتماعات بين قيادات الدولة ورجال الكنيسة.

وتمخض الجبل فولد بياناً مستفزاً للمجلس الملي يتحدث عن مؤامرة تحاك ضد الأقباط ، وعن قلقه تجاه ذلك ، ويتهم الصحافة بإثارة الفتنة أحدث البيان صدمة للمسلمين جميعاً بل ولبعض العقلاء من المسيحيين، وانتظر الناس حركة رجال الدولة، ولكن لم يتحرك أحد، بل على العكس، قامت الأجهزة الأمنية باستدعاء بعض الدعاة ، وهددتهم باعتقال كل من يحاول أن يثأر لدينه، وراحت الصحف العميلة تطرح القضية من زاوية أخرى تماما وتتحدث عن الشباب الذين قادوا المظاهرات وعن خطرهم وعمالتهم وأغراضهم الدنيئة في إشعال الفتنة وهنا بدأت تدوي على ساحة الحدث أصوات أجهزة الإعلام وهي تعلن أن هناك أيد خفية

تحرك الحدث وتهدف إلى زرع الفتنة وتعلن تمسكها بالوحدة الوطنية وعلى إثر ذلك تحركت أجهزة أمن الدولة للقبض على من شارك في المظاهرة الأولى.

وهنا أسقط في الشباب المسلم.

وبدا للجميع أن الدولة اختارت أن تداري ضعفها وعجزها أمام الكنيسة عن طريق التنكيل بالمسلمين ، وبدا للجميع أن الأمر قد مر بسلام لرجال الدولة والكنيسة ، أما المسلمون الغاضبون فأجهزة الإعلام والأمن كفيلة بإسكاتهم. حتى كان يوم الجمعة(٢١/ ١٠) والذي افتتحه الأمن بمنع الصلاة في مسجد أولاد الشيخ المجاور للكنيسة ، ظناً منه أن هذا يعجز المسلمين الغاضبين ويعيق حركتهم و ولكنه فوجئ أن أهالي الإسكندرية تواعدوا بالخروج من المساجد بعد الصلاة للاحتشاد أمام الكنيسة، ووقف الأمن أما م الجموع عاجزاً بالكلية عاجزا عن تلبية مطالبهم العادلة والمشروعة وعاجزًا عن مواجهة غضبهم النبيل على دينهم فلجأ إلى القوة لتفريق المتظاهرين ، وارتفعت يده العاجزة عن القصاص من الظالم إلى البطش بالمظلوم ، وهنا كانت أحداث الإسكندرية الدامية التي استشهد فيها ثلاثة من المسلمين.

المظاهرات كانت عفوية وليس لها علاقة بأي تنظيمات سياسية كالإخوان أو غير سياسية كالدعوة السلفية.(أذكر القارئ أن الحديث للشاب النبيل). بل دعني أقول: أن هذه التنظيمات كانت تنأى بنفسها عن تحمل مسؤولية هذه المظاهرات!!

غريبة هي التنظيرات التي سمعت عمن قام بالمظاهرات فالكل ممكن يصدق أن الإخوان فعلوها من أجل الانتخابات، والبعض يمكن يصدق أنها من ترتيب الحكومة لتكريس قانون الطوارئ وانتهاك الحريات. والبعض قال أنها من ترتيب صهيوني لضرب عنصري الأمة.

الغريب أنه لا أحد من العلمانيين ومن تابعهم يمكن يصدق أن هناك من المسلمين

من غار على دينه ورسوله فتظاهر. غريبة جدا ألا يكون هذا في خلدهم !!!!

ويواصل الشاب النبيل: البابا لا يبكى إلا يوم الأربعاء !!!

بكى البابا بعد أن مات من مات من متظاهري العزة في محرم بك من مات.

بكى البابا بعد أن أصيب من أصيب من المسلمين.

بكى البابا بعد أن اعتقل من اعتقل من المسلمين.

بكى البابا بعد كل هذا دمعتين دمعتين،

بكى لكي يتحول من جان إلى مجني عليه.

بكى والكاميرات تنقل عنه إلى العالم مدى محنة الأقباط وهم يتهجمون على دين الأغلبية والأغلبية الهوجاء تتظاهر يا للعجب!!!.

بكى دموع التماسيح وكان بكلمة يقولها أو يشرح فيها ما حدث من كنيسة تتبعه وقساوسة منتمين للكنيسة، كان ممكن أن يوقف تلك الفتنة.

لكن يعلم الله كم سعدت لعدم اعتذاره حتى ينضح للعامة والخاصة وجهه القبيح ولله الحمد من قبل ومن بعد.

بعد ذلك نشرت صحيفة الأسبوع عدد ٣١ أكتوبر ٢٠٠٥ تحت عنوان «مجمع البحوث الإسلامية يناقش أحداث الإسكندرية: «سيطرت أحداث محرم بك بالإسكندرية على مناقشات الجلسة التي عقدها مجمع البحوث الإسلامية ، والتي عقدت الخميس الماضي ، حيث تم عرض تقرير من السي دي الخاص بالمسرحية التي تم عرضها بكنيسة مار جرجس ، وأثارت الأزمة أشار التقرير إلى أن المسرحية تحمل إساءات للدين الإسلامي حيث تضمنت قراءات محرفة لآيات من القرآن، بجانب إساءات للرسول ﷺ وطالب التقرير بضرورة التحري عن مصدر السي دي وتحديد المسؤول عن ذلك».

ولنا تعليق هذه الحقيقة أدركها الشباب المسلم المتظاهر قبل أن يدركها المفتي

ومجمع البحوث ، ولذلك تظاهروا فهل نحولهم إلى جناة أم إلى شرفاء لم يطأطئوا رؤوسهم كما طأطأها المفتي على سبيل المثال لا الحصر.

في حوار عزت السعدني في صحيفة الأهرام تحقيق السبت (٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٥) يقول في مقدمة العمود الرابع ما نصه : «وذهبت إلى الدكتور على جمعة مفتي الديار المصرية أسأله لعلى أجد عنده ملاذاً.

قلت له : هل رأيت مسرحية كنت أعمى ، وأصبحت مبصرا »والتي عرضت في كنيسة محرم بيك وتتداول الآن على أقراص CD.؟

يقول فصلية المفتي : نعم شاهدتها.

أسأله : وما رأيكم دام فضلكم ؟ ؟ .

يقول فضيلة المفتي : عمل سيئ يسيء للإسلام والمسلمين. ويجب محاكمة كل من قام به وشجعه وصوره ووزعه على الناس.

أسأله: هل صدمك هذا السي دي.

فضيلة المفتي :لم أصدم.لأن الناس تسرق وتقتل وترتكب الجرائم، وهي جريمة مثل كل الجرائم ولابد من معاقبة مرتكبيها. وجاءت في وقت تشمر فيه عصابة الإفك في نيويورك عن ساعديها لكي تهاجم مصر، والغريب أنهم من أبناء هذا الوطن ومن أقباطه الذين طردتهم الكنيسة لسوء تصرفاتهم وخبث نواياهم.

أسأله :هل هناك مخطط لإظهار هذه المسرحية الآن في وقت الانتخابات البرلمانية لصالح مرشح دون آخر؟ .

فضيلة المفتي : ممكن برضه ولم لا ؟

قلت : وما العمل؟ .

فضيلة المفتي: العمل عمل الله، والقانون. والغريب أن الذين ارتكبوا هذا الإثم نسوا تماماً قول المسيح ابن مريم عليه السلام :باركوا لاعنيكم ،اهـ.

هذا ما قاله المفتي بالنص في جريدة الأهرام، ولكن.

يظل ما قاله المفتي في برنامج البيت بيتك(٢١/ ١٠/ ٢٠٠٥) مع المذيع الكارثة تامر أمين من أنه لا توجد مسرحية أصلا ، والكنيسة ليس لها علاقة بالموضوع ودعوته للغاضبين لربهم ودينهم أن يتمسكوا بالوحدة الوطنية.

يظل قوله هذا هو الأشهر والأقوى والأكثر شيوعاً بين الناس وهنا حق للعقلاء أن يتساءلوا:

- لماذا يتحدث المفتي بلسانين ويتكلم بلغتين ؟ ؟ ؟ .

- هل لم يكن يعلم بأمر المسرحية ولما رآها تغير رأيه؟ ؟ ؟ .

لكنه لم يقل لا أعلم بل قال لا توجد ولا داعي ولا..

- هل يتحدث المفتي مثل الساسة في بلادنا حديثين: فحديث للخاصة وحديث للعامة؟ ؟

- هل تحرج المفتي عندما نفي وجود المسرحية بينما اعترفت بها الكنيسة؟ ؟ .

- هل وهل وهل؟

تختلف الآراء والتحاليل لكلام المفتي.

ولكن الشيء الوحيد المتيقن أن المفتي سقط سقطة كبيرة وعظيمة لا ولن ينساها تاريخ الأمة.

وإن المفتي ولى الأدبار في معركة من أشرف المعارك التي يخوضها الإنسان في حياته، معركة الدفاع عن الله والرسول والقرآن.

وإن المفتي خسر فرصة لا تعوض يصلح بها صورته المشوهة عند جماهير المسلمين ، ويبني له في قلوبهم مكانة عظيمة.

ويجول في خاطري سؤال : إذا كان المفتي لم يفعل هذا أو ذاك فلماذا لم يصمت مثلما عهدناه دائماً في قضايا المسلمين الكبرى والهامة ؟؟؟

انتهت تساؤلات الشاب النبيل

نكأ الجرح، بعد أن شرح لي الأمر.

نكأ الجرح وهو يؤكد أن المظاهرات كانت عفوية وليس لها علاقة بأي تنظيمات سياسية كالإخوان أو غير سياسية كالدعوة السلفية، نكأ الجرح، فالحقيقة كما أعلمها علم المتصل لا المنفصل أن هذه التنظيمات كما قال : كانت تنأى بنفسها عن تحمل مسؤولية هذه المظاهرات!!

نكأ الشاب النبيل الجرح و أوجع قلبي وهو يلاحظ أن الكل يضع كل الاحتمالات لهذه المظاهرات إلا الاحتمال الوحيد الصحيح، فالكل يمكن يصدق أن الإخوان فعلوها من أجل الانتخابات والبعض يؤكد أنها من ترتيب الحكومة لتكريس قانون الطوارئ وانتهاك الحريات ، والبعض يقول أنها من ترتيب صهيوني لضرب عنصري الأمة، أما الغريب فهو أنه لا أحد من هؤلاء وعلى رأسهم العلمانيين يمكن يصدق أن هناك من المسلمين من غار على دينه ورسوله فتظاهر.

نكأ الشاب النبيل الجرح و أنا أحس بكلماته على الورق تصرخ:

غريبة جدا ألا يكون هذا في خلدهم !!!!

غريب يا بنيّ، وقد أوجعتني والله.

هل أحسستم بوجعي يا قراء.

وهل أوجعكم وجعي.

وهل أوجعكم ما أوجعني.

أوجعني أيضا وصف الشاب للشباب المسلم الذي وقف في المظاهرة الأولى، ورغم غضبهم فقد أقاموا بأجسادهم سياجا حول الكنيسة حتى لا ينفلت الزمام من أيديهم ويثور العامة عليها.

أوجعني عندما تذكرت ما يفعله العلمانيون الأشرار من تشويه للشباب المسلم،

وهم بهذا يقومون بأكبر خدمة للموساد والسي آي إيه، إنهم صحفيو المارينز، وهم الطابور الخامس الذي يفت في عضد الأمة ومهمته كسر قلب الأمة المتمثل في هذا الشباب الذي لا يوجد غيره ليدافع عن الدين والهوية والأمة والوطن عندما تقتحم الدبابات الأمريكية والإسرائيلية باقي عواصمنا.

***

عندما اندلعت أعمال العنف في المظاهرة الأخيرة في الإسكندرية كنت حريصا على معرفة من الذي مارسه، كنت أدرك أن الضوابط الشرعية التقليدية وعجز الفقهاء عن التجديد تكبل الشباب المسلم و أنه يصعب أن يمارس العنف ضد كنيسة حتى لو اعتدت هذه الكنيسة، هذا الشباب النقي الطاهر، الذي يعبد الله كأنما كل يوم آخر يوم في حياته، لا يقدم على فعل إلا بفتوى، خاصة بعد الصحوة الإسلامية وتجارب ممارسات العنف غير الكافي والتي جاءت بمردود عكسي، تصوري النظري إذن كان يؤكد لي أن العنف مارسه آخرون، وهو ما أكده لي عالم من علماء الإسكندرية والذي كان شاهد عيان، فلقد صدق حدس الشباب المسلم، استطاعوا هم ضبط أنفسهم، لكن العامة لم يستطيعوا، قال لي الرجل: أنه سمع العشرات يؤكدون أنهم لا يصلون، ولكن عندما يسب النصارى الرسول ﷺ أو يهينوا القرآن فإنهم سوف : «يجيبوا عاليها واطيها». و أكد لي الرجل أن هذا لم يحدث إلا بعد تلكؤ الأمن وطناش أهل السياسة والحكم.

***

الأمن الباطش الجبار صمت.

واللواء الوغد الخسيس الذي أمر بهدم مدرسة الجزيرة الإسلامية صمت.

أعوان الشيطان وكلاب النار الذين نكلوا بالشباب المسلم أيام الوليمة أيما تنكيل كانوا أمام النصارى كالجرذان و أمام المسلمين كالضباع الضارية التي لا تقتات إلا

لحم البشر.

أعوان الشيطان وكلاب النار من كتاب وصحافيين وسياسيين ومفكرين فعلوا نفس ما فعلوه أيام الوليمة.

نفس الحجج النجسة التي تنطلق من أرواح نجسة وصف القديس أوغسطينوس مثلها بقوله: إنهم يرغبون في تدمير الحق الذي لا يمكن تدميره. أمّا الخنازير فتختلف عن الكلاب فهي لا تهاجم لتمزّق بأسنانها، لكنها تدنّس الشيء إذ تدوسه بأقدامها في طياشة. إذن لنفهم أن «الكلاب»تُشير إلى مقاومي الحق، «والخنازير»إلى محتقريه.

هذه كلمات قديس لا كلماتي.

نعم.

كنا وما زلنا نواجه الكلاب والخنازير.

نفس الكلاب والخنازير.

***

إنني أذكر القراء فقط بما فعله اليهود عند عرض مسلسل يتعرض لبروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكولات، وليس للتوراة أو سيدنا موسى، كما أذكرهم بما فعلته مكتبة الإسكندرية من إلغاء عرض البروتوكولات في أجنحتها أصلا. كما أذكرهم أيضا بمظاهرات المسيحيين أثناء فضيحة الراهب المشلوح، وكان مشلوحا لم يعد ينتمي إلى الكنيسة، ولم يعد ما يهينه ينسحب عليها، وكان من فضح الأمر ونشره صحافي علماني لا يمثل الإسلام ولا المسلمين، ومع ذلك هاجت الدنيا وماجت، واعتذر كل مسلم عن عمل لم يكن مسؤولا عنه بداية ونهاية، وبالرغم من ذلك تظاهر شباب الأقباط وخربوا وأصابوا رجال الأمن ولم يكد يصب منهم أحد. وبعدها ادعوا بالكذب الخسيس المنكر أن رجال الأمن هم الذين اعتدوا

عليهم، رغم أنهم يعلمون أنهم لو قتلوا رجال الشرطة الموجودين جميعا لما امتدت يد إليهم بسوء، حيث تكرس جبن من عبد الطاغوت ونسى الله فأنساه نفسه. ولو حدث الأمر مع مسلمين لما اكتفت الشرطة بإبادتهم عن بكرة أبيهم، بل كانوا سيشنون حملات عسكرية بالمصفحات والطائرات والصواريخ على بيوتهم ومدنهم وقراهم ليدمروها تدميرا.

أذكر القراء كذلك بمظاهرات الأقباط أثناء العمل السينمائي «بحب السيما» رغم أن معظم طاقم العمل كان مسيحيا. وبرغم أنها كانت إيحاءات فنية (إبداع كما يقول أدعياء التنوير). وليس التعرض لمقدسات وكتب. كان تمثيلا وممثلين وممثلات في قصة خيالية ، وليس قساوسة يتحدثون عن القرآن والرسول ﷺ .

***

ذلك الكاذب الذي ترحب به أجهزة الإعلام لأنه من أقباط المهجر، ترحب به وكأنه بشر سوي لا كمجرم ينبغي محاكمته يروج زورا حكاية حرق الأقباط في السويس. وهو نفس المنهج الخسيس المجرم الذي اكتشفت أنهم جميعا يتبعونه في أبسط القضايا و أعقدها، يمارسونه في قضية وفاء قسطنطين، وفي قضية أسلحة الدمار الشامل.

لم يحرق المسلمون أحدا.

كانوا هم الذين حُرِقوا لا حرَّقوا،

وبالرغم من ذلك لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين،

لم نتهم المسيحية ولم نقل أنهم قاموا بحرق (١٠٠) شاب مسلم بالبنزين، بل قلنا فعلت الشرطة في تايلاند ذلك، بل وصرح رئيس البوليس في المنطقة بأن حياة المسلم لا تساوي (٢٦) سنتاً فقط (ثمن الرصاصة).

***

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بتسليط الكلاب المدربة على التهام للأعضاء الذكرية لـ ٣٠٠معتقل في سجن أبو غريب بعد فتح أرجلهم عنوة عبر قيود حديدية في أيديهم وأرجلهم مثبتة في الحائط ووفاتهم على الفور.

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بالمسؤولية عن مصرع ٦٠ طفلاً في سجن أبي غريب بعد تقطيع أطرافهم أمام أمهاتهم، ومن ربط الأعضاء الذكرية والألسنة أحيانا للعديد من أبناء العراق الصامد بالأسلاك الكهربائية.

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بإجبار المعتقلين على اللواط والإتيان بحركات جنسية مهينة وهم عراة ليتم تصويرهم على أنهم همج، ومن دهسهم أحياناً بالأحذية العسكرية على الرأس والرقبة والأماكن المجروحة، ومن تقييد بعضهم وربطهم بالأسرة وهم عراة وحرمانهم من الطعام الشراب لساعات طويلة، ومن تعليق البعض منهم لعدة ساعات لإجبارهم على الإدلاء باعترافات كاذبة، ومن تبول على أجساد بعضهم العارية وجراحاتهم، ومن وضع حبال حول رقاب بعضهم وجرهم بها كالكلاب، ومن حلق رؤوس عراقيات وضربهن وإجبارهن على المبيت في الماء وعلى عدم النوم والوقوف لمدد طويلة أحياناً ووفاة العديد منهن بعد اغتصابها أو اغتصابه.

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بذلك أو بغير ذلك مما تواترت أخباره ويعف اللسان عن ذكره وكان ضمن ١٠٠ ألف حالة تعذيب أكدتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان وأظهرتها عدسات الكاميرات وتناقلتها جميع وكالات الأنباء ووقف عليها العالم كله.

لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين بما أوقعته إدارة بوش (لم نقل إدارة المسيحيين أو الصليبيين رغم أنه هو قالها) على العراقيين في سجون الموصل وأم قصر وبوكا وغيرها، وعلى مجاهدي طالبان في سجون أفغانستان وفي (جوانتانامو) بـ (كوبا).

لم نتهم المسيحية ولا اليهود بما نشرته صحيفة (ديلي ستار) الملحقة بـ (الهيرالد تريبيون) فقد أمدت إسرائيل الأمريكيين بآليات ونظم تعذيب لانتزاع الاعترافات من أسرى ومعتقلي السجون العراقية حتى بات العسكريون الأمريكيون يستمعون بعناية فائقة إلى خبراء إسرائيليين للتزود بخبراتهم في التعامل مع المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وعملاً بمبدأ أن الفعالية في انتزاع الاعترافات ينبغي أن تكون لها الأسبقية على احترام مقتضيات الديمقراطية وحقوق الإنسان فقد أقيمت تدريبات مشتركة أمريكية إسرائيلية في صحراء النقب.

لم نتهم المسيحية ولا اليهود بما حدث عندما ثار الجزائريون أثناء الحرب العالمية الثانية مطالبين بحريتهم، فما كان من البوليس الفرنسي إلا أن قصف المتظاهرين بمدافع الميدان التي تستخدم في تحطيم الحصون، كان القصف وحشيا، وكان ذلك في الثامن من مايو سنة ١٩٤٥، فأعلنت الأحكام العرفية على أثر ذلك، وأقبل الطراد ديجواي – تراون«ليواصل المذبحة فأمطر مدينة خزاطة»وابلاً من قنابله الثقيلة، وقامت قوات الجيش بالحملات التأديبية، وشُنق الوطنيون من غير محاكمة، كان عدد القتلى من العرب كما قيل أولاً بصفة رسمية إنه ١٥٠٠، غير أن الجيش أعلن أنه يتراوح بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠. ثم جاءت إحصاءات أخرى تقول: إن العدد الصحيح هو: عشرون ألفا، وبعد إعادة النظر في حقائق الأمور تبين أن العدد الصحيح هو ٤٠٠٠٠ قتيل، وقد أيده القنصل الأمريكي ببيانات من عنده.

أربعون ألف قتيل يحصدون هكذا بين عشية وضحاها!!!

أربعون ألفا..

ولم نتحدث عن وحشية المسيحية أو المسيحيين.

بعد المذبحة، ذهب المبشرون كي ينصروا اليتامى من أبناء الشهداء، تماماً كما حدث لأبناء وبنات مسلمي البوسنة والهرسك – وليقولوا لهم وهم يحشرونهم في

إحدى الملاجئ المسيحية: الله محبة!!!«و على الأرض السلام!!!«و للناس المسرة!!!».

***

ولم يكن الأمر عابرا ولا جديدا،

كانوا دائما كذلك، منذ مذبحة معرة النعمان وبيت المقدس مرورا عبر القرون حتى مذابح الفلوجة وبغداد وتلعفر.

ولم نتهم المسيحية بالهمجية والوحشية والتخلف.

في نهاية القرن التاسع عشر كانت القوات الأميركية تكتسح كل أرض ظهرت عليها حركة مقاومة في الفيليبين، وكما هو الأمر الآن في العالم، لم يعد يقاوم إلا المسلمون. كانوا منذ مائتي عام يحاربون الاستيلاء على بلادهم وتنصيرها حتى جاءت القوات الأمريكية ولم تترك هناك فلبينيا واحدا يقاوم إلا قتلته. وكذلك لم يعد في هذا البلد رافضون للوجود الأميركي لأنه لم يتبق منهم أحد«!!! ويضيف صحفي رافق الحملة ما نصه: «إن الجنود الأميركيين قتلوا كل رجل وكل امرأة وكل طفل وكل سجين أو أسير وكل مشتبه فيه ابتداءً من سن العاشرة، واعتقادهم أن الفلبيني ليس أفضل كثيرا من كلبه وخصوصا أن الأوامر الصادرة إليهم من قائدهم الجنرال «فرانكلين»كانت :«لا أريد أسرى و لا أريد سجلات مكتوبة.!!

كانوا الجناة المجرمون مسيحيين جميعا ومع ذلك لم نتهم المسيحية ولم نقل عليهم بالحق ما ادعوه بالباطل علينا.

لم نقل ذلك، رغم أن نفس هذا الإجرام موجود أيضاً بين فرق النصارى أنفسهم: فقد اشتركت الكنيسة الكاثوليكية في صربيا مع قساوستها ورجال الإكليرك والرهبان وكذلك أعضاء منظمات الشباب الكاثوليك في المذابح التي لاقاها الأرثوذكس من أهل الصرب في معسكرات الاعتقال التي كان يشرف عليها

القساوسة الكاثوليك وأسفرت عن مقتل ٧٠٠٠٠٠ من الصرب الأرثوذكس و٩٠٠٠٠ من اليهود والزيجويتر، على الرغم من علم البابا بما يحدث هناك تبعاً للتقرير المفصل الذي قدمه إليه (بوكون) في الثامن من أكتوبر لسنة ١٩٤٠. (باختصار وتصرف عن: الغارة على العالم الإسلامي د/ ربيع بن محمد بن علي).

يقول أحد ضباط الأمم المتحدة الذين خدموا في البوسنة والهرسك: «إنه قضى شهوراً طويلة لا يستمع إلا لطلقات الرصاص والبنادق ولا يرى سوى قذائف الصرب التي كانت تتوالى تباعاً فوق أشباح الموتى وهي عطشى لمزيد من الجثث من الرجال والنساء والأطفال المسلمين في مذبحة (سربرنيتشا) المروعة».

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

ولقد اعترف قائد القوات الصربية (فوشتيك) لمجلة (ديرشبيجل) الألمانية وقال بالحرف الواحد: «لقد قتلت وحدي مئات المسلمين، وقمت شخصياً بإطلاق الرصاص على الأسرى المسلمين للقضاء عليهم»، وعندما نبهته المجلة إلى المعاهدات الدولية التي تحرم قتل الأسرى قال: بأنه «لما لم يجد سيارات لنقلهم، وجد أن أرخص طريقة هو قتلهم بالجملة، مثلما أجهز رفاقه الصرب على ٦٤٠ مسلماً كانوا يختبئون في مخبأ»، كما ذكر: «أن من لم يقتله كان يقوم أحياناً بخرق عينيه وتعذيبه، وأنه كان يلجأ إلى تهشيم أيدي الأسرى ببطء حتى يعترفوا بما يريد»، وحين سئل عن هدف الحرب التي تخوضها القوات الصربية في البوسنة صرح بقوله: «المسلمون في أوربا يجب أن يختفوا كأمة، وأن على المسلمين في البوسنة إعلان تحولهم عن الإسلام وأن يصبحوا صربيين أو كروات أما الخيار الثالث فهو الموت، وإن بيننا وبين المسلمين الألبان في كوسوفو ثأرًا وسنقوم بطردهم ومن يرد البقاء سنقتله، لا نريد مسلمين بيننا أو حتى في أوربا كلها»، كما يؤكد حقيقة العداء بين الغرب والإسلام ما صرح به جزار الصرب الأرثوذكس الأصوليين (سلوبودان

ميلو سوفيتش)، وذلك حين سئل عما يفعله في مسلمي البوسنة فقال: «إنني أطهر أوربا من أتباع محمد».

حدث هذا كله ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

***

نعم.

حدث هذا كله ولم نقل أن المسيحيين إرهابيون، حتى عندما تفجرت الحقائق بالفضائح وثبت – على سبيل المثال- أن طائرات حلف الناتو التي كانت تحلق فوق سماء البوسنة لم تكن تضرب المعتدي، بل تضرب مواقع خلفية لا توقف الزحف الصربي على الجيب الذي وعدت الأمم المتحدة بحمايته.

وما (سربرنيتشا) التي نحكي أحد فصولها، وما (بيهاتش) التي نقصُ بعض ما حدث فيها، إلا اثنتان من عشرات المدن البوسنوية التي تم فيها طبقاً لبعض الإحصائيات قتل وتعذيب وحرق ما يزيد عن ٣٠٠ ألف مسلم أغلبهم من النساء والأطفال، منهم ٧٠ ألف قضوا نحبهم في مجازر جماعية و٥٠ ألف معاق وما يزيد عن ١٢٠ ألف مفقود، كما تم تدمير أكثر من ٨٠٠ مسجد من أصل ١٥٠٠ مسجد، وطرد جماعي قسري لما يزيد عن مليوني مواطن- هم تقريباً جملة من بقي حياً من سكان هذه الدولة المسلمة- بلا مأوى ولا طعام ولا خيام، واغتصاب ما يزيد عن ٧٥ ألف جندي داخل ما يقرب من عشرين معسكراً لأكثر من ٧٠٠ ألف طفلة وسيدة، زرعت أرحام المئات منهن بأجنة ذئاب وكلاب بشرية تنتسب إلى تلك الحضارة الزائفة الفاجرة التي لا تعرف الرحمة ولا تمت للإنسانية ولا للقيم والمبادئ النبيلة بأدنى صلة، والغريب في الأمر أن عمليات الاغتصاب غالباً ما كانت تتم علانية وعلى مرأى ومسمع من الجميع بل وأمام الآباء والأزواج في كثير من

الأحياء، وكان جزاء من يتحرك لإنقاذ أي منهن وابلاً من الرصاص يخترق رأسه ويسقط بعدها صريعاً مضرجاً في دمه، ووسط هذا الجحيم تروي بعض التقارير الرسمية الأوربية مأساة أكثر من ٦٠ أسرة تعرضت لاعتداءات تفوق الخيال وكلها من قبيل ما ذكرنا. (باختصار وتصرف عن: الغارة على العالم الإسلامي د/ ربيع بن محمد بن على).

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

وإزاء هذه الأعمال البربرية والأوضاع الهمجية أجمع المراقبون الدوليون من كل جنس أن الذي جرى في هذه الآونة شيء يصعب إيجاد وصف مناسب له، وربما لو اطلعوا على ما فعله الأمريكان وتحالفه البغيض بقيادة مجرميّ الحرب (بوش) و(بلير) فيما بعد في مسلمي الفلوجة وأبو غريب وجوانتانامو فيما أسمياه بالحرب الصليبية الثالثة لتغير رأيهم، لكن لنستأنس على أي حال لبيان ما جرى في البوسنة بتقرير (شفارتز) عضو الحزب الديمقراطي المسيحي وعضو البرلمان الألماني الذي ورد في إحدى نشرات منظمة البر الدولية تحت عنوان (رأيت بعيني) وفيه يقول: «رأيت طفلاً لا يتجاوز عمره الثلاثة أشهر مقطوع الأذنين مجدوع الأنف، رأيت صور الحبالى وقد بقرت بطونهن ومُثل بأجنتهن، رأيت صور الشيوخ والرجال وقد ذبحوا من الوريد إلى الوريد، رأيت الكثيرات ممن هتكت أعراضهن ومنهم من تحمل العار ولم يبق لولادته سوى أسابيع، رأيت صوراً لم أرها على أية شاشات تليفزيونية غربية أو شرقية، وأتحدى إن كانت عند هؤلاء الجرأة والشجاعة لبثها»، وما أشبه الليلة بالبارحة فما يعاود الغرب فعله ومعه الشيطان الأكبر في مسلمي أفغانستان والعراق وجوانتانامو لا يقل بشاعة عما فعله الصرب.

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

والذي لا شك فيه، أن ما رآه (شفارتز) وسبق أن تعجب له (كاميرون) لا

يساوي شيئاً بالنسبة لما حجب عنهما، فهما معذوران في عدم دقة ما وصفاه لأنهما لم يريا وحوش الصرب يقطعون- حين قتلهم المسلم البوسنوي- إصبعين فقط من أصابع يده ويتركون الثلاثة الباقية علامة التثليث، ولا وهم يدهمون القرى فيبدؤون أول ما يبدؤون بتدمير ودك المساجد بالمدافع والدبابات وأحياناً عن طريق القذائف والمتفجرات التي يضعونها بداخلها، كما كانوا يبالغون في تعذيب حفظة القرآن وأئمة تلك المساجد ويذبحونهم في أغلب الأحيان على مرأى ومسمع من أهليهم ويمثلون بجثثهم، ولا وهم يأخذون أطفال البوسنة إلى كندا وأمريكا والغرب ليتم تنصيرهم داخل الأديرة ولا يسمح بزيارتهم إلا للقساوسة، ولا وهم يقومون بنحر المجموعات التي كانت تحاول الهرب بعد الإمساك بهم، ولا وهم يلقون بمئات الجثث في الأنهار وأحياناً يتركونها في الشوارع والطرقات فما يكون مصير من يحاول أخذها ليدفنها إلا نفس المصير، ولا هم يقومون بإجبار امرأة مسلمة على شرب دم ابنها الصغير بعد قتله أمامها، ولا وهم يضعون الأطفال المسلمين في فرّامات اللحم وخلاطات الأسمنت ومطاحن الأعلاف، ولا وهم يقومون بدفنهم أحياء وأحياناً بسحب دمائهم حتى الموت لنقلها - حسب ما جاء في جريدة (المسلمون) بتاريخ ٢٤/ ٧/ ٩٢ - لجنود الصرب، ولا وهم يطلبون من المسلمين من خلال دار الإذاعة الخروج من منازلهم وإلا تعرضوا للقتل فما يكون مصير من خرجوا ممن زاد عددهم عن الألف إلا القتل، ولا وهم يسمحون لهم لبضع ساعات لشراء الخبز كي يسدوا رمق أطفالهم الذين عضهم الجوع حتى إذا ما خرجوا لشرائه حصدتهم قذائف الهاون من فوق رؤوسهم، ولا وهم يقومون بتجنيد الشباب المسلم واقتياده إلى الخطوط الأمامية بعد إلباسهم نفس لبسهم ليكونوا دروعاً بشرية في مرمى نيران الحرس الدفاعي المسلم، ولا وهم يقومون في يوم واحد هو ١٧/ ٦/ ١٩٩٢ بقتل ألف مسلم ثم يتبعون ذلك بفقأ أعينهم وبرسم

الصلبان على جثثهم بالخناجر ثم بتقطيع آذانهم وأنوفهم ويتركونهم بعد ذلك نهباً للحيوانات تلغ في دمائهم، ولا هم يقومون بحصد ٢٠ ألف مسلم في ٣١/ ١٠/ ٩٢ خارج (يابيتش) والاستمتاع بقتلهم بعد حصارهم- حسب إذاعة لندن الذي وصفت هذا العمل بأنه انتهاك خطير لحقوق الإنسان، ولاهم يقومون بشوي طفل رضيع على النار أمام أبيه تماماً كما يشوى اللحم، ويأمرون الأب تحت تهديد الرصاص أن يأكل من لحم فلذة كبده ليطلقوا عليه الرصاص بعد ذلك.

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

لم ير (شفارتز) ولا (كاميرون) من بقرت بطونهن من النساء المسلمات بعد أن خطت ورسمت على أجسادهن الصلبان، ولا من قتلن منهن بعد عمليّة الاغتصاب ويقدر عددهن بأكثر من ٣٠ ألف فتاة شوهد بعضهن عراة قد قطعت صدورهن ومثل بهن، ولا من لقين مصرعهن بعد أن إستؤصلت أرحامهن لا لشيء إلا لأنهن كن في الدورة الشهرية إبان فترة الغزو، ولا الأسرى من الذكور وهم يجبرون على خلع ملابسهم الداخلية والكشف عن أعضاء الذكورة لديهم، فإذا وجدوا أنه مسلم مختون قطعوا أعضاءه التناسلية ثم قاموا بذبحه وإلقائه في الماء المغلي وشيه كالذبائح، ولم يريا عمليات التعذيب والتمثيل والذبح الواسعة النطاق التي كانت تتم بالمدى والسكاكين حيث يتم تقييد الشباب الأعزل وعلماء المسلمين هناك ثم يطرحون أرضاً ويلقى بهم بعد ذبحهم- حسب شاهد عيان- في المستنقعات أو الأنهار أو في أكوام القمامة، ولا مئات الألوف ممن نزحوا نساءً وأطفالاً وشيوخاً عن بلادهم وأخرجوا منها بغير حق إلا أن يقولوا (ربنا الله)، وأضحوا- وهم يتسولون لقمة العيش- بلا وطن ولا عائل ولا مأوى بعد أن سُلبوا كل ذلك وشردوا أفراداً وجماعات في بقاع شتى هرباً من الجحيم، ولم يروا هذا الصربي الذي كان يجول بين عشرات القناصة مفتخراً بما فعله إخوانه في البوسنة ومعلناً أنه تواق لتكراره مرة

أخرى في (كوسوفا). وبدا واضحاً أن تلك هي حقيقة النظام الذي يدعي أنه عالمي وحيد، والحضارة التي تدعي أنها لا تفرق بين الناس على أساس الجنس أو اللون أو الدين، والقول باعتذار حكومة الصرب فيها بعد يكذبه واقع انخراطها الآن مع حكومات الغرب في إرسال جنودها وعدتها وعتادها لحرب المسلمين في العراق وأفغانستان.

ولم نتهم اليهود أو النصارى الصليبيين بالوحشية والهمجية والتخلف.

لقد انتشرت الفتوحات الإسلامية من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ومن جبال القوقاز شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوباً، ولم يجرؤ مؤرخ مهما كان مغرضاً أو حاقداً على الإسلام وحضارته أن يتهم جيشاً عربياً أو إسلامياً بفعل شيء من ذلك أو بارتكابه جرائم حرب أو قيامه بإبادة جماعية ضد سكان بلدة أو جزيرة مهما كانت نائية أو صغيرة أو تافهة كما فعل الصرب في البوسنة، وكما يفعل اليهود في فلسطين، والأمريكان والبريطانيين في الفلوجة والبصرة والرمادي والنجف وبعقوبة والموصل وتلعفر وبغداد وغيرها، وكما يفعل كل أولئك ومن كان على شاكلتهم في مسلمي البلاد التي يستعمرونها شرقاً وغرباً غير مكتفين بالزج بأهل البلاد التي يحتلونها داخل سجون أوطانهم ولا بنهب نفطهم وخيراتهم بحجج واهية استنكرها المنصفون ممن هم على دينهم وقام أقرب الناس إليهم وأخلصهم لبني جلدتهم بتفنيدها، لكونها في جملتها ذرائع لا تنطلي على من عنده مسحة من عقل أو مثقال ذرة من ضمير، ولكونها في مجموعها حجج هي أوهى من نسج العنكبوت، وعلى أولئك المبهورين بحضارة الغرب من أهل النفاق والطابور الخامس أن يراجعوا بأنفسهم التاريخ ويقرؤوا ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالنصارى عند فتحه بيت القدس وما فعله صلاح الدين بهم عند تحريرها، ليتأكدوا من صدق ما نقول وليميزوا بين الحضارة الحقيقية المتمثلة في عظمة الإسلام ورجال الإسلام،

وتلك الحضارات المعاصرة الزائفة التي بنيت على الهمجية والبربرية واستلاب أراضي الغير ونهب ثرواتهم دون وازع من ضمير ولا احترام لقيم (الغارة على العالم الإسلامي).

والغريب في الأمر أن تنبري بعض الأقلام لتبرئ ساحة الغرب من تهمة العداء للإسلام وترفض مصطلح (حرب الحضارات)، وكأن ما ذكرنا نتفاً منه وما يجري على الساحة العراقية والأفغانية يحدث على كوكب آخر، أو لكأننا معاشر أتباع محمد الذين نسعى للصدام، ويتعامى أصحاب هذه المقولة وكأنهم في حالة سكر أو إغماء وتغابٍ عن آلاف الأطنان من القنابل الأشد فتكاً وعن ترسانة الغرب وآلته العسكرية التي ما فتأت ولا زالت تجوب بلاد المسلمين شرقاً وغرباً وهنا وهناك بعد أن جاءت بنفسها طائعة مختارة من كل حدب وصوب تدمر وتهلك وتخرب،

يكشف اليهودي المتعصب (صموئيل هنتجتون) في أخطر فقرات كتابه (صراع الحضارات) حقيقة الأمر فيقول في رده على حسني الظن من المسلمين كي يصححوا معلوماتهم ويعدلوا من تفكيرهم الخاطئ: «إن الصراع على خطوط الصدع بين الحضارتين الغربية والإسلامية قد بدأ منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام، وعلى مدى القرون كان الاحتكاك المسلح بين الغرب والإسلام ولم يهدأ أبداً، ومن غير المتوقع أن يؤول ذلك التفاعل إلى الزوال بل يمكن أن يصبح أكثر ضراوة، إن الإسلام- هكذا هو يقول- يمتلك حدوداً دموية»، والفقرة الأخيرة التي علل بها روح الصدام، هي بيت القصيد لأن (هنتجتون) يعلم قبل غيره أن أنهار الدم التي فجر ينابيعها وأوقد نارها يهود وصليبيو كل عصر ومصر، إنما جاءت بفعل الغرب وأن الروح الصهيونية والصليبية البعيدتين كل البعد عن دين موسى والمسيح، لم يخمد لهيب سعارها المتأجج في صدور هؤلاء وأولئك على امتداد التاريخ القديم والحديث، بل ولغاية تصريح بوش الأخير بشن الحملة الصليبية، مروراً بالحملات

والحروب الصليبية التي أطلقها البابا (أوربان الثاني) في نوفمبر سنة ١٠٩٥ م، ودعا لها حكام الغرب - كما هو الحال الآن ولكن أكثر الناس لا يعلمون- وداهمت كل ما واجهها من المسلمين في بربرية متعطشة للتخريب والتقتيل، حتى كانت الخيول تنزلق في برك الدماء المسلمة، وسقط فيها سقط كثير من نصارى القدس، وبجحافل الفرس والرومان وجيوش (جنكيزخان) وولده (أغوتاي) التي اجتاحت العالم الإسلامي عام ١٢٢١، ١٢٣٦، ومن بعدهما هولاكو الذي استطاع بالمغول عام١٢٥٨أن يبيد جند الخليفة المستعصم عن آخرهم، واستباحوا كل شيء ببغداد وأجهزوا على ما يربو عن المليونين من سكانها دون تفرقة حتى امتلأت الدروب بالجثث وداستها الخيول، وبحملات (تيمورلنك) الذي زحف بقواته على بغداد في ١٣٩٣ وأشاع في الأهالي القتل والتعذيب كعصر الأعضاء والمشي على النار والتعليق من الأرجل ودس خرق التراب الناعم بأنف المعذب، وأتم احتلال بلاد الشام ثم احتلالها بعد مذابح شملت الأطفال والنساء والشيوخ وبعد أن كلف كل واحد من أتباعه بأن يأتي برأسين حتى بلغ عدد القتلى تسعين ومائة ألف، وبسقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م الذي راح ضحيته الآلاف وأجبر ٤٠٠٠٠٠ أربعمائة ألف على الدخول في المسيحية بعد أن نصبت لهم محاكم التفتيش وعقب تعرضهم لفظائع وأهوال تشيب لها الولدان.

يصرخ د/ ربيع: أين حقوق الإنسان من اتخاذ أطفال دروع بشرية يضعونها على فوهات الدبابات ومن قتل جرحي وطردهم أحيانا وتدمير مراكز طبية وأخذ كل ما تبقى من أجهزة طبية من داخل المستشفيات بعد الاعتداء على الأطباء لمنع معالجة الجرحى وقصداً لإفناء من لم يفن من رصاصات القناصة وقنابل الفوسفور وقذائف الطائرات ونيران الدبابات والمدرعات التي لا تبقي ولا تذر وتدمر البيوت على ما ومن فيها؟ أين حقوق الإنسان من هذه الانتهاكات التي نسمع عنها مما

يجري في الهند وبورما وبلغاريا وكشمير والفلبين وغيرها ضد كل ما هو إسلامي؟ وفي أي نظام أو أية شريعة يُمنع المعتدى عليه من الدفاع عن نفسه ويحظر عليه السلاح بل ويطلب منه تسليم بنادقه المتهالكة التي بقيت مع بعض أفراده في حين يتمتع المعتدي بدباباته وطائراته وصواريخه وكامل عتاده يقتل ويهلك ويدمر؟ أين ذلك النظام الدولي الجديد الذي يدعي القوامة على العالم إلا أن يكون هذا النظام أقيم خصيصاً لمواجهة الإسلام والمسلمين؟ .

حدث هذا كله فلم نتهم المسيحيين ولا المسيحية بالتوحش والتخلف والإرهاب.

حدث فلم نعلن الحرب على العالم.حاولنا فقط أن ندافع عن أنفسنا، وفشلنا، لأن الغرب – المسيحي – كان قد جاء بمجموعة من القوادين والنخاسين وجعلهم ملوكا علينا.فأذلونا.

لم نتهم الجمع بل حددنا التهمة بمن يرتكبها فقط.

لأننا خير أمة أخرجت للناس لم ننسب الفعل للدين ولم نقتل لمجرد الاشتباه كما يفعل وحوش يدعون انتماءهم زورا إلى عبد الله المسيح عيسى ابن مريم.

أساءوا إلينا فرددنا على إساءاتهم بالإحسان.

***

كان لا بد أن أكتب هذا كله ردا على موجة الهجوم الوقحة التي لا تعرف الحياء والتي انطلقت ضد الإسلام والمسلمين بعد افتضاح ما حدث، موجة حاولت قلب الأمر كله وكأن الأمر لم يتم بسبب مسرحية مجرمة سافلة بل بسبب غوغائية المسلمين المتخلفين.

من الفقرات السابقة أظننا نعرف من هو الوحشي ومن هو المتخلف.

***

ومع احتدام الأمر في الإسكندرية، ومع صلافة البابا وهو يرفض الاعتذار، وجدت صاحبي وقد بلغ به الانفعال كل مبلغ يهتف صارخا:

سوف يتغير الحال، وسننهض من كبوتنا، ويومها سنفعل بهم الأفاعيل.

وقلت له في وجوم:

ولا حتى هذه ستنالها، فدينك يعصمهم منك مهما جاروا عليك، نعم، ديننا يمنعنا من الثأر والانتقام، بل ويدعونا إلى الصفح والمغفرة.

صدقت يا رب.

صدقت يا حبيبي.

كنتم خير أمة أخرجت للناس، لم نتهم المسيحية ولا المسيحيين، بل لن نحملهم مسؤولية ما فعلوه بنا.

***

فلنترك حظيرة الخنازير تلك لنتجه إلى خنزير آخر، في حظيرة خنازير أخرى، حيث تتعدد الأماكن ويتوحد الهدف: تشويه الإسلام تمهيدا للقضاء عليه، واتهام المسلمين بما ليس فيهم لنزع صفة البشرية عنهم حتى يستسيغ العالم إبادتهم دون إدانة. نواصل تقليب الصفحات في سفر جليل جميل «الغارة على العالم الإسلامي وصدام الحضارات »إعداد د/ ربيع بن محمد بن علي الأستاذ بالجامعة الإسلامية حيث يتعرض لترجمة (روبرت) اللعين في لمعاني القرآن الكريم بطريقة أعطت صورة بشعة لهذه المعاني، ومن ترهاته أنه أعطى معنىً غامضاً لخطاب (يا أهل الكتاب) وجعله يبدو في معظم الأحيان وكأنه موجه إلى المسلمين، كما أضفى على كل الآيات المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق معاني جنسية داعرة بحيث تبدو للقارئ الغربي لاسيما الرهبان مثيرة للاشمئزاز والنفور، ففي ترجمته مثلاً لقول الله تعالى: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾[البقرة: ٢٣٠] ، يقول: «فلا

تحل له حتى يطأها رجل غيره». وجعل المعنى في قوله سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٠] (تمارسوا معهم اللواط). وفي قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[البقرة: ٢٢٣] (فأتوهن في أدبارهن). وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] هكذا: (نحن نجيز لك أزواجك اللائي أتيتهن مهورهن، وجميع إمائك اللائي أعطاكهن الله، وبنات عمك وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك اللائي اتبعنك، وكل امرأة مؤمنة إذا هي ترغب أن تقدّم جسدها أو نفسها للرسول، وإذا الرسول يرغب أن يضطجع معها فليفعل، وهذا خاص لك وليس للمؤمنين الآخرين). وهكذا.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل قام معلق مجهول بالتعليق والتحشية على تلك الترجمة فزاد في التشويه إلى أقصى حد فمثلاً عندما لا يتفق القصص القرآني مع بعض قصص العهد القديم، مثل وسوسة الشيطان لآدم وزوجه للأكل من الشجرة، بينا في العهد القديم: أن الحية هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة، يهاجم القرآن ويتهمه بالخرافة ويعلق عليه وعلى القصة الرائعة لحمل مريم بعيسى عليه السلام كما جاءت في سورة مريم بقوله: (كذب وقح). كما علق على قوله تعالى من سورة الغاشية: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ قائلاً: (لماذا أنت بعد هذا توجّه أصحابك إلى أن يُحوِّلوا الناس إلى دينك بالسيف، إذا أنت تقول مثل هذه المبادئ التي لا تُجبر الناس على الطاعة، فلماذا تُجبر الناس على الطاعة ولماذا تُخضعهم بالقوة مثل الحيوانات والبهائم المتوحشة، وليس بواسطة الحجج والبراهين مثل البشر، في الحقيقة أنت نموذج للكذّاب، فأنت في كل مكان تُناقض نفسك). فهل يقول عاقل بأن إلهاً يخاطب نبيه بهذه اللهجة وبهذا الخبل؟ وما الذي يجبر هذا الإله لأن يرسل هذا النبي من الأساس إذا كان هذا هو حاله؟ اللهم إن

هذا بهتان عظيم.

***

ما أريد أن أقوله، أن ما عرض في مغارة اللصوص، لم يكن مقطوع الصلة بما قبله ولا بما حوله، إننا نتكلم عن انحراف واسع المدى.

انحراف ممتد عبر التاريخ، ذلك أن هذه الحملة العدوانية الشرسة- المتمثلة في تصوير الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام في صورة بالغة البشاعة ومغايرة تماماً للحقيقة وقائمة على التلفيق والأوهام وليّ الحقائق من طرف وسائل الإعلام في الغرب وقيام الحرب الصليبية المقنعة التي تقودها الولايات المتحدة ضد الإسلام والمسلمين تحت مسمى (الحرب على الإرهاب وإزالة أسلحة الدمار الشامل)- هذه الحملة ليست جديدة، بل هي عقيدة غربية موروثة تشكلت ونمت منذ القرن الأول وحتى نهاية القرن الثامن الهجري، وانتقلت هذه العقيدة كاملة متماسكة عبر هذه القرون الثمانية لتصل إلى القرون الحديثة والمعاصرة، وأصبحت أشبه بالمستنقع الآسن العَفِن الذي تغرف منه وسائل الإعلام الغربية وبعض رجال الدين الإنجيليين في أميركا، وينشرونها عبر وسائلهم المختلفة على أنها حقائق. ينشرونها أيضا عبر عملائهم وجواسيسهم من أقباط مهجر وعلمانيين وشيوعيين.

***

نعم، الحملة لا تقتصر على المسرحية السافلة ولا على الكاهن الساقط الذي باركها،

الحملة سلسلة طويلة تمتد من يهوذا الإسخريوطي إلى كاهن الكنيسة الساقط.

الحملة تضم الآلاف والملايين.

الحملة تضم خنازير مثل «جيري فالويل»الذي لا يكف عن مهاجمة النبي صلى الله عليه وسلم، من خلال بعض وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى، ومما قاله

فالويل مساء يوم الأحد ٦ أكتوبر ٢٠٠٢م في برنامج ٦٠ دقيقة: «أنا اعتقد أن محمداً كان إرهابياً، لقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين أنه رجل عنف، ورجل حروب، في اعتقادي المسيح وضع مثالاً للحب كما فعل موسى، وأنا اعتقد أن محمداً وضع مثالاً عكسياً».

***

نعم، الحملة لا تقتصر على المسرحية السافلة ولا على الكاهن الساقط الذي باركها، إنها تضم خنزيرا اسمه «بات روبرتسون»وهو الذي يقف خلفه أقوى تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري وهو التحالف النصراني، وفي هجومه على النبي عليه الصلاة والسلام من خلال برنامج هانتي وكولمز في قناة فوكس الإخبارية قال ما يلي: «كل ما عليك هو أن تقرأ ما كتبه محمد في القرآن، إنه كان يدعو قومه إلى قتل المشركين، إنه رجل متعصب إلى أقصى حد، إنه كان لصاً وقاطع طريق، (...) .

***

تقول المسرحية السافلة مثل ذلك.

نعم، الحملة لا تقتصر على المسرحية السافلة ولا على الكاهن الساقط الذي باركها، إنها تضم واحدا آخر مثل فرانكلين جراهام الذي قام بعمل الطقوس الدينية لتنصيب الرئيس الأمريكي الحالي (جورج دبليوبوش) وقد أدلى (فرانكلين) بتصريحات إعلامية ذكر خلالها أن الإرهاب جزء من التيار العام للإسلام، وأن القرآن (يحض على العنف) وكرر جراهام خلال برنامج (هاينتي وكولمز) المذاع على قناة فوكس نيوز الأمريكية في الخامس من أغسطس ٢٠٠٢م رفضه الاعتذار عن تصريحات أدلى بها بعد حوادث سبتمبر ٢٠٠١م وصف فيها الإسلام بأنه دين (شرير).

نعم، هو أيضا –كالـ– رفض الاعتذار، فالكفر ملة واحدة.

نعم، الحملة لا تقتصر على المسرحية السافلة ولا على الكاهن الساقط الذي باركها، إنها تضم خنزيرا سافلا مثل جيري فاينز: وهو راعي كنيسة في (فلوريدا) افترى على الرسول عليه الصلاة والسلام واتهمه زوراً وبهتاناً بأنه «شاذ يميل للأطفال ويتملكه الشيطان، وتزوج من ١٢ زوجة آخرهن طفلة عمرها تسع سنوات.

(أعتذر عن ذكر الباقي فهو بشع وكاذب، ولم يطاوعني قلبي ولا قلمي على نشره بسبب شدة بذاءته في الهجوم على حبيبي وسيدي ومولاي صلى الله عليه وسلم).

لقد تعمدت الإطناب لسببين، السبب الأول أن أؤكد أن عواء الذئاب ونباح الكلاب والخنازير على الإسلام لم يتوقف أبدا، و أن المسرحية السافلة التي مثلت في مغارة اللصوص لم يكن استثناء و أنه لم يؤثر في الإسلام أبدا. والسبب الثاني أن أطرح على القراء منابع هذه الصورة الملفقة المشوهة والتي تمثل العقيدة الدينية الغربية الموروثة والتي تمثل المصدر الرئيسي للعلمانيين والقوميين والشيوعيين في بلادنا، لأنه إذا عرف المنبع النجس بطل العجب.

لقد كان هدف تلك الخنازير من ذلك التشويه، تحصين النصارى من أهل الذمة الذين أدركوا عدالة الإسلام وسماحة المسلمين، والحيلولة بينهم وبين اعتناق الإسلام خاصة بعد دخول الكثيرين منهم في الإسلام، فلم يجد وسيلة لتثبيت النصارى على دينهم سوى محاولة تشويه الإسلام بالباطل.

في هذا المستنقع النتن سوف نرى جذور العلمانيين العرب.

ولنطالع على سبيل المثال الترجمة المشوهة لمعاني القرآن الكريم التي قام بها (روبرت أوف كيتون) لحساب بطرس المكرم سنة ٥٣٧ هـ/ ١١٤٣ م، أو رسائل الكندي. في هذه أو تلك سنعثر على مرجعية أنصار أمريكا وإسرائيل أدعياء السلام

والاستسلام، ومهاجمة شعائر الإسلام، واعتبار الحجْ عملاً من أعمال الوثنية، ويرى أن الجهاد في سبيل الله إنما هو عمل الشيطان.!!

هل تشمون الآن نتن روائح فكر نوال السعداوي ويوسف القعيد وصلاح عيسى وجابر عصفور و أدونيس ومجلة روز اليوسف؟ !

هل ترون فاروق حسني و أزلامه؟

هل ترون النخبة؟ ؟

هل ترون عبد الرحمن الراشد والشرق الأوسط والحياة والأهرام والأخبار؟ .

هل ترون رفعت السعيد وقد بارت كل تجارته، فكلما ازداد الخونة كسد سوقه وقل الطلب عليه؟ .

هل ترون المسوخ التي جاءت بدلا من المسوخ التي ذهبت؟ .

يقول الدكتور ربيع بن محمد بن علي وهو يفضح العدوان الفكري الإعلامي على الإسلام ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام من جانب رجال الدين النصارى ووسائل الإعلام الغربية- الذي يُعبِّر عن عقيدة موروثة ويمثل الدوافع الحقيقية لحرب دينية مصطنعة- ليس إلا وسيلة تمهيدية ضمن وسائل كثيرة يشملها هذا العدوان السافر على الإسلام والمسلمين والذي يهدف ضمن ما يهدف- رغم كل الأقنعة الزائفة التي يستتر بها- إلى مسخ هوية الأمة الإسلامية وتحويلها عن دينها وتدمير عقيدتها، وتمزيقها إلى دويلات وطوائف متناحرة لا تدين بالولاء إلا لأمريكا وإسرائيل، ونهب ثرواتها ومقدراتها، وتحويلها إلى مجرد مجتمعات استهلاكية لمنتجات دولهم وتحويل كل فرد مسلم إلى مجرد كائن بهيمي لا حافز له ولا هم إلا السعي اللاهث وراء لقمة العيش وإشباع غرائزه الفطرية.

نعم.

مسخ لهوية أمتنا.

والقضاء على الإسلام.

وهذه المرجعيات والمراجع هي البركة العفنة التي تتربى فيها الديدان والجراثيم.

فهل تشمون روائح النتن يا قراء؟ .

وبرغم كل ما كان وما هو كائن فإننا لا نتهم المسيحيين ولا حتى اليهود.

هل تذكرون كيف انقلبت الدنيا من أجل تماثيل بوذا.

هل تذكرون كيف روعوا وشوهوا طالبان، وكيف اتهموهم بالهمجية والتخلف لأنهم لا يدركون قيمة تلك الأصنام، ثم كيف اتهموا الإسلام كله بالهمجية والتخلف لأنه لم يدرك ولم يدرك أهله قيمة تلك الآثار، هل تذكرون كم من واحد منا انخدع فانضم إليهم مهاجما طالبان المتوحشة التي تقتل التماثيل!!، غفر الله لكثير ممن ندعو لهم بالهداية والمغفرة، غفر الله لشيخنا العظيم القرضاوي ولكاتبنا الكبير فهمي هويدي.

خُدعوا بالحضارة فانخدعوا.

كان ابن عباس رضي الله عنه يقول : من خدعنا بالله انخدعنا له،

أما القسم من نخبتنا التي لا نظنها على خير فقد انخدعت بغير الله!!.

هل تعرفون ما فعل رواد الحضارة بعد ذلك بآثار العراق؟ .

لكننا – نحن خير أمة أخرجت للناس – لم نقل ماذا فعل الصليبيون بهذه الآثار، بل قلنا فقط ما روته صحيفة (الأسبوع) بتاريخ ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤ – ١٧/ ٥/ ٢٠٠٤ – ١٤/ ١١/ ٢٠٠٤ وعلى لسان مدير المتاحف، ومدير المحفوظات الوطنية (سعد إسكندر) – أن هناك ما يزيد على (٥١) ألف قطعة أثرية عراقية مفقودة، فضلاً عن سرقة ونهب أكثر من ٦٠٪ من تاريخ العراق المكتوب، وهذه النسبة تمثل ملايين السجلات والوثائق الملكية منذ العهد العثماني.

لم نتهم – نحن الأمة الوسط – الصليبيين ولا اليهود رغم أن الجرائم الأمريكية

والصهيونية على تراث الأمة وحضارتها لا تقف عند حد، فقد نشرت صحيفة (الجارديان) البريطانية بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٠٥ مقالاً افتتاحياً عن التدمير المتعمد الذي تعرض له تراث الحضارة البابلية على يد قوات الغزو جاء فيه: أن الدمار الذي سببه إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية على حطام مدينة بابل التاريخية أحدى أهم وأشهر المناطق الأثرية في العالم، يعتبر أحد أدنأ الأعمال البربرية الثقافية في الذاكرة الحديثة، حيث إنه عمل لا تبرره أي ضرورة عسكرية وكان من الممكن تجنبه تماماً إذ لم تكن هناك ضرورة لبناء المعسكر في المدينة حيث كانت توجد حدائق بابل المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم، وندرك- والكلام لا زال على لسان (د/ جون كورتيز) من المتحف البريطاني وكما جاء في تقريره- أن السلطات الأمريكية كانت على علم تام بتحذيرات علماء الآثار بالأهمية الأثرية العالية لهذه المنطقة ورغم ذلك فقد تجاهلت القوات الأمريكية هذه التحذيرات تماماً»، وأعرب د/ كورتيز عن دهشته إزاء «الدمار الهائل الذي لحق بالموقع فيما بعد والذي لم يقتصر على هدم بعض الصروح الأثرية النادرة مثل بوابة الإله (عشتروت) إحدى أشهر الآثار في العالم، بل امتد إلى ما يقرب من ثلاثمائة ألف متر مربع من المنطقة الأثرية تم تسويتها بالأرض ودفنها في الردم المأخوذ من مناطق أخرى، لإنشاء مهبط لطائرات الهيلوكوبتر ومواقف لسيارات النقل الثقيل لم يكن يجب أبداً وضعها فوق هذا الكنز الأثري- ويضيف د/ كورتيز- أن هذا العمل البشع من وجهة النظر الأركيولوجية، يعني أن مواقع أثرية لم يسبق التنقيب فيها قد أصبحت مدمرة للأبد، مما يحرم البشرية من الحصول على معلومات أثرية مستقبلة منها ومن هذه المنطقة الحدائق المعلقة نفسها، وقد تضاعف الدمار نتيجة استجلاب رمال وردم من مناطق أخرى قد يكون بعضها مواقع أثرية بدورها».

وقد نقلت الإذاعة عن مراسل من المتحف البريطاني أن الولايات المتحدة

تسببت في خسائر فادحة في مدينة بابل العريقة التي فاقت في روعتها أية مدينة أخرى، وأضاف المراسل في تقريره أن طرقاً مرصوفة منذ ألفي عالم قد دمرت بالعربات العسكرية، وأن بقايا الآثار استخدمت لحشو أكياس الرمل عندما أقيمت قاعدة عسكرية هناك، وأن المركبات العسكرية الأمريكية سحقت تحت عجلاتها وجنازيرها ألفين وستمائة عام هي عمر حجارة الرصيف الأثري الذي دمرته تلك المركبات، أما الرمال الأثرية التي تحتوي- حسب قول الإذاعة- على قطع أثرية، فقد أزيلت هي الأخرى واستخدمت لملء أجولة الرمال ولأغراض عسكرية أخرى، الأمر الذي أدى إلى طمس المعلومات حول المكان سيما بعد أن أزيلت أتربة التربة السطحية لثلاثمائة ألف متر مربع من المنطقة وتم تغطيتها بالحصى ومواد معالجة كيمائية، ونقلت الإذاعة على لسان أحد الباحثين وعن متحدث باسم القوات الأمريكية قولهما: إن المنطقة شوهت معالمها تماماً، وأن الغزو والتدمير كانا على نحو خطير، وطال إلى جانب الحدائق برج بابل الذي يعد هو الآخر كنزاً من كنوز العالم القديم ومعلماً بارزاً من معالم الحضارة البابلية التي قامت منذ أربعة آلاف سنة.

ومرة أخرى: تذكروا تماثيل بوذا!!

تذكروها واكتشفوا بأنفسكم نوع الكذب الخسيس المجرم الذي يواجه به هؤلاء الناس العالم، ابتداء بجورج بوش وانتهاء بالكاهن الساقط الذي بارك المسرحية السافلة مدعيا أنها تدين الإرهاب ولا تسيء للإسلام.

نعم.

هذا متصل بذاك.

ومسرحية الإسكندرية استمرار لخيانات قطيع غير بسيط من الأقباط لوطنهم عبر التاريخ ليتركز في النهاية في أقباط المهجر.

نعم، لم تكن مسرحية الإسكندرية استثناء ولا خطأ عارضا و إنما كانت استمرارا

لحقد قديم لم يمت أبدا، دفن تحت وطأة انتصار الإسلام الطاغي وإبهاره و إعجازه، دفن ولم يمت، نعم، دفن ولم يمت فتشبع عفونة معتقة عبر التاريخ تشمها في بعضهم فكأنها وصمة عارهم عبر التاريخ، وصمة عار تشمها في بوش كما تشمها في نابليون كما في كاترين وبطرس كما في كمال أتاتورك ومبارك وعبد الله وجمال عبد الناصر وصلاح عيسى والغيطاني ومئات و آلاف وملايين، ارتضوا غير شرع الله وحاربوا الله ورسوله.

***

نعم،

علاقة الأقباط بالمسلمين في مصر حفلت بتسامح هائل من المسلمين وبانحراف من بعض الأقباط، ولم يكن الانحراف بسبب وجود مشكلة لدينا في قبول النصارى، على العكس، كانت المشكلة في قبول النصارى للمسلمين.وكان المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه (باثولوجيا الإسلام يقول: «أعتقد أنه من الواجب إبادة خُمس المسلمين، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر».

***

في المسرحية السافلة سوف نشم ذات الرائحة النتنة.

المشكلة ليست مشكلة المسرحية، فلم تكن المسرحية سوى آخر قطعة روث تلقى علينا.

كانت المشكلة عبر خمسة عشر قرنا انحرافا في صلب الفكرة المسيحية التي عجزت عن مواجهة الإسلام بالحق فواجهته بالباطل. وقد تعرض لهذه المشكلة الدكتور هاني السباعي مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية ـ لندن في مقالة متميزة – و إن كنت لا أتفق معه في كثير مما ورد فيها، ولكنها على أي حال جهد

وجهاد يحتمل الأجر أو الأجرين، وعنوان المقال: «هل كان للأقباط دور تاريخي في مقاومة المحتل (حملات صليبية ـ فرنسي ـ بريطاني)؟

يستعرض الدكتور هاني السباعي في بحثه استعراض النصارى للقوة واستقواء بعضهم بالأجنبي عبر التاريخ ونقضهم العهود، ونقضهم عقد الذمة منذ الفتح الإسلامي سنة ٢٠هـ، رغم تعامل ولاة المسلمين معهم بكل تسامح، فكانوا يتظاهرون ويعلنون العصيان المسلح على الدولة، ويقتلون عمال الحكومة ويتصلون بدولة الروم، ثم يتصدى الحكام لهم بإرسال من يطالبهم بفض العصيان في مقابل العفو عنهم، إلا أنهم في الغالب يتعنتون ويصرون على التمرد، بزعم أن دولة الروم قد تساعدهم، غير أن حساباتهم كانت على الدوام خاطئة، فسرعان ما ينتصر عليهم جيش المسلمين، ثم يعفو عنهم الخليفة أو الوالي، ويجددون له الولاء والطاعة والالتزام ببنود عقد الذمة المنصوص عليه في اتفاقيتي بابليون الأولى (الخاصة بأهل مصر قبل فتح الإسكندرية) سنة ٢٠هـ وبابليون الثانية (الخاصة بأهل الإسكندرية) سنة ٢٠هـ أيضاً، لكنهم يعودون مرة أخرى لعصيانهم متذرعين بأحداث لا تتناسب وحجم عصيانهم المسلح،

كما يلاحظ ما يحدث في العصر الحديث، حيث غر بعضهم تحريض أقباط المهجر وخفافيش البنتاجون، فراحوا يبتزون الحكومة، ويلاحظ الدكتور هاني السباعي أن تمرد الأقباط و أخطاءهم تقابل من السلطة بصبر منقطع النظير وغير معهود على رجال الشرطة الذين يتعاملون بمنتهى الرقة مع مثل هذه الأحداث رغم استفزاز المتظاهرين لقوات الأمن والحكومة وترديد شعارات معادية للإسلام وأهل البلد والحكومة نفسها (وصل الأمر إلى استعمال هتافات مثل الاستنجاد ببوش وشارون والهتاف: لا إسلام بعد اليوم). وبرغم ذلك فإن الحكومة عادة ما تستجيب للابتزاز، الحكومة التي دأبت على تدليل الأقلية القبطية والرضوخ لمطالبهم

المتعسفة، نعومة ورقة وضعف يفتقدها الشعب المسلم في مصر، بل يطالب عدد كبير من المسلمين أن تعاملهم الحكومة مثلما تعامل الأقلية المسيحية، حيث كل أنواع القمع والتضييق على المسلمين سواء في الفصل من الوظائف الحكومية والتربوية وإحالة العديد من المدرسين إلى وظائف إدارية، والطرد من المؤسسة العسكرية أو جهاز الشرطة أو الأجهزة الإدارية الحساسة وغير الحساسة في الدولة لكل من يشتبه أن له قريباً كان ذات يوم معتقلاً سياسياً أو يشتبه بأن هذا القريب كانت له صلة بالجماعات الإسلامية، بالإضافة إلى حملة حكومية منظمة بغية تجفيف المنابع الإسلامية سواء في برامج الإعلام أو المناهج التعليمية. هذا كله بالإضافة إلى مطاردة وملاحقة الإسلاميين (٦٠ ألف معتقل مسلم لا يوجد بينهم نصراني) عبر سلسلة المحاكمات العسكرية وتأميم النقابات المهنية وفرض الحراسات عليها والاعتقال طويل الأمد ومحاربة روح التدين، والسخرية من الهدي الظاهر لدى المتدينين المسلمين كالنقاب واللحية وتسخير كافة الأجهزة الأمنية لمحاربة الإسلاميين تحت شعار محاربة (الإرهاب).

يتحدث الدكتور هاني السباعي بعد ذلك عن تاريخ طويل من الغدر والتشويه والكذب ويدين بقوة موقفهم إبان الغزوة الفرنسية والإنجليزية لمصر. ويقرر أن ما يقوم به أقباط مصر بقيادة الأنبا شنودة الثالث هو إهانة لمشاعر المسلمين في مصر وفي العالم الإسلامي بأسره. الأنبا شنودة الذي عودنا على اعتكافه السياسي في وادي النطرون مهدداً القيادة المصرية الخانعة المرتجفة من ضغوط الغرب؛ لن يجدي اعتكافه هذا إذا تمخض الزلزال وخرج المارد من قمقمه فلن يتحمل الشعب المصري كل هذه الإهانات المتكررة من أقباط مصر، تلك الأقلية التي لا هم لها إلا الاستقواء بالغرب، لا، ولن تنفعهم أمريكا ولا قوات الناتو ولا من في الأرض جميعاً من غضبة الشعب المصري المسلم المكلوم المهان في دينه وكرامته، فأفيقوا قبل

أن يتمخض الزلزال، وساعتها سيقول الجميع ولات حين ندم!.

حاشية على بحث الدكتور هاني السباعي:

أعتقد أن الدكتور هاني السباعي يتحدث عن أقلية داخل أقلية، أقلية سافلة وسط أغلبية أفضل، تماما كأقليات اليسار السافل بين المسلمين، نعم، أقلية و إن كنت أظن أنها تزداد تدريجيا أقلية، لا أقولها نفاقا أو مجاملة للأقباط، فالتاريخ يتحدث فعلا عن ترحيب الأقباط- في مجملهم- بالفتح الإسلامي، ليس ميلا للدين الجديد ، و إنما لأنهم كانوا يعتبرون الرومان كفارا وأعداء معا وكانوا يرون أن المسلمين أقل كفرا من الرومان الذين عاملوهم بوحشية منقطعة النظير، لقد قتل جستنيان الأول عام ٥٦٠م ٢٠٠٠٠٠ في الإسكندرية وحدها. وكان التاريخ الدامي لا ينفك يذكرهم بكيفية دخول المسيحية لمصر في عام٥٥ م علي يد مارمرقس الرسول وإنشاء أول كنيسة في مصر في منطقة بوكاليا في الإسكندرية وكيفية قتل مار مرقس الرسول بمعرفة الوثنيين بربطه من رقبته في عام٦٨ م بحبل وجره في الشوارع حتى ظهرت عظامه وكيف عاش المسيحيون في اضطهاد دائم في مصر وصل ذروته في عهد دقلديانوس حاكم الدولة الرومانية في عام٢٨٤ م حتى وصل عدد القتلى من المسيحيين إلى أكثر من مليون شخص. ويرى بعض المؤرخين المحايدين أن الفتح الإسلامي أنقذ قبط مصر من الإبادة. ثم إن المراجع القبطية نفسها – ومنها أنقل الآن- تذكر كيف بدأ الأقباط في مساعده عمرو بعد سقوط بابليون والإسكندرية واحتلاله(يعنون فتحه) البلاد وكان زعيم القبط وكبيرهم رجلا اسمه باليونانية سانوتيوس أو شنودة بالقبطية، عرّفوا عمرو بأحوال أهل البلاد وكيف اضطهدهم الأروام وهروب البابا بنيامين منهم واختفاؤه. فكتب عمرو بن العاص وعد عهد وأمان كالآتى (أينما كان بطريرك القبط بنيامين، نعده الحماية والأمان وعهد الله فليأت البطريرك إلى هنا في أمان واطمئنان ليلى أمر ديانته

ويرعى أهل ملته، وكان البابا بنيامين قد غاب عن كرسيه ١٣ سنةً منها ١٠ سنين في عهد الأروام وحكم قورش(المقوقس) وثلاث سنين منذ غزا العرب مصر • كما أمر عمرو بإرجاع الكنائس التي اغتصبها الأروام من الأقباط. أما البابا بنيامين فلما عاد إلى كرسيه عمل وعلم بكل طاقته لإرجاع الذين أضلهم قورش فرجع منهم الكثيرون • وعاد الأساقفة أيضا إلى كراسيهم(أماكنهم) بعد هروبهم وأمر ملاك الله البابا أن يبني بيعه (كنيسة) لأنها كانت أكثر الأماكن التي أهرق فيها الأروام والملكيين دماء الأقباط، ورمم أيضا أديرة وادي النطرون (دير الأنبا بيشوي وأبي مقار) بعد أن دمرها الفرس وقتلوا رهبانها. ثم تروي المراجع القبطية ما قاله المؤرخون العرب أنه خرج ٧٠٠٠٠ راهب قبطي من وادي النطرون بيد كل منهم عكاز عراة الأقدام وبثياب ممزقة، مهللين لعمرو بن العاص.

ولا تنفي المراجع القبطية هذا الخبر لكنها تنتقد العدد، وترى أن فيه مبالغة كبيرة.

***

هكذا جرت حملات الكذب لتشويه الإسلام والمسلمين وكان هدفها الرئيسي تنفير النصارى من الدخول في الإسلام، ولو لم تكن الغواية -من وجهة نظرهم- هائلة لما كانت الأكاذيب بهذا الحجم.

إنني أريد أن أفرق هنا بين أمرين أظنهما هامين، و أريد ألا أسقط في فخ الإساءة لأحد، كما لا أريد أن أسقط في مستنقع المجاملات الكاذبة المنافقة اللزجة.

وعلى سبيل المثال: عندما يقول المسلم : أن النصارى كفار فهذا ما قرره له القرآن الذي يقول : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[المائدة: ٧٢] و﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [المائدة:٧٣]. إنه لا ينطلق من حكم شخصي أو هوى مضل. إنه ينطلق من القرآن كحكم سماوي مطلق لا استئناف فيه

ولا قدرة لبشر على تغييره. نعم، أعلم أن النصارى لا يؤمنون بالقرآن، ولم نطلب منهم ذلك، لكننا نطلب فقط أن يفهموا أننا نؤمن به أكثر من إيماننا بوجودنا الأرضي (لا أقول ذلك لصرفهم عن محاولاتهم الساذجة السافلة لصرفنا عن الإسلام) وعندما نقول أنهم بدلوا في كتابهم، فإن ذلك يعني يقيننا المطلق بما أخبرنا به القرآن، وذلك لا يتعلق برغبة في الإهانة أو بموقف طائفي على الإطلاق، إنه لا يتعلق حتى بالنبأ الذي ذاع أن الكنيسة الكاثوليكية في روما توشك على الإعلان رسميا عن أن ٨٠٪ من الأقوال المنسوبة للسيد المسيح عليه السلام في الإنجيل، غير صحيحة تاريخيا. أليس هذا ما قاله الإسلام؟ أليس هذا ما حذر منه الرسول ﷺ.

على الجانب الآخر، ما هي مرجعية النصارى عندما يحكمون على المسلمين في شيء؟ هل قاله الله؟ هل نطق به عبد الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام؟ أم أنه رأي بشر، إنني أرجو من القارئ القبطي أن يفهمني، إنني أحاول مناقشة الأمر بصورة عقلية مجردة، لا أهدف منها أبدا إلى إقناعه بالإسلام، بل أهدف منها – وأقولها بلا خجل وبلا كبرياء مرذول – إلى استرضائه. نعم أريده أن يفهم أنني عندما أقول أن الله واحد أحد لم يلد ولم يولد فإنني لا أقصد إيذاءه، وحتى عندما أقول : لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، فإنني لا أملك من الأمر شيئا ولا حيلة لي ولا لغيري فيه، بمعنى أنني من ناحية لا أقصد إيذاءه، ومن الناحية الأخرى فإنه إن كان ضروريا أن يمنعوا تلك الآيات من أن تتلى على الأرض فليس لهم إلا سبيل واحد، أن يقتلوا مليارا وثلاثة أرباع مليار مسلم، وهذا أيضا لن ينالوه أبدا، ليس استكبارا، ولكن أخبرنا الرسول ﷺ بذلك.

بشكل آخر: عندما يقول المسلم على النصراني أنه كافر فذلك أمر طبيعي، تماما كما أنه طبيعي أن يقول النصراني عن المسلم أنه كافر، وشد ما يصيبني الاشمئزاز من إنكار هذا المعنى أو الكفر به، فمن المؤكد أن المسيحي لا يقبل أبدا أن يقال أنه مؤمن

بنبوة سيد البشر وخاتم النبيين سيدنا وحبيبنا ومولانا رسول الله ﷺ، كما أن أي مسلم لا بد أن يشعر بالفخر الشديد حينما يذكر عنه أنه كافر بالتثليث، فذلك مدح لا قدح.

نعم، وبطريقة أخرى فالكفر يعني الغطاء، أو الإخفاء أو الإنكار، وبذلك فإن إنكار النصراني لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم تعني بالنسبة لي كفره، و إنكاري أن الله ثالث ثلاثة تعني بالنسبة له أنني كافر بما يقول، وهذا صحيح ولا يحمل أي نوع من الإساءة أو الإهانة. إن الأمر كما قال المستشار العلامة طارق البشري ذات يوم ضاربا المثل بالماركسية، فإن لها أسسا معينة فإن آمنت بها فأنت مؤمن و إن أنكرت المادية الجدلية فأنت كافر بها دون أن يعنى هذا الرغبة في الإهانة.

***

لست أدرى هل استطعت توضيح الفكرة السابقة أم لا ؟

وربما يحتاج القارئ الآن أن أخفف من جهامة الكلمات وشدة وطأتها بأن أروي له الحكاية التالية.

لست أدري من الذي أدخل في روعي أن الأستاذ نبيل الذي أتعامل معه مسيحي، وظلت علاقتي به طيلة عشرة أعوام شديدة الصفاء والنعومة، كنا نلتقي – لقاء عمل – كل عدة شهور، وكان هو يستمتع بخطئي و يتجنب كشف الحقيقة أمامي، إلى أن التقينا في الحج!!.بعدها قلّت مجاملتي له، و أصبحت أعنفه أحيانا إذا أخطأ فيقول مازحا: ليتك ما اكتشفت الحقيقة، فأوضح له الأمر، ذلك أنني في علاقتي بالمسيحي أحمل مسؤولية مضاعفة، مسؤولية : «الدين المعاملة»ومسؤولية توصية الرسول ﷺ بهم. لكن هل تعني المجاملة أن أنكر ما هو معلوم في الإسلام بالضرورة؟ نعم، لكم دينكم ولي دين، لكن، من هم هؤلاء الذين لهم دينهم ولي دين، إنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾!

وقبل أن نعود إلى المسرحية المجرمة فإننا نعرض في إيجاز شديد رد فعل العالم على الأكاذيب القذرة والمسرحيات المجرمة وجميع وسائل الإعلام الخاضعة للصليبيين واليهود،

نعرض رد فعل العالم على الأكاذيب عابرة القارات والقرون.

هل انصرف الناس عن الإسلام؟ .

هل قل عدد المسلمين؟ ؟ .

على العكس.

رد الفعل أن عدد المسلمين ازداد وكذلك نسبتهم.

- فقد ازداد عدد المسلمين نسبة إلى سكان العالم من ١٨٪ عام ١٩٨٠ إلى ٢٣٪ عام ٢٠٠٠ ويتوقع أن يصل إلى ٣١٪ عام ٢٠٢٥ (مجلة البيان- ذو الحجة ١٤١٩).

وللمسلمين أقول أن ذلك يتم لأن الإسلام حق بذاته دون حاجة إلى دفاع ، كما أن فكرة التوحيد في الإسلام بالغة النقاء والرقي، نعم إنها نقية وشامخة للدرجة التي تخطف قلب أي إنسان على غير دين الإسلام عندما تصله بطريقة صحيحة بشرط أن تكون تربته النفسية صالحة، وسنجد ذلك في كثير من مذكرات من هداهم الله للإسلام.

***

النماذج الوضيعة التي لا تكف عن تشويه الإسلام ليست استثناء ولكنها أيضا، القاعدة في تناول الإسلام والمسلمين، إنها واسعة الانتشار. وعلى من يريد معرفة المزيد أن يلجأ إلى مواقع أقباط المهجر، وليست سوى أوكار للخونة والجواسيس والعملاء، وبالمناسبة سوف يذهل القارئ من أن أهم كتاب هذه الأوكار رفعت السعيد والعشماوي وحسن حنفي وفرج فودة والقمني وخليل عبد الكريم وصلاح

عيسى والغيطاني ومن على شاكلتهم. دعنا من ذلك. لديّ صحيفة كنسية توزعها الأهرام تتعرض لسيدنا عمر بن الخطاب باتهامات خسيسة قذرة بشعة كالصحيفة ومن أصدرها وباركها ووزعها، ولولا حرصي على عدم إشعال النار لذكرت التفاصيل.

***

كانت المسرحية إذن سطرا في سفر الأكاذيب يرتبط بما قبله وبما بعده.

كانت جزءا من الشحن المسعور للنصارى دون وازع ولا ضمير من أن هذا الشحن سيسفر عن فتنة طائفية وحرب أهلية. ولا أظن إلا أن الكنيسة تحاول إشعال هذه الحرب أملا في تدخل أمريكا وإسرائيل لتحققا لها ما تعرف أنها-رغم كل الكذب والرشوة والتشهير-عاجزة عن تحقيقه.

لم تستخف الكنيسة وهي تخرج المسرحية، بل قامت بهذا العمل الفاجر بتحد سافر للمسلمين ولأجهزة الدولة وقامت بعرض كل شيء من أسماء طاقم العمل بالكامل، فما المطلوب من هذا التصرف الوقح.هل هو إعلان التحدي والتمرد من قبل الكنيسة على الدولة؟ هل يتعدى ما قلناه من أن هدفه هو السعي إلى فتنة المفروض أن يكونوا أشد الناس خوفا منها؟ هل هو سوى الاستقواء الدنيء بالخارج ؟

يقول الدكتور يونان لبيب رزق ـ قبطي ـ في مجلة المصور : تصور نفر من الأقلية القبطية أنهم يستمتعون بالحماية الأمريكية ولعل هذا ما دفعهم إلي تأليف وتمثيل هذه المسرحية الركيكة والتي تفتقر إلى أبسط مبادئ الحبكة الدرامية، فهي تقوم منذ بدايتها على فكرة وهمية مؤداها نجاح إحدى الجماعات الإسلامية المتطرفة في إغراء شاب قبطي على الانضمام إليها ، ولم يحدث أن سمعنا من قبل أن هذه الجماعات قد سعت إلى ضم أي قبطي، الأكثر من ذلك أن هذا الشاب لسبب أو لآخر قد

استجاب لهذه الدعوة غير المنطقية، ولا ندري من كان وراء هذا التصرف الذي لا يمكن وصفه إلا بالتعصب وقصر بالنظر، أو على الأقل بفعل فاعل في نفس الفترة أخذت إحدى قنوات القمر الأوروبي هي قناة الحياة تبث برنامجا استفزازيا لقس مصري اسمه الأب زكريا حفل بالقصص الوهمية عن نجاحه في تنصير أعداد من المسلمين هذا فضلا عما يبشر به من معجزات وهمية.

***

هو الاستقواء الخسيس إذن، استقواء عميان يقودون عميانا، ولكن، إذا كان الأعمى يقود أعمى يسقطان معا في حفرة، و أنهم هم الذين ينطبق عليهم ما جاء في الطبعة المعاصرة للإنجيل : «كتب أن بيتي بيتا للصلاة يدعى، أما أنتم فقد جعلتموه مغارة لصوص». أو أنهم كما قال القديس أوغسطينوس الذي أعيد ذكر ما قاله كي لا يستنكر عليّ البعض وصفهم بالكلاب والخنازير : إنهم يرغبون في تدمير الحق الذي لا يمكن تدميره. أمّا الخنازير فتختلف عن الكلاب فهي لا تهاجم لتمزّق بأسنانها، لكنها تدنّس الشيء إذ تدوسه بأقدامها في طياشة. إذن لنفهم أن «الكلاب»تُشير إلى مقاومي الحق، «والخنازير»إلى محتقريه.

لقد بلغ الفجور بالكهنة الذين اشتركوا في هذه الجريمة أن كذبوا حتى على البابا شنودة نفسه، فقد ورد في مقدمة المسرحية أنها «حظيت بمباركة صوت البابا شنودة». والكلمة رغم غموضها أعطت انطباعا بتورط البابا نفسه تورطا مباشرا في هذا العمل الإجرامي. ولم يكن ذلك صحيحا، و إنما تدنى الكهنة إلى مستوى النصب والاحتيال، ولقد فسر الأنبا موسى الجملة، فقد أتوا بتسجيل موعظة من مواعظه و سجلوها في المسرحية لتباركها.

لقد قلت قبل ذلك أن الغرض من مثل هذه المسرحية السافلة والكهنة السفلة الذين تبنوها هو تشويه الإسلام كي يشوهوه عند أبنائهم ولكي يبغضوا لهم أتباعه،

لكن القبطي المحترم الوقور المحروم من قبل البابا شنودة: جمال أسعد عبد الملاك يخبرنا بسبب آخر، إن الكهنة الساقطين، أبناء الأفاعي الذين يلبسون ملابس الكهنة، يتاجرون في هذه المسرحيات ويكسبون منها، وذلك سبب هام آخر، وهو أيضا يؤكد أنهم ليسوا أتباع عبد الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، سواء بتحريف أو بدون تحريف (فحتى المسيحية المحرفة لا تأمر بالكذب الفاجر أو جرائم القتل والإبادة). و إنما هم أتباع يهوذا و أنهم ينتجون هذه المسرحيات من أجل الثلاثين فضة!!.

أين كانت الحكومات العميلة الساقطة وهي تتراجع تراجعا بعد تراجع وتفرط تفريطا بعد تفريط.

أين كانوا وهم يردون المؤمنات المحصنات ماريان مكرم عياد وتريزا إبراهيم ووفاء قسطنطين وغيرهن.

أين مباحث أمن الدولة التي لا تخفي عليها في المساجد خافية؟ ؟ أين؟ ؟

العار والشنار لأجهزة تسجل أسماء الشباب الذين يصلون الفجر في المساجد دون أن تجرؤ على التسلل لقلاع وحصون تسمى بعضها زورا كنائس.

الخزي والعار والشنار لأجهزة لا تجرؤ على التدخل في برنامج عمل الكنائس ثانية واحدة بينما تحرص على تقييد العمل في دور عبادة المسلمين الأعداء، في المساجد!!، يحرص كلاب النار على ألا يذكر اسم الله فيها، فلا تفتح إلا قبل صلاة الفرض بدقائق ثم تغلق بعد الصلاة مباشرة، لعنهم الله وأخزاهم، و أخزى وزيرا يوافق على هذا ويباركه.

الخزي والعار والشنار لأجهزة الأمن الباطش الجبار التي قتلت الناس داخل المساجد وأطلقت النار داخلها وهدمت بعضها لاتهامات كلها مزورة وصمتت صمت الجرذان عندما كانت الجرائم جرائم خيانة عظمى لكنها تحدث في الكنائس.

الخزي والعار والشنار لهم، الخزي والعار والشنار لهم، الخزي والعار والشنار لهم، إنني أوجه السؤال لهم أو لأي واحد منهم ما يزال لديه دين أو ضمير- وهو الأمر الذي أرتاب فيه- هل يمكن أن يفعلوا بالإخوان المسيحيين (!!) ما فعلوه بالإخوان المسلمين؟ ولا أقول بالجهاد أو الجماعة الإسلامية؟ ؟ .

لماذا استهان كلاب النار – أيا كانوا و أيا كانت مناصبهم، من الخفير إلى الأمير، بالمساجد وجبنوا أمام الكنائس التي تحولت إلى دويلات متناثرة داخل الدولة ؟ نعم، دويلات لها هيئة مستقلة وخصوصية خاصة داخل البلد، دويلات لها قوانينها وسجونها و أجهزة إعلامها بل وصحفها.

هل يدرك القراء أن من حق كل كنيسة أن تصدر صحيفة؟ ! لدي بعض هذه الصحف، وهي طباعة فاخرة، وليست للتوزيع الداخلي، بل تباع، ومكتوب في صفحاتها الأولى أنها توزيع الأهرام، فهل يدرك جهاز الأمن الباطش الجبار ذلك؟ وهو الذي يحاصر أي مطبوعة للمسلمين، وهو الذي يمنع بمنتهى الجبروت والقسوة عودة صحيفة الشعب رغم عشرات الأحكام القضائية النهاية ، الخزي والعار والشنار لجهاز أمن يفعل ذلك. خزي وعار يلحق أيضا الباقين جميعا، من الخفير إلى الأمير.

هل تراقب أجهزة الثقافة مسرحيات الكنائس ومطبوعاتها، وهي التي لا تسمح لأي مؤسسة مسلمة بأي نشاط، إلا إذا كان هذا النشاط نفاقا وازورارا عن الإسلام، هل تراقب هذه الأجهزة نشاطات الكنائس، أم أنها مشغولة كوزيرها الشاذ – فكريا!- بإخراج مسرحية صنع فيها – عليه من الله ما يستحقه- نموذجا للكعبة وأتى براقصة لترقص فوقه.

أين وزارة الداخلية، أين شرطة المصنفات وقسوتها الباطشة وهي تهاجم مساكين يرتزقون من بيع تسجيلات دينية معظمها صحيح لكنه لا يوافق هوى الشياطين

التي تحكمنا ثم لم تتحرك قيد أنملة لإزالة المسرحية الفاجرة.

فحيح ونباح وعواء انطلق يقول : إن المسرحية مثلت منذ عامين، لكن التساؤل: هل تسقط جرائم إهانة القرآن وسب الرسول بالتقادم؟ وبعد عامين فقط!!،

فحيح ونباح وعواء انطلق يقول : إن المسرحية مثلت مرة واحدة فقط، وهذا كذب لأنها مثلت مرات عديدة، أما المصدر فهم مسيحيون شاهدوا المسرحية، وأسلموا بعدها!!

فحيح ونباح وعواء انطلق يقول : إن المسرحية مثلت مرة واحدة ثم صدرت الأوامر بإيقافها، وهذا كذب، فقد مثلت في أغسطس الماضي حيث صورت، لكن دعونا من أجل الجدل نوافق، فإذا كانت الأوامر قد صدرت بإيقافها فمن سجلها؟ ومن طبعها؟

فحيح ونباح وعواء انطلق يقول : إن المسرحية لم يشاهدها مسلم قط، فكيف وصل تسجيلها إلى آلاف المسلمين إذن؟ (المسيحيون الذين هداهم الله للإسلام أقروا بأن التسجيل والتوزيع كان مقصودا به المسلمون وليس المسيحيين).

هل كل ضباط مباحث أمن الدولة مشغولون في مراقبة المساجد؟ أما من ضابط منهم يذهب ليقول لنا من الذي طبع القرص الفاجر ومن وزعه، ومن هو الفاجر الذي وافق أو بارك؟ !.

ثم: أين شيخ الأزهر سيد طنطاوي، لا عفوا، أنا أسحب السؤال يا قراء، لا أسأل عن شيخ الأزهر ولا أناديه فالرجل موظف، والموظف ملتزم بشرع ولي نعمته لا بشرع خالقه.

أين المفتي؟ لقد فقد الرجل احترامي كله وهو ينكر وجود تسجيل للمسرحية أصلا، وهو قول كاذب لم يجرؤ عليه حتى البابا شنودة نفسه.

أين النائب العام، الذي أكتفي بصدده بأن أشكوه إلى الله، ليس في هذه القضية

فقط. بل في كل قضية يكون الحاكم طرفا فيها، و أحيل القارئ إلى مقال لي نشرته منذ أعوام ثم ضمنته كتابي «إني أرى الملك عاريا »عن صدام عنيف مع النائب العام آنذاك حين صارحته أن قاضيا في الجنة وقاضيين في النار.

أين وزير العدل – المزور كما اتهمه القضاة أنفسهم–.

إنني أنقل تعليقا من رسالة قيمة لبعض من تصدوا للمسرحية الفاجرة، تعليقا يستنكر كيف أن أصحاب هذا العمل المسرحي الهزيل قيمة ومضموناً، نشروا مثل هذه الأفكار دون أن تطرف لهم عين. ودون أدنى مسؤولية أو شعور بالآخرين. إننا كنا نتصور أن مصر من كافة طوائفها وأفكارها ومثقفيها وبُسطائِها قبل علمائها كانت ستعلن التنديد والاستنكار على الفور إذ ما تجرأ أحدهم من دولة قريبة أو بعيدة بمثل هذا العمل. إننا لم نتصور أبدا أن نُؤتى من مأمننا. ونُطعن من مكمننا. كنا نتصور أن هؤلاء الذين يسبون الإسلام(مثل زكريا بطرس وأعوانه في القنوات المشبوهة) في الخارج هم أعداء لديننا ودولتنا ، وكنا نعلم أن أغراضهم الرخيصة المكشوفة في إثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين لن يعبأ بها شبابنا الواعي للوحدة الوطنية ولمستقبل وأمن بلاده، فإذ بعيوننا تتحول عن مكامن الخطر الخارجي لنجدها هنا ونشاهدها من الداخل للأسف. المشكلة أن الطعنة هذه المرة جاءت صريحة من قلب أقباط مصر أنفسهم ، وليس كما اعتدنا نتلقى السهام من أقباط المهجر في الخارج. الشيء المؤسف أن هذه الطعنة وهذا الاستهزاء الرهيب بشرائع الإسلام جاء من قِبَل أكبر مِلّة طائفية مسيحية في مصر وهم الأرثوذكس ، والذي يشكلون معظم أقباط مصر المسيحيين. ولو كان هذا العمل قد قام به مجموعة من الشباب كحالة منفردة لكنا قد سكتنا ولكذبنا أنفسنا وأعيننا ، وقلنا لأنفسنا ولأبنائنا المسلمين لا تحزنوا ولا تغضبوا لأنهم مجموعة عشوائية من الشباب لا تمثل أبدا الكنيسة المصرية ، ولا تمثل أبدا إخواننا الأقباط. إلا أن الصدمة هذه

المرة كانت من قبل أحد الكنائس الأرثوذكسية التي يقودها ويرأسها البابا شنودة نفسه، حيث أن العمل تم في «كنيسة ماري جرجس – بمحرم بك- الإسكندرية»، هذا العمل المسرحي الذي يشرف عليه قساوسة كبار وليس مجرد مجموعة من الشباب المتعصب أو غيره. إن الشيء المحزن أن هؤلاء القساوسة يفترض أنهم أكثر استيعاباً وإدراكاً للمسئولية في مثل هذه الفترات ، ولا بد أن يكونوا قدوة للآخرين ، لأنهم رجال دين وفي محل نظر واهتمام الآخرين حيث إن تصرفاتهم وأفعالهم محسوبة عليهم. وللأسف أن أي شخص سيشاهد هذه المسرحية سيدرك أن العمل لم يكن عشوائياً ، بل كان عملا منظما متكاملا ضخما داخل مسرح الكنيسة وخارجها ، عمل فني بها يعرفه المشاهدون من طاقم تصوير وموسيقى وديكور وكمبيوتر وملابس ومكياج وتأليف وإخراج وطبعاً لا تنسوا القساوسة ومباركتهم للعمل بأنفسهم. بل إن الجمهور المسيحي الذي كان يحضر هذا العمل لم يكن بضع أفراد ولم يكن العمل سرياً، بل كان جمهورا كبيرا ضخما بالمئات أصرت الكاميرات إظهاره عدة مرات لتوضح مدى سعادتهم وتصفيقهم الحار للعمل إعجابا به!!. وتلك نقطة أخرى لا أتوسع فيها حرصا، إذ كيف يهبط هذا الجمهور الغفير إلى هذا الدرك السافل دون احتجاج واحد، وهل هذا الجمهور لا يمثل إلا نفسه أم أنه عينة عشوائية صادقة للانحطاط والكفر والسفالة.

***

إن عنوان المسرحية نفسه يعود إلى رواية وردت في الإنجيل تقول:

«وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته. فسأله تلاميذه قائلين : يا معلّم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى. أجاب يسوع :لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه. ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. ما دمت في العالم فأنا نور العالم.

قال هذا وتفل على الأرض ، وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عيني الأعمى. وقال له : اذهب اغتسل في بركة سلوام. الذي تفسيره مرسل. فمضى واغتسل وأتى بصيرا »

«فالجيران والذين كانوا يرونه قبلا أنه كان أعمى قالوا : أليس هذا هو الذي كان يجلس ويستعطي، آخرون قالوا هذا هو. وآخرون إنه يشبهه. وأما هو فقال : إني أنا هو. فقالوا له كيف انفتحت عيناك. أجاب ذاك ، وقال. إنسان يقال له يسوع صنع طينا وطلى عينيّ ، وقال لي : اذهب إلى بركة سلوام واغتسل. فمضيت واغتسلت فأبصرت».(...) اسألوه فهو يتكلم عن نفسه. قال أبواه : هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود. لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا إنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع. لذلك قال أبواه : إنه كامل السن اسألوه، فدعوا ثانية الإنسان الذي كان أعمى وقالوا له أعط مجدا لله. نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ ، فأجاب ذاك وقال : أخاطئ هو؟ لست أعلم. إنما أعلم شيئا واحدا. أني كنت أعمى ، والآن أبصر ».يوحنا ٩: ١-٤١.

***

إنني أريد أن أنبه القراء، والمسيحيين قبل المسلمين أن هذه الطريقة الساقطة في الهجوم على الإسلام تفيده ولا تنتقص منه ذلك أن الشاب المسيحي يفاجأ عندما تزال غشاوة الصعاليك الذين تحدث عنهم القديس أوغسطينوس من على عينيه، عندما تزال هذه الغشاوة يدرك هذا الشاب عظمة الإسلام وعمقه، إن الشاب يدرك كم خدع، ويكتشف كم كذبوا عليه، ويكتشف كم كان هذا الكذب خسيسا، بل ويكتشف الشاب فوق ذلك من عظمة الإسلام ما يدفعه لإشهار إسلامه حين يكتشف أن الإسلام لم يأت مكذبا لنبيهم ولا سابا له ولا متورطا في محاولة قتله ولا مدعيا على أمه مثل ما ادعى اليهود بل قال في عيسى وأمه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة :٧٥].

فعيسى عليه السلام عبد الله ورسوله جاء ذكره في السلسلة النبوية الكريمة شأنه شأن إخوانه من الأنبياء والمرسلين كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى عليهم الصلاة والسلام، وقصة عيسى ذكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم ولم يرد في موضع واحد من القرآن الكريم ما يمس عيسى عليه السلام بسوء أو يشينه كما أنه لم يرد فيه شيء يمس جناب أمه، أو يشينها بل خص القرآن الكريم أمه بسورة كريمة من سوره هي سورة مريم عليها السلام ، فلنستمع إلى ما سطره الوحي الرفيع من الآيات في حق عيسى وأمه مريم عليها السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران] ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران:٤٥].

ولا يوجد فرق كبير بيننا وبين النصارى في شخص مريم عليها السلام ، فنحن نؤمن بها صديقة ، وبأنها بشر وبأنها عذراء ، لم يمسها بشر، طاهرة، صالحة، تقية، نقية، تعهدها الله برعاية خاصة وفضلها تفضيلا عظيما على نساء العالمين.

والفرق بيننا وبين رجال الكنيسة يتمثل أول ما يتمثل في شخص المسيح عليه السلام فنحن نؤمن بأنه رسول قد خلت من قبله الرسل ولا نؤمن بأنه إله ولا ابن إله ولا أنه يجلس إلى جوار أبيه في السماء ونؤمن بأن النصرانية الصحيحة التي نزلت على عيسى تنزلت بما نؤمن به وأن فرقا كثيرة من النصارى كانت عقيدتها موافقة لعقيدتنا ولكنها ووجهت بحرب إبادة فأبيدت. (راجع: التبشير والخطة الحكيمة لمقابلته: الشيخ علي بن أحمد بن طه المسيري)

لقد كتب عادل حمودة، الذي لا يجمع بينه وبين الإسلاميين إلا العداوة والشحناء – من طرفه- كتب في صحيفته «الفجر»عن الوقائع فأدان الكنيسة وحملها مسؤولية ما حدث بقوله:

«لقد أشعلت الكنيسة القبطية الفتنة هذه المرة في الإسكندرية، مسرحية لا لزوم

لها، تتدخل في عقيدة الجيران، ولا تحترم القاعدة الفقهية والوطنية والقانونية (لكم دينكم ولي دين)، وقد تصورنا أن آباء الكنيسة وعلى رأسهم البابا شنودة سوف يبادرون بالشرح والتفسير والتبرير والاعتذار لكن، ذلك لم يحدث، إن كل مؤسسات الدولة في مصر اعتذرت للكنيسة عما نشر في صحيفة النبأ رغم أن ذلك كان خطأ شخصيا لم ترتكبه، وعوقب رئيس تحرير الصحيفة على ما نشر بالسجن ومات قبل أن يكمل فترة العقوبة، وكان متوقعا أن تبادر الكنيسة بالاعتذار عما جرى فى الإسكندرية خاصة أنها مسؤولة عنه، كما أن الخطأ لم يكن شخصيا هذه المرة، بل كان إهانة مباشرة يعاقب عليها القانون، لكن. الكنيسة تغطت بالصمت، وبدت وكأنها مظلومة لأنها أيدت انتخاب الرئيس مبارك ، ورروجت له دون أن تجد من بين قائمة المرشحين على قائمة الحزب الوطني سوي اثنين فقط من رعاياها، أحدهما وزير المالية يوسف بطرس غالي، والآخر في الإسكندرية، حيث الطبعة الأخيرة من الفتنة الطائفية، وكأن الكنيسة تعاقبنا على ما فعلته السلطة بها، كأنها تطالبنا بدفع فواتير بضاعة سياسية حصل عليها غيرنا، وكان تفسير رموز الحزب الوطني صفوت الشريف وكمال الشاذلي ، وقد سألتهما مباشرة عن سر ندرة الأقباط بين مرشحي حزبهم ، أنه لم يتقدم للترشيح من الأقباط سوي عدد محدود جدا لا يزيد على خمسة طبقت عليهم معايير الاختيار التي طبقت على غيرهم، لكن ذلك التفسير لا يريح البابا شنودة الذي طالب أكثر من مرة بنسبة من مقاعد مجلس الشعب للأقباط تناسب حجمهم وعددهم ولو قاطعوا العمل السياسي وجلسوا في بيوتهم لتأتيهم المقاعد المطلوبة بالتليفون ، مثل البيتزا والفراخ المشوية، هوم ديلفري. وتصورنا أن آباء الكنيسة القبطية وعلى رأسهم البابا شنودة سيقدمون المتهمين فيما جري إلي سلطات التحقيق لتهدئة الخواطر ، وإطفاء النار قبل أن تتحول إلى جحيم، لكن ذلك لم يحدث، بل علي العكس، نقلت رئاسة الكنيسة

المتهمين إلى دير وادي النطرون ، وأخفتهم هناك، مع السيدة وفاء قسطنطين وأخواتها اللاتي حاولت الانتقال من المسيحية إلى الإسلام، وكأن الدير أصبح منطقة مستقلة عن السيادة المصرية لا يجوز تسليم أحد يلجأ إليه أو ينقل إليه، وفي هذه الحالة يجب توقيع اتفاقية للتعاون القضائي وتبادل المجرمين بين الحكومة المصرية والكنيسة المصرية.»

و أضاف نبيل عمر في نفس الصحيفة:

«وأظن أن الاعتذار في فتنة الإسكندرية كما يطالب الغاضبون لا يكفي، أو بمعني أصح ليس هو الحل، لأن القضية الآن ليست خناقة على قارعة الطريق تحتاج إلى قاعدة صلح وكلمتين لتطييب الخواطر، وإنما تحتاج إلى تفعيل القانون، فالقانون هو الدرع الذي يجب أن يحتمي به المصريون جميعا! وكلنا يعرف ماذا حدث في قضية رئيس تحرير النبأ ، إحالة إلى النيابة وتحقيقات ومحكمة وحكم بالسجن، ثم عزل من نقابة الصحافيين ، وإلغاء ترخيص الجريدة! وهو ما يجب أن يتم في حادث المسرحية المغضوب عليها، أن تحال إلى النيابة العامة وتحقق فيها بعيدا عن المهاترات والبيانات، والقانون المصري به من المواد التي تعاقب على الإساءة المتعمدة للأديان، إذا ثبت أن المسرحية بها من المشاهد والحوار ما يمس الدين الإسلامي أو يسخر منه بأي شكل من الأشكال»..

***

يظل الطبيب الجراح متمتعا بحماية القانون وحصانته طالما التزم المعايير العلمية المهنية الصحيحة، بل ويعفى من العقاب حتى عن الخطأ غير المتعمد مادام لم يشبه إهمال أو تقصير أو تعمد، فإذا شابه أيٌّ من ذلك، أو إذا استعمل آلات الجراحة، أو مهاراته للإيذاء، كأن يستعمل مبضع الجراح في طعن خصم، أو أن يستغل علمه في أن يسدد الطعنة في موضع يسبب ضررا أكبر، إذا ما فعل ذلك، فإن القانون لا

يسحب عنه حصانته فقط، بل إنه يتشدد في عقابه، ليكون عقابه على الجرم، أكثر من عقوبة الشخص العادي.

وبهذا المعيار نفسه، فإن القسيس أو الكاهن أو البابا ولو كان بابا روما أو الإسكندرية، أو الشيخ – ولو كان شيخ الأزهر– والمفتي ولو كان مفتي الديار، والوزير حتى لو كان وزير الأوقاف، إذا ما خرج على مقتضيات منصبه، وتجاوز اختصاصات وظيفته، فلا حصانة له، وعلينا أن نتوقف على الفور عن التعامل معه كرجل دين – في حالة المسيحيين– أو كعالم في الدين في حالة المسلمين (ليس في الإسلام رجال دين).نعم، علينا أن نتوقف عن التعامل معه بوضعه السابق، لنتعامل معه كمجرم استغل ما اؤتمن عليه، واستعمله كما يستعمل الجراح المجرم مبضعه، للقتل لا للإنقاذ.

يدخل في هذا الإطار لينطبق عليه الحكم كل مجرم ادعى أن المسرحية (التي مثلت في مغارة لصوص أو وكر شيطان) لا تسيء للإسلام. كما ينطبق نفس الحكم على من رفضوا الاعتذار بحجة أن المسرحية لا تسيء للإسلام. فلقد كان رفض الاعتذار إهانة مضاعفة. كان الأمر أشبه برجل يسب آخر، فيقول له: «أنت كلب». فيطلب منه الناس الاعتذار، فلا يزيد عن قوله: «لكنني لم أشتمه». وذلك كما لا يخفى على القارئ سباب إضافي، و تأكيد للسباب الأول.

نعم.

كل من شارك في العمل المجرم مجرم، وكل من رفض الاعتذار أيضا كذلك.

أما من تلاعب بالأحداث وغير الوقائع و أنكر المعلوم بالضرورة فهو أكثر من مجرم ومن خسيس.

والحمد لله الذي هدى البابا شنودة إلى ما يشبه الاعتذار (وهو غير كاف بأي حال) ، فقد نزع مؤقتا فتيل انفجار يعلم الله ماذا كان يمكن أن يحدث لو انفجر،

ولقد كان فيما صدر عن البابا من شبه اعتذار كابح لإجراءات كانت قد بدأت في الظهور. وكانت ستنال الأقباط وتمسهم مسا مباشرا. إجراءات كالمقاطعة الاقتصادية، حيث يسيطر المسيحيون على ٦٠٪ من اقتصاد الإسكندرية، و ٤٠٪ من اقتصاد مصر، وعلى غير ما يدعي عملاء المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، ومن أقباط المهجر، لعنهم الله أينما كانوا، على غير ما يدعون، فإن المسيحيين يتمتعون في مصر بوضع لا تتمتع به أي أقلية في العالم، إلا الأقليات الخائنة تحت سيف الطاغوت (كما كان البيض في جنوب أفريقيا واليهود في العالم العربي). أقول أن ما يجب أن يحرص عليه الأقباط هو المحافظة على الوضع الذي وصلوا إليه، و أن يدركوا أن هذا الوضع يحمل أشد الغبن للمسلمين، الذين يشكلون الأغلبية الساحقة. و أن يدركوا، أن العالم الإسلامي، و إن كان غير قادر على الانتصار الآن فهو غير قابل للتلاشي. وأن هذه الخاصية ستدور به مع الزمان حتى يجيء النصر الموعود، ولقد كان البابا شنودة، شديد الوعي بذلك حين منع الأقباط من زيارة القدس، حتى لا يكونوا أول من خان. ولقد كان موفقا في هذا، للدرجة التي جعلت تقدير كثير من المسلمين له، يفوق تقديرهم لشيخ الأزهر (سيد طنطاوي)، فنحن مأمورون ألا يجرمنّا الشنآن ألا نعدل، ومأمورون أن نحكم بالظاهر، و ألا نشق عن قلوب الناس. وليس في هذا مبالغة، ولا مخالفة للولاء والبراء، ولا موالاة لغير مسلم على مسلم، بل لقد أدرك الضمير الجمعي الديني للأمة، أن الناس سبعة: أولها المؤمن ، وثانيها المسلم ، وثالثها الكتابي المسيحي ، ورابعها الكتابي اليهودي ، وخامسها المشرك والكافر ، وسادسها المرتد ، أما سابعها فهو المنافق الذي هو في الدرك الأسفل من النار، و أن ضمير الأمة يضع البابا في المركز الثالث، بينما يضع بعض شيوخنا – دون تعيين – في المركز السابع.

أقول إن البابا منع باعتذاره مقاطعة اقتصادية كانت ستؤذي الأقباط بلا شك،

كما أنه كبح شعورا راح يتنامى بعد أن منعه الحياء من ذلك، شعور بالغبن، وبالمهانة، و بأن الحكومة الضعيفة، فاقدة الحس والنخوة والكرامة، تستجيب للمسيحي مهما كان افتراؤه وظلمه، وتتنكر للمسلم مهما كان حقه.

وكان من ضمن ما يحرك هذا الشعور هو أن تعداد الأقباط لا يزيد عن ستة في المائة، و أن الحكومات المتعاقبة، الحكومات العاجزة الفاسدة العميلة، تتعمد عدم ذكر النسبة مجاملة للأقباط أو خوفا منهم، هذا الشعور لو وصل إلى غايته فسوف يطالب بحصر دقيق للأقباط، وسوف يتجاوز على سبيل المثال عن أن يحصل الستة في المائة على ١٠٪ أو حتى ١٢٪ من الاقتصاد لكن ليس أكثر، كما سوف يطالب بالتعامل وفقا للعرف الدولي، الذي يتجاهل بالكامل الأقليات الإسلامية في دول العالم، حتى لو وصلت هذه الأقليات إلى ٣٠ أو ٣٥٪ دون أي تمثيل على أي مستوى، بل سيطالب بإعطائهم تمثيلا يوازي تمثيل المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية أو فرنسا أو ألمانيا، حيث تتقارب نسبة المسلمين هناك مع نسبة المسيحيين في مصر.

***

لقد كتبت ذات مرة أن تعداد النصارى في مصر يكاد يصبح لغزا، ليس لأنه مجهول ، لكن لأن هناك طريقة طريفة في النصب والاحتيال لا يتبعها إلا نصاب محترف، ذلك أن عدد الأقباط في مصر منذ الحملة الفرنسية إلى الآن يتراوح ما بين ٥-٦٪ من عدد السكان (حوالي أربعة ملايين نصراني) ويأتي النصابون من النصارى والعلمانيين الأشرار الذين يتملقونهم نكاية في الإسلام، ليخلطوا بين الرقمين: رقم العدد (وهو هنا أربعة ملايين) وبين النسبة (وهي هنا ٦٪). ففي المرحة الأولى يتم استعمال رقم النسبة المئوية بدلا من العدد فيكون تعداد النصارى ستة ملايين نسمة (وليس أربعة ملايين أو ٦٪ من عدد السكان) لكننا إذا ما حسبنا

النسبة المئوية التي يشكلها الرقم المغلوط وهو الستة ملايين لوجدناهم يمثلون ٨٪ من عدد السكان، وهو الرقم الذي يستعمل مع النسبة المئوية بشطب ما نشاء من طرفي المعادلة ليكون تعدادهم في المرحلة التالية ثمانية ملايين، لكن الثمانية ملايين لا يساوون ٨٪ من عدد السكان بل ١٢٪، يستعمل هذا الرقم عدة أسابيع ثم يتحول إلى أن عدد النصارى ١٢ مليون نسمة، وبعد عدة أسابيع من الحداثة ونسيان الماضي يكتشفون أن ١٢ مليون مسيحي يشكلون ١٨٪ من السكان، وهكذا دواليك، حتى وصل الرقم الآن إلى ٢٥٪ من عدد السكان نصارى.

وبهذه الطريقة لا يبقى سوى عدة خطوات ليكون النصارى هم الأغلبية في مصر.

وخطوات أخرى لتصل نسبة المسيحيين إلى ١٠٠٪ من الشعب المصري.

وفي مصر – بالذات – يمكن للنسبة أن تزيد عن ١٠٠!!٪.

***

ورغم أن الدراسات العلمية الصادرة مؤخرا من باحثين مسيحيين لبنانيين تتحدث عن تعداد مسيحيي العالم العربي كله من المحيط إلى الخليج بأقل من عشرة ملايين، ورغم أن جميع الإحصائيات الرسمية المصرية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى الإحصاء المعلن الأخير عام ١٩٨٦ تؤكد على أن نسبة الأقباط من عدد سكان مصر شبه ثابتة ، وتتراوح حول ٦٪ ، فإن البعض لا يكف عن التشكيك في صحة هذا الرقم، وللأمانة فإن منع إعلان الدولة للأرقام الإحصائية للسكان في العقد الأخير هو نوع من المجاملة للكنيسة.

في بحث علمي رصين أورده الدكتور محمد مورو في كتابه القيم: يا أقباط مصر انتبهوا – الناشر: المختار الإسلامي – حرر المسألة بأسلوب علمي خلصها من الأكاذيب التي تنشر عنها وتنثر حولها.

يقول الدكتور مورو (بتصرف واختصار) : موضوع القضية همس يدور وشائعات تبذر في الظلام بأن الأقلية القبطية في مصر قد بلغ تعدادها أربعة ملايين ثم إذا بالرقم يرتفع إلى ستة ملايين ثم إلى ثمانية ملايين ويرتب مثيرو هذه الشائعات على هذا الادعاء حقوقا يضمنونها منشورات لم تعد سرا تداولتها الأيدي. والسؤال هو كيف وصل مثيرو هذه الشائعات إلى هذه الأرقام الإحصائية. والرد العملي يكمن في مناقشة هذا الادعاء في هدوء وموضوعية، ومع ذلك فلأي مواطن أن يطعن في هذه البيانات الرسمية أمام جهات الاختصاص كالمحكمة الدستورية أو مجلس الدولة مؤيدا دعواه بالأدلة القانونية، ولكن هذا الإجراء، الذي يبدو أنه الإجراء الوحيد لإثبات الحقيقة، هو الإجراء الوحيد الذي تجنبه الأقباط طول الوقت، ولقد طالبوا بكل شيء معقولا كان أم غير معقول، خائنا كان أم شديد الخيانة، لكنهم لم يتورطوا قط في أن يطلبوا – على سبيل المثال – إجراء تعداد للسكان تحت إشراف الأمم المتحدة. تجنبوا ذلك لأنهم يدركون أنه لو حدث، فسوف يكشف كذبهم ويدحض ادعاءهم ويفضح مؤامرتهم.

لكن، ماذا تقول الإحصاءات الرسمية عن نسبة الأقباط بين السكان؟ .

- أجرى أول تعداد في مصر على أسس علمية نظامية في أول يونيه ١٨٩٧ بإشراف من دولة الاحتلال للتعرف على التركيبة الحقيقية للمجتمع المصري وأشرف على عملية الإحصاء المستشار المالي البريطاني مستر ألبرت بوانه وساعده في متابعة العملية عدد من الموظفين الإنجليز.

- في هذا الإحصاء بلغ مجموع سكان مصر ٩٧٣٤٤٥٠ نسمة منهم ٨٩٧٧٧٠٢من المسلمين أي بنسبة ٢٣ , ٩٢٪ والباقي من المسيحيين واليهود، وفي هذا التعداد كانت نسبة الأقباط الأرثوذكس:٣ , ٧ ٪.

- توالت عمليات التعداد كل عشر سنوات وتوالى ارتفاع عدد السكان

بمختلف طوائفهم مع ثبات النسبة المئوية لكل طائفة، ففي تعداد عام ١٩٠٧ وكانت نسبة المسيحيين من جميع المذاهب بما فيهم الأقباط الأرثوذكس إلى ٨ , ٧٪

- وفى مارس ١٩١٧ أجرى التعداد الثالث تحت إشراف المستر كريج مراقب الإحصاء والدكتور أ. ليفي وهو إنجليزي يهودي وبلغت نسبة غير المسلمين (مسيحيين ويهود) ٨٪.

- وفى ٩ يناير ١٩٢٧ أجرى التعداد الرابع وأشرف عليه حنين بك حنين مراقب مصلحة الإحصاء وهو قبطي أرثوذكسي بمعاونة المستر كريج فبلغت نسبة جميع الطوائف المسيحية واليهود ٨,٣٣٪ مع ملاحظة تضاعف عدد الأقباط الكاثوليك ستة أضعاف والأقباط البروتستانت خمسة أضعاف (تحت وطأة الضغوط والدعاية الأمريكية).

ولقد حافظت النسبة المئوية للسكان على أساس الديانة في جميع التعدادات التالية مع فارق الارتفاع التدريجي للأقباط الكاثوليك و البروتستانت لكن النسبة العامة للمسلمين إلى مجموع السكان ظلت مستقرة تقريبا وهى ٩٢٪. ذلك أن الإسلام في الأغلب الأعم دين يتحول الناس إليه ولا يتحولون منه. أو قل هو الدين.

في تعداد عام ١٩٣٧ وكذلك عام ١٩٤٧ و ١٩٦٠ كانت نسبة جميع الطوائف المسيحية ٧,٣٣٪ منهم ٦,٤٩٪ من الأقباط الأرثوذكس. وتكررت النتيجة في تعداد عام ١٩٧٦ كانت نسبة غير المسلمين ٦,٣٢٪ منهم ٦٨ ٪ من الأقباط الأرثوذكس، هذا الانخفاض النسبي يعزى إلى ارتفاع في عدد الأقباط الكاثوليك والبروتستانت وإلى هجرة أعداد من الشباب القبطي الأرثوذكس المتعلم إلى أستراليا وكندا والولايات المتحدة.

إن مناقشة هذه الأرقام التي جاءت نتيجة لنظام وضعت أسسه تحت إشراف إنجليزي وانتقل إلى إشراف مصري قبطي أرثوذكسي لا يسمح بإثارة الشكوك

حوله ولا يسمح بنقض أو رفض و إلا تحولت أية مناقشة إلى سفسطة بسبب الإمعان في المبالغة والاختلاف وتحويل المئات إلى آلاف والآلاف إلى ملايين...

يواصل الدكتور مورو حديثه المفعم بالمرارة والاستياء والاستهجان:

إن تعداد سكان دولة كمصر يحتاج إلى أكثر من ٣٠ ألفا من الموظفين المسلمين والأقباط للمشاركة في إجرائه، وهل يمكن أن تجرى في الظلام مؤامرة يشترك فيها ثلاثون ألفا لا يعرف بعضهم البعض؟

ولعل الدكتور مورو يقصد تلك الأكاذيب الفاجرة التي يطلقها أقباط المهجر مع أصوات داخلية تدعي في صفاقة ليست غريبة على الطواغيت والمستعمرين والقتلة واللصوص في التاريخ، فيزعمون أن الحكومة المصرية تأمر آلاف مكاتب السجل المدني بتسجيل المسيحيين كمسلمين!!

ولم يقدم أبناء الأفاعي مثلا واحدا، نعود إلى الدكتور مورو الذي لا يكتفي بكل ما أورده بل يلجأ إلى أرقام إحصائية تفصيلية أخرى تؤكد ما ذهب إليه فينشر الإحصاءات التفصيلية على مستوى المحافظات التي تكاد أن تكون نسبتها مستقرة ثابتة، ففي الفترة بين عام ١٨٩٧ و ١٩٧٦ تراوحت نسبة الطوائف المسيحية في المحافظات الآتية (على سبيل العينة) على النحو الآتي:

أسيوط بلغت النسبة (وهي أعلى ما يكون على مستوى البلاد) بين ٧, ٢١ ٪ و ٩, ١٩ ٪ وفي القاهرة بين ٩, ١٥ ٪ و ١٣, ١٠ ٪، وفي قنا بين ٥٦, ٨ ٪ و ٥, ٧ ٪ وفي الشرقية بين ١, ٢ ٪ و ٣, ١ ٪ وفي الدقهلية بين ٠, ٢ ٪ و ١, ١ ٪ فمن ثم متوسط النسبة المئوية للطوائف المسيحية مجتمعة على مستوى الجمهورية منذ عام ١٨٩٧ حتى اليوم هي ٧٢, ٧ ٪.

ومع أن هذه البيانات استخلصت من إحصاءات مباشرة فإن هناك ميزانا لتقنين مدى صحتها وذلك بإجراء مقارنة لعدد المواليد والوفيات خلال عام من الأعوام

على أساس الديانة وهي بيانات مثبتة في شهادات الميلاد والوفيات وتخطر بها أولا بأول منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة التابعتين لهيئة الأمم المتحدة. نأخذ مثلا عفويا قريبا وهو عامة ١٩٧٤ ففيه بلغت جملة المواليد في مصر ١,٢٨٧,٦١٤ منهم ١,٢٢٣,٣٠٠ من المسلمين و ٦٤,٣٦٤ من غيرهم (طوائف مسيحية ويهود (وقد بلغت جملة الوفيات في نفس العام ٤٥٧,٦٢٠ منهم ١٢٢,٠٤٣٠ من المسلمين و ٢٧,٤٩٨ من غيرهم أي أن مجموع الزيادة العددية للسكان في هذا العام بلغت ٨٢٩,٩٩٤ منها ٧٩٣١٧٨ من المسلمين و ٣٦,٨١٦ من غيرهم.

من هذا يتضح أن النسبة المئوية على أساس المواليد والوفيات لغير المسلمين تدور في جميع الحالات حول ٦,٢٢ ٪ وهو ما يؤكد صحة التعدادات المباشرة.

إذن فإن أي همس للتشكيك في صحة هذه الأرقام هو في الحقيقة فحيح يرمي إلى بث السموم ولا يستهدف إحقاقا لحق أو تصويبا لخطأ.

ليس الصوت الأعلى نبرة تمنح صاحبه حقوقا ليست له، وليست هذه النغمة التي نسمعها اليوم جديدة وليست هذه الحملة غريبة ولكنها تبرز كلما وجدت الوقود لها ولنرجع إلى الماضي غير البعيد ولنحتكم إلى أصوات لا يتهم أصحابها بالتواطؤ أو المحاباة.. يوضح اللورد كرومر في مؤلفه (مصر الحديثة) الروح المتعصبة لبعض الأقباط المتطرفين (مجلد ٢ فصل ٣٦ الطبعة الإنجليزية) بقوله: -

(إن مبادئ الحيدة الدقيقة التي طبقها البريطاني كانت غريبة عن طبيعة القبطي وعندما بدا الاحتلال البريطاني أخذت تساور عقله آمال معينة فكان القبطي يقول لنفسه: إنني مسيحي والإنجليز مسيحيون فلو كان الأمر بيدي لكنت تعصبت للمسيحيين على حساب المسلمين.. وكان يقول لنفسه ولما كان للإنجليز السلطة فإنه من المؤكد أنهم سوف يحابون المسيحيين على حساب المسلمين.. هذا هو الخطأ

المحزن الذي يلام هؤلاء الأقباط عليه ، ولما اكتشف القبطي أن هذا الأسلوب في التفكير عقيم وأن سلوك الإنجليزي مرجعه مبادئ لم يضعها القبطي في اعتباره ويعجز عن فهمها تملكه إحساس بالفشل عمق ضغينته.. لقد كان يرى أن تطبيق العدالة بالنسبة للمسلمين يعني الظلم له وكان يعتقد ولو بطريقة غير شعورية بأن الظلم وعدم محاباة الأقباط ألفاظ مترادفة) انتهى.

يواصل الدكتور محمد مورو شهادته:

... نستمع إلى بريطاني آخر لا يتهم كذلك بالمحاباة وهو السير ألدون جورست المعتمد البريطاني ودعنا نقلب تقريره المرفوع إلى حكومته بتاريخ ١٠ مايو ١٩١١ والذي يلقي الضوء على محاولات بعض المتطرفين الأقباط إثارة الخواطر بدعوى أن الأقباط في مصر لا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها المواطنون المسلمون قال ما ترجمته:

إن المسلمين يؤلفون ٩٢ ٪ من مجموع السكان ويمثل الأقباط أكثر قليلا من ٦ ٪ (٢٠٠ ألف) وإن هذه الأقلية القبطية موزعة توزيعا غير متساو بين أنحاء البلاد فهم يمثلون أقل من ٢ ٪ من السكان في ٣٠ مركزًا إداريًا بين ٤٠ مركزًا بالوجه البحري بينما ترتفع نسبتهم إلى ٢٠ ٪ في ٩ مراكز فقط من ٣٧ في الصعيد..

***

يؤكد الدكتور محمد عمارة نفس الأرقام في كتابه: «في المسألة القبطية: حقائق وأوهام- دار الشروق». ويضيف قائلا: وعلى هذا الدرب- الكذب في الأرقام والإحصاءات- سار سعد الدين إبراهيم وغيره حتى رأيناهم يبلغون بعدد أقباط مصر إلى سبعة ملايين، وأحيانا عشرة، وأحيانا خمسة عشر مليونا!!، يحدث ذلك في بلد يقوم بإحصاء رسمي ودقيق ومحايد لعدد السكان ودياناتهم وطبقاتهم وتخصصاتهم كل عشر سنوات، ويحدث ذلك في مصر منذ الاستعمار الإنجليزي

حتى الآن، وهذه الإحصاءات تعلن الثبات التقريبي لنسبة الأقباط إلى المسلمين، منذ أن كان القائم على التعداد الإنجليز والموظفون الأقباط وحتى آخر تعداد، ففيما بين ١٩٠٧ م و ١٩٣٧م كانت نسبة النصارى- كل النصارى- إلى المسلمين أعلى قليلا من ٨٪، ثم هبطت في تعداد ١٩٤٧ م إلى ٩ , ٧٪، ثم أخذت- بسبب ارتفاع أعداد المهاجرين الأقباط، وهجرة من هاجر من الأجانب مع جلاء جيش الاحتلال- في الهبوط، فكانت في سنة ١٩٦٥ م ٣ , ٧ ٪، وفى إحصاء ١٩٨٦ م ٩ , ٥٪، أي أن تعداد الأقباط - في ذلك الإحصاء- أقل من ثلاثة ملايين، وليس عشرة ملايين، أو خمسة عشر مليونا؟ !، والذي يقر هذه الحقيقة، ويؤكد على صدق الإحصاءات الرسمية، ليس كاتبا إسلاميا، وليس مرجعا كتبه مسلم، وإنما هو مرجع في المعلومات والإحصاءات كتبه اثنان من النصارى، أحدهما فرنسي- هو فيليب فارج- رئيس المركز الفرنسي بمصر- والثاني لبناني- هو رفيق البستاني- ففي هذا المصدر (أطلس معلومات العالم العربي: المجتمع والجغرافيا السياسية)- والذي نشرته دار نشر قومية- وليست إسلامية- هي «دار المستقبل العربي! سنة ١٩٩٤م». في هذا المصدر الحجة، نقرأ تحت عنوان (أقباط مصر) ما يؤيد ما سبق.

«ويصرخ الدكتور عمارة مفسرا تناقص أعداد المسيحيين:

الحقيقة أن أقباط مصر، شأنهم في ذلك شأن مسيحيي الشرق الآخرين، سبقوا المسلمين إلى تخفيض عدد المواليد، ولذلك قد هبطت نسبة عدد الأقباط بالنسبة للعدد الكلى للسكان من ٣ , ٧٪ في سنة ١٩٦٠ م إلى ٩ , ٥٪ في عام ١٩٨٦ ». تلك هي الحقيقة، كما أعلنها العلماء المحايدون، المتدينون بالنصرانية، من غير المصريين!!

لكن الهدف- من الكذب الفاجر- هو «تضخيم الورقة»، التي تتحول!- بالكذب أيضا- إلى عقبة أمام الهوية الإسلامية للدولة والمجتمع والدستور والقانون!!.

***

يؤكد المستشار طارق البشري ما سبق ، ويضيف إليه في كتابه «الجماعة الوطنية: دار الهلال- أبريل ٢٠٠٥»فيقول:

واطرد التعداد كل عشر سنوات ، فجاء تعداد سنة ١٩٧٦ باجمالى عدد السكان نحو ستة وثلاثين مليونا وستمائة وستٍ وعشرين ألف نسمة ، المسلمون منهم نحو أربعة وثلاثين مليونا وثلاثمائة وأربعين نسمة بنسبة حوالي ٧ , ٩٣٪ من الإجمالي والمسيحيون عددهم حوالي مليونين ومائتين وخمس وثمانين ألف نسمة بنسبة ٢٤ , ٦٪ من السكان. وفى تعداد سنة ١٩٨٦ بلغ العدد الإجمالي للسكان نحو ثمانية وأربعين مليونا ومائتين وأربع وخمسين ألف نسمة ، المسلمون منهم يبلغون نحو خمسة وأربعين مليونا ومائتي ألف نسمة بنسبة لا تقل عن ٩٤٪ من السكان ، والمسيحيون عددهم لا يجاوز ثلاثة ملايين نسمة بنسبة لا تجاوز ٦٪ من سكان ، وفى تعداد سنة ١٩٩٦ بلغ الإجمالي العام نحو تسعة وخمسين مليونا وثلاثمائة وثلاثة عشر ألف نسمة ، بنسب مسلمين وأقباط مشابهة ، ورأت الحكومة عدم إذاعته لئلا يتكرر اللغط في هذا الشأن مثلما حدث في سنة ١٩٧٦ عندما نشرت نتائج تعداد سنة ١٩٧٦ مبينا أن عدد الأقباط في مصر لا يجاوز٢ , ٣مليون نسمة بنسبة لا تجاوز ٢٤ , ٦٪ من الإجمالي ، وقد أثار بعض من أقباط المهجر القاطنين في الغرب ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية بخاصة ، هذا الأمر مثيرين الشكوك حول صوابه ، وانعكس ذلك في الصحف الغربية وفي استقبالات الرئيس السادات في زياراته للولايات المتحدة ، وأثير الموضوع في مجلس الشعب ، فتشكلت لجنة لتقصى الحقائق بالمجلس لدراسة نتائج التعداد ومناقشة المسئولين عن إعداده في الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، وكان ذلك في عدة جلسات أهمها الاجتماع الثالث التي انعقد في ١٥ يونيه سنة ١٩٨٠ برئاسة وكيل مجلس الشعب السيد محمد رشوان محمود، وكان أعضاء اللجنة وهم من أعضاء مجلس الشعب هم الأساتذة مختار هاني ووجيه

لورانس ود. حلمي الحديدي ونشأت كامل برسوم. وحضر الاجتماع الفريق جمال عسكر رئيس الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، وذكر رئيس الجهاز المركزي في شروحه لعملية التعداد أن من اشترك في عملية التعداد كانوا حوالي ٧٠ ألف فرد وظهرت نتائجه في ٨١ مجلدًا، وشرح مراحل التدريب للعاملين بالتعداد وإجراءات العملية، وإن البيانات تتحول إلى أرقام رمزية ويجرى التعامل بهذه ا لأرقام، وأن إحدى استمارات التعداد تبين منها أن شخصا مسيحي وأن زوجته مسلمة فبقى البيان كما هو، وإن مسيحيين كثيرين اشتركوا في عملية التعداد ومنهم وكيل وزارة هو السيد/ موريس حنا غبريال كان هو المسئول تقريبا عن تعداد الوجه البحري كله. كما ذكر أن نسب المسلمين والمسيحيين في التعداد لم تتغير على مدى ثمانين سنة، وبيانات المسيحيين تشمل كل الطوائف المسيحية بما فيها الأجانب، وأن نسبة المسيحيين كانت في تعدادي ١٨٩٧ و ١٩٠٧ كانت في حدود ٦,٣٪، ثم ارتفعت في التعدادات الثلاث التالية (١٩١٧، ١٩٢٧، ١٩٣٧) إلى أكثر من ٨٪ نتيجة ضم جيش الاحتلال الإنجليزي بما يشمله من أسر إلى المسيحيين، وبقى الأمر كذلك تقريبا في تعداد ١٩٤٧ بسبب انتشار قوات الاحتلال الإنجليزي في أنحاء مصر وما يتبع ذلك من تواجد أسرهم، فضلا عن التبعيات الأجنبية المختلفة ذات الديانة المسيحية في غالبها، وكان ثمة مجموعات من الأجانب المسيحيين الذين أقاموا في مصر لمدد طويلة ثم تمصروا بعد إلغاء الحماية على مصر في سنة ١٩٢٢ وإلغاء المحاكم المختلطة. وذكر أنه كما أن الزيادة في نسبة الأقباط من ٦,٣٪ إلى ما يجاوز ٨٪ لم يكن نتيجة نمو طبيعي إنما يرجع إلى الهجرة إلى مصر قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها، فكذلك فإن الانخفاض النسبي في نسبة الأجانب من سنة ١٩٦٠ يعكس هجرة الأجانب والمتمصرين من مصر بعد ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ومع تصفية كثير منهم أعمالهم في مصر، وبخاصة بعد حرب سنة ١٩٥٦ ومع قرارات

التأميم التي صدرت منذ عام ١٩٦١، ثم الهجرة المسيحية شبه المنظمة إلى الخارج بعد حرب ١٩٦٧ للاستيطان في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ». وذكر في حديثه أيضا أمام اللجنة أن جميع التعدادات المصرية التي أجريت قبل سنة ١٩٤٧ كان أشرف عليها خبراء إنجليز وفرنسيين، وإن مدير الإحصاء في تعداد ١٩٠٧ كان فرنسيا ، ومدير الإحصاء في ١٩١٧ كان إنجليزيا ، وهو الذي أشرف على تعدادي ١٩٢٧ و ١٩٣٧ ويدعى مستر كريج ، وأن رئيس الإحصاء آنذاك كان حنين بك حنين ، وهو قبطي مصري ، ثم قدم إلى لجنة تقصى الحقائق بيانا بالإخوة المسيحيين الذين اشتركوا في التعداد (يقصد تعداد ١٩٧٦ لم سواء في اللجنة التحضيرية أو في التنفيذ الميداني ، أو في التعداد التجريبي والمراجعة وأعمال الإدارة ، وذكر أن نسبة المسيحيين إلى المسلمين تكاد تكون واحدة ، ذلك لأن نسبة نمو السكان واحدة ، سواء لدى المسلمين أو لدى المسيحي. ثم ذكر أن وصله خطاب سب من شوقي فلتاؤس كراس المقيم في الولايات المتحدة يتهمه فيه بتزوير البيانات ويطلب محاكمته ، وأنه رد عليه بما يوضح نسبة تسلسل السكان المسيحيين إلى المسلمين على مدى مائة سنة(...) .

وكان ممن عقبوا على هذا حديث السيد روجيه لورانس عضو لجنة تقصى الحقائق الذي ذكر: «أنه خلال السنوات العشر السابقة على التعداد الأخير ، لاشك أن هناك أعدادا مهولة من الشبان الأقباط قد هاجروا وأقاموا في بلدان أخرى كأمريكا وأستراليا».

***

من حقي إذا بعد هذا الاستعراض المفصل لأعداد الأقباط في مصر أن أسأل بني قومنا النصارى الذين أوصانا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

إنهم يحصلون بالفعل على أكثر من حقوقهم بكثير في بحر من سماحة إسلامية بلا حدود.

أم أنهم يستقوون بالأجنبي ليحصلوا على باقي حقوق المسلمين.

و إلى أي مدى يبلغ هذا الاستقواء.

هل يبلغ إلى مدى الاستعمار الكامل لمصر.

ويجب أن نعترف أنهم حصلوا في عهود الاستعمار على مزايا تتجاوز عددهم بصورة ظالمة، فهل يحن بعضهم إلى أيام الاستعمار؟ .

أي تمثيل نسبي و أي حقوق إذن؟ .

النسب السابقة لم نوردها نحن ولم ندَّعِها، لقد سجلها المندوب السامي البريطاني ووجهها إلى حكومته في عام ١٩١١ وهو مسيحي وليس مسلما!!.

وعلينا أن نلاحظ هنا أن الأقباط الذين كانوا وما يزالون يتمتعون بنسبة من الثروة والوظائف والمهن تفوق عشرة أضعاف نسبتهم العددية ، لم يقنعوا بهذا ، إنهم يريدون أكثر، لكن إلى أي حد؟ !، لم يقولوا حينها ولكن بعضهم يقولونها الآن: يريدون كل شيء!! إلى حد طرد المسلمين من مصر!! لأن المسلمين أتباع دين بدوي وافد!!، وكأنما الأديان محلية، وكأنما عبد الله المسيح عيسى ابن مريم قد أرسل إلى مصر، ولماذا هم مسيحيون إذن وقد أرسل عبد الله سيدنا عيسى في فلسطين؟ ! لماذا والمسيحية دين وافد أيضا.. لماذا يمارسون الإسقاط والاستهانة برعي الغنم وبالبدو وهم يقصدون بذلك العرب والصحابة عليهم رضوان الله وسلامه؟ ألم يرع كل الأنبياء الغنم حتى اعتبر رعي الغنم من خصائص وعلامات النبوة؟ في كلمة واحدة لعبدة الشيطان : ألم يرع عبدا الله موسى وعيسى عليهما السلام الغنم؟ ؟ .

***

من حقي أن أسأل بني قومنا النصارى الذين أوصانا بهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم:

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

ينقل الدكتور محمد عمارة عن كتاب «آدم متز»: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري«ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط بيروت-٦٧:

لقد درس المستشرق الألماني الحجة «آدم متز»(١٨٦٩-١٩١٧ م) تاريخ المجتمعات الإسلامية، ورأى كيف كانت الدولة وأجهزتها الحساسة في أيدي الأقليات النصرانية، فكتب يقول:

لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام.

***

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

يواصل د عمارة أن الأرقام- التي لا تكذب ولا تجامل- تعلن أن الأقلية القبطية- التي لا تتعدى الثلاثة ملايين- (وقت نشر كتابه) هي الحاكمة الفعلية في المجتمع المصري- الذي يزيد تعداده على الستين مليونا!!- فهم يملكون ويمثلون: ٥ ,٢٢٪ من الشركات التي تأسست بين عامي ١٩٧٤ م و ١٩٩٥ م !.

- و ٢٠٪ من شركات المقاولات في مصر.
- و ٥٠٪ من المكاتب الاستشارية.
- و ٦٠٪ من الصيدليات.
- و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة.
- و٣٥٪ من عضوية غرفة التجارة الأمريكية، وغرفة التجارة الألمانية.
- و ٦٠٪ من عضوية غرفة التجارة الفرنسية (منتدى رجال الأعمال المصريين والفرنسيين.
- و ٢٠٪ من رجال الأعمال المصريين.

- و ٢٠٪ من وظائف المديرين بقطاعات النشاط الاقتصادي بمصر،

- وأكثر من ٢٠٪ من المستثمرين في مدينتي السادات والعاشر من رمضان.

- و ٩، ١٥٪ من وظائف وزارة المالية المصرية.

- و ٢٥٪ من المهن الممتازة والمتميزة- الصيادلة والأطباء والمهندسين والمحامين، والبيطريين.

أي أن ٩ , ٥٪ من سكان مصر - الأقباط- يملكون ما يتراوح بين ٣٥٪ و ٤٠٪ من ثروة مصر وامتيازاتها ؟ !.

الدكتور محمد عمارة لم يؤلف هذه النسب، بل لقد استقاها من مصادر بعضها أكثر نصرانية من النصارى، كروز اليوسف، نعم، كل الإحصائيات السابقة منقولة عن: تقرير «روزاليوسف» واتحاد المهن الطبية، و«اتحاد المقاولين»و«مجلة المختار الإسلامي»عدد ١٥ ربيع الأول سنة ١٤١٩ هـ- يوليو سنة ١٩٩٨ م. وجمال بدوى (الفتنة الطائفية) ص ١١٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢ م،

فأي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

***

ترى كم هي نسبة الأقباط في الأمية وفي سكنى المقابر وفي البطالة وفي المعتقلات وفي المقتولين من التعذيب؟ ؟ وكم نسبتهم في الجامعات، كم نسبتهم في أصحاب البلايين وكم نسبتهم في أصحاب الملايين.

كم نسبتهم،

كم نسبة الكنائس إلى عدد السكان؟ و أيها أكثر.؟

نسبة الكنائس أو نسبة المساجد؟ ؟ ولماذا لم يتطرق الأقباط إلى هذه التساؤلات قط.

كم نسبتهم.

ثــم أن المســلمين ســيطالبون حكومــاتهم الفاســدة الفاسـقة العــاجزة العميلـة، بمساواة المساجد بالكنائس، وجعلها قلاعا لا يعرف أحد ماذا يجري فيها، وبتمكين كل مسجد من إنشاء فرقته المسرحية و إصدار صحيفته!!، بل قد يفكر البعض بـأن العدل يقتضي باعتماد نسبة المسيحيين التي يقولونهـا هـم بألسـنتهم، ليكـون لهـم في المعـتقلات دون محاكمـة ثلاثـة آلاف أو أربعـة آلاف، و أن يعـدم مـنهم – بأحكـام عسكرية – عشرون أو ثلاثون، و أن ينكل بهم ويعذبوا كما ينكل بالمسلمين!!.أو بأن تفتح الكنائس قبل الصلاة بخمس دقائق وتغلق بعدها بخمس دقائق، تحت رعاية مباحث أمن الشيطان.

أما عن تمثيلهم في المجالس النيابية فلماذا لا يعرضون أنفسهم على الناس؟ لماذا لا يتقدمون للترشيح؟ لماذا يقتصر جهدهم على لطم الخدود وشق الجيوب لأن الحزب الوطني لا يرشحهم على قوائمه، والحزب الوطني لا يرشحهم لأنهـم انفصـلوا عـن الناس، وسوف يفقد الحزب المقعد الذي يرشحهم عليه، كما أنهم يعلمون أن نـواب الحزب ينجحـون في الأغلـب الأعـم بـالتزوير. لقـد كـان نـواب الأقبـاط ينجحـون بأصوات المسلمين عندما كانوا يدافعون عن الأمة والوطن والشرف والكرامـة، بـل وعن المسيحية الأرثوذكسية أيضا، لكن، بعد أن انضموا إلى أمريكا و إسرائيل، بعـد أن خرجوا على إجماع الأمة وخانوها في لحظة حرجة من لحظـات التـاريخ لـن تنسـى لهم أبدا، و أظن الوقت الذي سيبدؤون دفع الثمن فيها قد اقترب إن لم يكن قـد بـدأ بالفعل.

نعم، بعد هذا كله أصبح من الصعب جـدا إن لم يكـن مـن المستحيل أن يحصـلوا على أصوات المسلمين، بل ولا على أصوات المسيحيين الشرفاء أيضا.

***

إن المسلمين يسجنون ويطاردون ويعتقلون ويعذبون ويقتلـون في أمريكـا لمجـرد

أنهم مسلمون، فهل عانى المسيحيون طيلة عهود الدولة الإسلامية مثل ذلك؟ !.

***

كنت أراقب بعض الوجوه على شاشة التلفاز تتحدث، أعترف أن بعضها كان من روز اليوسف، وبعضها من حزب التجمع وبعضها من الحزب الوطني، أما البعض الآخر فهو وجه النخبة العلمانية من أدعياء الثقافة. كنت أراقب الوجوه جزعا فزعا، قلت لنفسي : ليس لهم من البشر إلا الإهاب، كل شيء فيهم لم يتعفن ويتنتن فقط بل قد ذوى وتلاشى أيضا، إنهم كتلك الحيوانات المحنطة التي تحنط بإتقان شديد، حيث يفرغ داخلها كله وتحشى بالقش، نعم، لا روح ولا عقل ولا قلب، فقط القش، لا شيء له قيمه، فقط القش، كنت أتأمل الوجوه في فزع وخلاياي تصرخ: شاهت الوجوه، شاهت الوجوه، شاهت الوجوه وانعدمت الضمائر، كانوا بلا روح وكانت رائحة عفنهم تتسلل عبر شاشة التلفاز إليّ، كنت أعرف أن صفقة كهذه لا يمكن أن تتم إلا بمباركة الشيطان وتوجيهاته ورعايته، الشيطان أصلا لا فرعا وحقا لا مجازا، كنت أستعيد بعض قصيدة لأمل دنقل:

تُرى، حين أفقأ عينيك و أضع جوهرتين مكانهما.

تُرى، هل تَرى.

هي أشياء لا تُشترى.

قلت لنفسي، بل لم تكونا جوهرتين، كانا كيسين من القش.

***

الأقباط جزء من نسيج الشعب المصري، ليسوا أكفأ أو أكسل، ولا هم أذكى ولا أغبى، وكان الوضع الطبيعي أن يتمتعوا بنسب من الثروة والأعباء تتناسب مع عددهم، ولكن الاستعمار الصليبي خلق هذا الخلل الشديد وجعلهم يتمتعون بعشرة أمثال نسبتهم العددية لخلق وضع غير قابل للاستمرار، لزرع شحنة قابلة

للانفجار في أي وقت، لكن ساحة الإسلام والمسلمين تغاضت عن هذا كله، دون أي محاولة لتغيير الوضع أو إزالة الظلم الواقع عليهم من واقع مقلوب، ولم يحاولوا تغييره ولا حتى بالانحياز الاقتصادي لإخوانهم من المسلمين أو مقاطعة الأقباط.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ .

إن نسبة الكنائس إلى السكان أعلى من نسبة المساجد، فحسب التقرير الاستراتيجي للأهرام لسنة ١٩٩٩ ، فإن هناك كنيسة لكل سبعة عشر ألف قبطي ، بالمقابل هناك مسجد لكل ثمانية عشر مسلم.

ويعلق الدكتور عمارة على ذلك قائلا: إذا كانت نسبة الكنائس لعدد النصارى تكاد أن تساوى نسبة المساجد لعدد المسلمين. فإن الواقع يقول: إن الكنائس مفتوحة على مدار النهار والليل، والمساجد تغلق عقب الصلاة، ومنبر الكنيسة حر كل الحرية، ومنبر المسجد مؤمم، لا يرقاه إلا من ترضاه وترضى آراؤه «الأجهزة»!، والشباب القبطي المتدين ينام في بيته آمنا، ونظيره المسلم يعيش في رعب قوائم «الاشتباه »!، وأروقة الكنائس مفتوحة أمام التبتل النصراني- وحتى الرهبنة- بينما الشاب المسلم إذا أراد الاعتكاف بالمسجد في رمضان، لا يتاح له ذلك إلا إذا تقدم بصورة البطاقة إلى «الأجهزة»، التي تضعه- فورا- في القوائم المرشحة لما يعرفه الجميع!!، وأوقاف الكنائس قائمة، وفى نمو- وهى تحفظ لها استقلال الموقف والتوجه والقرار-، بينما أوقاف المساجد والأزهر ومؤسسات الخير الإسلامية، قد أممت، واغتالتها البيروقراطية الحكومية، واغتالت معها حرية هذه المؤسسات في التوجه والقرار!!.

***

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

والمسلمون يتمنون المساواة بالأقباط على كافة المستويات.

أما الأمل في أن تتساوى الأقليات الإسلامية في العالم بمثل ما تتمتع به الأقلية القبطية في مصر فيبدا مستحيلا.

***

من حقي أن أسأل بني وطننا من النصارى الذين أوصانا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

أسألهم جميعا و على رأسهم البابا.

أستثني من السؤال فقط الفجرة من نشطاء المهجر وهم ليسوا أقباطا بل مجرمين وعملاء وجواسيس وهم مستعدون للقدوم على ظهر الدبابات الأمريكية لينكلوا بالشعب كله مسلمين و أقباط.

أسأل أي حقوق.

أسألهم.

أسأل البابا شنودة أي حقوق مهضومة لهم و أي مظالم مدعاة تقع عليهم،

وليذكر لي البابا. أو أي واحد من الأقباط أقلية مدللة كما يدلل الأقباط في مصر.

بل هاتوا لي أقلية مسلمة تتمتع بمعشار ما يتمتع به الأقباط في مصر.

هل يتمتع المسلمون في الهند أو الصين أو حتى أوروبا و أمريكا بما يتمتع به الأقباط في مصر؟

يبلغ عدد المسلمين في الهند مائة مليون (١٥٪ من السكان) يذبحون ويحرقون أو يغرقون أحياء وينكل بهم أيما تنكيل.

وفي الصين يبلغ عدد المسلمين ١٢٠ مليونا (١١٪ من السكان) وقبل أن يتشكك القارئ في العدد الهائل عليه الرجوع إلى كتاب نشره كتاب اليوم (أكتوبر

٢٠٠٥) بعنوان «المسلمون في الصين». وسلسلة كتاب اليوم هذه ليست تابعة لطالبان ولا للشيخ المجاهد أسامة بن لادن ﷺ بل لمؤسسة أخبار اليوم، وهي مؤسسة نبتت في البداية في رحم الأمريكيين، ولم تثر حولها طيلة تاريخها أية شبهة للتعاطف مع الإسلام أو المسلمين.

ينال المسلمون في الصين حقهم الكامل من السحق والتذويب رغم أن نسبة عددهم تصل إلى ضعف نسبة عدد الأقباط في مصر.

وفي روسيا حوالي أربعين مليونا من المسلمين (٢٠٪ من السكان) ينكل بهم منذ ثلاثة قرون على الأقل، سحقوا وحرموا من ممارسة أي شعيرة من شعائر دينهم وكان القتل نصيب من يكتشفون أنه ما يزال مسلما، نعم، عانى المسلمون في روسيا من شتى صنوف التعذيب والاضطهاد ومنعوا من إقامة الصلاة والصيام والحج والزكاة حتى الكتب الدينية والمصاحف لم تسلم من الروس فمنعوا طباعتها، وتم إنشاء مدارس لتلقين أصول الإلحاد وخلق جيل إسلامي لا يعرف عن الدين شيئا وانتشرت الكتب والمجلات التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين.

وعندما حاولت أذربيجان المسلمة الاستقلال تعرضت لحرب صليبية حتى يخبو صوتها، وفي الشيشان تعرض أهلها لشتى أفانين البطش والتعذيب فكان يتم نقل الأهالي في عربات الماشية ويتم إلقاؤهم بمجاهل الصحراء وتعرضوا لشتى أنواع التعذيب والتصفية الجسدية وتم طرد المسلمين من منازلهم وضياعهم واستولوا على ممتلكاتهم.

***

نعم، كان عدد المسلمين داخل ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي أربعين مليونا، ويلاحظ أن عدد الولايات أو الأقاليم ستة عشر، منها ستة أقاليم يمثل المسلمون فيها أكثرية تبلغ في بعضها ٩٥٪ وبالطبع تلاشت هذه الأكثرية وتحولت إلى أقلية؛

فألغيت المحاكم الشرعية في المناطق الإسلامية عام ١٩٢٦م، ومنعت الأنشطة الإدارية الدينية، واشتدت حملات الإرهاب الشرسة ضد المسلمين فاعتقل ابتداء من عام ١٩٢٨م أكثر من مليون ونصف المليون من المسلمين، وفي عام ١٩٢٩م أغلقوا وهدموا أكثر من عشرة آلاف مسجد، وأكثر من أربعة عشر ألف من المدارس الإسلامية. واتبعت الشيوعية أساليب ترجو من ورائها إذابة المسلمين وتمييع كيانهم، وكان لمحنة الأقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتي أبعاد ذات خطورة لا يتصورها عقل بشري وخاصة ونحن في القرن العشرين؛ حيث هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، ولجنة حقوق الإنسان والقانون الدولي العام.

وفي بلغاريا يتم إجبار المسلمين على تغيير أسمائهم.

دعنا من أسبانيا، فلم يعد فيها أية أقلية مسلمة، أبيد الجميع أو طردوا بعد أن سُرقوا ونكل بهم.

وفي كل من بورما و الفليبين يبلغ عدد المسلمين ٦٪ وفي الغابون ٥٪ وفي جبل طارق ٨٪ وفي رواندا ١٤٪ وفي رومانيا ٢٠٪ وفي فرنسا ٧٪ وفي الفليبين ١٤٪ وفي زامبيا ١٥٪ وفي زيمبابوي ١٥٪وفي الولايات المتحدة الأمريكية ٥ , ٣٪ (حوالي عشرة ملايين) وفي ليسوتو ١٠٪ وفي فيجي ١١٪ وفي بنما ٤٪ وفي غويانا ١٥٪ وفي يوغسلافيا (صربيا) ١٩٪ وفي سيريلانكا ٩٪ وفي منغوليا ٦ , ٥٪ وفي بتسوانا ٥٪ وفي السويد ٦ , ٣٪ وفي سويسرا ٥ , ٤٪ وفي ناميبيا ٥٪ وفي نيبال ٤٪ وفي النمسا ٥٪ وفي النيجر وفي ترينداد وتوباغو ١٢٪ وفي جورجيا ١١٪ وفي أنجولا ٢٥٪ وفي إندونيسيا ٨٨٪ وفي أوزبكستان ٨٨٪ وفي أوغندا ٣٦٪ وفي إيران ٩٩٪ وفي باكستان ٩٧٪ وفي البحرين ١٠٠٪ وفي الإمارات ٩٦٪ وفي أثيوبيا ٦٥٪ وفي إريتريا ٨٠٪ وفي أفغانستان ٩٩٪ وفي جمهورية أفريقيا الوسطى ٥٥٪وفي ألبانيا

٨٠٪ وفي بروناي ٦٧٪ وفي بريطانيا ١ , ٥٪ وفي بلجيكا ٤٪ وفي بلغاريا ٣٥٪ وفي بنجلاديش ٨٣٪ وفي بينين ٢٠٪ وفي بوركينوفاسو ٥٠٪وفي بوروندي ٢٠٪ وفي البوسنة والهرسك ٤٣٪ وفي تركمانستان ٨٧٪ وفي تركيا ٨ , ٩٩٪ وفي تشاد ٦٥٪ وفي تنزانيا ٦٥٪ وفي توغو ٥٥٪ وفي تونس ٩٨٪ وفي الجزائر ٩٩٪ وجزر القمر ٩٨٪ وفي جيبوتي ٩٤٪ وفي ساحل العاج ٦٠٪ وفي السعودية ١٠٠٪ وفي سنغافورة ٢٥٪ وفي السنغال ٩٥٪ وفي سوازيلاند ١٠٪ وفي السودان ٨٥٪ وفي سوريا ٩٠٪ وفي سورينام ٢٥٪ وفي سيراليون ٦٥٪ وفي الصحراء الغربية ١٠٠٪ وفي الصومال ١٠٠٪ وفي طاجكستان ٨٥٪ وفي عمان ١٠٠٪ وفي العراق ٩٧٪ وفي غامبيا ٩٠٪ وفي غانا ٣٠٪ وفي غينيا ٩٥٪ وفي غينيا الاستوائية ٢٥٪ وفي غينيا بيساو ٧٠٪ وفي فلسطين المحتلة قبل ٦٧: ١٢٪ وفي غزة والضفة ٨٥٪ وفي قازاقستان ٥١٪ وفي قبرص ٣٣٪ وفي قرقزستان ٧٦٪ وفي قطر ١٠٠٪ وفي الكونغو ١٥٪ وفي الكويت ٨٩٪ وفي الكاميرون ٥٥٪ وفي كينيا ٥ , ٢٩٪ وفي لبنان ٧٠٪ وفي ليبيريا ٣٠٪ وفي ليبيا ١٠٠٪ وفي مالطا ١٤٪ وفي المالديف ١٠٠٪ وفي مالي ٩٠٪ وفي ماليزيا ٥٢٪ وفي المجر ٦٪ وفي مدغشقر ٢٠٪ وفي مصر ٩٤٪ وفي المغرب ٩٩٪ وفي مقدونيا ٤٠٪ وفي ملاوي ٣٥٪ وفي موريتانيا ١٠٠٪ وفي موريشيوس ٢٠٪ وفي موزمبيق ٢٩٪ وفي نيجيريا ٧٥٪ وفي اليمن ٩٩٪. (بتلخيص شديد وتصرف عن: جمعان بن عبدالله الغامدي).

أسأل البابا شنودة و أي قبطي مصري هل يتمتع المسلمون في أي من هذه البلاد بما يتمتع به الأقباط في مصر،

بل لقد بلغ الأمر أن هناك بلادا كالحبشة يصل تعداد المسلمين فيها إلى ٦٥٪ وهم محرومون من حقوقهم السياسية حرماناً كاملاً، لا وزير لهم في الحكم، ولا رجل في منصب حيوي. ولا يدرس لأبنائهم الإسلام في مدارس الدولة التي

يشرف عليها النصارى، ولا يتاح لهم أن يفتحوا مدارس لتعليم أبنائهم القرآن والدين.

وفي فرنسا، قلب الحضارة الغربية، تقوم دعوة متزايدة تنادي بطرد المسلمين من فرنسا، وارتكب أصحاب تلك الدعوة أعمالا وحشية، فألقت بخمسة من المسلمين من قطار «المترو »أحياء، أثناء سير القطار، فقتلوا على التو. وتهاجم مظاهراتهم المسلمين – والنساء المحجبات خاصة – في طرقات باريس، مدينة النور، وإحدى كبريات عواصم «العالم الحر »! هذا والمسلمون في فرنسا هم الأغلبية الثانية بعد النصارى، ويبلغ عددهم خمسة أو ستة ملايين.

ليعطينا البابا شنودة المثل الذي يريدنا أن نحتذيه.

ليختر أي أقلية في هذا العالم المترامي الأطراف ويقول لنا: عاملونا مثل هؤلاء!!.

***

أسأل البابا شنودة ألا يخشى من النار التي يشعلها رعاياه في الداخل والخارج؟ !.

أسأله ألا يخشى أن ينفد صبر المسلمين الذي يبدو فعلا بل حدود.

أسأله ألا يخشى أن رد الفعل لا يكون دائما من علماء يلتزمون بقواعد الشرع، بل ربما يأتي من عامة الناس غضبا لدينهم واحتجاجا على استفزاز مجرم يمارسه مجرمون من الأقلية ضد الأغلبية، ألا يخشى أن قوات الأمن التي حمت الكنائس والأقباط – بمساعدة الأهالي المسلمين – هذه المرة يمكن تحت وطأة الاستفزاز الفاجر أن تنضم إلى الجماهير في المرة القادمة.

هل يتصور مدى المذبحة.

ألا يخشى البابا شنودة على نفسه.

إنني أقرأ المستقبل من كتاب مفتوح كما قرأته في حرب الخليج و أنذرت دون مجيب.

نعم،

أقرأ المستقبل.

مصر الآن ليست الهدف المباشر، و إنما يتم التسخين فيها فقط.

الدور المباشر الآن على سوريا، تتلوها السودان، تتلوها إيران، ثم يأتي دور مصر ليسبق القضاء المبرم على السعودية.

أقرأ المستقبل لا اطلاعا على الغيب ولا تنجيما ولا كهانة و إنما أستعمل عقلا وهبنيه الله فأرى كيف سيتم إشعال الفتنة في مصر.

نعم، سيتم اغتيال اثنين أو ثلاثة لينفجر بعدها طوفان الدم.

سوف يتم اغتيال البابا شنودة، والدكتور يوسف القرضاوي وعمرو خالد، لتبدأ عاصفة الشيطان التي يحملها إلى العالم رسول الشيطان : بوش!!..

لكن يبدو أن البابا شنودة متورط في المشروع الغربي بأكثر مما نظن.

لكن هذا التورط للأسف – وربما العكس!!- ليس دينيا.

كما أن ثقته في هذا المشروع الغربي أكثر مما يجب.

لذلك يلجأ باستمرار إلى التصعيد والصدام، غير مدرك أن نهايته ستكون في موجة من موجات ذلك التصعيد، على يد عميل للموساد أو المخابرات الأمريكية، ثم يتم اتهام مسلم، ويأتي الخنزير ميليس، ويكون البابا قد خدم «شعبه القبطي!!»حيا وميتا، يكون قد خدم شعبه ودمر أمته ووطنه.

***

نعم

يستقوي أقباط المهجر بالعدو، بالأمريكيين و إسرائيل.

ولقد صمد معظم الأقباط المصريين للغواية طيلة التاريخ، ولم يبدأ انهيارهم إلا منذ نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، للأسف مع مجيء البابا شنودة. الذي تنكب

عن إعطاء ما لقيصر لقيصر، بل ازدرى قيصر العربي واستهان به وابتزه واستقوى بالرومان عليه حتى أصبح كأنه هو القيصر!!.

قبل الإسلام كان القبط ينظرون إلى المسيحيين الرومان ككفرة. وكان هذا هو السبب في ترحيبهم بالمسلمين عند فتح مصر، واستمر هذا الموقف أثناء الحروب الصليبية، حيث انضم القبط إلى المسلمين في دحر العدو، بل إن الخط الهمايوني الذي لا يكفون عن الصراخ منه والتنديد به وفضحه كان مطلبا ملحا من الأقباط إلى الباب العالي لحمايتهم من الأمريكيين الذين كانوا قد بدؤوا يبنون عشرات الكنائس في صعيد مصر في القرن التاسع عشر (نفس توقيت إنشاء الجامعة الأمريكية في بيروت). ويعلق الأستاذ جمال سلطان في مقال له بمجلة المنار على ذلك بأن الخط الهمايوني إنما تم بطلب ملح ومتكرر من قبط مصر ، وبعد استغاثات للكهنة والوجهاء الأقباط في مصر إلى الباب العالي لحمايتهم من الغزو الكنسي الكاثوليكي والبروتستاني الذي انتشر في مصر انتشار النار في الهشيم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأصبحت الكنيسة الأرثوذكسية المصرية مهددة بالانقراض بعد تحول أعداد كبيرة من أتباعها إلى الكاثوليكية والبروتستانتية ، وللمعلومية ما زالت هذه المخاوف تقض مضاجع الكنيسة المصرية وفي خاطرها دائما واقعة الأب دانيال البراموسي الذي انشق عنها ومعه عشرة آلاف قبطي تحولوا جميعا إلى الكاثوليكية، المهم أنه بعد أن بدأت قوات الغزو الأجنبي في تعزيز ودعم بناء الكنائس الأخرى ، استغاث أقباط مصر بالباب العالي وناشدوه وقف بناء مثل هذه الكنائس وحظر البناء أو الترميم إلا وفق شروط مشددة ، فاستجاب الباب العالي بعد إلحاح كبير ، وعندما صدر هذا القرار اعتبرته الكنيسة المصرية عيدا ويوما تاريخيا.

بيد أن الدكتور محمد عمارة يفاجئنا مفاجأتين هامتين في كتابه: «في المسألة القبطية: حقائق و أوهام»دار الشروق القاهرة.

نعم.

يفاجئنا بمفاجأتين خطيرتين: الأولى أن الخط الهمايوني الذي لم يكفوا عن تشويهه والتنديد به كان إصلاحا هائلا نتمنى أن يطبق على الأقليات المسلمة حتى الآن.

أما المفاجأة الثانية فهي أن القانون لم يطبق في مصر على الإطلاق.!!

ويكاد الدكتور محمد عمارة يتفتت من الألم وهو يصرخ:

- اكذب، ثم اكذب، فإنك لابد واجد من يصدقك!!

تلك كانت فلسفة النازية والفاشية في الثقافة والإعلام، ترديد أكاذيب، والإلحاح على عقول الناس بتكرار هذه الأكاذيب، حتى يصدقها الناس، بل وتصبح عندهم من البديهيات والمسلمات!، ولقد كانت تتوارد إلى خاطري هذه المعاني كلما سمعت أو قرأت- بصدد الهجوم على مصر، والتهجم على حكومتها- أن مصر مازالت- بعد نحو قرن من زوال الدولة العثمانية- تطبق على مواطنيها الأقباط قانونا عثمانيا- صدر سنة ١٨٥٦ م- اسمها الخط الهمايوني!، وأن بناء الكنائس في مصر لا يزال إلى الآن محكوما ببنود هذا الخط الهمايوني!، وكان عجبي يتزايد، ليس فقط من الكذب والكاذبين، وإنما من حكومتنا التي تنفق بسخاء على طوابير من المثقفين ومن ترزية القوانين، كيف لا تفكر هذه الحكومة في تحقيق هذا الأمر، لنفى ودحض هذه الأكذوبة، التي غدت سبة في جبينها، يرددها صباح مساء العملاء من أقباط المهجر، والأعداء في دوائر الكونجرس الأمريكي، واللوبي الصهيوني في أمريكا(...) وإذا كان الهدف هو تجلية الحقيقة، لنفى ودفن الأكذوبة، فلنبدأ بتعريف القارئ بمعنى هذا (الخط الهمايوني). إن معنى كلمة الخط هو القانون، ومعنى الهمايوني هو الشريف، «الخط الهمايوني»إذن هو القانون السلطاني الشريف والمعظم. وهذا الخط الهمايوني، هو واحد من القوانين الإصلاحية- التي سميت بالإصلاحات الخيرية- تلك التي أصدرها السلطان عبد المجيد خان

(١٢٥٥- ١٢٧٧هـ) لإنصاف الأقليات غير الإسلامية من رعايا الدولة العثمانية، وإزالة مظاهر التمييز بينهم وبين المسلمين، وتقرير المساواة بين كل رعايا الدولة، بصرف النظر عن العقيدة الدينية، (...) أي أن هذا الخط الهمايوني، قد صدر ليحقق الإنصاف والإصلاح، سدا لثغرات التدخل الاستعماري في شئون الدولة، تلك الثغرات التي كانت متمثلة في الأقليات ذات الارتباطات والعلاقات المذهبية مع القوى الاستعمارية الكبرى في ذلك التاريخ- القيصرية الروسية، وفرنسا، وإنجلترا، ولقد نص هذا الخط الهمايوني على ضرورة رفع المظالم المالية عن النصارى، سواء تلك التي كانت لحساب جهاز الدولة أو لحساب كبار رجال الدين في طوائف هؤلاء النصارى ففي هذا القانون تقرر رفع المظالم عن كاهل النصارى، وتنظيم الرواتب والمعاشات للرهبان ورجال الدين وتكوين مجالس- بالانتخاب العام- لإدارة شؤون هذه الملل والطوائف غير المسلمة، (...) ولتقرير المساواة بين جميع الرعية، من كل الديانات والمذاهب، في تولى الوظائف العامة بالدولة، والمدارس، المدنية والعسكري(...) وفوق كل ذلك، فتح هذا الخط الهمايوني، الباب لهذه الطوائف والملل كي تنشئ المدارس الخاصة بها، على اختلاف تخصصاتها (...) كذلك نص الخط الهمايوني على كامل المساواة بين المسلمين وغيرهم في الخراج، والخدمة العسكرية، وسائر الحقوق، (.) ولتقرير المساواة بين غير المسلمين والمسلمين في التكاليف المالية والخوارج، وإزالة أي تفرقة أو تمييز بين الرعية في ذلك.(،). أما بناء الكنائس الجديدة، فلقد أباحه الخط الهمايوني، بعد تقديم طلب البناء، والتأكد من ملكية الأرض التي سيتم عليها البناء، وذلك دون رسوم أو تكاليف،

يصرخ الدكتور محمد عمارة أن هذه الإصلاحات قد صدرت قبل قرن ونصف قرن إلا أنها ما زالت تمثل مطالب ومقاصد، بل وأمنيات، للأقليات المسلمة في كثير

من بلاد النور والتنوير والديمقراطية الغربية في القرن الواحد والعشرين!!، لكن الكذبة لا يكتفون بتشويه التاريخ، اعتمادا على الجهل وسوء النية، وإنما ذهبوا إلى حد الزعم بأن مصر لا تزال حتى الآن تطبق على أقباطها هذا الخط الهمايوني، رغم زوال الدولة العثمانية وكل تقنيناتها منذ ثلاثة أرباع القرن، بينما الحقيقة الصارخة والمذهلة تقول: إن هذا الخط الهمايوني لم يكن في يوم من الأيام مطبقا في مصر، حتى عندما كانت مصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية!!، فمصر منذ قيام دولة محمد على باشا (١١٨٤-١٢٦٥ هـ ١٧٧٠- ١٨٤٩ م) أي قبل نصف قرن من صدور الخط الهمايوني- قد حققت استقلالها في التشريع والتقنين عن الدولة العثمانية- أي الاستقلال في «العدل والحقانية»، بلغة ذلك التاريخ، وهى قد حققت هذا الاستقلال في الفقه والتشريع والتقنين لكل أبنائها، مسلمين كانوا أو مسيحيين، ولم يكن القانون العثماني حاكما في مصر، لا على المسيحيين ولا على المسلمين، حدث هذا بحكم الأمر الواقع- في الاستقلال- الذي حققته دولة وسلطة محمد على باشا، ثم جرى تقنين هذا الاستقلال التشريعي في اتفاق كوتاهية سنة ١٨٣٣ م، وحتى عندما جاءت معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ م فانتقصت من سيادة مصر واستقلالها، فإنها قد وقفت بذلك الانتقاص عند وضع القيود على قوة مصر العسكرية، وعند تقرير الجزية التي تدفعها مصر للدولة العثمانية، وظلت سيادة مصر واستقلاليتها في المعاملات المالية الخارجية، وفى التقنين والتشريع، ليس حبا من الدول الأوروبية- التي عقدت معاهدة لندن- في استقلال مصر بتلك الميادين، وإنما حرصا على فتح الباب أمام مصر لتستدين من أوروبا، ولتأخذ بالقوانين الأوروبية، دونها عائق عثماني في هذه الميادين.

ويشهد على هذه الحقيقة- حقيقة استقلال مصر في العدل والحقانية والتشريع والتقنين، وأن القانون العثماني، ومنه الخط الهمايوني، لم يكن مطبقا بمصر في يوم من

الأيام، منذ قيام دولة محمد على باشا- أن الإصلاحات التي صدر لأجلها الخط الهمايوني سنة ١٨٥٦ م، قد سبقت إلى تقريرها مصر في عهد الخديوي سعيد (١٢٧٣- ١٢٧٩ هـ ١٨٢٢-١٨٦٣ م) بما سنته من إلغاء للجزية، ومساواة النصارى بالمسلمين في قواعد الجندية سنة ١٨٥٥ م، بل إن القانون العثماني، الخاص بالمسلمين لم يكن هو الآخر مطبقا في مصر- بسبب استقلالها في التشريع والتقنين- حتى أن الدولة العثمانية عندما قننت فقه المذهب الحنفي سنة ١٨٦٩ م، واعتمدت «مجلة الأحكام العدلية»في القضاء العثماني، لم تطبق تشريعات وتقنينات هذه «المجلة»في مصر أيضا، بينما طبقت في سوريا والعراق وغيرهما من الولايات. ويشهد بهذه الحقيقة المهندس سمير مرقص- مدير مركز البحوث بأسقفية الخدمات العامة والاجتماعية بالكنيسة المصرية الأرثوذكسية، كما يشهد بهذه الحقيقة الباحث والمفكر نبيل مرقص في (تقرير الحالة الدينية في مصر) لسنة ١٩٩٥ م- ص ٨٨.

***

فهل رأيتم يا قراء كمّ الافتئات الفاجر رغم أنهم يعرفون الحقيقة لكنهم لا يكفون عن الكذب أبدا، فلا فرق بين أكاذيب نابليون وبوش، ولا كرومر وبلير، ولا أسلحة الدمار الشامل والخط الهمايوني.

كذب فاجر.

كذب مجرم لا يخشى من افتضاح أمره أبدا لأن من كان يمكن أن يخشى من افتضاح أمره أمامهم هو الذي حرضهم.

بل كذب كافر، كما أخبرنا سيد ولد آدم وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

كذب كافر، وكل الكذب كافر.

ذلك أن الله الذي خلق لهذا العالم عقله هو الذي يعطيه معقوليته أيضا، هو الذي

يمنحه موازينه، ومن هذه الموازين قيمة القيم، قيمة الصدق مثلا أو القيمة السلبية للكذب، فالله موجود في العلاقة بين النتائج والأسباب، وبين الغايات والأهداف، والذين لا يؤمنون بالله هم الذين تنمحي عندهم العلاقة بين الغايات والأهداف وبين الأسباب والنتائج، ويصبح لا فرق هناك بين الكذب والصدق، ولا يوجد فائدة لهذا أو ضرر. لذاك إلا بقدر ما يجلبه من فائدة أو يدفعه من ضرر، وسوى ذلك، لا فرق على الإطلاق،

***

بيد أن هذا الكذب الخسيس لا يصارح أبدا بما يريد، إنه يضغط ويضغط ويضغط حتى تنفذ له ما يريد، وهو مختلف تماما عن الأكاذيب التي ابتزك بها.

ألم يحدث هذا في حرب الأفيون مع الصين؟ ألم يحدث في أكاذيب أسلحة الدمار الشامل في العراق، ألا يحدث الآن في قضية مقتل الحريري الذي لا أشك لحظة واحدة في أن الأمريكيين هم الذين قتلوه، أما ضغطهم على سوريا وتهديدهم لها فليس سببه كما يعلنون الرغبة في كشف الحقيقة، فهم أول من يعرف هذه الحقيقة، كان المطلوب من صدام حسين الاعتراف بإسرائيل وكانت أكاذيب أسلحة الدمار وحقوق الإنسان ستتوقف على الفور، والمطلوب اليوم من سوريا أن تبرم الصلح (هو في الواقع استسلام وليس صلحا) مع إسرائيل، و أن تتخلى عن حزب الله، لكن الأهم من ذلك كله أن يدخل الجيش السوري ليواجه المقاومة العراقية كمرتزقة بدون أجر.

دعنا الآن من مستوى الفجور.

لكن هذا هو المطلوب من سوريا والذي لم يعلن أبدا، وسيظل الضغط مستمرا حتى تنفذ المطلوب منها، ورغم أن الموضوع ليس موضوعنا في هذا المقال إلا أنني شديد العطف على بشار الأسد، وشديد الإدانة أيضا لأنه طاغوت كالطواغيت

لكن الزمن لم يتسع له ليتغول كالباقين، طاغوت تأسس نظامه على الكفر، ثم أنني واثق أنه كمبارك وعبد الله وكل الآخرين لو أمنوا رد فعل شعوبهم لأرسلوا جيوشهم لتموت بدلا من الأمريكيين في العراق، و أنهم يفعلون ما هو دون ذلك ولكن سرا، ولا تنسوا الفضيحة التي فجرها مصطفي بكري بتعاقد الأمريكيين مع المسرحين من الجيش المصري. و أذكر القارئ أن القوات السورية دخلت لبنان بطلب أمريكي وكان طبيعيا أن تخرج بطلب أمريكي، غير الطبيعي والذي فات الأوان لتصحيحه هو استسلام سوريا لنزع لبنان منها سنة ١٩٢٠، كانت تلك أولى خطوات التمزيق. راجع: «دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية»للكاتب الفرنسي جيرار ديجورج ترجمة محمد رفعت عواد - المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ويتهم المؤلف بلاده بأنها وضعت بذور النزاع في سوريا منذ عام ١٩٢٠ حين أعلنت قيام دولة لبنان مستغلة النعرة الطائفية الموجودة عند بعض الموارنة كما حاولت ضم السكان في حكم ذاتي محلي وأنشأت دولة حلب ودولة دمشق وجبل العلويين.

ليس هذا موضوعنا إلا من زاوية واحدة، أن المخطط الذي تم به تفتيت الشام، والمخطط الذي يستعمل الآن لتفتيت سوريا ولبنان، هو نفس المخطط الذي يستعمل الآن لتفتيت مصر، والذي يعتبر البابا شنودة أحد أهم الأعمدة فيه، كما تمثل المسرحية الساقطة معولا مما استعمل ويستعمل في هدم بناء كان ذات يوم شامخا.

***

هل لاحظ القارئ نوع الكذب الأمريكي.

إنه وثيق الصلة بالكذب المصري عندما تشهر الدولة بأحد للوصول إلى غرض معين، لاحظوا مثلا التشهير بالمشير أبي غزالة لمنعه من التنافس على الرئاسة،

ولاحظوا أيضا سحق أيمن نور، ولم ينطق أي شيطان من الحزب الوثني بالحقيقة، فقط يستمر الضغط حتى يستسلم الضحية أو يموت.

لكن الأنسب أن أضرب مثلا يجلي الصورة، فالأمر يشبه رئيس عمل قواد فاجر، يراود إحدى موظفاته عن عرضها، وهي تأبى، فيبدأ في إثارة المشاكل والإشاعات حول كفاءتها وذكائها و إتقانها للعمل، ومهما حاولت أن تتقن العمل و أن تتفانى فيه فإن ذلك لن يشفع لها أبدا.

الأمر الوحيد الذي يجعل الهجوم يتوقف هو استسلامها للاغتصاب.

وهذا ما تريده أمريكا من العالم العربي.

وما تريده حكوماتنا العربية من شعوبها.

وهذا هو الأمر الذي يتواطأ فيه البابا شنودة مع أعداء وطنه ضد أهله وقومه.

نعم، إنهم لا ينطقون إلا كذبا.

الكذب يسري في دمائهم، منذ لويس التاسع وحتى كاهن مار جرجس الساقط.

لكن سلامة الرأس كانت تعوض عن أخطاء الجسد لتؤسس نوعا من التوازن.

نعم.

كان التوازن قائما عندما كان توجه رأس الكنيسة المصرية وطنيا، عندما سادت مقولة مكرم عبيد التي ترفضها الآن رأس الكنيسة: أنا قبطي دينا ومسلم وطنا. عندما تغيرت المقولة إلى: أنا قبطي دينا وصليبي وطنا، أو و أمريكي وطنا، عندما حدث ذلك حدث الخلل.

يقول عبد العظيم رمضان في مقال منشور بصحيفة الوفد، وهو ليس شاهد عدل، لكنه في أي قضية سيشهد في صف البابا وليس ضده، ومع الأقباط ضد المسلمين، لكنه بالرغم من ذلك يقول:

ومن المصادفات البحتة أن الكنيسة التي جلس على عرشها البابا شنودة كانت

تختلف عن الكنيسة التي جلس علي عرشها من سبقوه. فمنذ أواسط الخمسينيات، وبسبب ظروف حكم ثورة يوليو التي أشرنا إليها من قبل حدثت هجرة واسعة لعدد من شباب الأقباط الذين خرجوا يحاولون بناء حياة جديدة في الغرب، خصوصا في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا. وعندما جاءت قوانين التأميم في يوليو ١٩٦١ لحقت بهذه الموجة موجة أخرى مكونة في هذه المرة من أغنياء الأقباط، الذين ذهبت عائلات بأكملها مع جزء كبير من ثروتها، وجد هؤلاء لأنفسهم موطنا جديدا في سويسرا وفرنسا وغيرها من بلدان أوروبا. وقد كان نتيجة لهذه الهجرات أن أصبح للكنيسة القبطية فروع عبر البحار، تتبع تعاليم الكنيسة الأم، وتبعث إليها بمساعداتها، وتمثل قوة ضغط تستطيع الكنيسة الأم أن تستخدمها في مواجهة السلطة المصرية عند اللزوم! وقد أدرك البابا شنودة الثالث هذا المصدر الجديد من مصادر القوة، فأخذ يركز على كنائس الخارج، ويتوسع فيها، ويرسم لها أساقفة جددا، كما أخذ يوثق علاقات الكنيسة القبطية ببقية الكنائس الكبرى في العالم، وراح يحقق تواجدا دوليا ملحوظا لكرسي مرقص الرسول، بلغ ذروته حين وقع في سنة ١٩٧٣ إعلانا مشتركا مع البابا بول في الفاتيكان، يعربان فيه معا عن اهتمامهما المشترك بتحقيق الوحدة بين كل الكنائس المسيحية.

وفي عهده زاد التوجه السياسي للكنيسة المصرية وتقديم مفهوم جديد للنصرانية على أنها دين ودولة، مستخدماً في ذلك سياسة الانتشار الدولي، والتقارب مع الكنائس الغربية ومؤسساتها لدعم السياسات الداخلية للكنيسة وتحقيق أغراضها، كما أعلن عن تنظيمات جديدة للكنيسة، ودعا إلى تطوير الكلية الأكليريكية وإعادة الكنيسة إلى مكانتها العالمية، فزاد اهتمامه بإنشاء الكنائس في الخارج وعيّن لها الأساقفة، من أجل ذلك تعددت جولاته ولقاءاته. ومن أبرز هذه اللقاءات: لقاؤه ببابا الفاتيكان بولس السادس عام ١٩٧٣م، الذي تمت فيه المصالحة بين الكنيسة

الكاثوليكية الغربية والكنيسة المصرية الأرثوذكسية. وتوقيعه وثيقة رفع الحرج المتبادل بين كنيسته والكنائس الأرثوذكسية الكلدونية وغير الكلدونية في شميزي عام ١٩٩٠م. أيضاً الاتفاق على تحقيق الوحدة بين كل الكنائس النصرانية، وزيارته لرئيس أمريكا كارتر عام ١٩٧٧م والتي كان لها أثرها السياسي والديني لصالح الكنيسة المصرية.

***

من أخطر ما يمكن، أن ننظر إلى الأمور نظرة جزئية منفصلة عن السياق العام، فنكرر قصة العميان والفيل في المأثورة الشعبية (لا أظن أن هناك من لا يعرف القصة لشهرتها، وهي باختصار تتحدث عن أربعة من العميان راحوا يتحسسون فيلا ليصفوه، فقال الذي أمسك ساقه إنه كالشجرة، وقال الذي أمسك خرطومه : إنه كالثعبان الضخم، وقال الذي تحسس بطنه وهو واقف تحتها إنه كالسقف، وقال الذي أمسك بأذنه إنه كشجرة الموز، والمعنى واضح عن قصور النظرة الجزئية.)

لا نريد أن نغرق في التفاصيل، ولا نريد في نفس الوقت أن نغمض أعيننا عن علامات الطريق.

منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت أمريكا تشعر بقوتها وترسل إرسالياتها التبشيرية إلى العالم ومنه مصر.

يقول الدكتور محمد مورو في كتابه الهام: «يا أقباط مصر انتبهوا»:

وفى أوائل عقد السبعينيات في القرن التاسع عشر (١٨٧٠)- نصب الأنبا كيرلس الخامس بطريركا للأقباط وواصل مقاومته للتيار التبشيري وسافر البطريرك إلى أسيوط ونشر في مقاومة الإرساليات وأمر بتجريد قسيس من رتبته لسماحه لأخيه المتخرج من مدرسة الإرسالية الأمريكية بالخدمة في الكنيسة القبطية كما أصدر مطران أسيوط فرمانا كنسيا لثلاثة من تلاميذ الإرسالية، وأمر البطريرك

بإحراق كل الكتب البروتستانتية في أسيوط، ثم سافر إلى أبو تيج وإخميم حيث أغلقت مدرسة الإرسالية هناك.

وبالطبع لم تيأس أمريكا التي كانت تؤسس لمشروعها الأضخم عابر القارات والقرون، فتتسلل من الباب الخلفي إلى المثقفين، وليسوا بمثقفين وإنما هم الذين استسلموا للغواية.

يقول الدكتور مورو:

بدأت عناصر من المثقفين الأقباط والمتأثرين بالحضارة الغربية، ومعهم عدد من كبار الأغنياء الأقباط والوجهاء المرتبطين بالمصالح الاقتصادية بالمشروع الاستعماري الأوروبي. بدأ هؤلاء جميعا محاولتهم للسيطرة على المجتمع القبطي. بدأوا بالسيطرة على المجالس الملية، أو قل: ضغطوا على البابا كيرلس الخامس لاستحداثها لتكون وسيلة من وسائل تأثير القوة الثالثة على المجتمع القبطي والكنيسة القبطية. وسرعان ما دب الخلاف بين هذه المجالس الملية وبين البابا كيرلس الخامس. وحدث الصدام بين البابا كيرلس الخامس وبين بطرس غالى الذي كان يرأس تلك المجالس الملية. إلا أن الشعب القبطي وقف مع البابا في هذا الصراع. وحاول عناصر تلك القوة الثالثة المتمثلة في الوجهاء- المثقفين المغتربين- كبار الأغنياء الأقباط- الإطاحة بالبابا كيرلس الخامس. وتنصيب بابا جديد من المؤمنين باتجاهاتهم والموالين لسياساتهم. واستعان بطرس غالى والمجلس الملي بالاحتلال وبالخديوي ونجح هؤلاء في استصدار قرار بتعيين بطريرك آخر مكان الأنبا كيرلس الخامس. إلا أن الإكليروس القبطي ومعه الشعب القبطي تجمعوا ومنعوا الأنبا الجديد من دخول مقر البطريركية، وكانوا يهتفون ارجع يا محروم.

(جملة اعتراضية: أرجو أن يلاحظ القارئ البصمات الأمريكية القبيحة وطريقة تسللها).

وكانت هذه التجارب مدعاة لإدراك ضرورة السيطرة بالزحف الهادئ على الإكليروس وعلى كرسي البطريركية، وليس بالانقلاب السافر عليها. وهكذا تم دفع عدد من شباب القوة الثالثة وخاصة من خريجي الجامعات إلى التحاق بالأديرة طلبا للانخراط في سلك الرهبنة (...) وكذلك تم الاهتمام بالسيطرة علي أقباط المهجر في أمريكا وكندا وأستراليا وأوروبا، ليكونوا من دعاة القوة الثالثة ومن عناصرها النشيطة التي تعمل على ربط القوة الثالثة في مصر بالكنائس الأوروبية، وتحقق لها أيضا من خلال العمل في المهجر النفوذ السياسي والدعم المالي. وفى سنة ١٩٥٩ انحازت عناصر تلك القوة الثالثة إلى انتخاب البابا كيرلس السادس على أساس أنه يمثل حلقة وسيطة، لأن قوتهم لم تكن تسمح بتصعيد بطريرك من داخلهم. وتمسك البابا كيرلس السادس بالتراث القبطي التقليدي، إلا أنه سمح للقوة الثالثة بالنفاذ إلى المجتمع القبطي عن طريق إنشاء أبراشيات جديدة يتولون إدارتها لرئاستها. وفى سنة ١٩٧١، توفى البابا كيرلس السادس ووجدت القوة الثالثة أن الفرصة مواتية فلديهم الكثير من العناصر في الإكليروس القبطي، كما أن الظروف المحلية والدولية في ذلك الوقت كانت تسمح بذلك، وهكذا جاء البابا شنودة الثالث وأصبح بطريركا للأقباط سنة ١٩٧١.

***

فلنترك الدكتور مورو قليلا.

كانت تلك الحقبة هي التي تفجرت فيها رغبة أمريكا المحمومة في السيطرة على العالم، أو على الأحرى كان الغطاء قد انكشف عنها فظهر ما كان مستورا، كانت قد خرجت منتصرة من الحرب فتسللت إلى كل دول العالم للسيطرة عليها، وانقلبت حتى على أخلص حلفائها لتحل محلهم في المستعمرات، و كانت أقسى لحظات حياة تشرشل حين أدرك أنه لا يتعامل مع الحليف والصديق بل مع عدو مصر على

التهامه، وهو نفس الشعور الذي شعر به أنتوني إيدن عام ٥٦. وقد ترتب على هذا أن بريطانيا وهي تجلو عن اليمن الجنوبي سلمته للشيوعيين نكاية في أمريكا. كانت أمريكا تتمدد في العالم كله، في آسيا و إفريقيا و أمريكا اللاتينية، وكانت كوريثة قيصر تركز على بلاد المسلمين، كانت قد استولت - بلا غزو ولا تزال - على السعودية واستعادت إيران وبدأت سياسة الانقلابات في سوريا ودعمت الانقلاب في مصر.

وكانت قد جندت السادات والملك حسين.

وكانت تصوغ جورباتشوف.

ثم..

ثم..

ثم، في نفس السياق والإطار جاء البابا شنودة!!.

***

يذكر محمد حسنين هيكل في كتابه (خريف الغضب) أن السادات وممدوح سالم وزير الداخلية ١٩٧١ وغيرهما من الجهاز الحكومي كانوا يفضلون انتخاب البابا شنودة كبطريرك للكنيسة القبطية عقب موت الأنبا كيرلس السادس وأن هيكل قد عارض في ذلك وطرح أسبابه لتلك المعارضة وألمح الأستاذ هيكل في نفس الكتاب إلى احتمال استخدام الحكومة المصرية لنفوذها لترجيح كفة البابا شنودة على غيره من المرشحين للكرسي البطريركي، بل إنه روى واقعة الانتخاب وقيام الطفل باختيار الورقة التي ظهر فيها اسم البابا شنودة بطريقة معينة تجعلك تشك ولكنها لا تورطه!!

***

وكما قلنا أن موقف الكنيسة المصرية من الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية كان

حادا جدا، وكان ثمة إدراك عميق بالتباين الحضاري بين هذه وتلك، و إدراك أن الكنيسة الأرثوذكسية لا تمثل الصواب العقدي فقط، بل وتمثل الهوية الوطنية ورفض التغريب، وكانت الكنيسة المصرية تحارب بضراوة مجلس الكنائس العالمي، الذي تشرف عليه المخابرات المركزية الأمريكية كما يقول الدكتور مورو: وهذا الكلام ليس من عندنا ولكن عليه شهادات من كتاب لا يمتون للاتجاه الإسلامي بصلة. فعلى سبيل المثال يقول محمد حسنين هيكل في كتابه خريف الغضب : إن مجلس الكنائس العالمي يعكس دون أدنى شك رغبة جهات أمريكية معينة في أن يقوم الدين بدور رئيسي في الصراع، وإن التحقيقات التي جرت في الكونجرس أثبتت أن مجلس الكنائس العالمي كان من الجهات التي حصلت على مساعدات ضخمة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. ويضيف هيكل : وفوق منصة الرئاسة يوم الافتتاح كان جلوس وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس شقيق رئيس إدارة المخابرات المركزية الأمريكية آلان دالاس إلى جانب رئيس مجلس الكنائس العالمي وكان مما قاله دالاس: أن نبشر بالمسيحية فهذا معناه أن نبشر بالحضارة الغربية. أما الكاتب القبطي المعروف د. وليم سليمان قلادة فيقول في كتابه «الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية »(إن دعوة مجلس الكنائس العالمي تتجه في صراحة تامة إلى ضرورة تدخل الكنائس داخل البلاد المستقلة حديثا في سياسة بلادها، وابتداع لاهوتية جديدة لتبرير هذا الاتجاه تقول بأن نشاط الدولة في كل نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو تحت سلطان الله ولابد للكنائس من أن تبدى رأيها في هذا النشاط ولابد من الاستعانة بخبرة الكنائس الغربية حتى يكون اتجاه الكنيسة داخل الدولة المستقلة حديثا متفقا مع اتجاه الكنائس المسيحية في الغرب (...) أما الناقد الأدبي القبطي د. غالى شكري فهو ينقل النص السابق للدكتور وليم سليمان قلادة في كتابه «الأقباط في وطن متغير»ويضيف إليه (أنه في

ديسمبر سنة ١٩٦١ عقد في العاصمة الهندية نيودلهي المؤتمر العام الثالث لمجلس الكنائس العالمي وأصدر قرارا يبرئ اليهود من دم المسيح ويحذر الكنائس من التعليم المعادي لليهود، وكان هذا القرار - والكلام ما يزال لغالى شكري - هو أداة الضغط الأولى على الفاتيكان ليصدر وثيقته الشهيرة في تبرئة اليهود من دم المسيح.

ولخطورة الأمر فإن الدكتور مورو يعيد عرض الأمر ملخصا:

إذن فمجلس الكنائس العالمي تابع للمخابرات الأمريكية على حد قول هيكل وله دور مشبوه في الترويج لقيم الحضارة الغربية والسياسة الغربية عموما والأمريكية، خصوصا على حد قول د. وليم سليمان وهو موال لإسرائيل على حد شهادة غالى شكري، والطبيعي والمسألة هكذا أن الموقف الوطني الصحيح هو رفض ومناهضة هذا المجلس، وبالفعل كان هذا الموقف الصحيح هو موقف الأقباط المصريين حتى جاء البابا شنودة فأصبح رئيسا له!.

نعم.

أصبح البابا شنودة رئيسا له على عكس التراث الكنسي المصري وعلى عكس المصالح الوطنية وعلى عكس المتوقع وعلى حساب المشروع الحضاري الوطني وانحيازا وتبعية للمشروع الحضاري الغربي.

وننقل هنا ما قاله الأستاذ عبد اللطيف المناوي في كتابه «الأقباط: الكنيسة أم الوطن:(ما الذي تغير في موقف الكنيسة المصرية حتى تنخرط في أنشطة مجلس الكنائس العالمي بصورة أوسع وحتى تدفع بيطريرك أقباط مصر إلى سدة رئاسته).

ويجيب (أهم متغير فيما نرى هو الطرف الثالث في المعادلة المتمثل في الأنبا شنودة شخصيا الذي تولى منصبه سنة ١٩٧١).

وبعد أن عدد الحقائق حول الدور المشبوه لمجلس الكنائس العالمي، من ارتباطه بالمخابرات الأمريكية - واختراق الصهيونية لكنائس البروتستانتية الأوروبية

والأمريكية وهى المسيطر على المجلس منذ إنشائه يعود ليتساءل هل يمكن أن تكون الخطوة حلقة في جر الكنيسة المصرية إلى تلك الساحة؟ .

***

لماذا غير البابا شنودة موقعه ولماذا بدل موقفه.

هل كف الغرب عن طغيانه؟ .

هل تغيرت الكنيسة؟ ؟

أم تغيرت الفريسة؟ ؟

***

«إن البابا شنودة خيب الآمال ، وتنكب الطريق المستقيم الذي تمليه عليه قوانين البلاد ، واتخذ من الدين ستارا يخفي أطماعا سياسية ، كل أقباط مصر براء منها وإذا به يجاهر بتلك الأطماع واضعا بديلا لها على حد تعبيره بحرا من الدماء تغرق فيه البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، باذلا قصارى جهده في دفع عجلة الفتنة بأقصى سرعة ، وعلى غير هدى ، في كل أرجاء البلاد ، غير عابئ بوطن يأويه ، ودولة تحميه ، وبذلك يكون قد خرج عن ردائه الذي خلعه عليه أقباط مصر »

هذا نص حرفي من حيثيات حكم محكمة القضاء الإداري بتاريخ ٣/ ١/ ١٩٨٢، في التظلم المقدم من البابا شنودة ضد قرار رئيس الجمهورية بعزله عن منصبه.

سبحان الله.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ .

الطاغوت الخائن المجرم الذي جاء وعاش برعاية أمريكا اتهم الإخوان بما ليس فيهم، فأذله الله بشنودة وأقباط المهجر وهو لا يستطيع التنفس ببنت شفة.

اتهم الطاغوت الإخوان بأنهم عملاء للأمريكان.

وكان الطاغوت و أتباعه هم العملاء.

فانظر كيف أذله الله على يد من هم أكثر منهم عمالة.

سبحان الله.

لكم نكل الطاغوت المجرم بالمجاهدين والمسلمين.

كان تخطيط المجاهدين المسلمين يتشابه إلى حد كبير مع ما نفذه البابا شنودة بالفعل، لكن في الاتجاه المضاد.

كان التخطيط المسلم يسعى لتكوين مراكز عالمية تابعة للتنظيم في مصر كي تكون نواة لوحدة إسلامية تعز مصر وتغنيها وتزيد من قوتها، وكان التخطيط الصليبي الشنودي يسعى لإنشاء مئات الكنائس الأرثوذكسية في العالم تتبع البابا شنودة وتمثل مراكز إعلامية خطيرة تستعمل في الضغط على مصر لتحجيمها وإرهابها وتفتيتها والتشهير بها، ومنع اتحادها بالدول الإسلامية الأخرى.

كان التخطيط المسلم يدرك أنه يمثل الأمة الوسط، وميزان التاريخ والشهادة على الأمم، و أنه كلما قويت مصر قويت الأمة وكلما قويت الأمة اعتدل ميزان التاريخ، وكان التخطيط الصليبي الشنودي يسعى لتذويب الأمة في الحضارة الغربية الوثنية المنحلة.

كان التخطيط المسلم يدرك أن عداوة الشيوعيين له ليست أخطر من عداوة الأمريكيين والصهاينة، وكان التخطيط الصليبي الشنودي يحتضن اليسار ويتجه به إلى اليمين كي يكونا معا عملاء للصليب والصهاينة.

وكان الاتهام الذي وجه للمسلمين هو الاتهام بالعمالة لأمريكا.!! (يا للحسرة والاشمئزاز والألم).

وكان عملاء أمريكا هم الجانب الآخر الذي لم يجرؤ أحد على اتهامه بالعمالة وهو العميل.

بل كان العملاء هم الذين وجهوا الاتهام بالعمالة!!

كان القاضي هو اللص والمدعي هو الجلاد والحاكم طاغوت.

ذبحوا الشهيد وكرموا الخائن.

فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، صبرا على قضائك لا إله سواك.

نعم.

كان الخونة هم الذين اتهموا الشرفاء وحاكموهم وذبحوهم.

أما من خان فعلا ومالأ أعداء الأمة والوطن والدين فإن الطاغوت الخسيس المجرم لا يجرؤ على إدانته، بل ينافقه ويتزلف إليه!!.

والحديث في هذا طويل لكنه موضوع آخر.

***

أذكر القارئ بما سبق أن ذكرته به في بداية المقال عن الجراح الذي يستعمل مبضعه للقتل فيتوقف القانون عن اعتباره طبيبا.

و أذكره بأن أي إنسان يخرج عن مقتضيات وظيفته يفقد الحصانة التي تمنحها له هذه الحصانة، ومن هنا حقنا في التنديد بما يفعله البابا شنودة.

يلفت الدكتور مورو النظر إلى قضية خطيرة تترتب على انحيازات البابا، ذلك أن الأقباط جميعا ملزمون بطاعته باعتباره بطريركا وملزمون بدعم مشروعه السياسي حتى لو تعارض مع رؤاهم السياسية وهنا مكمن الخطر فإذا أدركنا أن الجذور السياسية للبابا شنودة تعكس الرفض للمشروع الحضاري الوطني، وتتعاطف مع المشروع الحضاري الأوروبي وترى ضرورة التعاون مع الكنائس الأوروبية لأدركنا خطر المسألة على مصالح الوطن عموما وعلى المشروع الحضاري الوطني عموما، وعلى الأقباط والكنيسة القبطية خصوصا.

نعم.

أصرخ فيكم يا ناس.

لقد انشق البابا عن إجماع الأمة.

ومسيحنا الذي نعرفه لا يقر له بذلك.

ولا حتى مسيحه الذي يعرفه يقر له بذلك.

لم يقل عبد الله المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أن نخون الوطن والأمة والعشيرة لننضم إلى سفاح وقاطع طريق اسمه جورج بوش.

ولا قال عبيد الله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام أن أناصر اليهود ظالمين على من سواهم.

***

المشكلة ليست في المسرحية السافلة ولا في كاهن أو كهنة ساقطين أجازوها.

المشكلة أكبر بكثير.

المشكلة أن البابا شنودة يؤمن في داخله بما جاء في هذه المسرحية السافلة.

و أن هذه المسرحية و أمثالها جزء من مخططه.

وأن دموعه التي سالت لم تكن بسبب ضغوط مورست عيه، بل بسبب أنه بعد جهد خمسة وثلاثين عاما من التدمير وجد أن المسلمين ما تزال لديهم ذبالات روح.

كانت الدموع تثير الغضب لا التعاطف.

هل يمكن أن يتعاطف المرء مع قصاب يدمع لأنه لم يتمكن من ذبح فريسته؟ !.

بل هل يمكن أن يتعاطف المرء مع نصاب لأنه فشل في خداع ضحيته؟ .

المشكلة في اختراق رأس الكنيسة وعجز الأقباط عن مواجهة هذا الاختراق.

تماما كما تم اختراق رأس النخبة المسلمة – اسما – وأيضا عجز المسلمون عن

مواجهة الاختراق وصده أو حتى كبحه.

المشكلة لخصها أنور السادات وهو يتحدث عن البابا شنودة في خطابه أمام مجلس الشعب في ١٠ مايو ١٩٨٠ حيث اتهمه بأنه يريد أن يجعل من الكنيسة سلطة سياسية، وأن من أهم أسباب الفتنة الطائفية البابا شنودة نفسه، وأنه يحرض أقباط المهجر أمام الأمم المتحدة وأمام البيت الأبيض الأمريكي وأنه يتصل بالرئيس كارتر ليحثه على لي ذراع السادات وإحراجه أمامه. وأنه يقف وراء المنشورات التي توزع في أمريكا عن الاضطهاد الذي يتعرض له المسيحيون في مصر، وكذلك المقالات والإعلانات المنشورة في الصحف الأمريكية وأن البابا شنودة يقف وراء مخطط ليس لإثارة الأقباط فقط، ولكن لإثارة المسلمين واستفزازهم.

إن البابا شنودة هو أكبر من أضر بالأقباط، وأنه لم يضر أحد بالأقباط مثلما فعل شنودة وأن هناك عددا من الأقباط يحارب في صفوف الموارنة في لبنان.

في تقرير لمجلس الشعب المصري أعدته لجنة فرعية مكونة من محمد رشوان وكيل المجلس وكل من حافظ بدوى ومحمد محجوب وكمال هنري أبادير وكامل ليلة وألبرت برسوم سلامة ومختار هاني وكمال الشاذلي وإبراهيم شكري وألفت كامل وإبراهيم عوارة ، وقد جاء في التقرير:

تأكد للجنة أن بعض المتطرفين من القيادات المسيحية وبعض المتعصبين من رجال الكنيسة قد حاولوا تضخيم بعض الأحداث الفردية وتصويرها في صورة صراع ديني وأنها اضطهاد للأقباط. بل ووصل الأمر إلى حد افتعال بعض الأحداث وإلصاق التهمة بالمسلمين بهدف إذكاء نار الفتنة واتخذ بعض القسس من مثل هذه الأحداث مادة للموعظة التي يلقونها في الكنائس، فتحولت بعض الكنائس إلى منابر لنشر الشائعات الكاذبة وبث روح الفرقة بين المسلمين والمسيحيين. وتسجل اللجنة أسفها مما لديها من قرائن ودلائل على أن بعض

القيادات الكنسية ومنها رأس الكنيسة دأبوا على التشكيك وأنهم تمادوا في مسلكهم وأوعزوا بطبع منشورات وتسجيلات عن الأحداث دونها تمحيص وأوعزوا بنشرها في المجلات الصادرة بالداخل والخارج، و أن البابا شنودة يريد أن تقيم الكنيسة من نفسها دولة داخل الدولة.

إن مجمل هذه الأقوال والتصريحات تشكل اتهاما بالخيانة العظمى.

هذا تقرير اللجنة وليس منشورا للشيخ المجاهد عمر عبد الرحمن.

تقرير أعدته لجنة منها نصارى.. حكمت بهذا..

و إحقاق للحق.

فليست رأس الكنيسة فقط هي التي تستحق هذا الاتهام لأن رؤوسا من أكبر الرؤوس في السلطة والأزهر تستحقه.

يقول الدكتور مورو:

أقباط مصر أبرياء من هذا السلوك الذي يسلكه البابا شنودة، والبابا شنودة هنا خارج على التراث الكنسي التقليدي. إن البابا شنودة يدفع عجلة الفتنة بأقصى سرعة، وهذه بالطبع جريمة كبرى. إن البابا شنودة يريد إغراق البلاد في بحر من الدماء وهذه تهمة أكبر. إن للبابا شنودة أطماعا سياسية، وهذا بالطبع مخالف للتراث الكنسي، ومخالف لحدود العقيدة المسيحية القبطية التي رسمتها لدور البطريرك. وهكذا فإن الحقائق الثابتة التي أكدتها حيثيات حكم محكمة القضاء الإداري والتي أكدتها الوقائع الثابتة تؤكد كلها أن القوة الثالثة التي نجحت بالوصول بممثليها، وخاصة البابا شنودة إلى الإكليروس المسيحي القبطي، هي قوة تعادى المشروع الحضاري للأمة، وتريد إلحاق الأقباط بالمشروع الحضاري الغربي، ولا تحافظ علي الاستقلال التقليدي للكنيسة القبطية في مواجهة الكنائس الأوروبية، وهى تسعى لإغراق البلاد في الفتنة الطائفية لتحقيق كل هذا، وإنه يخرج عن حدود وظيفته

الدينية التي حددها التراث الكنسي ويتدخل في أمور سياسية، وأنه يعادى المشروع الحضاري للأمة الذي يؤمن به الأقباط والمسلمون أي هو هنا خارج على الإجماع الوطني ومنحاز إلى المشروع الحضاري الغربي، وأنه هنا خرج على الوجدان القبطي المنحاز عموما إلى المشروع الحضاري الإسلامي، باعتبار أن الأقباط جزء من النسيج الثقافي والحضاري الإسلامي.

***

المشكلة إذن أكبر بكثير من أن تكون مشكلة مسرحية سافلة و كهنة ساقطين.

المشكلة ليست في الأطراف بل في الرأس، وهي مشكلة يعجز الجسد عن حلها.

و للإنصاف الذي تعلمناه من ديننا فإن الانحراف ليس مقصورا على الأقباط، بل إنه عندنا أخطر بحكم الغلبة العددية. وليس البابا شنودة بأخطر على مصر من مبارك وحاشيته أو من شيوخ في الأزهر. بل إنني قد ألتمس المعذرة للبابا شنودة، فالرجل ينصر طائفته و أمته ظالما ويحرضها على الظلم لكن في صف – ما يعتقد – أنه شعبه و أمته وربه، أما قياداتنا فينصرون أعداء الأمة والله والدين عليها.

***

المشكلة أن المسرحية السافلة والكاهن الساقط الذي أجازها جزء من مخطط شامل.

مخطط لتفتيت الأمة.

مخطط يتحدث عنه الدكتور محمد عمارة فيذكر أن المستشرق الصهيوني القذر برنارد لويس (كلاب العلمانية يرفعونه إلى عنان السماء، فاحذر). قد ذكر تفاصيله، وهذا المخطط يقضي بتفتيت العالم الإسلامي – من باكستان إلى المغرب – على أسس عرقية و«اثنية» ودينية ومذهبية، وذلك حتى يزداد التشرذم في هذا العالم – المتشرذم أصلا – فتضاف إلى كياناته القطرية – التي تزيد على الخمسين – كيانات جديدة تزيد

على الثلاثين، لتتحول كل تلك الكيانات- حسب تعبير «برنارد لويس إلى »برج ورقي، ومجتمعات فسيفسائية، أو مجتمعات الموزايك فيتحقق الأمن لإسرائيل لنصف قرن على الأقل.!!.

هذا المخطط هو الذي احتشدت جيوشنا في حفر الباطن لتدشينه لعن الله كل من شارك فيها.

ولقد تحدث هذا المخطط عن تقسيم العراق إلى دويلات ثلاث:

دولة كردية سنية في الشمال و دولة سنية عربية في الوسط، ودولة شيعية عربية في الجنوب، وهو ما يجرى تنفيذه اليوم على أرض العراق، أما مصر فلقد خطط «لويس »لتقسيمها إلى دولتين على الأقل.

فهل هذا هو المخطط الذي يدفعنا إليه البابا شنودة؟ !.

هل هذه هي النهاية البئيسة لمن حسبناه شاعرا مثقفا وطنيا؟ .

سوف تحرك أجهزة المخابرات الصليبية والصهيونية الأقليات في العالم الإسلامي وفي قلبه مصر لتدمير هذه المجتمعات المستقرة، وتشعل النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة، وتوجهها نحو المطالبة بالاستقلال، «- كما جاء بالحرف في عبارات «بن جوريون »- بمذكرات «موشى شاريت

هل ينفذ البابا شنودة هذا المخطط؟ !.

في مصر ظهرت في النصف الأول من الخمسينيات- «جماعة الأمة القبطية»- التي تدعو إلى تحرير مصر من الإسلام والمسلمين!.

ويتحدث الدكتور عمارة - انظر أيضا لكاتب هذا المقال : إني أرى الملك عاريا- عن وثيقة إستراتيجية إسرائيل في الثمانينيات »- التي نشرتها مجلة المنظمة الصهيونية (الاتجاهات) كيفونيم في ١٤ فبراير سنة ١٩٨٢ م- تقول: «إن مصر المفككة والمنقسمة إلى عناصر سلطوية كثيرة- وليس على غرار ما هي اليوم- لن تشكل أي

تهديد لإسرائيل، وإنما ضمانة للأمن والسلام لوقت طويل. وهذا في متناول أيدينا اليوم.»! بل وتحدثت هذه الوثيقة عن أن تفتيت مصر هو مفتاح تفتيت كل بلاد العروبة والإسلام، فقالت- بالحرف-: فإن دولا مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منهما لن تبقى طويلا على صورتها الحالية، بل ستقتفى أثر مصر في انهيارها وتفتتها، فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون. إن رؤية دولة قبطية مسيحية في صعيد مصر، إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية- مصرية، لا سلطة مركزية كما هو الوضع الآن، هو مفتاح هذا التطور التاريخي الذي أخرته معاهدة السلام، لكنه لا يبدو مستبعدا في المدى الطويل«! فنحن، إذن، أمام مخطط معلن! لانهيار مصر وتفتيتها»- ولسنا أمام «مؤامرة سرية» ولا «هوس بنظرية وذهنية المؤامرة». وفى ضوء هذا المخطط علينا أن نرى «خارطة» كل ما يقال ويطبق اليوم باسم الأقليات.

في ضوء هذا علينا أن نقرأ تصرفات البابا شنودة، و تأليف المسرحية السافلة وعرضها!.

وفي ضوء السخرية من القرآن واللغة العربية في المسرحية السافلة علينا أن نفهم المحاولات المريضة لإحياء اللغة القبطية، لا كلغة آثارية وتاريخية لأهل الاختصاص، وإنما لتحل محل اللغة القومية - العربية-!، حتى ليصل الأمر إلى حد أن يعلن الرجل الثاني في الكنيسة الأرثوذكسية- الأنبا «غريغوريوس »- في صحيفة «وطني، ٣٠ يوليو سنة ٢٠٠٠ م- »أن اللغة القبطية هي لغتنا بوصفنا قبطا، وهى تراث الماضي ورباط الحاضر!! وهى من أعظم الدعائم التي يستند إليها كيان الشعب المسيحي، وأن إهمالنا للغة القبطية كان من اكبر العوامل التي عمل بها المستعمر الدخيل فقضى على الفوارق التي كان لابد من بقائها لتكون سورا يحمى كياننا من الانصداع ووحدتنا من التفكك !، فهم يحيون اللغة القبطية لتكون سورا بين الشعب المسيحي وبين المستعمر الدخيل أي المسلمين المصريين!!،

هل تلاحظون يا قراء إذن ذلك التسارع المحموم نحو تفضيل الهيروغليفية أو القبطية أو حتى العامية على العربية الفصحى.

بالنسبة لنا فإن اللغة ليست وعاء للمعرفة والثقافة فقط، إنها روح الأمة وتراثها ووجدانها، إنها مسألة هوية ونسيج ضام يحمي الأمة من التفتت، لذلك ستجد كل شركاء المؤامرة يهاجمون اللغة العربية ويدعون إلى سواها.

وراجع أيها القارئ ذاكرتك لتتذكر كل خؤون هاجم اللغة.

راجع تضافر جهود السفهاء في كل مكان في وزارة الثقافة والإعلام وفي الكتاب والمخرجين والممثلين الذين جعلوا من اللغة العربية أو من تحية الإسلام علامة على الإرهاب.

لم يكن ذلك مجرد انحراف عقدي، بل كانت وضاعة من يبيع شرفه بثمن بخس ولو كان ملايين الجنيهات.

***

يتساءل المستشار طارق البشري والدكتور عمارة والدكتور مورو عن سر تزايد نفوذ أقباط المهجر على كنيستهم الأرثوذكسية، يطرحون السؤال ويتركون الإجابة للقارئ أو للسلطة، يتحدثون عن مليار دولار تصل إلى الكنيسة كل عام.

مليار دولار.

كان هذا منذ عشرة أعوام ولا ريب أن المبلغ تضاعف.

الطواغيت والسفلة اتهموا الإسلاميين بكل فصائلهم بالتمويل الأجنبي، ولم يثبت ذلك قط.

فلما ثبت على الأقباط تصرفت السلطة و أجهزة الأمن ككلب مذعور دس ذيله بين فخذيه وراح يختلس النظر رعبا وهو يتصنع أنه لم ير شيئا.

كذا مليار دولار لا يدري أحد فيم تنفق وكيف تنفق وعلى من تنفق، وهل كانت مئات الألوف التي أنفقت على طباعة قرص المسرحية السافلة من هذا المال؟ .

مليار دولار حسمت توجه رأس الكنيسة.

كتب الأستاذ جمال أسعد في صحيفة العربي في ٢ يناير سنة ٢٠٠٥ رسالة وجهها إلي البابا شنودة، وذكر فيها الأموال التي لا تحصي ولا تعد والتي يتم إرسالها للكنيسة، تلك الأموال التي كانت سببا في فض العلاقة الكنسية بين الشعب وبين الإكليروس، حيث أصبح الإكليروس في غير احتياج للشعب لأن البديل كان أموال الخارج ثم استطرد موجها الحديث إلي البطريرك هنا لا ننسي مقولتك عندما قلت: (لقد انتهي اليوم الذي يمد فيه البابا يده لأغنياء الأقباط) ولكل ذلك ضاع الأمل في إصلاح كنسي كنا نتمناه.

وكانت النتيجة صدور قرار بحرمان جمال أسعد.

ولقد تكررت قرارات الحرمان في الداخل لكل شريف يقول كلمة حق، كنظمي لوقا الذي كتب يمتدح الإسلام والقس إبراهيم عبد السيد الذي كتب ينتقد البابا، لكن هذه القرارات لم تلحق أبدا فاجرا مثل زكريا بطرس لا يجرؤ أبدا على مواجهة شاب مسلم في العشرينيات لديه الحد الأدنى من العلم الديني (كما حدث في قصة فتاة حلوان). ولكنهم أعطوه قناة فضائية حيث يحصل على مائة وعشرين ألف جنيه مقابل كل محاضرة – واحدة – يلقيها، وهو الجاهل عبد الشيطان!!.

نعم، حرم البابا من لا يتفق فكرهم مع فكره.

نعم، حسمت أموال الخارج توجه رأس الكنيسة.

فتعداد هؤلاء المهاجرين، وإمكاناتهم المادية والأدبية، ونفوذهم وحركيتهم، وعلاقاتهم مع ولائهم للبلاد التي يحملون جنسيتها، وتسخيرهم أحيانا لخدمة المصالح الاستعمارية لتلك البلاد- وخاصة في أمريكا-، وكذلك زيادة الفروع

الخارجية لهذه الكنيسة، ومن ثم ثقل ونفوذ هذه الفروع، كل هذا الجديد قد أحدث تطورا نوعيا وكيفيا - على حد تعبير الدكتور مورو- في حسابات وتوجهات الكنيسة، التي اتجهت غربا أكثر فأكثر، بعد رجحان كفة رعيتها الغربية على رعيتها الداخلية الوطنية، ولقد كان دخولها في «مجلس الكنائس العالمي»- الذي أقامته المخابرات الأمريكية، إبان الحرب الباردة، لخدمة الهيمنة الأمريكية- بعد أن ظلت هذه الكنيسة رافضة دخوله لسنوات طويلة- كان ذلك إعلانا عن هذا التحول في التوجهات، حتى لقد أصبح بعض الغيورين عليها- حتى من أبنائها- يخشون من اهتزاز طابعها الوطني التاريخي لحساب الغرب والتغريب!، وهذا هو ما حدث، تحول البابا شنودة إلى قيصر.

ولقد كتب مدحت بشاي يهاجم البابا شنودة في مقال له بجريدة روز اليوسف:

- ألا ترى سيدي البابا أن انشغالكم بأمور سياسية والتحدث في شأنها إلي جميع الأجهزة الإعلامية وتبني مواقف قد تكون متسرعة تأتي بشكل قاطع وحاد في أحيان كثيرة قد أدى بنا إلى حدوث ظواهر سلبية وتبعات تحدث هنا وهناك مثل أن تتبنى جماعة قبطية فكرة السعي إلى إنشاء حزب الأمة القبطية الذي يرفع شعارات شديدة التطرف، أو يتم تنظيم مؤتمرات لأقباط المهجر تناقش أحوال أقباط الداخل بشكل منفرد ودونما تنسيق مع الكنيسة الأم في مصر؟

ـ لماذا تفرض سيدي البابا سلطانك الروحي والتأديبي إذا لزم الأمر علي المسيحيين داخل البلاد، أما التابعون للكنيسة في بلاد المهجر ورغم حبهم الجارف لقداستكم نجد منهم المارقين المتاجرين بمواقف عنترية مبالغ فيها وبدلا من أن يمدوا أيادي العون الخيرة للمساهمة في حل مشاكل المواطن المصري يرفعون الشعارات الكثيرة للفتن والمشاكل، فلماذا لا تجدون وسيلة لوقف محاولاتهم التي قد تودي بأحلام السلام الاجتماعي في وطنهم الأم.

- ألا ترى قداستكم أن ما استحدثتموه من أشكال احتفالية بمناسبة الأعياد في مقر الكنيسة الأم والتي صارت طقوسا سنوية بداية من ارتداء البابا لحلة جديدة تخطف الأبصار من شدة بريق الإكسسوارات ذات الألوان الفضية والذهبية والقرمزية المبهرة للاحتفال بمولد المسيح الذي اختار لميلاده مِزود بقر ثم الاحتفال بقيامته وهو الذي رآه العالم على الصليب برداء متواضع لا يكاد يستر بدنه، فلماذا البابا الراهب الزاهد يطل علينا ملكا يرتدي بزة أباطرة القرون الوسطي؟ ثم تطوف بنا الكاميرا فنلمح الصف الأول وقد شغلت كراسيه مجموعة كبيرة من المسؤولين يمثلون رموز الدولة والسلطة التنفيذية والتشريعية بالإضافة لعدد من الشخصيات العامة ونجوم المجتمع أقباطا ومسلمين في صورة تليفزيونية أمريكية، وهنا أناشد الكنيسة أن توضح للناس مبرر مشاهد سيناريو احتفالات ليالي الأعياد وتجيب عن أسئلة المواطنين التالية: لماذا تشاركنا تلك النخبة صلاة العيد، فإذا كان للتهنئة فأظن أن مكانها هو الصالون البابوي في الكاتدرائية ولا مانع من حضور كل كاميرات العالم لترصد تلك اللحظة العبقرية والتفضل الأخاذ في ضرب الأمثلة على التواد والمحبة! أما إذا كان ليتفضل البابا بتقديمهم بامتنان للمجتمع المسيحي الحضور في الكاتدرائية والمتابعين لصلاة العيد عبر شاشات التليفزيون فأرى أنه مشهد عبثي لم تعد مدلولاته المظهرية المتكررة ذات معنى أو قيمة، فما معنى أن يتابع الضيوف طقوسا شديدة الخصوصية، تعذبهم موجات الوقوف والجلوس المتكررة ويصعب عليهم بالطبع فهم ما يقال باللغة القبطية التي يصعب على المسيحيين أيضا فك طلاسمها ويتعجبون لهذا الإصرار من الكنيسة على استخدامها في تباعد مترفع عن وجدان مصلين بسطاء يرفعون أكف الضراعة إلي المولى فتخرج من صدورهم حروف مفردات عامية بسيطة صادقة، فالرب المستجيب للدعاء لم يشترط صلاتنا أن تكون بالقبطية. هل تشارك الرموز المسيحية في احتفالات المسلمين بحضور

صلاة عيد الفطر أو الأضحى في المساجد وساحات الصلاة أم يتم الاكتفاء بالمشاركة بزيارات تهنئة لرجال الدين في مكاتبهم وهو الأمر الطبيعي والمقبول، فلماذا التزيد على الجانب الآخر!؟ هل صارت من طقوسَ الأعياد المسيحية شعائر تتضمن قراءة كشوف أسماء المهنئين يعقبها تصفيق الحضور وزغاريد النساء؟ .

***

يتحدث الدكتور محمد عمارة عن تداعيات الصلف والمليارات والغباء والتعاون مع العدو ضد مصلحة البلاد، يتحدث عن سقوط النخبة في مراكز «البحث »- في داخل مصر- في براثن العمالة والخيانة، ويتحدث عن أموال حرام استقطبت غلاة العلمانيين، وسواقط الماركسيين، والتي تمولها- بسخاء يسيل اللعاب- الدوائر والمؤسسات الأجنبية، لتعد «الملفات »عن ما يسمى باضطهاد الأقباط وهموم الأقباط ومظالم الأقباط، تلك «الملفات »التي تفتحها وتستخدمها الدوائر المعادية لوحدة مصر في الخارج، حتى لقد وصل الأمر بأحد هذه المراكز : «مركز ابن خلدون- مع الاعتذار لاسم فقيه الإسلام ابن خلدون!» أن يدعو صاحبه- د. سعد إبراهيم- إلى تنفيذ المخطط الإمبريالي- الصهيوني لتفتيت العالم العربي- أكثر مما فتته اتفاقية «سايكس- بيكو»سنة ١٩١٦ م- فيطالب بإقامة كيانات «فيدرالية»، تحقق «تعددية سياسية»- نعم تعددية سياسية- لكل الأقليات في الوطن العربي «لأن المجتمعات التي تتسم بالتعددية الاثنية في الوقت الحالي، ينبغي أن تكون متعددة من الناحية السياسية أيضا.

نحن أمام جريمة خيانة عظمى ولسنا أمام مسرحية سافلة أو كاهن ساقط أو مغارة لصوص أو قيادات خائنة.

نحن أمام جريمة خيانة عظمى أيا كان وضع مرتكبها.

يصرخ الدكتور عمارة محذرا أن المشروع الغربي لا رابطة بينه وبين المسيحية

الشرقية ومنها الأرثوذكسية المصرية- فهذه الأرثوذكسية، فضلا عن أنها جزء من نسيجنا الوطني والقومي والحضاري والثقافي والقيمي، فإن مسيحية الغرب لا تعترف بمسيحيتها؟ ! وإنما يتخذ الغرب الاستعماري- والصهيونية- منها «ورقة» يلعب بها في معركته ضد الاستقلال الحضاري للشرق، واليقظة القومية لأمه وشعوبه.

***

لا أستطيع الانتهاء من هذا الفصل قبل تناول أمرين:

أولهما: هل البابا شنودة هو المسؤول الوحيد.

وثانيهما : تساؤل عن موقف النائب العام.

سوف أبدأ في ذلك على الفور.

لكن دعوني أبدأ بطرفة أمريكية من العيار الفاجر، فقد صدر عن الخارجية الأمريكية تقريرها السنوي عن الحريات الدينية لعام ٢٠٠٥، أما الطرفة فهي انتقاد التضييق على البهائيين وانتقاد اتهامهم بالكفر، وفي نفس الوقت يطالب التقرير بعدم السماح للإخوان المسلمين بالحركة لأنها حركة محظورة.

هل ضحكت يا عزيزي القارئ؟ .

أم بكيت؟ !.

***

والآن لنبدأ بالسؤال الأول، والإجابة: لا، ليس البابا شنودة هو المسؤول الوحيد عن الكارثة التي نقف الآن على مشارفها.

فالمشكلة التي نواجهها في حقيقتها ليست قوة مفرطة ظهرت على الأقباط فجأة، بل ضعفا مستمرا مخططا حاق بالمسلمين، كل من شارك فيه خان الله والرسول والأمة والوطن والدولة والهوية.

قبل البابا شنودة يأتي الملك فاروق وزمرة حاشيته وحربه الخائنة على الإسلام والمسلمين وزعاماتهم وعلى رأسهم الشهيد الإمام حسن البنا.

قبل البابا شنودة يأتي جمال عبد الناصر وحربه الفاجرة على الإسلام والمسلمين وفي مقدمتهم الإخوان المسلمين وعلى رأسهم الشهيد العظيم سيد قطب.

قبل البابا شنودة يأتي أنور السادات الذي ادعى أن لا دين في الساسة ولا سياسة في الدين فكانت كلمة الكفر.

قبل البابا شنودة يأتي حسني مبارك وهو أخطر الجميع، لأنه يقتل بالخنق وليس بالذبح أو بإطلاق الرصاص، يقتل دون أن يدرك الآخرون أنه قتل[1].

قبل هؤلاء جميعا يأتي محمد علي وهزيمة علماء الأزهر أمامه، كان محمد على امتدادا للمشروع الفرنسي، بنفس الدرجة التي كان بها سعد زغلول امتدادا للمشروع الإنجليزي.

قبل البابا شنودة أيضا تأتي مباحث أمن الشيطان، ليهنئوا الآن بعارهم، فقد كان جهدهم طيلة نصف قرن لصالح إسرائيل و أمريكا والبابا شنودة، فهنيئا لهم خزي الدنيا وعار الآخرة.

قبل البابا شنودة يأتي الشيوعيون والقوميون فقد كانت علاقتهم بأمتهم علاقة الذئب بالقطيع.

قبل البابا شنودة يأتي دور الأمة التي سمحت لكل هذا أن يحدث.

***

في الحلقات التي يذيعها هيكل على قناة الجزيرة كان يتحدث عن الموقف الأمريكي من إنشاء إسرائيل (لا حظ أن تحليلات هيكل يجب أن تؤخذ بمنتهى الحرص والشك، ولاحظ أيضا أنه مسؤول قبل البابا شنودة). قال أن أمريكا كانت

(١) كتب هذا المقال ونشر بنصه الكامل عام ٢٠٠٥.

ضد إنشاء دولة إسرائيل لأن معلومات مخابراتها كانت تؤكد أن العرب و إن أخذوا على غرة في البداية سوف يستجمعون قواهم في فترة وجيزة لن تتعدى الشهرين، وسيحاربون إسرائيل وسيقضون عليها، و أن مئات الآلاف من المجاهدين سوف يهرعون إلى فلسطين، ويقول هيكل أن ذلك لم يحدث، و أنه كان يمثل مفاجأة صارخة للولايات المتحدة الأمريكية غيرت بعدها موقفها بالكامل من القضية الإسرائيلية العربية.

عدم وجود رد الفعل إذن مسؤول قبل البابا شنودة.

لقد أدركت أمريكا مدى ضعف العرب وهشاشتهم وعدم قدرتهم على رد الفعل فأخرجتهم من حسبانها (دعنا الآن من أن هيكل لم يفسر لنا لماذا ظلت أمريكا على نفس الموقف بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو وقيادتها للعالم العربي).

كان علينا مواجهة العنف بالعنف فلم نفعل فكان حقا أن يفعل بنا البابا شنودة ما يفعله.

عدم قيامنا برد العنف المستعمل ضدنا بعنف أشد هو الذي وصل بنا إلى هذا الحال.

وزير التربية والتعليم مسؤول قبل البابا شنودة.

وزير التعليم العالي مسؤول قبله، ووزير الإعلام أيضا.

كل كاتب وكل ممثل وكل مخرج وكل مؤلف تبني وجهة النظر الصليبية اليهودية في الإسلام والمسلمين مسئول قبل البابا شنودة.

كل...

كل...

كل...

.. مسؤول قبل البابا شنودة.

والحقيقة أن الوحيد الذي ألتمس له العذر هو البابا شنودة، بل لعلي أهنئ طائفته به.

رجل وجد هذا الخنوع كله فلماذا لا يركب ويدلي ساقيه.

رجل وجد هذا الخضوع كله فلماذا لا يتسلط.

في العلاقات، ابتداء من العلاقات بين الرجل وزوجه وانتهاء بالعلاقات الدولية تسيطر نظرية الفراغ، فهو غير مسموح به، وإذا ما تخليت عن مساحة لا بد أن يملأها طرف آخر.

ولقد أفرغ الطاغوت الدولة من الإسلام فكان لابد أن تحل المسيحية محله وأن تتصرف الـ ٦٪ كأنها الـ ٩٤٪.

نعم، تسبب الطاغوت من أكبر ملك إلى أحقر مخبر في فقدان التوازن الطبيعي.

وعندا يفقد التوازن الطبيعي تختل الطبيعة بنفس نوع الخلل القائم الآن والذي يمثل البابا شنودة أحد طرفيه.

نعم.

ومن أمثلة ذلك انتشار العنكبوت الأحمر ودودة اللوز في مصر في أعقاب استخدام بعض المبيدات الحشرية بإسراف شديد وبطريقة غير محسوبة. ولم تكن مثل هذه الآفات مصدر خطر للنباتات فيما مضى، ولكن قتل المبيدات لأعدائها الطبيعيين ترك لها حرية التكاثر.

وكمثال واحد على التوازن الذي أنشأه الله تعالى، وكيف يخربه الإنسان ما جرى في ماليزيا في الستينيات. فقد قررت الحكومة هناك استعمال مادة د. د. ت السامة في الغابات والمستنقعات لقتل بعوض الملاريا. وفعلا مات البعوض، والتهم من قبل الصراصير. ولكن تمرضت هذه الصراصير فسهل التقاطها من قبل السحالي التي

أصبحت بدورها فريسة سهلة للقطط. ثم ماتت القطط بالتسمم فتكاثرت الفئران بشكل كبير، فتكاثرت براغيث الطاعون التي تعيش على أجسام الفئران. وهنا اندلع وباء الطاعون، وهلك نتيجة لذلك أكثر مما كان ممكنا للملاريا أن تقتل في سنين!!.

فهل أدركتم الآن يا قراء لم سيطر وكيف سيطر كل من أراد أن يسيطر ابتداء من أمريكا ومرورا بإسرائيل ثم بأقباط المهجر ثم بالبابا شنودة ثم بأقباط الداخل ثم بكل عدو لله ولرسوله وللمؤمنين.

هل أدركتم أن المشكلة ليست في قوة غير طبيعية للبابا شنودة بل في ضعف غير طبيعي للمسلمين، و أن العلاج يأتي بتقوية الإسلام لا بإضعاف البابا شنودة (وإن كان ذلك لا يمنع من محاسبته أو حتى محاكمته).

هل أدركتم أن المشكلة ليست في البابا شنودة بل في الرئيس مبارك وشيخ الأزهر، وفينا.

***

ليس ثمة تثريب على الشباب لهف قلبي عليهم، أولئك الأطهار الذين جعلوا من أجسادهم سياجا يحمون به الكنيسة ومن فيها حتى لو كان بعض من فيها أشرارًا وفجارًا، لا تثريب عليهم منذ حاولوا قبل ذلك بشهور طويلة أن يستدروا عطف ديوث كي يغار على دينه لكن كيف يغار ديوث أجاب بصلف و كبرياء: «سوف نرى» دون أن يدرك أنه أعمى البصيرة، لا تثريب على الشباب الذين صبروا ثمانية شهور طويلة وهم ينتظرون رد فعل من مسؤول، دون أن يدركوا لَهف قلبي عليهم أنه لم يعد في بلادنا مسؤول، ثمانية شهور وهم يكتمون الأمر بين ضلوعهم جمرا تتلظى عليه جنوبهم وهم يلتزمون بالصمت، تستعر النار فيخفونها خوفا من انفجار الفتنة و أملا في رشيد يطفئ النار قبل أن تستفحل.

لكن أي رشيد.

أي رشيد.

أي رشيد والرئيس مبارك نفسه، والمفروض أنه أمين على الدين والأمة يعز النصارى ويلتمس رضاء اليهود ويذل المسلمين ويدعى أنه على الحياد بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وهو ادعاء غير صحيح، فهو في الواقع على الحياد بين الخونة من الفلسطينيين والإسرائيليين، وثلاثتهم ضد فلسطين المؤمنة المسلمة الصابرة.

مبارك هذا، كي يجامل النصارى، أعلن في إحدى خطبه رغم كل ما لديه من معلومات أن عدد الأقباط يصل إلى ١٠٪، ولم يكن ما قاله مبارك صادقا، ولا كان خطأً عن سهو، بل كان خطأ متعمدا أراد به أن يجامل النصارى على حساب المسلمين ، و أن يعضد كلينتون الذي كان قد صرح بنفس الرقم قبلها بأيام، ولم نكن نريد منه أن يكذب، بل كنا نريد أن يقول الحقيقة.

والحقيقة أن مواقف مبارك هي المسؤولة عن حالة الاستخذاء العنيف للسلطة ورجالها أمام الأقباط. ومواقف مبارك هي التي دمرت النخوة والقدرة على المواجهة، وحتى الدفاع عن النفس. دمرتها في الأجهزة التي كان ينبغي أن تكون سياجا يحميها، فإذا بها بالذهول كله وبالغباء كله وبطاعة المخلوق في معصية الخالق تدمرها تدميرا لصالح عبادة الطاغوت لعن الله كل طاغوت وكل من أطاعه.

***

نعم.

استمرار السياسة الحالية.

استمرار الرئيس مبارك.

ليست مجرد خطر على الدين، بل على الأمة والدولة والحكومة أيضا.

أما البابا شنودة فأمره هين جدا.

رجل وجد فراغا، فلماذا لا يملؤه، ووجد نفاقا فلماذا لا يستثمره، ووجد ظهرا محنيا فلماذا لا يقفز عليه ويتبختر؟ !.

هل تريدون رأيي؟

لو لم يفعل لكان مخطئا!!

والحقيقة أنني حرصا على الوطن أركز على هذه النقطة و أرجو أن ينتبه أبنائى وإخوتي لها.

نحن نقول أن الأقباط يستقوون بأمريكا و بإسرائيل.

دعنا من القيمة الأخلاقية لذلك، ودعنا من خطورته الهائلة على الأجيال القادمة من النصارى عندما يعتدل الميزان.

دعنا من ذلك وذاك، لنقول أن هذا الاستقواء أمر حقيقي لا شك فيه.

لكن هناك استقواء آخر خفيا لا نكاد ندركه ولا نكاد نتنبه إليه.

وهو استقواء نظام الحكم المصري – والعربي أيضا– بالنصارى، وهذا الأمر أيضا حقيقة لا شك فيها.

نعم.

تماما كما تمثل إسرائيل مفتاح قلب أمريكا (لعن الله إسرائيل و أمريكا) فإن الأقباط يمثلون بالنسبة للحكومة المصرية وللنخبة المستغربة درعا واقيا من غضب أمتهم عليهم، وملاذا آمنا وغطاء أمام أمريكا و إسرائيل.

هذه النقطة هامة جدا.

استقواء النخبة الفاجرة الكافرة (دون تعيين) بالنصارى.

هذه النخبة التي فقدت كل دعم وكل تأييد من أمتها ولم يبق سوى دعم الجيش – الذي تخلى عن مهمته وانقلب على عكسها) والأمن (الذي يقوم بأشد الأعمال

إجراما وخسة وقذارة، حتى إنه يمثل اليد القذرة للموساد والسي آي إيه) : (انظر ماذا يفعل الأمن والجيش في بنجلاديش على سبيل المثال!)

هذه النقطة هامة جدا، لن أمل من التركيز على ذلك، لأنها تعني أن هناك حلفا غير مقدس بين الحكومة والنخبة والعلمانيين والملحدين والبلطجية والنصارى في طرف وفي الطرف الآخر توجد الأمة ودينها و أمنها ومستقبلها.

هذا حلف لا شك فيه و إن أنكره الجميع، لكنه يتبدى بصورته الكاملة في شخصين يعدان من أبغض الشخصيات في الوجدان الجمعي: رفعت السعيد وعلى سالم، لا أغمط حق الآخرين لكن أمرهم أتفه و أحقر من أن يذكر.

يتبدى بصورته الكاملة في هذين، أما صورته الأخطر فلا ندركها أبدا، لأنها تدور في كواليس أعلى طبقات الحكم، حيث يتم تحذير الغرب دائما من الديموقراطية لأنها ستأتي بالمسلمين إلى الحكم وهم ضد أمريكا والأقباط.

مخبر السيدة زينب، حوذي الوزير الشاذ، الذي ادعى أنه مضطهد طول عمره لأنه يطالب بالديموقراطية، لكنه عندما ذاق خمر الشاذ انقلب على عقبيه وراح يصرخ: ولكن الديموقراطية هي التي أتت بهتلر.

الغريب أن هذه النخبة الخائنة والتي تبني فكرها على العلمانية – أي الإلحاد- لا تعادي من الأديان إلا الإسلام، ولا تعادي من المناسك إلا مناسكه، أما فيما يتعلق بالأديان الأخرى، حتى البوذية فإنها تعامل بنفس الاحترام التي عوملت به أصنام بوذا في أفغانستان. الامتهان فقط للإسلام، وهذا يدل – فيما يدل – على أن موقفها ليس موقفا فكريا، وإنما هو موقف العاهرة التي تهاجم الدين ليس لأنها فقدت الاقتناع به، و إنما لأن ضوابطه تحول بينها وبين شهواتها ومكاسبها.

وهذه الفئة الخائنة المجرمة، المدلسة الكاذبة المزورة، والتي ظلت لأكثر من قرن تربط ما بين العلمانية والعلم، وهذا كذب (على مستوى كتب الفلسفة وليس

الدين). كما ظلت تربط بالإفك ما بين الحداثة والتحديث، فالأولي كفر وخيانة، والثانية واجب و أمانة، ولست أنسى أبدا مخبر قسم السيدة زينب وهو يصرخ على شاشات التلفاز: فلنعد إلى ركوب الإبل إذن!.

***

كثيرون هم الذين يلعبون نفس اللعبة القذرة، وكثيرون هم الذين يسوقون لأنفسهم ويروجون لها كما تروج البغي لنفسها.

فقط.

افتحوا أعينكم وراقبوا.

لكن، و أنتم تفعلون ذلك قولوا لا إله إلا الله سبحانه جل وعلا شانه، محمد رسول الله.

انظروا إلى مثوى هؤلاء الآن وكيف ينظر الشعب إليهم.

انظروا إلى فكرهم في مزبلة التاريخ، وانظروا إلى الإخوان المسلمين وتأييد الشعب الكاسح لهم، بل تأييد الله إن شاء الله.

***

حسم العلمانيون والمستغربون أمرهم وانضموا إلى أعداء الأمة.

كانوا قد باعوها وخانوها و أدركوا أنها لفظتهم فمدوا أعينهم و أيديهم إلى الخلف المدنس.

بدءوا كالحية الرقطاء بالتسلل مدعين أن العلمانية من الإسلام و أن الماركسية نظرية اقتصادية لا تتعارض مع الإسلام، ثم كانت الخطوة التالية: العلمانية مذهب يمكن أن يتفق عليه الجميع مع كامل الاحترام للإسلام، ثم لا إسلام بعد اليوم، وبعد أن كانت العلمانية – كما ادعى الفجار – وسيلة لتحقيق العدالة، أصبحت هي

الغاية، و أصبح الإسلام مرفوضا و إن حقق العدالة.

***

انظر مثلا إلى الدكتور علاء الأسواني الذي لم أعترف له بموهبة قط، وحينما كنت مسؤولا منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما عن صفحة عبد الله النديم في الشعب فقد رفضت بإصرار انضمامه إلى كتابها، كما أنني فيما بعد ذلك لم أعترف بموهبته، فقد أدركت إنه يسير على خطا الشيطان من مسيلمة إلى فاروق حسني وصلاح عيسى وعصفور و... و... ولم يختلف موقفي بعد صدور روايته عمارة يعقوبيان، حيث الجنس المبتذل، والقطيعة المعرفية وانعدام المرجعية، وبعض الغزل لليهود ثم الدفاع عن الشذوذ الجنسي، وهذه مقومات نجاح العمل الأدبي بمفهوم العلمانية والحداثة. خاصة إذا صحب العمل ضجة إعلامية لم يظفر بها كاتب في مصر من قبل، ومسارعة من الجامعة الأمريكية لترجمتها لإنجليزية، ثم أعقبتها ترجمة للإيطالية، وكلف وحيد حامد بكتابة السيناريو للفيلم السينمائي الذي تصدى لإنتاجه عماد الدين أديب (!!) راصدا لإنتاجه ٦٠ مليون جنيه!! واستدعاء كبار الممثلين لتمثيله كعادل إمام ونور الشريف ويسرا وإسعاد يونس وهند صبري ومحمد عادل إمام وسمية الخشاب وخالد صالح، خالد الصاوي وأحمد راتب وأحمد بدير وعبد المنعم وباسم سمرة وأحمد صلاح. بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الفنانين الذين وصل عددهم إلى ١٦٠ فنانا. بل وتقرر أن يكون أول فيلم عربي يعرض تجاريا في أمريكا، و...و...

كان واضحا أن الأمر يتعلق بصناعة نجم، بل كانت فضيحة صناعة نجم سوف يؤيد إسرائيل غدا والصليبيين بعد غد وسيظل ضد الإسلام على الدوام، ومن أجل هذا يربى اليوم، ويمنح ما لم يمنح لنجيب محفوظ نفسه، ولم يلتفت أحد إلى نقاد كبار عندهم صغار عندنا كفاروق عبد القادر الذي أكد أن الرواية متوسطة القيمة،

وأنها تسيء إلى المصريين كما قال صبري العسكري أنها مستنسخة من أعمال نعمان عاشور، لكن أحدا لم يلتفت إليهما.

***

إنني أريد أن أنبه القارئ إلى أمر بديهي جدا، و هو أن أي اثنين يتواطآن على ارتكاب الفاحشة، لا يفعلان ذلك في العلن أمام الناس، ولا يحتاجان إلى جدل، تكفي غمزة أو إشارة أو لفتة أو كلمة عابرة لا يلتفت إليها إلا شريك التواطؤ.

وما يتم في سبيل التواطؤ على ارتكاب الفاحشة يحدث أيضا في التواطؤ على خيانة الأمة والدين والوطن.

أظن أن شيئا من هذا القبيل قد حدث من بعض ضباط الجيش العراقي وأمريكا قبيل سقوط بغداد، و أن كثيرا منه لا يكف عن الحدوث بين حكامنا وبين أروقة المخابرات في الغرب.

***

نعود إلى علاء الأسواني، الذي كان عليه أن يسدد ثمن الأفضال التي أسبغت عليه، بالغمزة أو الإشارة أو اللفتة أو الكلمة العابرة، لذلك، فما أن حدث ما حدث في الإسكندرية، إلا وقد انطلق النجم وانبرى، لا ليدين الإساءة البالغة والمسرحية السافلة والكهنة الساقطين، بل ليدين المسلمين أولا!! الذين أدى تطرفهم إلى تطرف بعض المسيحيين الودعاء الطيبين، أو على حد نص الكلام المنشور في صحيفة العربي: «يجب أن نذكر، بصراحة. أن التعصب ضد الأقباط قد أدى بهم إلى تعصب مضاد، وهذه ظاهرة طبيعية، فلو أن طالب الطب القبطي المظلوم، قدر له أن يتولى منصبا قياديا فسوف يتعصب على الأرجح للأقباط ضد المسلمين الذين ظلموه، وقد آثر الأقباط الانسحاب والتقوقع وعزفوا عن المشاركة وتحولت كل مجتمعاتهم إلى كيانات مغلقة عليهم وأصبح القبطي يمارس كل أنشطة حياته عن طريق

الكنيسة وحدها».

أما طالب الطب فلنترك النجم يروي روايته:

حدثت هذه الواقعة أثناء الامتحان العملي في إحدى كليات طب الأسنان، انتهي الطالب من علاج أسنان المريض، وجاءت الأستاذة لتقييم عمله وإعطائه الدرجة، فأعجبت بمهارته وقالت:

- شغلك ممتاز، سأعطيك الدرجة النهائية.

ابتسم الطالب في سعادة، وسألته الأستاذة وهي تتصفح كشف الأسماء:

- اسمك إيه.؟

- إيهاب أمين.

- قل اسمك بالكامل

- إيهاب أمين جرجس.

هنا بدا الامتعاض على وجه الأستاذة ومنحته درجة أقل بكثير من الدرجة النهائية التي وعدته بها، لأنه قبطي، ليست هذه الحادثة شاذة ولا نادرة في كليات الطب، فالطلاب الأقباط يتم إنقاص درجاتهم عمدا حتى تفوتهم فرصة التعيين كمعيدين في الجامعة، ولو أفلت أحدهم في غفلة من الزمن وتم تعيينه فإن إدارة القسم تتعمد غالبا إسقاطه في امتحان الماجستير مرة بعد أخرى حتى يستبعد من الجامعة، هذا الظلم الفاحش، المنافي لأبسط قواعد الدين والأخلاق، يحدث يوميا من سنوات ويعرفه كل طلاب وأساتذة الطب في مصر، ولا يقتصر اضطهاد الأقباط على كليات الطب ولا على الجامعة بل يتعدى ذلك إلى مجالات الدولة جميعا، فالمحافظون ورؤساء الجامعات وقادة الجيش ومديرو الأمن والنائب العام، كلها مناصب محجوبة عن الأقباط، التميز ضد الأقباط حقيقة.

***

عندما أسمع هذه النماذج البشرية، أتصور أنهم ينتظرون من كل مسلم أن يعتذر لأنه مسلم ، و أن يعترف بالخطأ، ويقلع عن الإسلام فيتوب!! ويدهشني سيطرة الخلفية الصليبية على وجدانهم فكل ما يتعلق بالإسلام مدان ولا مبرر له، وكل ما هو متعلق بأي دين آخر محترم ومصان ومقدس وتستدعي دواعي اللياقة والكياسة (والجنتلة!) أن نتحدث عنه باحترام عظيم.

إنني أتعمد التفصيل في هذه النقطة، لا لكي أكشف ما تعلنه كلمات علاء الأسواني، ولا لأفضح ما يضمره قلبه وهو أكبر، و إنما لأعرض أمام القارئ نموذجا تفصيليا لكيفية صياغة الأكاذيب وتلوينها حتى لو اعتمدت في بعض أجزائها على وقائع حقيقية أو صادقة.

نعم.

هناك تحيز في بعض الأقسام في بعض كليات الطب ضد المسيحيين – وهو خطأ لا ندافع عنه أبدا–، لكنه خطأ فردي، لأن ذلك الخطأ لو كان عاما أو جماعيا لوجدنا على سبيل المثال أن عدد الأطباء الأقباط نصف نسبتهم العددية في المجتمع، فإن كانت نسبة الأقباط أقل من ٦٪ فإننا نتصور أن نسبة الأطباء ستكون ٣ أو ٤٪ مثلا.

لكن الحقيقة التي تخرق كل عين ومنها عيني علاء الأسواني أن الأقباط يملكون ٦٠٪ من الصيدليات، و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة!!.

نعم.

٤٥٪ من العيادات الخاصة ومنها طبعا عيادات الأسنان.

فهل تشعر بالاشمئزاز أيها القارئ من طريقة نجومنا في نسج الأكاذيب وتلوينها وتوظيفها في النهاية ضد الأمة والدولة.

٤٥٪ من العيادات الخاصة ومنها طبعا عيادات الأسنان.

يا له من اضطهاد جميل ليت الأكثرية الإسلامية تتعرض لمثله.

وسوف أقول الآن أمرا يبدو متناقضا مع هذه النسبة، لكنني سأفسره على الفور.

مع الاحتلال الفرنسي القصير انحرف كثير من المسيحيين كما انحرف كثير من المسلمين، ومالؤوا المحتل، وبعد هزيمة نابليون وفراره ثم انسحاب الحملة كلها بدأ الغزو الثقافي عن طريق محمد على وبعثاته (هناك وثائق تؤكد أن فرنسا قبل انسحابها كانت قد رتبت الأمور لمحمد على لكي ينتهي الحكم إليه، على أي حال، سادت الثقافة الفرنسية واستبدل الغزو الثقافي بالغزو العسكري. في هذه الفترة أنشئت كلية الطب وكان كل أساتذتها من الأجانب، الذين اختاروا فيما بعد أكثرية من المسيحيين، واضطهدوا المسلمين في استقواء خسيس بالمستعمر، حتى أن بعض الأقسام كقسم النساء والولادة في طب القصر العيني، ظل عشرات الأعوام لا يسمح لمسلم واحد فيه بالتخصص في النساء والولادة تحت رئاسة أستاذ القسم العالمي المشهور: الدكتور نجيب محفوظ.

بعد معاهدة ٣٦ بدأ رد الفعل العكسي، و أصبح ممنوعا على أي مسيحي أن يتخصص في هذا الفرع، واستمر الأمر نصف قرن حتى بدأ التوازن يعود من جديد.

لكن..

على الرغم من ذلك ظل الأقباط يملكون ٦٠٪ من الصيدليات، و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة.!!

والحقيقة أن مثل هذه الأحداث – خاصة من ناحية المسلمين – لا تعود إلى تفرقة دينية بقدر ما تعود إلى عصبية قبلية، كتلك التي نشاهدها ما بين جامعة القاهرة وعين شمس، أو ما بين جامعات القاهرة والأقاليم. و أفسر التناقض فأقول: يوجد قدر قليل جدا من التمييز ضد الأقباط، ولن أجامل في الحق يا قراء، إنه تمييز يكاد أن يكون مشروعا، ففي القرنين الماضيين أدى استقواء الأقباط بالغرب إلى خلل

جسيم في الموازين، جعل الأقباط الذين يمثلون أقل من ٦٪ يمتلكون ٦٠٪ من الصيدليات و ٤٥٪ من العيادات. و أظن أن هذا لو حدث في بلد غير مسلم، لتم استصدار قرارات مشددة بوقف التحاق أبناء الأقباط بكليات طب الأسنان وكليات الصيدلة، وأن ما منع صدور هذا القرار: ليس إلا سماحة الإسلام.

أما عن الغبن الكاذب الذي يشعر به الأقباط فهو كالحمل الكاذب، فإن لم يكن فلتخطيط فاجر، إن – بعضهم- يحنون إلى عهد الاستعمار عندما كانت له اليد الطولى، يحنون إليه فيستدعون الأمريكي القذر لاحتلال البلد، ولست أدري كيف غفلوا وقد عاشوا معنا مئات القرون، عن أن قوة التوحيد في قلوبنا، تجعلنا ننكسر ونخسر لكننا لا نهاب ولا ننهار. ونحن نعرف على سبيل المثال أن أمريكا أقوى، و أن بوش أقوى لكن البغل أيضا أقوى فإذا أخذت الذبابة شيئا من أي منهما – بوش أو البغل- لما استطاعا استرداده، ضعف الطالب والمطلوب. وفي نفس هذا الإطار دار الحوار بين الغازي المتنصر نابليون وبين علماء الأزهر، وراح نابليون يمارس ألاعيبه كي يبهرهم ويقهرهم ويجعلهم يدركون أن لا قبل لهم بنابليون وجنوده، لكن عالما من العلماء أدرك ذلك فأجابه إجابة صاعقة: فالله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، كانت الإجابة تحمل عمق التاريخ من الثراء الروحي والعمق النفسي، والقدرة على امتصاص أي قدر من الهزائم، ثم الاستعانة بمن يأتي بالشمس من المشرق والانتصار من جديد، كان المعنى يحمل ذلك، لكن مخبر قسم شرطة السيدة زينب، القذر، جعل من هذا الرد المعجز مادة لتندره ودليلا على تخلف المسلمين وظلاميتهم. وكان هذا دأب كل أعضاء الحلف المدنس، غير المقدس.

لكننا نعود إلى قصة الدكتور علاء الأسواني لأنها نموذج للكذب الذي لا يقف على قدمين أبدا، و أنا لا أتمالك إلا الدهشة: ألم يسعف النجم الساطع خياله ليحبك الكذبة أكثر.

نعود إلى الفرية التي تنتهج نهج الميلودراما المباشرة الساذجة:

فالأستاذة تمتحن الطالب دون أن تعرف اسمه!! ودون أن يوزع عليها رئيس القسم قائمة بأسماء الطلاب الذين وزعهم عليها لتمتحنهم، ودون أن تطلع على بطاقته خشية أن يأتي آخر ليمتحن بدلا منه، ثم هي لا تعرفه، وهذا يعني أنه في الأغلب الأعم ليس في الماجستير أو الدكتوراه، لأن عدد الطلبة القليل في الشهادتين يجعل العلاقة مع الأساتذة مباشرة، إذن، الطالب في الكلية، والأستاذة لا تعرفه، ولم تسأله عن اسمه منذ البداية، واكتمال الكذبة يستدعي أن تنبهر الأستاذة بإجاباته، لتكتشف أنه مسيحي، فلا تعطيه الدرجة التي يستحقها.

لم يقل لنا النجم الساطع مصدر معلوماته ولا من حكى له الحكاية، المفترس أم الفريسة، ولم يكن يستطيع أن يقول لنا أنه سمعها بنفسه، لسبب بسيط، أنه درس ماجستير طب الأسنان في جامعة أمريكية.

القصة إذن فبركة الدكتور علاء الأسواني، ونعم، توجد أخطاء فادحة ويوجد تحيز، وقد يكون ضحاياه أحيانا من الأقباط لكن الضحايا معظمهم من المسلمين.

يلح عليّ سؤال لعلاء:

- هل تصلي؟ !.

ويلح عليّ سؤال آخر، إذا كان الظلم يحيق أحيانا ببعض الأقباط فلا يعينون في مناصب معينة – دون أن يؤثر هذا على النسبة العامة: الأقباط يملكون ٦٠٪ من الصيدليات، و ٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة. أقول إذا كان هذا يحدث فهل يمكن أن يخبرني النجم الساطع عن عدد الذين يحرمون من تولي أي منصب في الجامعة لأنهم يصلون الفجر جماعة في المساجد؟ !.

هل يمكن أن يخبرني عن أي مكان يمنع المسيحيون من ارتياده لأنهم ملتحون،

أنا أخبره بعشرات الأماكن يمنع المسلمون من ارتيادها حتى في الأفراح، عشرات الأماكن و أولها النوادي العسكرية.!!

هل يملك علاء الأسواني للسؤال إجابة؟ !

هل يمكن أن يفسر لي علاء الأسواني تسامح الدولة بلا حدود مع الأقباط وشبابهم الذين نكلوا بالشرطة وضربوهم ومع الخنزير زكريا بطرس، وقسوتها بلا حدود مع المسلمين.

هل يمكن أن يفسر لي علاء الأسواني إلى من تنحاز الدولة وهي تصر على إغلاق صحيفة الشعب التي كان علاء من كتابها – للأسف – ثم لا تجرؤ على العبث بحق – مشكوك فيه – يجعل من حق كل كنيسة أن تصدر صحيفة لا تجرؤ حتى الكلاب على النباح عليها؟ .

هل يمكن أن يفسر لي علاء الأسواني شيئا عن قناة الخنزير زكريا بطرس الذي يحصل على أكثر من مائة وعشرين ألف جنيه مقابل كل عظة ينطقها الشيطان على لسانه، وكيف لا يجرمه القانون ولا يحرمه البابا (الذي حرم جمال أسعد بسبب معارضته).

وهل يمكن أن يفسر لي أمر القناة القبطية الأخرى التي لا نعرف عنها شيئا سوى ما قاله الأب بيشوي الأنطوني المدير العام للقناة التي سميت قناة (أجابي) التي تعني المحبة بالقبطية و أنها تسعى إلى ربط الأقباط الموجودين في مصر بالأقباط الموجودين في الخارج وأن ننقل كلمة الرب.

وأضاف نقول أن قناتنا ستقربنا من المسلمين وقد يفهموننا أفضل وأفضل من خلال القناة. وسيقدم برامج القناة كهنة وشمامسة وستذيع في البداية ساعتين يوميا تجري إعادة بثها. ويرأس القناة الأنبا شنودة بابا الأقباط وتمول من التبرعات.

***

ونقل التقرير عن الأب بيشوي الأنتوني أحد المديرين التنفيذيين في القناة قوله: القناة تخضع لتوجيه البابا شنودة الثالث نفسه، الذي عين لجنة عامة تتشكل من ١٣ أسقفا لإدارة القناة. وأضاف: القناة تتم إدارتها من داخل دير في شمال شرق القاهرة.

كان قد تقرر بدء بث القناة الفضائية في ١٤ نوفمبر الماضي على القمر الصناعي الأمريكي تيليستار ١٢ الذي يغطي مصر وعدة دول إفريقية.

هل يمكن أن يفسر لي علاء الأسواني أمر القناتين الأخريين، قناة ستمنح للحيزبون نوال السعداوي والأخرى لحمدي قنديل.

لاحظوا أن كل القنوات الآن ضد الإسلام فإذا أضفنا القنوات الحكومية ازداد الأمر سوءا، كما يزداد سوءا مرة أخرى عندما نكتشف عدم وجود أي قنوات دينية مصرية.

ومرة أخرى لاحظوا يا قراء ذلك الحلف المدنس لا المقدس بين النظام والعلمانيين والشيوعيين والأمن ثم الأقباط من ناحية والاتجاه الإسلامي من الناحية الأخرى.

نعم حلف مدنس تصل الخسة فيه إلى حد مدهش، فالمثقفون يبررون جرائم السلطة – لا أقصد جرائم الرأي، ولست أراها جرائم– ولا تهتز لهم شعرة لعشرات الآلاف من المعتقلين ما داموا مسلمين، ولا لعشرات المقتولين بيد المحاكم العسكرية، ولا للتزوير، وقد ترتب على هذا كله تفشي الفساد بصورة مروعة لم تحدث أبدا، ذلك أن المجرم القاتل المعذب المزور لن يستنكف أبدا عن سرقة البلاد في منظومة يزعمون أنها لمحاربة الإرهاب وإنما هي حرب على الإسلام يتحاكمون فيها إلى الطاغوت وقد أمِروا أن يكفروا به، يقوم المثقفون إذن بمعظم الدور الداخلي، ثم يأتي الأقباط يضمنون رضا الطاغوت الغربي على مواجهة دين أهل

البلاد بأي طريقة، ولو بتزوير الانتخابات، ولو بالتعذيب والتشريد والقتل. أما الشيوعيون فهم أخس الجميع وهم سماسرة بيع شرف الأمة، ولاحظوا يا قراء، أن الشيوعيين، رواد الإلحاد و أساتذة الكفر يتحدثون بمنتهى الاحترام عن القبط – دون المسلمين– وتنهال أموال الأقباط عليهم، و أصواتهم أيضا في الانتخابات.

ورغم حجم المرارة الطافحة فإن هذا الحلف طبيعي وكان علينا أن نتوقعه لا أن نندهش له، ذلك أن الإسلام حين – بإذن الله – ينتصر سوف يكتسح هؤلاء جميعا كما يكتسح فيضان النهر أكداس القمامة والجيف التي ترسبت في مجراه فترة الجفاف.

نعم.

عندما ينتصر الإسلام بإذن الله سوف يقضي على الطاغوت، والفساد، والعمالة، والخيانة، والمال الحرام. والتزوير. والتهريب. والتعذيب. وسوف يحجم فساد القضاء، وسوف يحاكم أجهزة أمن وعدل حولت القانون إلى سكين في يد مجنون، وسوف يعيد النصارى إلى حجمهم الطبيعي: أقل من ٦٪، وسوف يتمتعون بحقوق أكثر من حقوق أي ٦٪ أخرى في العالم!!.

فهل أدركتم يا قراء أن هذا الحلف كان محتما.

و أن مواجهة عنصر واحد من عناصره تمثل خطأ عقديا وإستراتيجيا أيضا وذلك ما أنبه إليه و أحذر منه.

إن أطراف الحلف الخسيس كلها، كل منها يستتر خلف الآخر – بمنتهي الخسة والجبن– ليستتر الجميع خلف البابا شنودة، الذي يسلط أتباعه في الداخل والخارج للتحذير من المسلمين.

إن المستفيد الرئيسي من هذا الحلف المدنس هم كل الطوائف التي ذكرت، ما عدا النصارى، فهم ضحاياه. ذلك أن وضع الآخرين جميعا مؤقت سرعان ما تلفظهم الأمة كما يلفظ الجسد خبثه، وكما يطرد الخراج صديده وكما يطرد الحديد

صدأه، نعم وضع هؤلاء جميعا مؤقت وعارض، أما الدائمون معنا فهم النصارى، الذي لن ينسى المسلمون لبعضهم أبدًا أنهم خانوهم وقت الأزمة، وكانوا عونا عليهم لا لهم.

ترى: ماذا يمكن أن يحدث لهم إذا اعتدل الميزان؟ .

هل يرضى النصارى أن يعاملوا بعد عشرين عاما كما يعامل المسلمون اليوم في أمريكا؟ !.

أطراف الحلف الخسيس كلها إذن تستتر خلف النصارى ليكون الصدام مباشرا بين المسلمين وبينهم فهذا سيكون أفعل في الاستقواء (لا يراعي المجرمون خطورة ذلك على الأمة).

والمطلوب ألا يستدرج المسلمون إلى هذا.

إنني أخشى من أن يفهم البعض مما سأقوله على الفور أنني ضد المظاهرات التي خرجت تندد بالمسرحية السافلة والكهنة الساقطين ومغارة اللصوص، على العكس، لو استطعت أن أقبل قدم كل من خرج محتسبا لينصر دينه لفعلت.

بالطبع، أنا ضد أي نوع من التخريب.

لكنني في نفس الوقت أرى أن السبب في التخريب ليس العامة الذين استثارتهم المسرحية الفاجرة، بلْ الأجهزة الفاسقة التي علمت بالكارثة ولم تتحرك.

كان يمكنها أن تطفئ النار فلم تطفئها، ليس مجرد إهمال لأمر الإسلام والمسلمين، ولا مجرد تفريط في أمن الدولة، بل تصعيدا للصراع بين المسلمين وبين النصارى.

لاحظوا يا قراء أنهم جميعا و أولهم البابا شنودة يميلون إلى التصعيد، ذلك أنهم يظنون -أخلف الله ظنهم- أن الظروف لم تكن في صفهم عبر التاريخ كله كما هي الآن، و أن أمة الإسلام لم تتشرذم كما هي الآن، و أن الحكام لم يكونوا أبدا أشد

خيانة وفسوقا مما هم الآن، و أن النخبة لم تخن أمتها كما تفعل الآن، فلماذا لا ينتهزون الفرصة إذن.

بل، أليس هذا المعنى بتمامه هو عنوان الكتاب الشهير لريتشارد نيكسون – الرئيس الأمريكي الأسبق– الذي كتب كتابا بعنوان : «انتهزوا الفرصة».

بعد انهيار وتفكّك الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الاشتراكي وإثر حرب الخليج الأولى انتهى النظام العالمي «القديم »متعدّد الأقطاب ليحلّ محلّه نظام أصطلح على تسميته بالنّظام العالمي الجديد وساد رأي بالإدارة الأمريكية وخاصة لدى صنّاع القرار مفاده أنّ الولايات المتّحدة «حققت قيادتها المطلقة للعالم لأنها استطاعت أن تمسك باللّحظة التاريخية الفريدة التي توفّرت لها» وعليها منذ الآن أن تستعمل كلّ إمكاناتها المادّية والمعنوية للحفاظ على هذا المكسب وأن تؤسّس له للاستئثار بريادة العالم وزعامته وإعادة صياغته وتشكيله من جديد وفق المصالح القومية الأمريكية، وكيف لا وهي التي تتمتع بتفوق لم تصل إليه أعظم الإمبراطوريات منذ فجر التاريخ : «فهي تمارس سيطرة لا نظير لها على كل أنحاء العالم وتنتشر قواتها حوله من سهول أوروبا الشمالية إلى خطوط المواجهة في شرق آسيا» وعلى امتداد وطننا العربي «كما تسيطر على النظام المالي العالمي وتوفر أكبر مجمع لرأس المال الاستثماري وأوسع سوق للصادرات الأجنبية » بحيث إذا هبطت الأسهم في وول ستريت تداعى لها الاقتصاد العالمي بأسره. فكان أن سيطرت على صانعي الاستراتيجية الأمريكية فكرة الفرصة التاريخية السانحة فصدرت في تلك الفترة كتب ودراسات تؤسس لهذه الغاية وتعمل من أجل هذا الهدف حتى إن الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون نفسه أصدر كتابين أحدهما بعنوان (انتهزوا الفرصة Seize The Moment) والثاني ١٩٩٩ نصر بلا حرب (Victory Without War 1999) شدّد فيهما على نفس الأفكار المشار إليها

وحذر في الكتاب الثاني من الإسلام الذي سماه «المارد الأخضر» في إشارة إلى «المارد الأحمر» الشيوعي المتمثل بالاتحاد السوفيتي المنهار.(نايلي نبيل، باحث في الشؤون الاستراتيجية. جامعة باريس المشروع الإمبراطوري في السياسة الأمريكية: من التطهر التبشيري إلى استراتيجية الصدمة والتروي).

كما يحاول اليهود جر العالم إلى حروب مهلكة يخرجوا هم منها سالمين ظافرين، فإن النخبة المجرمة وجميع أجنحتها من ضباط ومثقفين وكلاب صيد تمزق وخنازير تدنس وكهنة ساقطين وكتبة كذبة فاسدين، كل أولئك يريدون تفجير الفتنة في مصر لعل أمريكا تأتي لتنصرهم نصرا حاسما.

لست قلقا من ذلك، فلدي وعد مكين من رسول أمين بأن مصر في رباط إلى يوم القيامة. لكنني أريد أن أحقن الدم، و أرى أن التوجه يجب أن يكون تقوية الإسلام وليس مواجهة النصارى.

إنني لست ضد التظاهر، بل أنا معه ومع الإفراط فيه بضوابطه الشرعية قبل الأمنية، و أعود إلى التذكير بما قاله هيكل، من أن أمريكا غيرت موقفها من العالم العربي عندما وجدته لا يقاوم، لو قاوم ما حدث ما حدث، بل ولقد تمنيت بالنسبة للمظاهرات الحاشدة، أن تحاصر وكرا للشيطان قتل فيه من التعذيب مسلم، أو لجنة للشيطان يزور فيها صوت، أو قاضيا من قضاة النار، بنفس الحمية التي حاصرت بها بيتا من بيوت العبادة حوله أبناء الأفاعي إلى مغارة لصوص.

إن فتح جرح مملوء بالصديد في جسد انعدمت مناعته قد يؤدي إلى تسمم الجسد كله.

إن الجسد العليل الذي هاجمته الطفيليات والطحالب والجراثيم والحشرات إنما يزداد مرضه وتتفاقم علته لو وجهت جهدي إلى إبادة الجراثيم أو مكافحة الطحالب، وعلاج مثل هذا الجسد إنما يأتي كنتيجة لتقويته وزياد مناعته، وفي هذه

الحالة ستتساقط الأوصاب جميعا.

وزيادة القوة والمناعة تأتي بأمرين: العوامل الإيجابية التي يجب توفيرها، والعوامل السلبية التي يجب القضاء عليها.

إن المواجهة مع النصارى تعطيهم أكبر من حقهم وحجمهم وتعطينا أقل من حقنا وحجمنا، كما أنها تلون الصراع بلون طائفي كاذب، فنحن لسنا ضد النصارى الذين ينتمون لمصر، بل ضد النصارى الذين يعبدون أمريكا و إسرائيل. كما أن هذه المواجهة ستطمس حقيقة الصراع كونه صراعا بين شرفاء وعملاء، بين أمناء وخونة، بين مواطنين صالحين وقطاع طرق مزورين لصوص أصبحوا في غفلة منا حكاما وقادة جيوش ووزراء عدل وكتاب سوء، وأبناء حكام، وزوجات حكام.. و..و.. بغض النظر عن كونهم نصارى أو مسلمين.

***

لأسباب لا بد أن القارئ سيتفهمها سوف أتعرض لموقف النائب العام من القضية باختصار شديد، فالرجل صرح جهارا نهارا أنه سيستهدف من يكتبون في الموضوع.

لكنني أؤكد في حدود وعيي وعلمي أن مصر لم تقابل قرارا للنائب العام بمثل هذا الاستنكار والاستهجان أبدا.

بل إن الأمر يتجاوز كل حد ممكن، فليس له سابقة ولا مثيل فالنائب العام يواجه بمانشيتات الصحف تتهمه بالكذب، كما تتهم وزير العدل بالتزوير.

أتناول الأمر باختصار متسائلا في الوقت نفسه: هل النائب العام من قضاة الجنة أم من قضاة النار؟ ..

ولست أخشى السجن ولا حتى الموت في سبيل الله، ولكن علينا تجنبهما، فإن جاءا فسنثبت ونصبر إن شاء الله.

لقد بدا موقف النيابة مثيرا لتساؤلات الكثيرين، وكان ما تنشره الصحف يخفي أكثر مما يظهر.

انظر مثلا إلى البيان التالي:

مصدر قضائي مسئول لـ الوفد:

النيابة لن تحقق في مسرحية الفتنة، لعدم وجود بلاغ.

أكد مصدر قضائي مسؤول لـ«الوفد»أن تحقيقات النيابة العامة بالإسكندرية لن تتناول أسباب اندلاع المظاهرات الدامية بمنطقة محرم بك. ولن تتناول التحقيقات حكاية اسطوانة الـCD المسجلة للمسرحية التي أثارت الأزمة.

وبدا التصريح غريبا، لأننا تعودنا أن النشر في الصحف يعدّ بلاغا.

ولم تعلق النيابة.

ولكن بدا أن النيابة مصرة على عدم التحقيق.

وفي ٣١ - ١٠ -٢٠٠٥ نشرت صحيفة المصريون:

اتهمت مصادر قانونية رفيعة المستوى النائب العام المستشار ماهر عبد الواحد بالمسئولية غير المباشرة عن اندلاع أحداث كنسية مار جرجس التي شهدتها الإسكندرية وخلفت ٣ قتلى وعشرات المصابين بعد أن تواترت أنباء عن وجود عرض مسرحي يسيء إلى الإسلام ونبيه محمد ﷺ .

وشددت المصادر على أن جهات أمنية علمت بأنباء قيام جهات بتوزيع الـCD الذي يتضمن المسرحية على طلاب وموظفي جامعة حلوان بدون التميز بين مسلم ومسيحي وشاهدت المسرحية وقدمت بلاغا للنائب العام وأرفقت به نسخة من المسرحية وطلبت منه اتخاذ اللازم فما كان من المستشار ماهر عبد الواحد إلا حفظ البلاغ في مكتبه والامتناع عن إجراء أي تحقيق.

وانتقدت المصادر تجاهل النائب العام التحقيق في القضية ومساءلة المتورطين

فيها مشيرة إلى أنه لو اتخذ أي إجراء جاد يستبق الأحداث لتم استبعاد السيناريو الدامي الذي وقعت أحداثه أمام كنيسة مار جرجس من تدافع للمسلمين احتجاجا على العرض المسرحي الذي يسخر من الإسلام.

وأبدت المصادر استياءها البالغ من عدم توجيه النائب العام اتهاما لقساوسة ورهبان كنيسة مار جرجس طبقا للمادة ١٦٠ من الدستور والذي يعاقب بموجبه أي شخص عرض الوحدة الوطنية المصرية للخطر أو قام بفعل يضر بالسلام الاجتماعي.

وانتقدت المصادر قيام البابا شنودة بمعاقبة كهنة الكنيسة التي مثلت فيها المسرحية بالنقل إلى دير وادي النطرون أو دير السريان أو نقلهم إلى الأديرة النائية باعتبار أن ذلك قرار كنسي يخرج هؤلاء عن سلطة الدولة ويكفل لهم حصانة غير دستورية مشيرة إلى أن مثل هذه التصرفات تفقد الدولة هيبتها وكرامتها وحقوقها القانونية بقدر ما يشل من سلطانها على بعض مواطنيها لافتة إلى أن الكهنة والرهبان وسائر الأقباط ليسوا فوق القانون ومعاقبتهم تعد مهمة الحكومة وليست مهمة الكنيسة أو أحد اختصاصها.

وطالبت المصادر شيخ الأزهر بالتدخل للإفراج عن ١٠٢ من المواطنين المسلمين أسوة بما قام مع البابا شنودة الذي اعتكف بدير وادي النطرون حتى أفرجت النيابة العامة عن الشباب الأقباط الذين ألقي القبض عليهم على خلفية أحداث وفاء قسطنطين مطالباً د. طنطاوي بموقف مشابه لمواقف البابا شنودة عندما أثيرت قضية اعتناق وفاء قسطنطين للإسلام وعدم الاكتفاء بإصدار بيانات علاقة عامة لا تقدم ولا تؤخر وتسهم في عدم احترام قدسية الدين الإسلامي.

و كان الدكتور محمد سليم العوا الفقيه القانوني قد حمل النيابة العامة في تقرير ضاف نشرته صحيفة الأسبوع المستقلة مسؤولية تدهور الأحداث و تصاعدها

لصمها عن التحقيق في البلاغ الذي قدم إليها قبل أن يعلم المواطنون بأمر المسرحية ويتسع نطاق توزيعها ملمحا إلى أن خضوع الكهنة والقساوسة الافتراضي لهذا التحقيق كان سينهي الأزمة في مهدها.

وأشار العوا إلى أن تصرف النائب العام قد حول الكهنة والقساوسة إلى دولة داخل الدولة ويعد تكريسا وتضخيما لمفهوم الطائفية الذي لم يعد مفهوما في حالة الدولة الحديثة التي يحكمها مبدأ المواطنة.

وحذر العوا من أن الصمت على تجاوزات الكهنة والقساوسة للقانون وإفلات المتورطين وراء المسرحية من الحساب يشكل خطورة بالغة على الأمن والاستقرار في مصر ويهدد بحدوث فتنة تأكل الأخضر واليابس على حد قوله

وفي تصريحات خاصة لـ«المصريون» قال الدكتور أحمد المجدوب الخبير الاجتماعي بالمركز القومي للبحوث إن المعلومات التي تفيد معرفة جهاز أمن الدولة بتداول الـCD بين طلاب جامعة حلوان وإبلاغه النائب العام بذلك هي معلومات بالغة الخطورة ، وإذا كان النائب العام علم بأمر الـCD قبل عرضه بفترة كافية فإن ذلك كان يلزمه بالتحقيق ، وبإصدار قرار بمنع تداول الـCD وعرضه بالإضافة إلى الحصول على جميع النسخ الموجودة والتي تداولها هؤلاء الطلاب وهو الأمر الذي كان كفيلا بمنع الأزمة قبل اشتعالها لفترة كافية ، مؤكدا على أن الخطأ الأكبر يتمثل في طبع CD كهذا وتداوله لأنه يسيء إلى الدين الإسلامي الذي هو دين الأغلبية في مصر فيما يجعل اعتذار الكنيسة أمرا واجبا لأن الخطأ كبير ولا يمكن تجاهله.

***

ثم بعد هذا كله حدثت المفاجأة الهائلة المزلزلة التي ليس لها في تاريخ النيابة مثيل:

مفاجأة يعلنها النائب العام للأهرام: لم تعرض في كنيسة بالإسكندرية مسرحية

تسيء للإسلام.

أعلن المستشار ماهر عبد الواحد النائب العام - في تصريحات خاصة لـ محمد زايد مستشار رئيس التحرير - أن التحقيقات في أحداث الإسكندرية الأخيرة كشفت عن مفاجأة مهمة فقد تأكد أن المسرحية التي قيل إنها عرضت داخل كنيسة مار جرجس في منطقة محرم بك وتضمنت إساءة للإسلام لم يحدث أن عرضت أصلا كما ثبت أنه لم يشهدها أحد، ولا استمع مواطن لاسطوانة الـC.D المدعاة. وقال : إن التحقيقات أوضحت على نحو قاطع أن الادعاءات المضللة هي التي أثارت حالة التجمهر والشغب وما ترتب عليها من أحداث مؤسفة.

***

كان الكل قد اعترف، ولم يبق إلا فضيلة المفتي والنائب العام.

ولقد سبق المفتي النائب العام بهذا الرأي ولكن عصورا من امتهان الحكام للعلماء جعلت الناس لا يأخذون كلام المفتي على محمل الجد، بل كثيرا ما يكون موضعا للتندر.

ويوم أصدر فضيلة المفتي فتواه جاءني صديق يضحك وهو يقول:

- هل لي أن أروي لك طرفة عن شيخ كبير من شيوخ الأزهر؟ .

وقلت له:

- أوافق بشرط ألا تكون على شيخ الأزهر شخصيا فالرجل لا يفحم أعداءه بل يسجنهم.

ووافق الصديق على الشرط وراح يروي طرفته:

- ذات يوم خرج الرئيس في رحلة صيد اصطحبه فيها شيخ من شيوخ الأزهر، وكان الرئيس قد بلغ أرذل العمر، وكان بالكاد يرى، لكن الشيخ الكبير لم يتوقف عن نفاقه وامتداحه للرئيس كصياد ماهر، ومر سرب من البط، وحاول

الرئيس اصطياد بطة منه ففشل وإذا بالشيخ الكبير (أؤكد أنه ليس شيخ الأزهر) يصرخ : هذه معجزة، هذه معجزة وكرامة للسيد الرئيس، لقد مات سرب البط كله بعد أن أصابه السيد الرئيس لكنه بفعل المعجزة ما يزال يطير، وهو ميت.

أنهى الصديق طرفته منتظرا أن أنفجر في الضحك لكنه وجدني صامتا، ثم أجبت على نظرته المتسائلة هامسا في ألم.

- لم تعد الطرف تضحك، بل إنها تحرض على البكاء.

***

تقبل الناس ذلك من المفتي، (أرجو الرجوع إلى صدر المقال، أنكر المفتي في التلفاز أمام الملايين ثم عاد ليعترف في مجلة محدودة التوزيع).

لكن.

عندما صرح النائب العام بما صرح به انفجر الغضب.

وكان مما كتب ما قاله المفكر القبطي جمال أسعد والذي انتقد بعنف التصريحات التي نشرتها صحيفة الأهرام منسوبة إلى النائب العام، ونفى فيها وجود المسرحية المسيئة للإسلام التي أثارت أحداث العنف في الإسكندرية، وذلك رغم اعتراف الكنيسة بعرض المسرحية وتسجيلها على «سي دي»، وكتب أسعد يقول «إن الطريق إلى جهنم مفروش بالنيات الحسنة يا سادة، ولذا فهل تعلمون حضراتكم ما هو رد الفعل الطبيعي لدى كل من المسلمين والمسيحيين من جراء تلك النيات الحسنة وتلك المعالجات الخاطئة، والتي مازلنا نصر عليها والتي لا تخرج عن شعارات فارغة جوفاء أو اختلاق معلومات غير صحيحة أو التخفيف من الوقائع في وقت يجب فيه المصارحة أو الشفافية، والتستر على المخطئ في وقت يجب فيه تحديد المسؤولية ومحاسبة المخطئ. أقول : إن رد الفعل تجاه ذلك الخبر لدى المسلمين هو الإحساس بالتستر على المخطئ وعدم تحيد المسؤول، والأهم هو

عندما ننسب تلك التصريحات للنائب العام حتى نعطي الإيحاء بأنه نتيجة للتحقيق فتحدث هنا ردود فعل عكسية واستفزازية تؤكد التواطؤ للمداراة على الخطأ والمخطئين، خاصة أن الخبر جاء في إطار نفي ما هو معلوم وما هو معترف به من صاحب الشأن وهو الكنيسة، أفلا يعطي هذا إحساسا بأن هناك قوة أكبر من القانون تضغط لصالح طرف، ألا يجعل المسلم يشعر بأن هناك تدليسا على الإساءة لدينه، ألا يولد ذلك مزيدا من الكبت والاستفزاز الذي يتراكم ويولد انفجارا لا نعلم سببه ومكانه وزمنه.

وأضاف أسعد «أما رد فعل المسيحيين تجاه الخبر فهو الاستقواء حيث إنهم يعلمون أن المسرحية عرضت فعلا وبها إساءة خاصة بعد اعتراف الكنيسة بهذا، ولكن قد انتابهم إحساس فعلا بالاستقواء يجعلهم يهارون ويدعون، باسم النائب العام، أنه لم تعرض المسرحية أصلا وهذا يعني أن الجانب المسلم قد اختلق تلك المسرحية وقد افتعل ذلك الحدث حتى تتم مهاجمة الكنائس وأن هذا هدف إرهابي للضغط على الأقباط واضطهادهم، كما أن ذلك الخبر قد أعطى الحجة لأقباط المهجر للمزايدة والمبالغة.

الموقف لم ينته بعد ولم تنته آثاره الطائفية وإذا لم يتم التحقيق من خلال الشفافية والمواجهة لتحديد المسؤول ومعاقبته قانونا، فستكون تلك الحادثة مثل سابقيها، حادثة طائفية تترك جرحا غائرا في نفوس المسلمين حيث إنه تمت الإساءة إلى دينهم، وفي نفوس المسيحيين حيث إنه تم الاعتداء على كنائسهم، خاصة وأن كل طرف يعتبر نفسه المجني عليه».

***

أما القس فلوباتير فقد قال فلوباتير في «صوت الأمة» يوم الأحد ٢٩-١٠-٢٠٠٥:

١ - «أعتبر هذه التصريحات مستفزة ولا تحترم عقلية الشارع المصري لأن السيد النائب العام لم يستطع الوصول إلي حقيقة معلنة للكل ، فهل سيادتكم لم تقرأ صحفا كثيرة ولم تستمع إلى بيانات كثيرة صدرت عن الكنيسة والمجلس الملي تؤكد وجود مسرحية فعلا ولكنها تنفي أنها تحمل أية إساءة للإسلام؟ إن كنت سيادتك تريد إطفاء لهيب مشتعل فنحن نطالبك بالصدق والشفافية بدون أية مجاملة لطرف على حساب الآخر».

٢- «هذه التصريحات يمكن أن تثير فتنة طائفية أخرى لأن الأقباط يمكن أن يثاروا بسبب تصريحاتك هذه عن إخوانهم المسلمين بسبب إحساسهم بظلم وقع عليهم ويمكن أن يتساءلوا أنه إن لم تكن هناك مسرحية فلماذا كل هذه الثورة من شركاء الوطن ولماذا كل هذه الاعتداءات عليهم وهذه الخسائر التي مني بها الأقباط وهذه الإهانة الكبيرة التي حلت بمقدساتهم، فهل يمكن أن يطالب الأقباط باعتذار يقدمه فضيلة شيخ الأزهر لأقباط هذا الوطن عن كل ما قام به مسلموه؟ »

٣- لماذا لا تقوم النيابة بعمل تحقيق كامل في الموضوع لبيان مدى ما أخطأ به كل طرف وليخرج الأمر بشكل حيادي.

سيادتك بتصريحاتك هذه أغضبت الطرفين، فالأقباط لم يسعدوا كثيرا بها بسبب أنها تخالف الحقيقة وتظهرهم كما لو كانوا مسنودين من الدولة. إن تصريحات سيادتك لم ترض الإخوة المسلمين بل علي العكس يمكن أن يزيد حزنهم وضيقهم لأن إشاعة ازدراء الأقباط بعقيدتهم بل أكاد أقول : أنها أكدتها ، وكأن النائب العام في مصر تأكد من أن هناك ازدراء ، وأراد أن ينفيه لتهدئة الجو فقام بنفي وجود المسرحية من الأساس فهل هذا مقبول!؟ ويبقي السؤال من المستفيد من هذه التصريحات؟ ولماذا في هذا التوقيت بالذات تصدر؟

أخيرا كررت كثيرا في مقالي هذا عبارة فتنة طائفية وأخشى أن يخرج لي السيد

النائب العام بتصريح يقول : إنه لم تحدث أصلا فتنة طائفية في حي محرم بك، بل لا توجد في الإسكندرية منطقة تسمي محرم بك!.

***

المحامي الشهير الدكتور محمد سليم العوا، خاض أشرف و أذكى معاركه في هذه القضية (أدعو الله أن يغفر له ما انتقدته فيه قبل ذلك من أخطاء وخطايا) وكتب عدة مقالات كانت آخرها في صحيفة الأسبوع وتمثل قطعة من الأدب الرفيع الذي تختلط فيها السخرية الخفيفة بالأدب الجم. إنه يعاتب الناس لأنهم لم يفهموا ما قصده النائب العام بقوله : أن المسرحية لم تعرض أصلا، يقول الدكتور العوا في صحيفة الأسبوع ٧/ ١١/ ٢٠٠٥ تحت عنوان «دور الضحية والبحث عن الحقيقة»:

تعجب الناس للعناوين التي نشرت بإحدى الصحف القومية في صفحتها الأولى وصفحتها الحادية عشرة من عدد يوم الجمعة ٤/ ١١/ ٢٠٠٥ تنسب فيها إلى السيد المستشار النائب العام أنه نفى عرض مسرحية 'كنت أعمي والآن أبصرت' في كنيسة مار جرجس بالإسكندرية، وهذه العناوين غير المعبرة عن حقيقة كلام النائب العام اغترت بها بعض الأقلام الشريفة واضطربت لذلك كلمتها في الموضوع بين تصديق النائب العام أولا ثم استنكار كلامه آخرًا. (مجدي مهنا في عموده ب'المصري اليوم'¬ السبت ٥/ ١١/ ٢٠٠٥).

والواقع أن كلام النائب العام مفتاحه هو كلمتا 'قبل الأحداث' فهو يقول : إن تلك المسرحية لم تعرض قبل الأحداث، ومعني 'قبل الأحداث' أي في الأيام الأولي من شهر أكتوبر لأن الأحداث وقعت على التوالي في أيام ١٣، ١٤، ٢١/ ١٠/ ٢٠٠٥ ، والمسرحية عرضت قبل عامين ثم أعيد عرضها في آخر أغسطس الماضي وفي هذا العرض صورت بالفيديو ونسخت منها نسخ على القرص المدمج (C. D) الذي وزع أول ما وزع في جامعة حلوان كما بينته في مقالي المنشور

في 'الأسبوع' عدد ٤٤٩ بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٥ وأبلغ بهذا التوزيع السيد المستشار النائب العام في حينه. ثم اتسع نطاق التوزيع ليشمل الإسكندرية ومدنا أخرى غيرها، حيث وزعت عشرات الآلاف من نسخ (C. D) ولا أستطيع أن أحصي عدد الذين رأوه فغضبوا لدينهم ولنبيهم وقرآنهم(...)

حدث ما أصبح من العلم العام الذي لا يحتاج إلى مزيد بيان في شأن المسرحية التي عرضت على مسرح كنيسة مار جرجس بالإسكندرية.

وتبينت الأدوار في الأمر كله لذي عينين، فلم يعد أحد يجهل من الجاني ومن المجني عليه، من الذي بدأ بخطيئة العدوان على دين الغالبية العظمى من المصريين (...) ومن الذي تجاهل مشاعر الذين تظاهروا سلميا أمام الكنيسة نفسها يوم ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٥ وضربوا بأجسادهم حصارا حول الكنيسة لحمايتها من انفعال غير متعقل قد يصدر من بعض المتظاهرين، وقدموا لرجال الأمن مطلبا متواضعا هو أن يعتذر البابا شنودة عن خطيئة القساوسة والمشاركين في المسرحية (عددهم ٤٩ شخصا) التي تمثلت فيما تضمنته المسرحية من هزء بالقرآن الكريم، والنبي ﷺ، وأحكام الإسلام القطعية في شأن نظام الزواج وفي شأن الجهاد وغيرهما.

وأصبح معلوما للكافة أن صمت أسبوع كامل علي جريمة هذه المسرحية، وهي توزع في الشوارع والجامعات في الإسكندرية وخارجها ستغضب عوام المسلمين وخواصهم (...) وأصبح الناس وأمسوا وهم ينتظرون قرارا من النيابة العامة بالإفراج عن جميع من لم يثبت عليه ارتكاب جرائم الاعتداء على دور العبادة القبطية، وهو اعتداء يجرمه القانون ويحرمه الدين، وتأباه المروءة، وتنكره الوطنية، لكن الذين قبض عليهم وحبسوا احتياطيا يستحيل أن يكونوا كلهم ممن قامت أدلة كافية في نظر النيابة على ارتكابهم هذه الجريمة، بدليل الإفراج عن بعضهم يوم ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٥ ثم يوم ١/ ١١/ ٢٠٠٥ والناس لا يجدون مسوغا لحبس شخص

واحد، فضلا عن عشرات من الأشخاص، بتهمة لم تثبت أو لم تقم ضدهم في شأنها أدلة كافية. وهم يقارنون في هذا الشأن بين الشباب القبط الذين أفرج عنهم في خلال أيام معدودة بعد أن اعتكف البابا من أجلهم وهدد بإلغاء الاحتفال بعيد الميلاد الماضي (٢٠٠٤)، وهم كانوا قد أصابوا إصابات متنوعة بعضها خطير ٦٤ ضابطا وجنديا وقفوا يحرسون الكنيسة المرقسية في العباسية خشية الاشتباك بين المتظاهرين الأقباط والمتظاهرين المسلمين. وتأتي المقارنة في غير صالح قرار استمرار حبس المتظاهرين السكندريين، فهم لم يصيبوا أي فرد بأي أذي، بل أصيب منهم نحو ثمانين أو يزيدون. وهم لم يساهموا كلهم قطعا في جريمة الاعتداء على الكنائس والممتلكات. ومن فعل منهم ينبغي أن يحاكم بلا إبطاء. وبينما الناس يصبحون ويمسون تحيطهم هذه المشاعر والأفكار، فلا يتحدثون إلا فيها ولا يختلفون إلا حولها ولا يترقبون إلا نبأ جديدا عنها: بينما هم في هذه المشغلة: فوجئوا بالقيادات الكنسية القبطية تلعب دور الضحية، وتتجاهل دور مشعلي نار الفتنة، وتستبعد أن يثبت على أحد جرم، ويتعهد الذين يحسنون من تلك القيادات استبقاء صلات الصداقة مع المسلمين 'بمحاسبة كهنة الكنيسة' بمعرفة الكنيسة نفسها: وفوجئوا بالبابا شنودة يستعيد إلى قلوب الأقباط وعقولهم مشاعر عصر الاضطهاد الروماني للقبط المصريين، في كلمته العامة التي يلقيها كل أربعاء في مقره بالقاهرة. (...) وهذا الموقف لابد أن يتضمن أن يعامل كل بحسب جريمته ودوره فيها، وأن يطبق قانون واحد على الجميع، و ألا تسبغ حماية كنسية أو بابوية علي المخطئين الأقباط ويطبق القانون على المخطئين المسلمين وحدهم. والذين يحرصون على هذا البلد ويخافون أن يصيبه ما أصاب بلادا غيره من جراء العدوان على المقدسات وامتهان دور العبادة، وترك الأمر فوضى في أيدي العامة والدهماء، عليهم جميعا أن تتكاتف جهودهم وآراؤهم لعوْدة القانون سيدا على الجميع، وللحيلولة دون عودة الوطن

إلى عهد المحاكم القنصلية والامتيازات الأجنبية، بترك القبط للكنيسة تودعهم الأديرة وتحاسبهم بطريقتها، بعيدا عن سلطان الدولة والحكومة، وبتقديم المسلمين وحدهم إلى سلطات التحقيق وإلى محاكم البلاد.(...) والكلام الذي نشر في عدد من الصحف والمجلات على ألسنة بعض القيادات الكنسية يحاول كله أن يلقي اللوم على المسلمين الذين أغضبتهم إهانة دينهم وقرآنهم ونبيهم. ويستعمل أدوات الشرط دائما في احتمال خطأ الكهنة، ويعد بأن تحقق الكنيسة معهم. وكلما سئل أحد القيادات الكنسية عن سر الصمت الكنسي أسبوعين كاملين تعلل بأنه كان لابد من فترة للدراسة والتقييم وبأن الشحن والتظاهر جعل الكنيسة تشعر أن هناك شيئا مبيتا ، وأن مبدأ الاعتذار لن يكون هو الحل الأمثل! ومثل هذه الإجابات التي تتهرب من المشكلة الحقيقية، ولا تواجه الأصل الذي تفرعت عنه سائر الأوضاع التي أدمت المسلمين وأضرت بممتلكات الكنائس وبعض الأقباط، هذه الإجابات إمعان في محاولة الظهور بمظهر الضحية الذي يحتاج إلي منقذ، وإبعاد صورة الكهنة والشباب والمسؤولين عن كنيسة مار جرجس باعتبارهم أصحاب الخطأ الأول والجريمة الأكبر في الأمر كله.

وقد بلغت هذه المحاولات ذروتها في حديث البابا شنودة الثالث في الكنيسة المرقسية بالعباسية يوم الأربعاء ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٥. ففي هذه المناسبة الأسبوعية التي حضرها نحو ثلاثة آلاف شخص، تحدث البابا باكيا عن أحداث الإسكندرية فقال : إن في ذهنه كلامًا كثيرًا كثير ليقوله وفي قلبه كلام أكثر، لكنه يفضل الصمت لكي يتكلم الرب. وأثنى البابا على الرب بعبارات معتادة في الصلوات القبطية، ثم قال «حينما تتعقد الأمور فإن يد الله تعمل وبقوة ووضوح» واستشهد البابا بجملة تقول: «لتكن مشيئتك: إن أردت تحلها، لتكن مشيئتك، وإن أردت أن تأخذ بركة صليب نحمله لتكن مشيئتك أيضا».

والإشارة في هذه الجمل البابوية لا تخطئها العين. إنها تقول إن الأقباط يعيشون اضطهادا يشبه اضطهاد نبي الله عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام على يد اليهود الذين كفروا به وأنكروا نبوته. وأن هذا الاضطهاد يشبه في نتائجه 'إن لم يحلها الله' ما يعتقده الأقباط من أن المسيح عليه السلام قد حمل صليبه على ظهره إلى حيث علق عليه.

والواقع أن الأقباط يتمتعون في مصر 'مبارك' بمقادير من النفوذ والقوة والسلطان السياسي والاقتصادي والاجتماعي لم يسبق لهم أن تمتعوا بمثلها. والبابا نفسه له كلمة نافذة مسموعة لم يتخيل أحد أن تكون لممثل أقل من ٦ ٪ من السكان في مواجهة الذين يشكلون أكثر من ٩٤ ٪ من السكان. والذي حدث وكررت الحديث عنه في واقعتي وفاء قسطنطين وماري عبد الله كفيل بأن يؤكد ما أقول. والذي يحدث في كل أنحاء البلاد من بناء الكنائس القلاع في الوقت الذي تشترط فيه شروط معجزة لبناء المساجد، والذي يعرفه الخلق جميعا من حرية الكنيسة في اتخاذ دورها مدارس وملاعب ونوادي وفصول تعليم ومستوصفات ومشاغل، وهي مفتوحة للعبادة والاعتراف وسائر أنواع النشاط، دون أي قيد حكومي أو أمني على كهنتها وشعبها، ٢٤ ساعة يوميا و٣٦٥ يوما سنويا في الوقت الذي تغلق فيه المساجد بعد الصلاة بربع ساعة وتفتح قبلها بعشر دقائق، ولا يسمح فيها بأي نشاط إلا الدروس الرسمية لموظفي الأوقاف، ويخضع داخلها وخارجها ويخضع خطباؤها وروادها لرقابة أمنية مكثفة، هذا كله يؤكد مدى النفوذ الذي بلغته الكنيسة القبطية وسائر الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية مقارنة بمؤسسة العبادة للأغلبية التي أصبحت شبه مغلقة في وجوه أصحابها إلا سويعة من النهار والليل معا.

وحين يكون هذا هو الحال فإن دور الضحية لا يليق أن تقوم به القيادات

الكنسية، ولا يجوز أن تهراق له دموع البابا الذي هو أدرى الناس بما تحقق له من نفوذ وسلطان في ربع القرن الذي أدار فيه شؤون الكنيسة.

ولعب دور الضحية يزيد شعور المسلمين بالقهر، وينفخ لدى العوام في نار الغلو والرغبة في الانتصار لأنفسهم ودينهم من كل قول أو فعل تبدو فيه استهانة بشيء من ذلك أو إهانة له. وهو لذلك دور يجب الحذر من الاسترسال فيه والاستمساك به لأن عاقبته وخيمة لن يحتملها أحد، لا الضحية الحقيقية ولا الضحية المدعي.

***

بالنسبة لي شخصيا ككاتب يتحرى أقصى درجات الصدق فقد أعدت مشاهدة القرص لأستوثق، ولم أستطع أن أستوعب قرار النائب العام رغم كل الاحتمالات، ثم خطر ببالي أن تكون الشرطة قد زيفت الحقائق أمامه، فقررت أن أبادر بعرض خدماتي عليه، فإن كانت النيابة لم تحقق في الأمر لعدم وجود بلاغ فليعتبر هذا المقال بلاغا، و إن لم يقبل بمقال كبلاغ فسوف أتوجه إلى دار القضاء العالي لأقدم البلاغ إليه، وسوف أرفق بالبلاغ القرص المدمج الذي يحتوي على المسرحية ، لعله لم يشاهده.. ولعله.. ولعله.. ولعله..!!

إن القرص المدمج لا يحتوي على مسرحية مكتوبة بل على مسرحية تمثل، فهناك من يقدم، وهناك صوت، وهناك ممثلون لهم وجوه لها ملامح ولهم حناجر لها أصوات. وعلى الشاشة تظهر أسماء المتهمين. و إن كان الأمر كما نبحت حيوانات بلا ضمير يعود إلى تزوير في القرص المدمج فإننا نتساءل : إذا أمكن تزوير الصوت وتقليده فكيف يتم تزوير الصورة؟ ! الصورة المتحركة لعشرات يمثلون؟ كيف يمكن تزييفها ودسها ؟ !

كيف يمكن تزوير أصوات وأشكال ٤٩ مجرما اشتركوا في تمثيل المسرحية الساقطة، هذا غير الساقطين الذين أشرفوا عليها.

٤٩ مجرما لم نسع نحن إلى حصرهم ولكن من البداية فإن الكتابة على الشاشة تقول:

كنيسة مار جرجس الأنبا أنطونيوس بمحرم بيك.

كورال مار جرجس والأب أنطونيوس.

نال هذا العمل بركة صوت قداسة البابا شنودة.

تم هذا العمل تحت رعاية كل من أبونا أوغسطينوس فؤاد و أبونا أنطونيوس فهمي.

نال بركة هذا العمل:

مينا جمال- فادي عياد- أندرو نجيب- بيتر بيتل- مايكل ماهر- نجيب ماهر- نادر ذكرى- جون إتيل- مينا صبحي- بوساب عاطف- صبحي كمال- كيرلس كمال- مينا عادل- إيليا مينا إدوارد- ماجد مقار- أندرو سمير- روبير غطاس- فادي منير- أندرو أمجد- جورج سامي- فادي وصفي- بيتر جورج- جرجس لمعي- بيتر ألبير- مينا جرجس- مرقص هنري كيرلس نجيب- مينا نبيل- مينا نسيم- مينا عزت- مارك جيل- بيشوي مجدي- جورجيوس سمير- ريمون وديع- فادي فاروق- عماد فيكتور- أرساني القس- جون سامي- مينا عطية- كيرلس صبحي- مينا مجدي فائق- مينا طلعت- فادي وجنة- عماد عزت- مايكل جميل- مايكل عطية- مينا ميشيل- عماد سمير- عادل نصيف.

فريق التمثيل حسب الظهور:

جوزيف سامي- مارك سمير- مايكل مقار- مينا عبد الوهاب- أمجد فؤاد- بيتر القس أوغسطينوس- جاكلين متري- سحر ماهر- جورج ناجي- مينا عادل عزيز-.

***

الموسيقى والتوزيع الموسيقي:

مينا ميخائيل.

أعمال الديكور:

م. نورة طلعت – م. مايكل سمير– – ماريان سمير– ماريان حليم– ماري فؤاد– مارسيل فؤاد– ميرا عادل– جوستينا زكي– سالي عادل– ماري إيهاب– ماريان ماهر– كريستين إدوارد.

كتابة الترانيم بالكمبيوتر: سيلفانا إميل

صوت روك ساوند: أسامة لبيب.

إضاءة : أمير نسيم – سعد آدم.

أعمال الجرافيك والفيديو كليب: مركز الكمبيوتر بالكنيسة.

تم التصوير والمونتاج بوحدة فوتو ميشيل

مصور صحفي ميشيل نبيل ٤٩٦٢٠٦٢/ ٠١٢٣٦٠٥٠٠٣

***

فهل يمكن لكم ياسيادة النائب العام أن تغيروا رأيكم لتعترفوا بوجود القرص المدمج.

لقد عرض عليّ أحد خبراء الكمبيوتر أن أقدم لسيادتكم صورة لكل ممثل أو أن أنشرها على الشبكة لكي يستطيع أهل الإسكندرية الإرشاد عنهم، لكنني قدرت أن سيادتكم ستكتفون بالأسماء.

***

ملحوظة أخرى أقولها لعلها تفيد السيد النائب العام في التحقيق.

ذلك أنه يوجد بجوار الكنيسة مباشرة مسجد (مسجد أولاد الشيخ) ، وقد

كانت المسرحية تعرض أثناء أداء الصلاة، لذلك تسمع في خلفية القرص المدمج الذي سجلت عليه المسرحية صوت المؤذن ثم صوت الإمام، وهذه قرينة لا يستهان بها. قد تساعدك يا سيادة النائب العام إذا كانت شكوكك حول أن المسرحية لم تعرض قط ما تزال تنهش قلبك.

فإن عجزت يا سيادة النائب العام بعد هذا كله أن أقنعك برأيي ، وإذا كنت مصرا على أن هذا القرص المصطنع مزور ومدسوس، فإنني أرجوك أن تسمع رأيي في ذلك، لأن هذا القرص إن كان مزورا فلا يمكن لأحد أن يزوره إلا مباحث أمن الدولة.

فإن كان القبض على الكهنة الساقطين الذين باشروا عرض هذه المسرحية الساقطة مستحيلا.

و إن كان القبض على رئيس مباحث أمن الدولة صعبا.

فإنني أرجوك.

أن تأمر بالقبض عليّ أنا!!.بتهمة البلاغ الصادق وتكدير النائب العام!!





إني أتهم

الدولة تتنصّر !!

بناء الكنائس قضية أمن قومي

فلننزه الرئيس احتراما له كرمز مجرد.

ولنتجنبه تجنبا لصدام لا نسعى إليه فإذا فرض علينا صبرنا عليه.

فلنبتعد عن شخصه إذن، وعلى أي حال فحسابه على الله ما لم نر منه كفرا بواحا.

فإن ظهر منه الكفر فليس له إلا السيف! ومن نكص فقد أثم.

لكني أتهم الجميع بدءا من حاشية رئاسة الجمهورية إلى أصغر مخبر في مباحث أمن الدولة بمحاباة النصارى على حساب المسلمين وبحجب الحقائق عن الأمة لأن إعلانها سيفجر الوضع المأساوي للمسلمين وقدر الاضطهاد الذي يتعرضون له مقارنة بالنصارى.

إني أتهم الدولة بمحاباة العلمانيين على المسلمين والكفار على المؤمنين والمرتدين على القابضين على الجمر وغير المتدينين على المتدينين.

إني أتهم الدولة بحماية رواد الحانات وتهديد رواد المساجد، بمحاباة السكارى ووضع المعتكفين على قوائم الاشتباه.

أتهم الدولة بأنها حسمت اختيارها فحالفت أعداءها ضد أمتها وتاريخها ودينها، بل إنها تبدو كما لو أنها تبنت دون أن تعلن رأي بعض الأقباط في استثناء المسلمين من حقوق المواطنة، وفي وجوب تجريدهم من الجنسية وطردهم إلى الحجاز!.

إني أتهم الدولة بأن بعض النصارى يرتكبون الجرائم فلا تجرؤ الدولة على مواجهتهم وفي الوقت نفسه تنسب تلك الجرائم أو مثلها للمسلمين وتعاقبهم عليها، كالتنظيم الدولي والتمويل الدولي والميليشيات المسلحة وتخزين السلاح.

إني أتهم الدولة بتجنيد آلتها الإعلامية الجبارة للدفاع عن النصارى مهما بلغت جرائم بعضهم وتشويه المسلمين مهما كانت براءتهم.

إني أتهم الدولة بأن جهاز أمنها الباطش الجبار حاصر المسلمين وضيق عليهم

وحاربهم وجامل النصارى وأغمض عينه عنهم وترك لهم الحبل على غاربه حتى أصبح أقل من ٦٪ هم عدد النصارى يملكون ٦٠٪ من ثروة البلاد. وليت النصارى أقروا بفضل الأمن والدولة في ذلك. بل عزوا السبب إلى تفوقهم وجهلنا، وتحضرهم وتخلفنا، وتذكروا أن مطلبهم في مقعد رئيس الجمهورية ليس لاستفزاز الغالبية المسلمة ولا وفاء لحقوق الإنسان وإنما لأنهم يرون أنهم هم أصحاب البلاد وأن المسلمين «بدون». الأمر واضح حتى للعميان، فلن يكون رئيس الجمهورية نصرانيا إلا بعد طرد جميع المسلمين أو حرمانهم جميعا من حق المواطنة.

يا جهاز الأمن الباطش الجبار أين تذهب من الله يوم القيامة وقد بدلت شرع الله من«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»إلى: «أنا عبد المأمور». بل أنت عبد للشيطان.

إني أتهم الدولة أنها لو وجدت فينا أبا بكر لاعتقلته ولو وجدت عمر لقتلته ولو وجدت الحسن لدست له السم ولو وجدت الحسين لذبحته(رضي الله عنهم جميعا).

إني أتهم الدولة بأنها تتنصر فكرا وإن بقيت في الظاهر مسلمة. وأتهمها بأنها تحول جميع المسلمين إلى «بدون» حتى وإن بقيت المادة الثانية في الدستور. وليس معنى أن تتنصر الدولة أن تقيم القداس وتؤمن بالثالوث بل أن تكون وجهة نظرها في الإسلام والمسلمين هي بالضبط وجهة نظر اليهود والصليبيين.

إني أتهم الدولة التي كافأت القمني بأن فكرها فكره ودينها دينه وكفرها كفره وأنها ترى القرآن الكريم كتابا ألفه محمد صلى الله عليه وسلم ليرفع الإسلاميون لواءه للاستيلاء على الحكم. أتهم الدولة بأنها كالقمنى ترى أنه لا ملك كان ولا وحي نزل، وأنها حين تزعم حرب الإخوان إنما تحارب الإسلام تماما كما تزعم أمريكا أنها تحارب الإرهاب بينما لا تقصد سوى الإسلام.

أتهم الدولة ولا أقول الحكومة ففي نظم الطاغوت تصبح الحكومة هي الدولة.

إن الدولة كيان سياسي مستقل، ونظام الحكم هو أحد مقومات الدولة، أما الحكومة فهي مجموعة من المسؤولين الذين يشغلون المناصب العليا ، وفي النظم السياسية التي يوجد فيها فصل بين السلطات تمثل الحكومة السلطة التنفيذية وفي بلد الطاغوت فإن الحكومة هي الدولة والطاغوت هو الحكومة يسبح له عبيد الشيطان هاتفين: ما شئت لا ما شاءت الأقدار.

وفي بلاد الطواغيت تكون الدولة ضد الأمة وضد الدين، لأن الأمة تسعى للحصول على حقوقها التي ينهبها الطاغوت والدين يضع الضوابط التي تمنع الطاغوت من أن يستخف بقومه فيطيعونه. فالطاغوت يحارب من يمنعه من النهب والظلم ومن يضع له مقياسا خارجيا عن ذاته للعدل.

إني أتهم الطاغوت بأنه يدمر روح الأمة. ويقضي على مقاييس الحق والعدل والخير والجمال، ويدمر مكارم الأخلاق، وينشر بين قومه أبشع ما في البشر من جرائم وأخس ما فيهم من صفات.

إن الطاغوت يقف دائما ضد الأغلبية ويستعمل الأقليات كي يضرب بها الأغلبية لأنه يتوجس دائما أن تهديد استمرار حكمه بل وتوريثه يأتي من ناحيتها، كما أن بعض الأقليات كي تعوض ضعفها كثيرا ما تتحالف مع الأجنبي ومع أعداء البلاد. وباستقواء الحاكم بهم فإنه يستقوي بحلفائهم: أعداء أمته ووطنه ودينه.

إني أتهم الدولة أنها رأت أن الإسلام هو الخطر الأكبر الكفيل بمقاومة ظلمها وطغيانها وإزاحتها من على عرش الطغيان والجماجم والظلم والجرائم فجعلت منه عدوها الرئيسي ومن أعدائه حلفاءها، نعم، الدولة المسلمة تحالفت مع اليهود والنصارى والعلمانيين -وهم ألعن- ضد الإسلام والمسلمين.

إني أتهم الدولة بأنها خلعت الفكر العروبي والإسلامي وارتدت الفكر الصهيوني

الصليبي.

ولذلك فكل عدو للإسلام أصبح أثيرا على الدولة.

وكل من ينصر الإسلام أصبح أسيرا عند الدولة.

إني أتهم مباحث أمن الدولة وأجهزة الإعلام والإعلان والتعليم بمحاباة النصارى على حساب المسلمين وبحجب الحقائق عن الأمة لأن إعلانها سيفجر الوضع المأساوي للمسلمين وقدر الاضطهاد الذي يتعرضون له مقارنة بالنصارى.

إني أتهم النخبة المثقفة المستغربة بمحاباة النصارى على حساب المسلمين وبحجب الحقائق عن الأمة لأن إعلانها سيفجر الوضع المأساوي للمسلمين وقدر الاضطهاد الذي يتعرضون له مقارنة بالنصارى.

إني أتهم المذيعين والمذيعات والصحافيين والصحافيات والكتاب والكاتبات بنفس الاتهام.

****

نعم أتهم.

أتهم الأمة بالنكوص عن الدفاع عن مقدساتها بل عن وجودها.

أتهم الأمة بالعمى وعدم رؤية الخطر الأكبر الذي يتهددها.

أتهم الأفراد بأنهم فقدوا أرواحهم وقلوبهم وأصبحوا كالجثث المحنطة المحشوة بالقش، أرواحهم خواء وأفئدتهم هواء.

وأنا أستمع إلى بعض المذيعين والمذيعات، أو أقرأ لبعض الصحافيين والصحافيات تعجز قريحتي عن إيجاد نموذج تفسيري- بلغة العلامة عبد الوهاب المسيري-، نموذج تفسيري يجعلني أفهمهم وأحل لغز تصرفاتهم، ولم أجد هذا النموذج إلا عند المسيري نفسه. كان يتكلم عن الجماعات الوظيفية واليهود، وعن

الدعارة والنفعية حيث العالم مادة، وكل الأمور متساوية، والإنسان مادة لا قداسة لها ليس إلا، ولا توجد سوى مرجعيات مادية، والنشاط الجنسي ـ على سبيل المثال ولكننا يمكن أن نضع مكانه أي عمل آخر كالمذيعين والصحافيين والكتاب والوزراء ـ مجرد نشاط مادي، شأنه شأن النشاط الاقتصادي، ومن ثم يمكن النظر للطاقة الجنسية للإنسان باعتبارها طاقة طبيعية/ مادية يمكن توظيفها داخل إطار السوق والمصنع، أي أن تصبح الطاقة الجنسية مادة إنتاجية استهلاكية. ومن ثم، يمكن أن تظهر تجارة/ صناعة البغاء، وتصبح البغيّ من أدوات الإنتاج، تخضع لرؤية واحدية مادية صارمة ترفض أي تجاوز أو ثنائيات أو غيبيات وتؤكد بما لا يقبل الشك أن الدعارة عمل استثماري، بيزنس. هي لحظة تَشَيُّؤ كامل وواحدية مادية، إذ يتحول البغاء إلى أهم القطاعات الاقتصادية (كما هو الحال في بعض الدول الآسيوية). ومن ثم تتحول البغيّ بالتدريج إلى بطلة قومية.

***

انتهي كلام المسيري العظيم، ومن خلاله فهمت كيف يسوغ بعض المذيعين والمذيعات والصحافيين والصحافيات الأمر لأنفسهم. كيف يكذبون وهم يعلمون أنهم يكذبون وأن الأمة كلها تعلم أنهم يكذبون. إنهم يقومون بنفس دور الجارية التي تتحدد قيمتها بقدر طاعتها لمولاها وإمتاعها لمالكها وتحقيقها لأغراضه مهما بلغ شذوذها وبغض النظر عن أية مقاييس دينية أو أخلاقية أو نفسية أو روحية، بل بغض النظر عن الثقافة والعلم والإعداد والإتقان والإبداع تماما، فليس ثمة إلا متعة السيد ورضاه.

إني أتهم بعض المذيعين والمذيعات والصحافيين والصحافيات بالبغاء الفكري، وبأنهم يخونون الله والدين والأمة والوطن في سبيل تحقيق أغراض سيدهم ومولاهم.

إني أتهم النخبة بالعمل ضد الدولة، وأتهم الدولة بالعمل ضد الأمة.

***

في الأعوام الماضية انتشرت أحداث العنف الطائفي وكان موقف الدولة مذهلا، وانفجر التساؤل: هل تغير المسلمون فجأة بعد ألف وخمسمائة عام؟ أم أن طارئا طرأ فحرض النصارى على التحرش بالمسلمين وإشعال الفتنة وكلما أطفأها المسلمون أعادوا إشعالها.

أما المذهل حقا فهو أن الدولة تناصر النصارى وهم على باطل وتتحامل على المسلمين وهم على حق.

والمذهل أن الدولة بإمكانياتها الأسطورية وأجهزتها الأخطبوطية عجزت أن تفهم ما وراء هذا التحرش من تهديد للأمن القومي بينما فهم البسطاء ذلك. ولقد كان أبسط فلاح في الصعيد أكثر وعيا بالجريمة المروعة التي ترتكب في حق الوطن فتصدى لها بنفسه. كانوا كأفراد في أمة مهزومة هزم جيشها وخانت نخبتها وعجزت قيادتها فتصدى الأفراد أنفسهم للغزوة الهمجية التي تروم خلعهم من جذورهم، وطردهم إلى الحجاز. المواطن الأمِّي فهم أن المؤامرة الصليبية الصهيونية تقتضي أن يكون في مواجهة كل مسجد كنيسة، ويستطيع أقباط المهجر عندها أن يزعموا أنهم هم الغالبية ليصلوا إلى أحد أهداف المرحلة النهاية، وهي ليست جواز تولي النصراني رئاسة الجمهورية، لا، ليس الهدف ذلك، بل إن الهدف هو عدم جواز تولي المسلم رئاسة الجمهورية، تماما كالحادث الآن في لبنان.

المواطن البسيط الأمي فهم، ورأى في الإنفاق الباذخ على إنشاء كنائس لا يوجد من يصلي فيها ليست إنفاقا سفيها بل هم يشيدون حصان طروادة.

المواطن الأمي البسيط فهم وعجزت النخبة.

تجاهلوا جميعا أن تكرارية حوادث محاولة إنشاء كنائس دون ترخيص وتصدي

المسلمين لها لا تدل على عدوانية المسلمين بل على أن هناك مخططا للتحرش يدفع بعض النصارى إليه. مخططًا واحدًا محددًا لاستفزاز المسلمين وإظهارهم بالمظهر العدواني، ويقوم على تنفيذ الشق الإعلامي تلاميذ صلاح نصر وفؤاد علام الذين يديرون البرامج الحوارية Talk Show في أجهزة الإعلام لتشويه وعي الناس وتدمير عقولهم، أما المخرج فهو جهاز الأمن، لكن المؤلف أجنبي. ولقد كان المواطنون البسطاء أكثر وعيا وفهما وإدراكا لتهديد ما يحدث للأمن القومي من النخب الحاكمة وأجهزة الأمن الجبارة وجيوش الإعلام الجرارة. أدركوا أن وطنهم في خطر.

***

مذيعة في أحد تلك البرامج، ليست أسوأ من سواها ولا أغبى، كانت تعلق على حادثة تحرش في إحدى قرى الصعيد، فجأة أقام النصارى في بيت أحدهم كنيسة، فهاج أهل القرية لأن الكنيسة بدون ترخيص.

إنني أترك لخيال القارئ العنان كي يتخيل ماذا يمكن أن يحدث لجماعة من المسلمين إن أرادوا إنشاء مسجد بدون ترخيص.

هل قلت مسجدا؟ لا والله، فهم يلقون القبض عليهم إذا ما تجمعوا لحفل إفطار أو مأدبة غداء أو مناسبة طهور!.

المذيعة الهامة تلميذة صلاح نصر وفؤاد علام أخذت تبدي الازدراء والاشمئزاز من هؤلاء المسلمين الهمج الهامج الذين يعتدون على حرية النصارى الودعاء الطيبين.

المذيعة الهامة راحت تهاجم بشراسة المسلمين وتستضيف قسيسا وتنوه بأنه جعل في بيته محرابا ومصلى من أجل ضيوفه المسلمين وتقارن رقي هذا وسموه بتخلف أولئك وإجرامهم.

الحمقاء كانت لا تدرك أبعاد الأمر، أو ربما تدرك لكنها لا يهمها سوى إرضاء سيدها ومولاها.

المسكينة لم تفهم أنها بصدد اختطاف كل الوطن من أهله، ولغته، وثقافته، وحضارته، ومن الرسالة المقدسة التي حملتها مصر. وتحملها. إلى العالمين، رسالة العروبة والإسلام.

المسكينة لم تدرأن الأمر لا يتعلق بمصلى بريء بل بمخطط خبيث للاستيلاء على وطن، مخطط خبيث يشرف على تنفيذه رأسهم الذي وعدهم باستعادة مصر وطرد المسلمين منها كما فعل الصليبيون بالأندلس بعد ثمانية قرون.

المسكينة لم تدرك أنه منذ أقل من مائة عام كانت نسبة اليهود في فلسطين مثل نسبة النصارى الآن في مصر، وفي أقل من خمسين عاما استولوا على البلاد كلها، ويرفضون رفضا مطلقا حق العودة لأهل البلاد الأصليين، لو أننا تنبهنا لذلك في ذلك الوقت وفعلنا ما يفعله أهلنا البسطاء في الصعيد لما كانت إسرائيل الآن تتنكبنا وتعتلي ظهورنا ولما كان ملايين الفلسطينيين في الشتات ممنوعين من العودة لوطنهم، لم نكن نحتاج لحكمة الحكام ولا لعبقرية النخبة ولا لنظريات الكتاب، كنا نحتاج فقط لنخوة الصعيدي الأمي الذي تتكفل السلطة والدولة والميديا باستئصالها، استئصال النخوة.

الجاهلة لم تقرأ «التقرير الرهيب»الذي نشره الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه «قذائف الحق».

***

يقول الشيخ – رحمه الله :

«كنت في الإسكندرية في مارس من سنة ١٩٧٣ وعلمت من غير قصد بخطاب ألقاه البابا شنودة في الكنيسة المرقصية الكبرى في اجتماع سري أعان الله على إظهار

ما وقع فيه. وإلى القراء تقرير ما حدث كما نقل مسجلاً إلى الجهات المعنية :

ويتحدث الشيخ الغزالي كيف أن البابا شنودة صرح بأن عدد النصارى يصل إلى ثمانية ملايين (عام ٧٣ وكان هذا العدد أربعة أضعاف العدد الحقيقي) وأن على النصارى أن يروجوا لهذا العدد إذ سيكون هو السند في المطالب التي سيتقدم بها النصارى إلى الحكومة وأساس التخطيط الهادف إلى بلوغ تعداد شعب الكنيسة إلى نصف الشعب المصري ، بحيث يتساوى عدد شعب الكنيسة مع عدد المسلمين لأول مرة منذ ١٣ قرنًا ، أي منذ «الاستعمار العربي و الغزو الإسلامي» ـ على حد قوله و المدة المحددة وفقًا للتخطيط الموضوع للوصول إلى هذه النتيجة المطلوبة تتراوح بين ١٢ ـ ١٥ سنة.

وقال شنودة : إن المال يأتينا بقدر ما نطلب و أكثر مما نطلب، و ذلك من مصادر ثلاثة : أمريكا، الحبشة و الفاتيكان، و قد ثبت من واقع الإحصاءات الرسمية أن أكثر من ٦٠ ٪ من تجارة مصر الداخلية هي بأيدي المسيحيين، وعلينا أن نعمل على زيادة هذه النسبة. و تخطيطنا الاقتصادي للمستقبل يستهدف إفقار المسلمين و نزع الثروة من أيديهم ما أمكن (...) يجب مضاعفة الجهد المبذول حتى تستمر النسبة التي يمكن الظفر بها من مقاعد الجامعة و خاصة الكليات العملية ». ثم قال : «إني إذ أهنئ شعب الكنيسة خاصة المدرسين منهم على هذا الجهد و هذه النتائج ، إذ وصلت نسبتنا في بعض الوظائف الهامة و الخطيرة كالطب و الصيدلة و الهندسة وغيرها أكثر من ٦٠٪ (...) كذلك فإنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية إذ أن الخطة التبشيرية التي وضعت بنيت على أساس هدف اتُّفق عليه للمرحلة القادمة، وهو زحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم و التمسك به، على ألا يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية ، فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم ، و تشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم و صدق محمد و من ثم يجب عمل كل

الطرق و استغلال كل الإمكانيات الكنائسية للتشكيك في القرآن وإثبات بطلانه وتكذيب محمد.

(...) و لن نستطيع إحراز أية مكاسب أو أي تقدم نحو هدفنا إذا انتهت المشكلة مع إسرائيل سواء بالسلم أو بالحرب (...) »و ليعلم الجميع خاصة ضعاف القلوب أن القوى الكبرى في العالم تقف وراءنا و لسنا نعمل وحدنا، و لا بد من أن نحقق الهدف.

***

يواصل الشيخ الغزالي – رحمه الله : –

«ثم عدد البابا شنودة المطالب التي صرح بها بأنه سوف يقدمها رسميًا إلى الحكومة (نذكر بعض المطالب ملخصا):

أن يصبح مركز البابا الرسمي في البروتوكول السياسي بعد رئيس الجمهورية وقبل رئيس الوزراء.

أن تُخصَّص لهم «للنصارى» ثماني وزارات.

أن تُخصَّص لهم ربع القيادات العليا في الجيش و الشرطة.

أن تُخصَّص لهم ربع المراكز القيادية المدنية ، كرؤساء مجالس المؤسسات والشركات والمحافظين و وكلاء الوزارات و المديرين العامين و رؤساء مجالس المدن.

أن يُستشار البابا عند شغل هذه النسبة في الوزارات و المراكز العسكرية و المدنية ، ويكون له حق ترشيح بعض العناصر و التعديل فيها.

أن يُسمَح لهم بإنشاء جامعة خاصة بهم ، و قد وضعت الكنيسة بالفعل تخطيط هذه الجامعة ، وهي تضم المعاهد اللاهوتية و الكليات العملية و النظرية ، وتُموَّل من مالهم الخاص.

أن يُسمَح لهم بإقامة إذاعة من مالهم الخاص.

ثم ختم حديثه بأن بشّر الحاضرين و طلب منهم نقل هذه البشرى لشعب الكنيسة بأن أملهم الأكبر في عودة البلاد و الأراضي إلى أصحابها من «الغزاة المسلمين» قد بات وشيكًا ، و ليس في ذلك أدنى غرابة ـ في زعمه ـ و ضرب لهم مثلا بأسبانيا النصرانية التي ظلت بأيدي «المستعمرين المسلمين» قرابة ثمانية قرون (٨٠٠ سنة) ، ثم استردها أصحابها النصارى ، ثم قال: و في التاريخ المعاصر عادت أكثر من بلد إلى أهلها بعد أن طُردوا منها منذ قرون طويلة جدًا.. قال الشيخ - رحمه الله - (واضح أن شنودة يقصد إسرائيل) و في ختام الاجتماع أنهى حديثه ببعض الأدعية الدينية للمسيح الرب الذي يحميهم و يبارك خطواته !!.

انتهى كلام الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -

وإني أتهم الجميع بتجاهل ذلك كله وإغماض أعينهم عن كارثة وشيكة.

***

ولاحظوا أننا لا ننشر ما تكتبه صحفهم الصفراء بل صحائفهم السوداء، ولا ننقل ما يكتبه الرويبضات أو ما يتفوه به الصعاليك، بل نختار القمم الشواهق لنستشهد بها. لا نستشهد إلا بثقة في حجم الشيخ محمد الغزالي، لا نتناول الشائعات والأقوال السيارة بل الحقائق الناصعة والوقائع الساطعة. لا نتعرض حتى للبذاءات السافلة وجل ما ينطق به نصارى المهجر بذاءات سافلة،

أما كيف تسربت هذه المعلومات الحقيقية عن حقيقة حجم النصارى والذي تحاول الدولة جاهدة أن تخفيه، وكيف تسربت أيضا معلومات الإحصاء التي تخفيها الحكومة والتي تظهر العدد الحقيقي الصحيح لنصارى مصر وهو أقل من ٦٪ فإن من فضح سرها هم بعض ضباط الأمن المكلفين بالمراقبة، فقد استيقظ ضميرهم الديني عندما اكتشفوا أن الدولة تستخدمهم ضد دينهم، وأنه لا طاعة لمخلوق في

معصية الخالق. فقاموا هم أنفسهم بنقل نسخ رسمية إلى من توسموا فيه أنه يستطيع المواجهة.

***

ولنترك الجبل الأشم الشيخ محمد الغزالي إلى قمة عالية من الاتجاه الآخر، وهو المواطن حقا الشريف حقا القبطي حقا جمال أسعد عبد الملاك الذي أبى عليه ضميره إلا أن يصرخ ضد البابا وضد بعض الأقباط معلنا أن الأقباط يضطهدون المسلمين وأن رهبانهم يتقاضون عشرات الآلاف من الدولارات كي يفسدوا كل المحاولات لعلاج الفتنة الطائفية. ودعونا نلخص في إيجاز شديد ما قاله المفكر الكبير في حديث صحفي أجراه معه في ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٨ الصحافي أحمد سعد.

***

يقول المفكر الكبير جمال أسعد عبد الملاك:

الأقباط الآن يضطهدون المسلمين ويستقوون بأمريكا.

-هناك مخطط صهيوني لتهجير المصريين المسلمين إلى الجزيرة العربية.

أسقف القوصية توماس يكتب تقارير للمنظمات الصهيونية مقابل آلاف الدولارات.

فئات من أقباط المهجر يتبعون أجندة خارجية يثيرون بها مشاكل الأقباط وقد بدأت مجاميع المسيحيين داخل مصر تتعاطف معهم.

- إنهم يريدون اعتبار أن الآخر هو الدخيل (أي المسلمون) لا بلد له. وأن يهجّر المسلمون إلى الجزيرة العربية،

- البابا أصبح دولة تقوم بفرض إرادتها على الدولة

- إن سر خضوع الدولة للكنيسة أنها خاضعة أولاً لأمريكا، بالإضافة إلى تنازلها

عن حق المواطنة للمسيحيين المصريين واعتبرتهم لا يتبعونها.

- بدلاً من أن تعتذر الكنيسة جعل البابا شنودة الدولة تعتذر ومجلس الشعب يعتذر، ومجلس الوزراء يعتذر، وذلك لأنه خرج بمسألة المظاهرات، والكنيسة رسخت لمبدأ أن المظاهرات قوة سياسية لها.

- بل وبالعكس فأنا أشعر الآن أن الاضطهاد أصبح بالعكس، فالمسيحي الآن يضطهد المسلم، وهذا ليس اضطهادًا بل تعاليًا واستعلاء من قبل الأقباط ضد المسلمين، وذلك مدعومًا بالتوجه الأمريكي والاستقواء بالخارج، وكذلك استقواء بالاضطهاد، فالاضطهاد أصبح حالة إرهابية تفرض على الجانب الذي به أغلبية.

- هذا الأسقف يقوم بكتابة تقارير حسب ما يريده الصهاينة، ويتقاضى عن ذلك جوائز مادية ومعنوية، ويقدم هذه التقارير لجهات أجنبية مشبوهة تعادي مصر والعرب وصهيونية.

- لأول مرة نجد داخل الكنيسة شخصية دينية تطالب بتدخل أجنبي، ويقوم بالترسيخ لقسمة الوطن بين المسلمين والمسيحيين، ويرسخ لأشياء غير موجودة وغير صحيحة، منها أن مصر ملك للمسيحيين.

- لم يصدر قرار ضد توماس حتى هذه اللحظة، ولم يصدر تصريح أو بيان من داخل الكنيسة يستنكر أو ينفي أو يعتذر وهذا خطأ، وهذا يجعل الرأي العام يربط بين توماس كخائن للوطن وبين الكنيسة.

- فتوماس أراد أن ينظر لمسألة الفصل بين المسلمين والمسيحيين، ووصل به الجهل إلى القول عن المصري المسيحي الذي أسلم عن اقتناع أنه لم يعد مصريًا بل صار عربيا تابعا للجنسية العربية، ويعتبر أن المسلمين تابعون للجزيرة العربية، كحضارة أخرى متخلفة بالنسبة لهم، وهو بذلك يطبق النظرية الصهيونية كاملة، والهوية المصرية بالنسبة له هي مسيحية خالصة، وما دون المسيحيين أو الذين لا

يعتنقون الديانة المسيحية ليسوا مصريين، وليست لهم الهوية المصرية بمعنى أنك مسلم الآن، ووقتها لن تصبح مصريًا، ولا هويتك مصرية. وفي الوقت الذي تقوى الكنسية ستقوم بفرض تلك الهوية المسيحية على كل المصريين.

- توماس هو علاوي أو الجلبي، وهو قرضاي القادم أو هكذا يحلم أن يكون. وتوماس يريد المجتمع بالكامل قبطيًا،

- ستؤدي تلك الدعاوي إلى حرب أهلية، وتدخل خارجي أمريكي، والسؤال الآن، أين سيذهب المسلمون المقيمون في مصر منذ ١٤٠٠ عامًا؟

***

حرب أهلية أيتها المذيعة الغبية البلهاء التي هامت غراما وأسبلت عينيها هياما بالمحراب في منزل القسيس.

حرب أهلية يقودها أقباط المهجر، وإزاء الموقف الخسيس المتواطئ للدولة فقد بدأت قلوب بعض نصارى الداخل تهوي إليهم، كانت مهمة الدولة أن تعصمهم من الغواية ، فإذا بها تدفعهم للانحراف في خسة أب يدفع ببناته للبغاء.

***

إن الأستاذ جمال أسعد عبد الملاك والدكتور رفيق حبيب ليسا وحدهما، فمعهما صف طويل من النصارى الشرفاء الشجعان. وأنا شخصيا أفضلهم على ٩٠٪ من كتاب المسلمين، بل وأفضلهم على بعض شيوخنا، ولست أقصد تفضيلهم على المستوى الفكري فقط وهذا واضح ومؤكد، بل وعلى المستوى الديني أيضا. وليس في ذلك تزيد ولا خروج عن ديني. فمن حقي أن أضع المسلمين في المرتبة الأولى، يليهم النصارى ثم اليهود، يليهم المشركون والكفار (كالعلمانيين والشيوعيين) يليهم المرتدون، يلي هذا كله، من هم في الدرك الأسفل من النار: المنافقون. وبهذا المقياس الديني فإن شارون أفضل من محمود عباس، كما أنني أعتبر محاولة مقارنة شرفاء

كرفيق حبيب وجمال أسعد وكتابتهم الناضجة المنصفة بكتابة كيانات من فصيلة (الدكتور!)القمني و(الشيخ!!) خليل عبد الكريم والبنا ومنتصر إهانات للعقل لا تجوز. ولا داعي للاستطراد في الأمثلة لأنها توقع تحت طائلة القانون.

***

الحمقى، الأغبياء الجهلة، تلاميذ صلاح نصر وفؤاد علام لم يدرسوا ذلك كله، لم يحيطوا بالأمر علما، تلقوا التكليف من ضابط أمن: يا جارية متعي مولاك!! فخلعت عقلها وتعرت من ضميرها واندفعت تؤدي المهمة!.

- يا جارية متعي مولاك.
- مولاي عدد الأقباط عشرين مليونا.
- يا عبد يا خصي متع مولاك:
- يا مولاي مقعد الرئاسة للنصارى.

***

ومن هؤلاء كانت تلك الحمقاء التي جاءت بالهمج الهامج الذين يمنعون النصارى من الصلاة في مقابل الأسقف الطيب الذي شيد في بيته محرابا من أجل ضيوفه المسلمين!.

لم تعلم الحمقاء ما حدث في البوسنة والهرسك، كان ٩٤٪ من السكان مسلمين، يعيش بينهم في وئام ٦٪ من النصارى. منتهى الرقة والوئام. فجأة انطلق الوحش من عقاله، أراد الـ٦٪ أن تكون البلاد كلها مسيحية، وألا يسمحوا بوجود دولة مسلمة في أوروبا، ملائكة الأمس أصبحوا وحوشا، والجار الطيب انطلق ليقتل جاره وليغتصب ابنته أمام أمها ثم يحرق منزل الجميع وهم فيه، من المؤكد أن بعضهم كان قد شيد محرابا في بيته من أجل جيرانه المسلمين، لكنه اليوم يغتصب من كانت حتى الأمس بمثابة ابنته. وأمام أمها وإخوتها، على مرأى من أبيها الذي

يمكن أن يكون في مرحلة احتضار وما يزال يرى.

لم تر المذيعة البلهاء ذلك ولم تعلم به ولم تقرأ عنه.

أو أنها علمته لكن إمتاعها لسيدها ومولاها كان يقتضي أن تقول ما قالت وأن تتجاهل ما تجاهلت.

***

الحمقاء كانت لا تدرك أن ما يحدث لا علاقة له بالمسيحية ولا بالصلاة ولا بالكاهن الذي شيد محرابا في بيته لكي يصلى أصحابه من المسلمين بينما المسلمون الأجلاف يقتلون النصارى لمجرد أنهم-يا عيني- تجمعوا في بيت أحدهم للصلاة.

لم يكن ثمة علاقة مع الصلاة ولا مع المسيحية، وإنما كانت سياسة الإغراق التي يجرمها القانون ولو على مستوى الحديد الخردة. فثمة تمويل لا سقف له للنصارى، وثمة رغبة في أن يكسو الطابع النصراني وجه مصر، وثمة أمر للنصارى بالتحرش بالمسلمين، وثمة تعليمات بإشعال النار وكلما انطفأت أوقدوها، وثمة تخطيط لكي يكون في كل قرية كنيسة وأمام كل مسجد كنيسة ليكون في كل قرية معركة وأمام كل مسجد معركة وعندما يصل الأمر إلى هذا الحد فسوف يستنجدون بالأمم المتحدة والبند السابع وقوات المارينز، وساعتها سيكون حضورها منطقيا تماما لوقف المذابح، وستقسم القرى والشوارع طبقا لمواقع المساجد والكنائس وتتفتت مصر أيتها المذيعة الغبية الحمقاء.

الحمقاء كانت لا تدرك أن نسبة الكنائس إلى النصارى أعلى من نسبة المساجد للمسلمين، فحسب التقرير الإستراتيجي للأهرام لسنة ١٩٩٩ ، فإن هناك كنيسة لكل سبعة عشر ألف قبطي ، بالمقابل هناك مسجد لكل ثمانية عشر مسلم، ولاحظوا أن معدل بناء الكنائس تضاعف بعد ذلك وأن النسبة ازدادت اختلالا.

ويعلق الدكتور عمارة على ذلك قائلا: إذا كانت نسبة الكنائس لعدد النصارى

تكاد تساوى نسبة المساجد لعدد المسلمين. فإن الواقع يقول: إن الكنائس مفتوحة على مدار النهار والليل، والمساجد تغلق عقب الصلاة، ومنبر الكنيسة حر كل الحرية، ومنبر المسجد مؤمم.

الحمقاء لم تدرك أن الأمر ليس حرية عبادة فلم يتدخل أحد ضد نصراني يصلي في بيته ولا حتى مجموعة من النصارى وإنما كان ضد تحويل المنازل إلى كنائس، ليست بيوتا لله بل قلاع خيانة يجهر أقباط المهجر بهدفهم منها، تغيير وجه مصر من الإسلام إلى النصرانية وطرد المسلمين منها. قلاع خيانة سوف يطلق الرصاص منها على الآمنين للاستيلاء على الأرض تماما كما فعل الرجل الأبيض في أمريكا وأستراليا وكما فعل اليهود في فلسطين. والغبية الحمقاء قلبها يتمزق وهي تدين المسلم الفظ الجاهل وتقرظ القس الرقيق الذي جعل في بيته محرابا.

الغبية الحمقاء لا تدري أن هناك مليار دولار على الأقل تضخ في مصر كل عام لبناء الكنائس وتنصير المسلمين. فالهدف: أن يكون مقابل كل مسجد كنيسة وأن يكون في مدخل كل شارع رئيسي كنيسة وعلى كل هضبة كنيسة وفي ناصية أي ميدان كنيسة وأن تكتسي البلاد بمظهر يوحي بالطابع النصراني للبلاد بغض النظر عن الحاجة إليها. لأنها إن لم تكن الآن مطلوبة للصلاة فسوف تكون مطلوبة غدا للحرب، وكمراكز لقوات المارينز! ولا تدرك الحمقاء أن الفاتيكان رصد للتمويل- كما تقول الدكتورة زينب عبد العزيز- ٢٤ مليار دولار. وهي مخصصة للتنصير ورشوة المتنصرين وبناء الكنائس.

لعل غبية حمقاء أو غبيا أحمق يتساءل: وحتى لو كان ذلك صحيحا فلماذا لا نتركهم؟

يا غبي يا أحمق لا نتركهم لأن المسألة مسألة أمن قومي ولأن كنائس اليوم قلاع الغد ودشم سلاحه، تماما كما فعل الخائن المجرم المعلم يعقوب بقصوره عندما

نصب فيها المدافع لتقصف المسلمين، وتماما كما حدث في البوسنة والهرسك وكوسوفا وتيمور الشرقية والفلبين والهند والتركستان وكازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان وقرغيزستان وطاجيكستان.. و.. و.

الجاهلة الحمقاء لم تقرأ مذكرات موسى شاريت التي جاء فيها: «سوف تحرك أجهزة المخابرات الصليبية والصهيونية الأقليات في العالم الإسلامي وفي قلبه مصر لتدمير هذه المجتمعات المستقرة، وتشعل النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة، وتوجهها نحو المطالبة بالاستقلال، »- كما جاء بالحرف في عبارات «بن جوريون »- بمذكرات «موشى شاريت.

ولم تدرك الجاهلة المتشدقة بسماحة القسيس ذي المحراب أن كبير القبط ينفذ هذا المخطط.

لم تقرأ الجاهلة عن «جماعة الأمة القبطية» التي ظهرت في مصر في النصف الأول من الخمسينيات- لتدعو إلى تحرير مصر من الإسلام والمسلمين!. وأنها قد تجددت اليوم تحت اسم (منظمة التحرير القبطية) والتي توجه نداءاتها إلى (قوات المارينز) الأمريكية والجيش الإسرائيلي ليعاونهم في (تحرير) مصر من الإسلام والمسلمين !!

الغبية الحمقاء لا تدري شيئا عن تبني بعض المنظمات القبطية للعنف المسلح ومنها جماعة «الأمة القبطية»التي تناصب العداء الشديد للإسلام.

الغبية الحمقاء لم تقرأ تصريحات الأنبا مرقس ـ المتحدث الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية، وعضو المجمع المقدس، ورئيس لجنة الإعلام بهذا المجمع أي «وزير إعلام الكنيسة». وأسقف شبرا الخيمة ـ التي يقول فيها:

إن مصر هي بلد الأقباط، وهم أصحابها، و أن قضية المسيحيين ـ في مصر ـ هي «قضية قومية»ـ قضية لغة، وثقافة، وعنصر، وأرض مغتصبة منذ أربعة عشر قرنًا ـ!!، ولم تقرأ تصريحات الرجل الثاني في الكنيسة الأرثوذكسية- الأنبا «غريغوريوس »- في

صحيفة «وطني» ٣٠ يوليو سنة ٢٠٠٠ م- «أن اللغة القبطية هي لغتنا بوصفنا قبطا، وهى تراث الماضي ورباط الحاضر!! فهم يحيون اللغة القبطية لتكون سورا بين الشعب المسيحي وبين المستعمر الدخيل أي المسلمين. ولم تقرأ ما نشرته مجلة صوت مصر الحر: »أنا القبطي الفرعوني صاحب الأرض، أنا القبطي الشامخ صاحب هذا الوطن الذي سُلِبَ مني منذ الغزو الإسلامي وإلى الآن، وسيرحل قريباً كما رحل من إسبانيا، فلم تعد النعرة الإسلامية لها جاذبيتها الآن في جو أصبح الغرب المتحضر يفهم أن العرب جرب»..

لم تقرأ الحمقاء «تقرير واشنطن»، وهو خدمة إخبارية على الإنترنت يقدمها معهد الأمن العالمي بالولايات المتحدة، عن ظهور اتجاهات متطرفة بين الأقباط الذين ارتكبوا مجموعة من الممارسات التي استفزت المسلمين، مثل دق نواقيس الكنائس أثناء الآذان وتكديس السلاح في كنائسهم ومنازلهم، وتوزيع الأناجيل في المركبات العامة. لم يكن أمر السلاح في الكنائس إذن سرّا ولا أوهامًا. بل لقد أثير موضوع السلاح في الكنائس في مجلس الشعب ١٢-٤-٢٠٠٨.

لم تقرأ الحمقاء ولا زميلاتها وزملاؤها ما حدث إبان اشتعال الحرب الأهلية في لبنان حين ذهب شبان أرثوذكس تحت سمع الكنيسة وبصرها وفي ظل صمت الرضا إلى لبنان؟ وحاربوا في صفوف المارونية المتحالفة مع إسرائيل ضد عروبة لبنان ووحدته وانتمائه القومي والحضاري، حاربوا مع الكتائب اللبنانية، وهكذا أصبح للكنيسة المصرية مسلحون ومقاتلون؟ لأول مرة في التاريخ.

إني أتهم الدولة بأنها عندما يرتكب النصارى الجرائم تتهم بها المسلمين. ألم يوجهوا اتهام الإفك إلى ما سموه الميليشيات المسلحة للإخوان. وكانت الميليشيات عند النصارى، وكان التمويل الدولي للنصارى وللتنصير حديث العالم واعترافات النصارى أنفسهم لكن الدولة الخائرة العاجزة الخائفة وجهت الاتهام إلى الإخوان

المسلمين وصادرت حر مالهم ودمرت شركاتهم وأغمضت عيونها عن التمويل الحقيقي. وكان كل ذلك يصب لمصلحة النصارى وضد مصلحة المسلمين.

لم تدرك الحمقاء أن الأمر جد وليس هزلا، ولأنه جد فلن يحله ارتفاع حاجبيها اندهاشا ولا تقلص ملامحها اشمئزازا من تخلف المسلمين إزاء رقي القس الذي شيد في بيته محرابا. لم تدرك الحمقاء أن الاستيلاء على مصر وطرد المسلمين منها ليس هلاوس بصر أو هلاوس سمع أو هلاوس فكر. بل لقد أقام أقباط المهجر _ في ألمانيا _ حكومة منفى! كبالون اختباري وسابقة ليس لها نظير في التاريخ.

***

لعل العبيد والخصيان والجواري قد برمجوا على ألا يقرؤوا لإرهابيّ مثلي!، لا بأس!!.

لكن، ألم يقرؤوا لأنور السادات الذي لخص المشكلة وهو يتحدث عن البابا شنودة في خطابه أمام مجلس الشعب في ١٠ مايو ١٩٨٠ حيث اتهمه بأنه يريد أن يجعل من الكنيسة سلطة سياسية، وأن من سبب الفتنة الطائفية هو البابا شنودة شخصيا.

و لعل العبيد والخصيان والجواري قد برمجوا على ألا يقرؤوا مجلة المختار الإسلامي.

لكن، ألم يقرؤوا صحيفة الأهرام التي نشرت في ٧ أغسطس ٢٠٠٩ عن محاكمة «برينس»رئيس شركة بلاك ووتر للأمن عن جرائمه في العراق، حيث اعتبر نفسه فارسا صليبيا مهمته تخليص العالم من المسلمين، وحتى الأهرام، التي أتصور أحيانا أنها تصدر من تل أبيب أو على الأقل من واشنطن عبرت عن دهشتها إزاء المفاجآت صاعقة التي فجرتها المحاكمة،فلم تقتصر الاتهامات الموجهة إليه علي القتل وتهريب السلاح والقتل المتعمد للمدنيين،حيث أضاف اثنان من العاملين السابقين

في الشركة أن برينس قتل وسهل قتل أشخاص كانوا يتعاونون مع المحققين الفيدراليين الأمريكيين الذين كانوا يحققون في جرائم وتجاوزات الشركة. واتهما الشركة بتشجيع ومكافأة كل من يقتل عراقيا،وأنها تعاملت مع العراقيين بازدراء،واستخدمت ألفاظا عنصرية تحط من قدرهم. وأضاف الشاهدان أن مسؤولي الشركة كانوا يعلنون أمام الجميع أنهم ذاهبون إلي العراق لقتل العراقيين،واعتبار ذلك شكلا من أشكال الترفيه. كما أكدا أن برينس كان حريصا على تعيين أشخاص يؤمنون بأفكاره للعمل بالعراق،حيث يؤمنون بتفوق المسيحية وينتهزون كل فرصة ممكنة لقتل العراقيين. وكانوا يعتبرون أنفسهم فرسان المعبد: المحاربين الذين يشاركون في الحملات الصليبية.

***

لقد دمرت أمريكا دولا بحجة «الاشتباه» في ضلوعها بالإرهاب.

مجرد الاشتباه دون دلائل جدية ولا جسم للجريمة.

أما نحن فالجريمة ترتكب أمامنا، والوطن ينهش أمامنا، وأدلة التورط والتلبس والثبوت تحيط بنا من كل جانب فنغمض أعيننا ونكتفي بحصار المسلمين وضربهم وتعذيبهم وتزوير أصواتهم ونهب أموالهم وحصار اقتصادهم.

مذيعتنا الحمقاء لا تدرك أنها يمكن أن تغتصب غدا وتذبح أمام المحراب الذي تشدقت به.

ألا لعنة الله على الظالمين.

ثم ألا لعنة الله على الأغبياء والحمقى والمغفلين!!.

***

وهنا لابد أن أنبه –رغم أنه بديهي- أن موقفنا لا يمس إخوتنا من نصارى مصر الذين لم يخونوا بلادهم، بل إننا نقف معهم في نفس الخندق للدفاع عن مصر

المسلمة وللدفاع عن الهوية الحقيقية للكنيسة المصرية التي ضيعها رعاتها. ولابد أن أشيد هنا بإخوتنا من النصارى الذين يشاركوننا بجرأة وشجاعة ونزاهة في اتهام الدولة بمحاباة النصارى خوفا من أميركا.

***

إني أتهم حكامنا ونخبتنا بأنهم يتعاملون مع المؤامرة الكارثة بنفس المنهج الذي تعاملوا به مع اليهود قبل إنشاء دولة إسرائيل، والذي انتهى بضياع فلسطين كلها. ولو أن جيوشنا الجبارة(!!) لم تتدخل، ولو أن عزائمنا الخوارة(!!) لم تتصد، ولو أن كتائب المثقفين المنحرفة المنهارة لم تضلل لأمكن إنقاذ فلسطين وتجنب أهوال الخراب الذي نعيشه الآن جراء عدم تقديرنا للأمور في الوقت المناسب. نعم، كان الفلسطيني البسيط، الفلسطيني الأمي البسيط قادرا على مواجهة الغزوة الصهيونية، لكن الجبارة والخوارة والمنهارة تكفلت بتقييد الفلسطيني وشل حركته تماما كما تقوم أجهزتنا الأمنية بقمع رد فعل البسطاء تجاه تحويل مصر إلى غابة من الكنائس، إنها تقيده بالواقع لا بالمجاز، بينما تقوم الميديا الإعلامية بتشويهه.

***

أيها العبيد والخصيان والجواري.

أيها الخونة.

أيها المبهورون بالمحراب في منزل القسيس.

سوف يحدث هذا في مصر غدا، حين يتسلط عليكم من يؤمنون بتفوق المسيحية وينتهزون كل فرصة ممكنة لقتل المصريين.

***

حاشية ١

السلام مقابل ترك الإسلام!

في البداية كانت المعادلة: السلام مقابل الأرض. وكان هذا يعني أن نستعيد الأرض التي احتلتها إسرائيل بعد ٦٧ مقابل إسقاط العداوة والخصومة وإحلال السلام. وكنا نرى في ذلك مهانة ما بعدها مهانة لأنه يعنى التنازل عن فلسطين المحتلة منذ عام ٤٨.

ولكن أمرنا تدهور فتضاءل عرض إسرائيل فأصبح السلام مقابل السلام. وهو ما يعني أن ننسى موضوع الأرض ونتنازل عنها صاغرين وأن نوقف المقاومة مقابل أن تمن علينا إسرائيل بعدم ضربنا.

ثم تدهور الأمر فلم يعد يكفي التنازل ولا وقف المقاومة وإنما أصبح المطلوب التطبيع الكامل وأن نكون سوقا تجاريا لبضائعهم.

ثم تدهور الأمر فلم يعد يكفي كل ذلك، وإنما أصبح واجب جيوشنا حماية حدودها وواجب أمننا القبض على من يفكر في مقاومتها.

ثم تدهور الأمر فأصبح للسلام الذي تمن علينا به ثمنا يجب ألا نكف عن دفع ثمنه. وأصبح لزاما أن نبيع لها بضائعنا بربع ثمنها.

ثم تدهور الأمر فأصبح لزاما أن نتحالف معها للقضاء على أعدائها ولو كانوا إخوتنا.

ثم..

ثم..

ثم..

وكنا نريد أن نخطب بذلك ودها وود أمريكا من ورائها.

لكننا ندرك الآن فجأة أن كل هذا لا يكفي.

كله لا يكفي.

وهاهم أولاء أقباط المهجر –وبعض نصارى الداخل الذين لم تحمهم الدولة من الغواية ينجرفون معهم إلى نجس الخيانة والجنون– فيرفعون لواء أن كل مسلم ليس مصريا، وكل من ليس مصريا عليه أن يعود إلى أرض الحجاز.

لم ترضهم كل تنازلاتنا ويطمعون أن يزيد.

ولن يكفيهم مهما زدنا.

صدق الله العظيم.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة].

صدق الله العظيم.

***

حاشية ٢

كاذب ولو كان البابا شنودة.

نسبة تعداد النصارى في مصر أقل من ٦٪ من عدد السكان، ونسبتهم في المجتمع تقل حتى يتنبأ بعض الباحثين النصارى أنهم سيتلاشون خلال قرن. العدد إذن أقل من خمسة ملايين، فإذا قال قائل أنهم عشرة ملايين أو ١٢ مليونا أو ١٥ مليونا فإنه كاذب سواء كان كارتر أو مبارك أو هيكل أو البابا شنودة!

***

حاشية ٣

بعد خراب مصر.

لشد ما تألمت عندما رحت أقرأ الكاتب الصحافي القومي المرموق محمد عبد

الحكيم دياب، في صحيفة القدس العربي ١٥/ ٠٨/ ٢٠٠٩

أخيرا.

بعد خمسين عاما بدأ يدرك ويفهم أنها كانت منذ البداية حربا على الإسلام، الإسلام الذي بادره بالعداء النظام القومي الذي يدافع عنه ويفتن به دياب.

بدأ يدرك أن كونه قوميا لن يحميه من التنكيل والطرد.

أما الحجة التي طالما واجهونا بها بعدم الاحتكام إلى الإسلام لوجود أقباط، فها هي ذي أسفرت عن نداءات البعض بأن يقوم أقل من خمسة ملايين بطرد أكثر من خمسة وسبعين مليونا، الذين عدوا محتلين وغزاة!. ثم تقطر السخرية المرة من دياب وهو يقول:

في حالة استثناء الأشقاء سكان النوبة، فهم وإن كانوا يتحدثون فيما بينهم لغة شفاهية غير عربية تبقى مشكلتهم في اعتناقهم الإسلام الذي يضعهم في خانة الغزاة، ويتحدثون ويكتبون بالعربية كلغة وطنية، ليجدوا أنفسهم في زمرة المحتلين، بجانب أنهم ليسوا ضمن زمرة القبط، لتشملهم عملية إعادة إنتاج القبطية كبديل للشخصية الوطنية والهوية القومية.

سقطت إذن حجة القوميين التي حاربوا الإسلام بسببها.

يعترف دياب بأن الخطاب الانعزالي حقق نجاحات بين أوساط تدعي المعرفة والثقافة. جعلوا من أنفسهم دعاة للقبطية في صياغتها الجديدة. شعارهم كلنا أقباط. أي لسنا مصريين أو عربا. فهذا قبطي مسلم وهذا قبطي مسيحي. وصارت صفة المصري العربي سبة ومعيبة.

سقط إذن شعار «مصر أولا ومصر أخيرا» وكم حذرنا من أن نتيجته النهائية ستكون أمريكا أولا وإسرائيل أخيرا، لكن دياب وصحبه نكلوا بنا وقتلوا شيوخنا واعتقلوا شبابنا.

يواصل دياب قوله:

ومنذ مدة بدا الأمر وكأن مصر مقسمة إلى أكثر من شعب. بعضه أصيل (يقصد النصارى) وأغلبه دخيل (يقصد المسلمين). يضاف إلى ذلك أن الخطاب الانعزالي يربط بين العرب والبداوة بشكل مغرض. اختزلوا الشخصية العربية في خيمة وناقة وجمل وحصان وسيف وصحراء وقحط.

(ألم يشارك القوميون العلمانيين والنصارى في توجيه هذه الاتهامات للمسلمين؟).

إن دياب يدافع –أخيرا جدا عن الحضارة الإسلامية وعن كون الفاتحين لم يرغموا الشعوب على تغيير ملتها.

يستنكر دياب قيام النصارى والعلمانيين – ومنهم القوميين- بنفي أي إنجاز حضاري أو تاريخي يذكر للمسلمين. وهو ما حدا بهم إلى إعادة إنتاج القبطية لإسقاط ألف وأربعمائة عام من تاريخ البشرية، وهو نهج غربي عنصري يسقط نفس هذه الفترة من مواد الثقافة العامة، ومن مناهج التعليم العام والجامعي. وكذلك لتلبية مطالب التقسيم والتفتيت التي يسعى إليها الداعمون لهذا التوجه. وزاد الوضع تفاقما بسيل الكتابات والادعاءات التي تصدر عن قساوسة محسوبين على الكنيسة المصرية. تردد دون كلل بأن المسلمين غزاة وأن العرب محتلون وأن القبط أصحاب الزمان والمكان. أي التاريخ والجغرافيا. وهم على وجه أقرب لليقين ليسوا امتدادا للمصريين القدماء. ولا لهم علاقة بحضارتهم. كل ما يريدون هو إيقاف عقارب الساعة عند ما قبل القرن السابع الميلادي إحياء لزمان قديم بثقافته وتراثه اليوناني والروماني واليهودي، واختطاف المكان والنزول به إلى الحفريات والقبور فيها قبل ألف وأربعمائة عام. وزيادة في الاستفزاز يقدم الانعزاليون نموذج المعلم يعقوب الذي كون وقاد فرقة عسكرية من مسيحيي مصر حاربت مع العسكر الفرنسيين بقيادة نابليون بونابرت

سبحان الله.

عندما كنا نصرخ بهذا منذ عشرين عاما كان دياب وأمثاله ينظرون إلينا كما لو كنا مشعوذين ننشر الخرافات والأوهام والأساطير

ها هو ذا يفهم أخيرا.

لكن.

بعد خراب مصر!

حاشية ٤

أحمد ضياء الدين

قد يتخيل القارئ أن ثمة ودًا مفقودًا بيني وبين اللواء المحافظ، وذلك غير صحيح، فإنني أبغض الرجل بغضا لا ينافسه فيه إلا خالد منتصر. يليهما وحيد حامد! لو عزل اليوم أو حتى مات فلن أشعر بأي أسف عليه، ولكنه واحد من الذين يجعلونني أشتاق إلى الآخرة لأرى وجهه أمام الله يوم الحساب.

إنني أستعيد بعض ما كتبته إحدى المدونات عن الرجل وأنا أصدق ما نشرته المدونة التي يقول صاحبها:

اللواء احمد ضياء الدين، الصحاف

كلما رأيت هذا الرجل تذكرت محمد سعيد الصحاف وزير إعلام النظام العراقي البائد ، فضياء الدين الذي يعمل مساعداً لوزير الداخلية للشؤون القانونية ويتحدث باسم الوزارة في وسائل الإعلام، لا يمكنك أن تتابع أداءه وتقرأ تصريحاته حتى تقفز إلى رأسك صورة الصحاف الشهيرة، فلسفة واحدة اتفق عليها الرجلان هي النفي دائماً وأبداً بغض النظر عن الحقيقة، دفاع مستمر عن النظام بالحق والباطل ، حتى العداء لقناة الجزيرة اجتمعا فيه !!

ربما كانت أولى مهام منصب السيد اللواء هي تحسين صورة «الداخلية» والدفاع عنها أمام المجتمع ، بعد أن عمّت البلوى و ضجّت البلاد بالشكوى من ممارساتها غير الإنسانية وتفجر فضائح التعذيب بشكل شبه يومي ، لكن صورة الجهاز الأمني ازدادت قبحاً على قبح بسبب استمرار الانتهاكات أولاً ، و ثانياً بفضل أحمد ضياء الدين، الدب الذي قتل صاحبه.

«أنا أنتمي لوزارة الداخلية من منبت شعري لأخمص قدمي»، هذا ما قاله أحمد ضياء الدين لأعضاء مجلس الشعب في مايو ٢٠٠٧ ، وبهذا المنطق خاض طوال العام معارك الداخلية الإعلامية في الصحف والفضائيات كلما ثار حديث حول دورها في الشارع المصري وأفعال ضباطها التي تحولت فضائح وكليبات وقضايا تتداولها النيابات والمحاكم كل يوم.

اعتمد ضياء الدين في عمله كمتحدث باسم الداخلية على سياسة الإنكار الدائم، عادة ما تبدأ التصريحات المنسوبة له في الصحف بعبارة :«نفى اللواء أحمد ضياء الدين، »؛ فالضباط أبرياء ومفترى عليهم، الإعلام مغرض والفضائيات مشبوهة والمنظمات الحقوقية مدفوعة من الخارج لتشويه سمعة مصر ، حتى السيدة التي دهستها سيارة الشرطة في المطرية هي المسؤولة عما جرى لها ومدانة في حق نفسها ، حد قالها تقف قدام البوكس ؟ !

وفي مواجهته لما تنشره المدونات المصرية من وقائع تعذيب مدعمة في معظم الأحيان بمقاطع فيديو مصورة التقطها الضباط أنفسهم على سبيل التسلية ، عمد ضياء الدين إلى اتهام المدونين بتشويه سمعة مصر و«تهييج» الرأي العام ، واستهدف بعضهم شخصياً في تصريحاته كما حدث مع المدون وائل عباس صاحب «الوعي المصري »فبعد نشره لأحداث التحرش الجنسي في وسط البلد اتهمه سيادة اللواء بالتورط في قضايا جنائية مخلة بالشرف ، وكرر هذا الاتهام في عدة مقابلات

تلفزيونية ، حتى اضطر وائل عباس للتوجه إلى الداخلية بقدميه و استخرج منها صحيفة الحالة الجنائية «فيش وتشبيه» ونشرها على مدونته ليثبت خلوها من أي سوابق.

***

هل يتخيل أحد أن أحمد ضياء الدين يمكن أن يتخذ موقفا مع الإسلام أو ضد النصارى.

عندما ذهب محافظا للمنيا تفجرت المشاكل أمامه عندما ووجه بصراع مافيا لصوص الاستيلاء على أرض الدولة، كان أحد الطرفين هم الأعراب الذين استولوا على الأراضي بوضع اليد، وهو عرف أصبح أقوى من القانون، ولم يكن في ذلك مشكلة، كان يمكن قتلهم أو اعتقالهم أو نفيهم من الأرض أو سحقهم بالدبابات وقصفهم بالصواريخ، لم يكن في ذلك مشكلة، كانت المشكلة في الطرف الآخر من اللصوص، فقد كانوا رهبانا مسلحين في أحد الأديرة، وكانوا مسلحين وقتلوا مواطنا في صراعهم الإجرامي على الأرض المنهوبة. ولم يكن في ذلك مشكلة، فلحسن الحظ كان القتيل مسلما، والمسلمون بلا ثمن، لكن المشكلة أن المحافظ باعتباره رجل أمن محترفًا متمرسًا- دعك من اعتباره جلادا أم غير جلاد، كذابا أم غير كذاب- أراد من الرهبان أن يساعدوه، لا لكي يعيد أرض الدولة إليها، ولا لكي يحيل الأمر إلى القضاء، ولا لكي يحكم بتقسيم الأرض المسروقة بين العربان والأهالي، لم يطلب أيا من ذلك، ولكنه طلب من الرهبان اللصوص أن يساعدوه لكي يقنن وضعهم، لم ينزع منهم الأرض المسروقة، ولا هو هددهم بذلك، فقط طلب منهم اتخاذ بعض الإجراءات لكي يغطي موقفه ولكي يسد الثغرات القانونية ويجعل الأرض المغتصبة حقا يحميه القانون، لكن الرهبان الذين تعودوا على التعامل مع موظفي الدولة مهما كانت مناصبهم كعبيد استشاطوا غضبا، إذ كيف يجرؤ ابن الجارية على عصيان أبناء أسياده!، شنوا حربا رهيبة على المحافظ المسكين، تداعت قبائل الفضائيات وبلاك ووتر

أقباط المهجر، «المسلمون يستولون على أرض الأقباط». المسلمون يعذبون القساوسة» .. «اضطهاد الأقباط». وكان المحافظ المسكين مروعا وهم يكيلون له السباب ويوجهون الاتهامات والرجل يكاد يتوسل إليهم ويقبل التراب تحت أقدامهم، لكنهم كانوا قد غضبوا، وشنوا عليه الحرب.

لذلك وجبت إقالته وحان عزله!.

وسيقال، وسيعزل.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].



(١) كان المفروض أن تنشر مجلة المختار الإسلامي هذا المقال، لكن إدارة المجلة رأت لأسباب أقدرها وأحترمها أن هناك مواءمات تجعل من الأفضل عدم نشره فيها. لقد كانت مقالاتي سببا مباشرا في إغلاق «صحيفة الشعب نهائيا» وفي إغلاق صحيفة «الحقيقة» جزئيا وفي تهديد عدد من الصحف الأخرى في مصر والدول العربية، ورغم أنني أفضل المواجهة حتى النهاية مهما كانت العواقب، إلا أن ذلك مشروط بألا يدفع الآخرون الثمن معي. لقد تمنيت أن أُحاكم، أو أن أُواجه ويشهر بي على الملأ إذا كان ثمة خطأ واحد في أي معلومات أنشرها على الناس، لكنهم تركوا المواجهة الموضوعية إلى الاتهام بالإرهاب. إنني أنبه إلى الحصار الخانق على الصوت المسلم الذي يطارد حتى في بيته ويطرد حتى من المساجد. لقد ترك أسلافنا تسعة أعشار التجارة مخافة الربا، وأخشى أن نتنازل عن تسعة أعشار الوطن مخافة الفتنة الطائفية، وأن نترك تسعة أعشار الإسلام مخافة الاتهام بالإرهاب.!



نعم :
نحن نظلم النصارى !

نعم، نحن: -المسلمين والدولة- نظلم النصارى.

ونحن لا نتلاعب بالألفاظ، ولا نمارس حيل التشويق ووسائل الإثارة، ولا نضع في بداية المقال لغزا لا تأتي إجابته إلا في آخر سطر حتى نحتفظ بقارئ ملول في المصيدة، بل نقولها منذ البداية على خطى شيخنا وفقيهنا وعلامتنا محمود شاكر أننا لا نسعى إلى قارئ لا يسعى إلينا ولا نحرص على من لا يحرص علينا، وليس في الأمر أي كبرياء معاذ الله، بل إننا نعاني ونكابد وننزف ونحن نكتب باحثين عن الحقيقة، ومن يكابد ويعاني وينزف لا يدعو الناس لمشاركته، فالناس يُدْعوْن إلى الولائم لا إلى التضحيات، على المغانم لا المغارمزم.

ظُـلْمنا للنصارى إذن ليس لغزا، لقد ظَلَمناهم حين لم نردهم عن ظلمهم.!!.

ظلمناهم حين لم نحمهم من قرناء السوء والشياطين وتركناهم نهبا لوسوسة شياطين المهجر وهم خونة وعملاء وطلائع «مارينز». وهم لا يختلفون في شيء عن خونة العراق الذين دخلوها على ظهور الدبابات الأمريكية، لا يختلفون عنهم في شيء إلا أن هؤلاء يزعمون أنهم نصارى وأولئك يزعمون أنهم مسلمون وما هم بنصارى ولا مسلمين بل كلاب مسعورة وخنازير مأجورة لتدمير أوطانهم لصالح الطامع الغربي الذي يروم احتلالها والسيطرة عليها. الطامع الغربي الذي لم يرث مسيحية روما بل وثنيتها. فلم تتنصّر روما إنما ترّومت الكنيسة.

تركنا جمهور النصارى نهبا لهم فظلمناهم، وكانت الأنظمة الحاكمة الغبية التي لا ترى أبعد من كرسي الحكم ترى في الإسلام والمسلمين الخطر الأكبر القادر على إزاحتها وعلى التصدي للطامع الصليبي واليهودي فاتفقت مصلحة المحتل المحلي مع مصالح الطامع الأجنبي مع مصالح أقباط المهجر مع مصالح إخوان الشياطين من العلمانيين والشيوعيين وكان المسلمون هم الضحية الأولى ونصارى الداخل هم الضحية الثانية، وقد كانت الدولة مسؤولة عن هذا الظلم كله ، لكننا كمسلمين

ساهمنا في ظلم نصارى الداخل حين لم نوضح لهم الحقائق بقوة وجلاء.

ظلمناهم حين تركناهم يصدقون أن التسامح ضعف وأن الكرم خضوع وأن الأريحية خنوع وأن المسلمين يقيدهم الدين –الإسلام– وليس استعانة أزلام المهجر بالغرب.

لقد فعلنا بهم ما يفعله الأب الضعيف بأحد أبنائه حين يتركه– تدليلا – يقع في حبائل الانحراف والغواية فيضيعه ويصعب عليه بعد ذلك إعادته للصراط القويم. إنه بهذا يدفع بابنه للهلاك.

***

إن العملية بالغة التعقيد والتركيب، ونحن لا نريد أن نحرث في البحر ولا أن نعيد –للمرة الألف–تأكيد ما هو مؤكد، ولا أن ننفي –للمرة المليون– ما هو منفي، لأن الملاحظ أننا في ساحة ليس للكلمات فيها دور، ولا للحجة نصيب، فالغلبة للضجيج والكذب، للادعاء الذي لا يقوم عليه دليل، لتصدي أناس لا يتصور أبدا أنهم يمرغون كرامتهم وكرامة مناصبهم في الوحل فيكذبون، لأجهزة إعلام ينطبق عليها المثل العربي: «رمتني بدائها وانسلت». مع توضيح واحد هو أن الداء الذي رمتنا به هو الإيدز بل ما هو أخطر. بيد أننا في اقترابنا من القضية يجب أن نحدد عناصر ما نتحدث عنه، وهو فسيفساء تحسبها من بعيد قطعة واحدة وكلما اقتربت فوجئت بتعدد القطع وتمايز الألوان.

***

العناصر التي تحدد لنا حدود وهيكل ما نتعرض له – وهي لا تعبر عن مصر وحدها – تنقسم في البداية إلى عنصرين: حكومة، وأمة.

وأي حكومة يمكن أن تكون وطنية أو عميلة، شرعية أو غير شرعية، عادلة أو ظالمة، مؤمنة أو كافرة، مخلصة أو خائنة، أمينة أم لصة، منحازة للأمة بكل طوائفها،

أو منحازة لطائفة واحدة، أو منحازة لنفسها فقط.

أما الأمة فهي كالنهر، تيار رئيسي متدفق يمثل النهر، ومياه آسنة على الشاطئ. والأمة تتشكل من فئات وطوائف تتوازن كالأواني المستطرقة، كالنهر وفروعه، التي تنبع منه أو تصب فيه. في توازن دقيق يحسبه الجاهل عشوائيا والكافر سدى، فكلما كان التوازن مطابقا للواقع كان الأمر مستقرا وقابلا للاستمرار فإن بغت فئة على الأخرى تتآكل إمكانية الاستقرار وتتنامى احتمالات الانفجار.

إن ملاحظة سنن الله في الكون تجعلنا نلاحظ على الفور أن التدافع سنة من سنن الوجود، وأن الفراغ ممنوع، فإذا نشأ لسبب غير طبيعي سارع عامل آخر بالاستيلاء عليه.

إن هذه النظرية يعرفها تلاميذ المراحل التعليمية المتوسطة، فمن الصورة البسيطة للأواني المستطرقة إلى تدافع الغازات في الجو إلى صراع الذرات عبر جدران الخلايا إلى قوانين حركة الجزئيات بل إلى المجرات.

هذه السنة الكونية لا تقتصر على الأشياء بل تشمل الأحياء أيضا. ذلك أن أي فراغ -بدءا من الأسرة وانتهاء بالقوى العظمى مرورا بالمجتمعات- لابد أن يتقدم من يسده ويملؤه، فإذا كان الزوج ضعيفا -على سبيل المثال- فتخلى عن مكانته فإن الزوجة تتقدم على الفور لتشغل الفراغ، بل إنه بين الإخوة في الأسرة الواحدة، إذا كان أحد الإخوة ضعيفا وتخلى عن بعض حقوقه تقدم شقيقه على الفور ليستولي عليها- إلا من رحم الله-.

تستمر الأمور وتستقر إذا كان الضعف حقيقيا والقوة حقيقية والاتزان حقيقيا. فإذا كان الضعف مزيفا والقوة مصطنعة- كأن يلجأ أحد الإخوة إلى تقييد أخيه بالحيلة كي يستولي على حقوقه، أو إذا ما استقوى بأجنبي على شقيقه، أو خضع لغواية الأجنبي وتحريضه فانقلب على أخيه، أو كان هناك من الأسرة من انحرف

وفسد وجرفه عالم الإجرام فما عاد يبالي بتدمير أسرته وتحريض بعضها على بعضها رغبة في مكافأة من عدوه، إن كان تدافع الأحداث قد نتج عن أي من ذلك فإن الأمر لا يستقر مهما طال، والظالم لا يستمر مهما نال وصال.

***

أظن أن هذه الأمثلة البسيطة السابقة تلخص وتجسد ما يطلقون عليه الأزمة الطائفية في بلادنا. إنها ليست أزمة طائفية. بل جزء من الهجمة الصليبية الصهيونية علينا. ولشد ما هو محزن أن يستدرج إليها رفاقنا في الوطن الذين عايشونا ألفا وخمسمائة عام دون مشاكل حقيقية، ثم جاء من يحرضهم علينا كي يتحرشوا بنا وكانوا هم البادئين دائما كما قال المحافظ القبطي مجدي أيوب. كانوا هم البادئين وكان على الدولة أن تردع لتقوّم.

ليست فتنة طائفية، بما فيها حادث نجع حمادي الأخير والذي تبارى أسوأ من في الوطن: الشيوعيون والعلمانيون إلى التعبير عن شعورهم بالخجل كي يثبتوا التهمة على المسلمين والإسلام وصولا إلى حصار المسلمين والقضاء على الإسلام. إنهم أشبه الناس بالتوربيني، هل تذكرونه، ذلك المجرم الذي نشأ في الشارع وكان يغتصب أطفال الشوارع ويلقي بهم من فوق أسطح القطارات، إنه بلا انتماء ولا أخلاق ولا مرجع ومعروض دائما للإيجار. تماما كالشيوعيين والعلمانيين!.

كانوا كداعرة تتنقب ليس للتوبة وإنما لتهرب المخدرات أو لتشوه صورة المنقبات.

قالوا : أنهم خجلون مما حدث في نجع حمادي وأن أبناءهم لا يستطيعون رفع أعينهم في وجوه زملائهم النصارى في المدارس.

كانت الداعرة المنقبة ترمينا بدائها وتنسل.

ولكنني مسلم، ولم أشعر بالخجل.!!

أحفادي في المدارس أيضا لم يشعر أي واحد منهم بأي خجل وكانوا ينظرون في أعين زملائهم النصارى بتعاطف حقيقي ويعزونهم، هذا إذا لم يشغلهم اللعب والشجار عن التذكر، وما حدث لي هو بالضبط ما حدث لزملائي و لأبناء زملائي وأحفادهم.

وفوق ذلك فإنني لم أقابل مسلما يشعر بأي خجل.!!

ذلك أن ما حدث لم يكن بيد أي إسلامي، ولا يمثل أي مسلم، ولم يقل به شرع الإسلام ولا فقهه، وليس له علاقة بالإسلام ولا بالمسلمين، فما يخجلنا إذن؟ !.

ثم أن من المضحك، وشر البلية ما يضحك، أنه لو صدق الكذاب وأصاب الرويبضة، وكان وراء ما حدث في نجع حمادي أو سواها من يطلقون عليهم أنهم جماعات إرهابية، فإنه حتى هذه الجماعات لن تشعر بالخجل، إذ كيف تشعر به وقد أنفذت ما تراه شرع الله!!

لم تقصد أبواق مسيلمة إذن أن تنطق صدقا وأن تشهد حقا وإنما قصدت أن تنافق سيدا حتى لو احترق البلد كله.

لم يخجل إذن أحد.

آخرون هم الذين كان يجب أن يخجلوا، منهم مسؤولون سياسيون، ومنهم بعض النصارى، ومنهم الأمن الذي انفصل عن مهامه الرئيسية في حماية الوطن والمسلمين والنصارى إلى حماية النظام. ولكن هذه الطريقة الغبية في حماية النظام ستؤدي ليس إلى انهيار النظام فقط، بل إلى انهيار النظام والدولة وتشظي الأمة.

كنا نشعر بالحزن، بالأسف، لكننا لم نشعر بالخجل أبدا، وكنت أنا شخصيا فوق الحزن والأسف أشعر بالغضب الشديد، لأن ما حدث هو ما تنبأت به وحذرت منه منذ أعوام طويلة حين حذرت من أمرين حدث أولهما بالفعل: وهو أن الاستفزاز والابتزاز سيؤديان في النهاية إلى عمليات انتقام خارج إطار الدين لا تحركها إلا

العصبية القبلية. أما الأمر الثاني وهو أخطر والحمد لله أنه لم يحدث بعد، وهو أن رجال الأمن الذين تمرسوا منذ أكثر من نصف قرن على التنكيل بالمسلمين وتدنيس المساجد وإطلاق الرصاص فيها، أولئك سيصلون إلى نقطة الفهم والعجْز عن الاستمرار، وسينضمون إلى فئة الذين ينتقمون جهلا، أو إلى فئة الذين ينكل بهم ظلما.

نعم.

لماذا يشعر المسلمون بالخجل، والجاني بلطجي ليس له بالدين علاقة -باعتراف الأنبا كيرلس- كما أنه تربية الحزب الوطني وبتشجيع النصارى كي يضربوا به الإخوان المسلمين والإسلاميين عموما، فهل نشعر نحن المسلمين بالخجل عندما يحوّل هذا المجرم -الذي سلطوه علينا- سلاحه من صدورنا إلى صدورهم هم، صدور من سلطوه وحموه ورعوه!!.

هل نحن الذين يجب أن نشعر بالخجل؟ !.

أستطيع أن أجزم أن من شعروا بالخجل (كمّونيون[1]) وليسوا مسلمين، وأستطيع أن أؤكد أن أحدا منهم لم يركع لله ركعة. إنهم يشبهون الكموني وينتمون إليه وهم مثله لذلك خجلوا من فعلته، إنهم مثله، حتى لو كان اسمهم منى الشاذلي أو معتز أو هناء أو حتى سلامة أحمد سلامة!.

***

لكننا نريد أن نضع بعض المحاذير الهامة حتى لا نضل. فوسط عمليات التغريب والتغييب ينزف الوعي وتضيع الحقائق. لكننا ننبه القارئ هنا أننا ستتكلم على مستويين: مستوى التيار الرئيسي الصالح الذي يمثل الغالبية ومستوى الانحرافات

(١) نسبة إلى بلطجي يدعى الكموني اتهم بإطلاق الرصاص على النصارى في عيدهم وحكم عليه بالإعدام.

والشذوذ، وهناك فرق بين أخطاء الممارسة في الحياة اليومية وبين خطايا الخيانة المدبرة سلفا مع سبق الإصرار والترصد.

من هذه المحاذير أن وسائل الإعلام لم تعد مهتمة بإظهار الحقائق أو بنشر الأخبار. بل هي تصنع الأخبار بل تصطنعها. تزيفها. وهي أخبار مدفوعة الثمن. ومن مردوخ إلى ساويرس تشترى الأقلام وتضيع الحقيقة. ومنها أن مستوي ممارسي الكذب ارتفع من السوقة والدهماء إلى حملة التيجان وأصحاب الصولجان. تماما كما يحدث في لعبة الشطرنج حين ينكشف الملك فيقوم بدور الجنود.

المحذور الثاني: أن تعداد النصارى في مصر أقل من ٥ , ٥٪ وأن من يدعي رقما أعلى من هذا كذاب أشر أيا كان منصبه ووضعه. وهو كذاب يعرف أنه كذاب، وكلما ازداد حجمه كبر إثمه. فلا يمكن –على سبيل المثال أن يصدق أحد أن الرئيس مبارك أو محمد حسنين هيكل أو البابا شنودة لا يعرفون عدد النصارى. لقد كرر الرئيس النسبة التي ذكرها كلينتون ونحن نعتب عليه، لأن كلينتون صليبي ذو غرض وهوى ومن مصلحته أن يكذب–وبالطبع لا يوجد أي افتراض لكونه يجهل الحقيقة– أما البابا شنودة فقد زاد على النسبة التي ذكرها كلينتون. ولكن محمد حسنين هيكل قفز قفزة بهلوانية جديرة به وبتاريخه فقد أراد أن يجامل كل الأطراف التي يراها عندما قال أن عدد النصارى في مصر يتراوح ما بين ١٠-١٥٪، هيكل، الذي يعرف عدد النمل والأبراص والسحالي في شقوق الأرض والجلادين في السجن الحربي وعدد الشهداء في الحروب والسجون وعدد من دفنوا أحياء في سيناء يذكر رقما نسبة الخطأ تقارب ٥٠٪. أما الخمسة في المائة التي تفصل ما بين الـ١٠٪ والـ١٥٪ فهي تشكل أربعة ملايين نسمة. لقد جامل الجميع ما عدا المسلمين فهو لا يراهم، تماما كما لا يرى الأمريكي الأبيض الهنود الحمر، ذلك أن مجرد رؤيته لهم دليل على إجرامه.

والسؤال هنا لماذا يكذبون؟

لا أريد أن أكرر ما هو معلوم بالضرورة عند كل مسلم أن النسبة لا تعنى لنا شيئا وأن من قتل نفسا واحدة فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا –في تكريم للفرد وحفظ لحقوق الإنسان لم يحفل التاريخ بمثله– وأن تلك هي المعادلة التي تحكمنا في الحقوق والواجبات لكن السؤال يبقي: لماذا يكذبون وهم يعلمون أنهم يكذبون.

لن نتطرق الآن إلى الكتب الوحيدة في العالم الذي تأمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ والبهائم وبشق بطون الحوامل وقتل الأجنة في بطون أمهاتهم.

***

المحذور الثالث: لماذا يعتبر عدد النصارى ونسبتهم سرا عسكريا؟ من الذي يمنع إعلان عددهم؟ ولمصلحة من؟ هل المسلمون هم الذين يمنعون؟ وهل يستطيعون؟ ولماذا لم يقلب أقباط المهجر العالم علينا كما يقلبونه من أجل أشياء أتفه بكثير بل من أجل أكاذيب سافرة وغالبا فاجرة لكنهم لم يحاولوا أبدا أن يطلبوا – مثلا– من الأمم المتحدة إجراء هذا التعداد، أو حتى أن يقوموا به بأنفسهم، أما الإجابة فلأنهم يعلمون أن أي تعداد سيفضح أكاذيبهم ويثبت أن عددهم أقل من ٥ , ٥٪. والأكثر من ذلك أن باحثا قبطيا أثبت أنهم يتناقصون بالهجرة والإسلام وتنبأ أنهم سينقرضون تماما في نهاية هذا القرن.

المحذور الرابع: هو ذلك المدى الفج الذي بلغوه من محاولتهم أن نغير ثوابتنا ومنها القرآن. محاولة مضحكة تلوى فيها أعناق الحقائق لمنع المسلمين من وصف النصارى بالكفر والعكس ليس صحيحا لأن كفر المسلمين لديهم من البديهيات. فهم يمنعون التكفير في اتجاه واحد ويسمحون به للاتجاه الآخر.

بينما الكفر اتجاه طبيعي جدا، وعلى سبيل المثال فإنني أول الكافرين بالطاغوت

وبالتعذيب وبالتزوير وبالتوريث وبالهجمة الصليبية الصهيونية علينا بينما أومن بالمقاومة والجهاد والاستشهاد.

كل إنسان على ظهر الأرض إذن لابد أن يكون مؤمنا بأشياء وكافرا بأشياء.

وعلى سبيل المثال فإنه لا يصح دين مسلم يؤمن بأن الله ثالث ثلاثة كما لا يصح إسلام من لا يكفر بالطاغوت.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة].

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

المحذور الخامس: أن الناس في أي فئة ليسوا كتلة متجانسة بل يجمعون بين المتناقضات. سوف تجد هذا الأمر في المسلمين كما في النصارى. كما أن الفئات الفرعية من هذا وذاك تحتوي على نفس ألوان الطيف. وعلى سبيل المثال فإن فكر الدكتور رفيق حبيب –النصراني- أرقى عندي بكثير وأصح من آراء كثير من المسلمين بل أصح من آراء شيخ الأزهر[1]. كما أنني في تقييمه أظنه أقرب إلى الله من كثير ممن يزعمون الإسلام وليسوا بمسلمين. لكننا نقرر في الجانب الآخر أنه برغم يقيننا من أن أقباط المهجر من أخس وأفجر الناس في التاريخ وأكثرهم كذبا وخيانة، إلا أن بعضهم على الأقل قد يكون معذورا بجهله.

المحذور السادس : لو أن جبارا أو طاغوتا جاء وسد مجرى النيل فماذا سيحدث؟ لن يتوقف النيل عن الجريان ولن يتوقف الماء عن السريان. لكنه بدلا من أن يسير في مجراه الطبيعي الهادئ يحمل الخصب والنماء، فإنه بعد سد مجراه سيفيض على الشطآن ليدمر ويهدم ويخرب ويجتاح، وبعد أن يفقد قواه وتنكسر اندفاعته وينهد،

(١) المقصود: الشيخ سيد طنطاوي.

لا يسلم منه إلا ما يتسرب في باطن الأرض، أما الباقي فإنه يتجمع في برك ومستنقعات حيث يأسن الماء ويتعفن، وتنشأ الحشرات والطفيليات والملاريا والأفاعي والأدغال حيث ترتع الوحوش. وتعوم الجيف النافقة. إن سد نهر النيل هو المعادل لسد مجرى التدفق الطبيعي لحركة المجتمع. وهكذا فإن سد المجرى الطبيعي للمجتمع المسلم – شاملا النصارى كحضارة وثقافة– قد أدى إلى التشرذم والتشظي والعفن والبرك والجيف النافقة.

على أنه لابد أن نلاحظ – وهذه جملة اعتراضية هامة– أنه حتى في حالة استمرار النيل في مجراه الطبيعي فإن التيار المتدفق الذي يمثل النهر لا يشمل المجرى كله، لأن الماء بجوار الشواطئ يركد ويأسن ويحمل الجيف وينشر المرض، الفرق بين النهر الجاري والنهر الذي سد مجراه هو فرق كمي. وهو الفرق بين استثناء يثبت القاعدة وبين قاعدة انهارت تماما وتركت مكانها للاستثناء والشذوذ.

إنني أقصد بهذا أن جيفة على شاطئ النهر لا تلوثه. – تماما كما لا يلوث مجتمع النصارى قبطي من أقباط المهجر أو بلطجي على علاقة مريبة بالأنبا ونائب الشعب[1] معا بالإضافة للحزب: وظيفته الرئيسية التي اتفق عليها محور الشر الثلاثي هي ترويع المسلمين ومنع الناخبين من الوصول إلى صناديق الانتخاب وإسقاط المرشح المسلم. أما وظائفه الأخرى فتتراوح ما بين البلطجة وفرض الإتاوات واتهامات بالشذوذ وتجارة الآثار والعلاقة به على أي حال مشينة. وعندما يختلف اللصوص وينتقم المجرم الأجير لنفسه فإن محور الشر لا يتورع عن اتهام المسلمين بأنهم وراء الحادث. وتلك الجيف النتنة الناطقة من أقباط المهجر تعتبر ذلك عدوانا من المسلمين على النصارى!.

(١) إشارة إلى علاقة صداقة ربطت بين الكموني–المجرم– وبين الأنبا من ناحية وعضو مجلس الشعب عن الحزب الوطني من ناحية أخرى.

المحذور السابع: وهو تأصيل نظري للحد السادس. وهذا التأصيل يحل لنا بعض المعضلات، لأنه يفسر لنا كيف يكون الرجل أمامنا كبيرا ومحترما ثم يكذب كذبا لا يليق به. أما التفسير فهو قابع في علم النفس الجماعي والاجتماعي وفي سيكلوجية الجمهور. فالفرد يتصرف منفردا بطريقة مغايرة لتصرفه وسط الجمهور. ولقد عرف علماء النفس العقل الجمعي بأنه (الاستجابة غير العقلانية لما تردده الجماعة) فهو انقياد الفرد لما ترديده الجماعة وانخراطه معها في أفكارها حتى وإن كانت تخريبية. و العقل الجمعي يتضمن:

١- عدم المبالاة بالعواقب .

٢- دم الإحساس بالمسؤولية.

٣- ينجر إلى غريزته من دون أن تكون له قدرة الضبط لانفعالاته:

يقول -غوستاف لوبون- في كتابه«سيكولوجية الجماهير-١٨٩٥»: (إن الفرد مختلف عن الجمهور، لكنه يتغير وينسى نفسه وقيمه الخاصة حينما ينخرط في الجمهور وينصهر فيهم)، (إنهم -أي الجمهور- مُنقادون بصورة غريبة إلى مثل هذا الفعل، ولو أخذنا أحدهم واستبعدناه من دائرة الحماس الجماهيري وسألناه عن تصرفه فسوف ينكره تماما ويقر بأنه عمل أرعن لا يقوم به العقلاء) ويرى لوبون أن هناك «روحا للجماهير» تتكون من الانفعالات البدائية التي تتكرس عبر العقائد الإيمانية، مما يجعلها بعيدة عن التفكير العقلاني والمنطقي، بحيث يبدو الشخص المنخرط في جمهور مستعدا لتنفيذ أعمال استثنائية يصعب أن يكون لديه الاستعداد للقيام بها لو كان في حالته الفردية والمتعقلة. يلخص لوبون نظريته حول الجمهور بجملة مسائل تتناوله بصفته ظاهرة اجتماعية، تفسر عملية التحريض التي يخضع لها بأنها عملية انحلال الأفراد في الجمهور والذوبان الكلي فيه. من هنا يمكن تفسير الدور الذي يلعبه القائد في تحريك الجماهير حيث يقوم بالدور إياه الذي يقوم به

التنويم المغناطيسي، على غرار ما يقوم به الطبيب النفسي في علاجه لمريضه. أثبتت معاينة الحركات الجماهيرية وقائع عدة في مقدمها أن هذا الجمهور يمتلك وحدة ذهنية، ويتحرك بشكل لا واع.

***

وهنا أعود إلى ما بدأت به من أننا ظلمنا النصارى، لقد تركناهم نهبا لقيادات غوغائية تسلبهم أخلاقيات الأفراد وتدفعهم إلى سلوك الجمهور أو القطيع.

يرى لوبون أن للجماهير خصائص تميزها عن الأفراد، فإن مجرد تحول الأفراد جمهورا يزودهم نوعا من الروح الجماعية تجعلهم يحسون ويتحركون بطريقة مختلفة تماما عن الطريقة التي كان سيحس بها ويفكر كل فرد منهم لو كان معزولا. في حالة الجمهور تتلاشى الشخصية الواعية للفرد وتصبح شخصيته اللاواعية في حالة من الهياج، ويخضع الجميع لقوة التحريض وتصيبهم عدوى انفلات العواطف، بحيث تلغى شخصية الفرد المستقل ويصبح عبارة عن إنسان آلي ابتعدت إرادته عن القدرة على قيادته.

***

إن دور أقباط المهجر-الذين يتحركون بمخطط دقيق لأوكار المخابرات التي تتلمذت على أيدي لوبون وفرويد وأوجست كونت و دوركهايم وغيرهم - هو تحريض نصارى الداخل، ويعرف المهجريون جيدا خصائص الجماهير، من سرعة انفعالها وخفتها، فالجمهور يقوده اللاوعي كليا تقريبا، فهو عبد للتحريضات التي يتلقاها، والجمهور كالإنسان الهمجي لا يعبأ بأي عقبة تقف بين رغبته وتحقيق هذه الرغبة. والجمهور سريع التأثر وساذج في الوقت نفسه وقابل لتصديق كل شيء، وهو «يشرد باستمرار على حدود اللاشعور ويتلقى بطيبة خاطر كل الاقتراحات والأوامر»، كما يمتلئ الجمهور بنوع من المشاعر الخاصة بكائنات لا تستطيع

الاحتكام إلى العقل. ويصبحون -ذلك الجمهور- مجيشين بقوة عنيفة وعابرة، ولكن هائلة».

***

يواصل لوبون كما لو كان يصف دور أقباط المهجر وردود أفعال النصارى فيقول: وتتميز الجماهير أيضا بالتعصب والاستبدادية والنزعة المحافظة، وهو أمر ناجم عن كونها لا تعرف سوى العواطف البسيطة والمتطرفة، مما يجعلها تقبل الأفكار والعقائد أو ترفضها دفعة واحدة. والجماهير غير مهيأة لاحترام النزعات الأخلاقية لكونها صاحبة نزوات وغرائز شديدة الهيجان.

أليس هذا ما حدث في دير أبو فانا حينما تبادل الرهبان إطلاق الرصاص مع الأعراب. وكان الطرفان لصوصا للأراضي وما بها من آثار.

***

المحذور الثامن: أننا ضد أي اعتداء على النصارى ليس لمجرد الحفاظ على الوحدة الوطنية بل لأن ديننا يأمرنا بذلك: وحين حاول السلطان سليم الأول أن يعرض على رعاياه المسيحيين اختيار أمرين لا ثالث لهما، إما اعتناق الإسلام وإما القتل، وقف له شيخ الإسلام وأصدر فتوى تمنعه من التعرض للمسيحيين وتعطيهم الحق في ممارسة شعائرهم بحرية كاملة، وأن تتكفل الدولة بالمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم، ما دام سلوكهم العام لا تشوبه شائبة. بل ووصل الأمر إلى تهديد السلطان بالعزل. ونفس الأمر حدث عندما فكر فيه الخديوي. فالإسلام إذن هو الذي يحمي النصارى.

المحذور التاسع: أن الكثيرين جدا في درجة مذهلة من «الاستهبال» يتصرفون كما لو كان محمد أنور السادات هو الذي أدخل الإسلام-والوهابية والحجاب والنقاب- إلى مصر. ويعودون إلى ذلك التاريخ كبداية للفتنة الطائفية. ويتجاهلون

أن البابا شنودة جاء في نفس الوقت. جاء يحمل معه خطة قديمة للانقلاب على تراث الكنيسة المصرية وعلى مصر كأمة ووطن ودين. وأنه رأس مجلس الكنائس العالمي الذي يتفق الأقباط والعلمانيون على علاقته الوثيقة بالمخابرات الأمريكية.

المحذور العاشر: أن النصارى في بلادنا يعتبرون أن تطبيق القانون عليهم ظلم لا يطاق واستفزاز لا يغتفر ويعتبرون أنفسهم فوق القانون.

وقبل أن يتمعر وجه علماني أو قبطي معترضا على ما أقول فإنني لست القائل.

القائل هو اللورد كرومر:

«فالأقباط يرون أن تطبيق العدالة يعني الظلم لهم، ويعتقدون ولو بطريقة لا شعورية بأن الظلم وعدم محاباة الأقباط هي ألفاظ مترادفة».

****

المحذور الحادي عشر: يتعلق بادعاءات الحظر على بناء الكنائس. إن نسبة الكنائس إلى النصارى أعلى من نسبة المساجد للمسلمين، فحسب التقرير الإستراتيجي للأهرام لسنة ١٩٩٩ ، فإن هناك كنيسة لكل سبعة عشر ألف قبطي ، بالمقابل هناك مسجد لكل ثمانية عشر ألف مسلم، ولاحظوا أن معدل بناء الكنائس تضاعف بعد ذلك وأن النسبة ازدادت اختلالا.

لم يكن الأمر أبدا يتعلق بحرية العبادة فلم يتدخل أحد ضد نصراني يصلي في بيته ولا حتى مجموعة من النصارى وإنما كان ضد تحويل المنازل إلى كنائس، ليست بيوتا لله بل قلاع خيانة يجهر أقباط المهجر بهدفهم منها، تغيير وجه مصر من الإسلام إلى النصرانية وطرد المسلمين منها. قلاع خيانة سوف يُطلق الرصاص منها على الآمنين للاستيلاء على الأرض تماما كما فعل الرجل الأبيض في أمريكا وأستراليا وكما فعل اليهود في فلسطين بل وكما فعل رهبان دير أبو فانا في مصر.

إن هناك مليار دولار على الأقل (وهذه أرقام قديمة جدا لا شك أنها تضاعفت

لكننا لا نذكر إلا ما لنا مراجع نرجع إليها فيه) تضخ في مصر كل عام لبناء الكنائس وتنصير المسلمين. فثمة تمويل لا سقف له للنصارى، وثمة رغبة في أن يكسو الطابع النصراني وجه مصر، حتى أنهم يدفعون لبعض المتنصرين خمسين ألف جنيه كمرتب شهري مع وعود بحل جميع المشاكل، وقد كان أحد المتنصرين في الأسابيع الأخيرة سعوديا أغرقوه بالمال وبوعد العلاج في الخارج.

وثمة أمر للنصارى بالتحرش بالمسلمين، وثمة تعليمات بإشعال النار وكلما انطفأت أوقدوها، وثمة تخطيط لكي يكون في كل قرية كنيسة وأمام كل مسجد كنيسة ليكون في كل قرية معركة وأمام كل مسجد معركة وعندما يصل الأمر إلى هذا المحذور فسوف يستنجدون بالأمم المتحدة والبند السابع وقوات المارينز، وساعتها سيكون حضورها منطقيا تماما لوقف المذابح، وستقسم القرى والشوارع طبقا لمواقع المساجد والكنائس.

إن المسألة تتحول بهذا الفهم إلى مسألة أمن قومي ولأن كنائس اليوم قلاع الغد ودشم سلاحه، تماما كما فعل يعقوب اللعين بقصوره عندما نصب فيها المدافع لتقصف المسلمين في أحياء القاهرة.

***

المحذور الثاني عشر: إننا –كمسلمين– أول من يدعو إلى إصدار قانون العبادة الموحد فأعظم ما يطمح إليه المسلمون أن تتساوى المساجد مع الكنائس في كل شيء. نطالب بقانون من مادة واحدة فقط: هي التساوي المطلق في العدد والمساحة المخصصة لكل نسمة وكذلك في أوقات العمل وفي حصانة الداخل ضد الأمن بحيث تكون النتيجة: عدد الأمتار المربعة المتاحة لكل مسلم أو نصراني في الساعة. لكن القانون المطروح والمطلوب إصداره هو قانون أوعز به خبيث مستهتر لا يهمه أن يشعل الوطن. خبيث يظن بنفسه الذكاء وبغيره الغباء. إنه يتحدث عن رسوم

وتكلفة مادية عالية لاستخراج تصاريح البناء. وهي تكلفة سوف تعجز المسلمين لكن مليارات التنصير العالمية ستتدفق لكي تغرق البلاد في الكنائس. موجز القانون : إن كنت تملك المال فاصنع ما تشاء. إن قانون العبادة الموحد بصورته الحالية هو قانون إذعان وهو استمرار لمحاولات الإذلال التي يمارسها أقباط المهجر وامتداداتهم في الداخل لتتعامل مع الشعب المصري المسلم كما تتعامل إسرائيل مع الفلسطينيين و أمريكا مع العراقيين، وهي محاولة إذلال لن يوقفها الاستسلام أبدا، فبعد كل استسلام سيكون المطلوب استسلاما أكبر وبعد كل إذلال سيكون المطلوب ذلا أشد.

ولقد فهمت الآن سبب تردد الحكومة في إصداره، إنه الخوف من رد فعل المسلمين، إن الحكومة التي انحازت للنصارى في كل شيء وظلمت المسلمين في كل شيء لا تتورع أن تكمل انحيازها للنصارى بإصدار قانون دور العبادة الموحد لكنهم يخشون رد فعل المسلمين.

لقد سمع القراء عن القانون لكن هل قرأ أحد بنوده؟ إنهم يعتّمون عليه، لأنهم يدركون أنه ظالم وقبيح وشائن كفعل فاضح في شوارع الوطن.

***

المحذور الثالث عشر: مذهل في قدرتهم على ليّ أعناق الحقائق. لأن من يسمع طلب النصارى بالمساواة سوف يتخيل أنهم يطالبون بأن يظفروا بما يوازي نسبتهم العددية. لكن المتابع للأمر سوف يستغرق وقتا طويلا جدا كي يفهم، وسيكذب نفسه أكثر من مرة متهما ذكاءه وإدراكه، لكنه سيفهم الوضع في النهاية بلا لبس. فهم يقصدون بالمساواة أن يظفر الخمسة والنصف في المائة بما يحصل عليه الأربعة وتسعون ونصف في المائة. أنا واثق أن القارئ لم يستوعب بعد ما قرأه على الفور. ولذلك أعيده بطريقة أخرى. إنهم يريدون أن يظفر أربعة ملايين ونصف-على

الأكثر- من النصارى بـ ٥٠٪ من كل شيء وأن يحظى الخمسة وسبعون ونصف مليون مسلم بالـ ٥٠٪ الأخرى!، ٥٠٪ في كل شيء حتى في رئاسة الجمهورية!.

وليت الأمر يقتصر على ذلك أو ينتهي عنده. فقد تكرر الأمر بحذافيره أيام كرومر. عندما تجاوزوا نسبة الخمسين في المائة في بعض القطاعات ومنها وزارة الداخلية حيث بلغ تعداد النصارى في موظفيها أكثر من الثلثين، لكنهم طلبوا المزيد فاعترض كرومر وحذرهم من العواقب فاحتجوا واتهموه باضطهادهم مطالبين ألا تكون النسبة هي المعيار بل الكفاءة حتى لو استولوا على الوظائف كلها!.

***

سوف نفترض جدليا أن النسبة التي ذكرها البابا شنودة لعدد الأقباط في مصر وهي ١٢٪ من مجموع السكان نسبة صحيحة (وهي بالقطع غير صحيحة، بل هي أكثر من ضعف الرقم الصحيح) فلنفترض -للمجاملة وليس للمداهنة أن نسبتهم ١٢٪.

إن هذه النسبة تمتلك ما بين ٤٠٪ في التقديرات الحكومية(وعلي لسان وزيرة القوي العاملة المصرية عائشة عبد الهادي) إلى ٦٠٪ في التقديرات الأهلية من ثروة مصر القومية ، كما أن ثلاثة من أقباط مصر على لائحة أغني أغنياء العالم ، في حين خلت القائمة من أي مصري مسلم.

وبالنسبة للعمل فإن نسبة التوظف للنصارى أعلى بكثير لأن أصحاب الأعمال النصارى ينحازون تماما لأبناء عقيدتهم. خاصة وأنهم يسيطرون على نصف الاقتصاد

إن مركز ابن خلدون وهو مركز موال للأقباط ومدافع عنهم يؤكد هذه الأرقام ويذكر أن الأقباط يمتلكون ٢٣٪ من الشركات التي تأسست في عهد الرئيس الراحل أنور السادات (عام ١٩٧٤) وإلى عهد الرئيس مبارك عام ١٩٩٥ ،

ويمتلكون ٢٠ ٪ من شركات المقاولات في مصر و ٥٠ ٪ من المكاتب الاستشارية و ٦٠ ٪ من الصيدليات و٤٥ ٪ من العيادات الخاصة و٣٥ ٪ من عضوية الغرفة التجارية الأمريكية والألمانية و٦٠ ٪ من عضوية غرفة التجارة الفرنسية و٢٠ ٪ من رجال الأعمال المصريين و ٢٠٪ من وظائف المديرين بقطاعات النشاط الاقتصادي المصري و شركات المحمول في مصر و٢٥ ٪ من المستثمرين في أكتوبر والعاشر من رمضان و١٨ ٪ من الوظائف المالية المصرية و٢٥ ٪ من المهن ذات المكانة الاجتماعية كالأطباء والمهندسين والصيادلة !

ولنلاحظ أن المصادر التي تناولت ثروة الأقباط في مصر، كانت «فوربس»الأمريكية و««أرابيان بيزنس»ومركز ابن خلدون.

***

من حقي إذا بعد هذا الاستعراض أن أسأل بني قومنا النصارى الذين أوصانا بهم رسول الله ﷺ:

أي تمثيل نسبي و أي حقوق يطالبون بها؟ .

إنهم يحصلون بالفعل على أكثر من حقوقهم بكثير في بحر من سماحة إسلامية بلا حدود.

أم أنهم يستقوون بالأجنبي ليحصلوا على باقي حقوق المسلمين.

و إلى أي مدى يبلغ هذا الاستقواء.

هل يبلغ إلى مدى الاستعمار الكامل لمصر.

ويجب أن نعترف أنهم حصلوا في عهود الاستعمار على مزايا تتجاوز عددهم بصورة فادحة، فهل يحن بعضهم إلى أيام الاستعمار؟ .

دعونا نعود إلى الدكتور محمد مورو في كتابه الشهير:«يا أقباط مصر انتبهوا»حيث يستشهد بالسير ألدون جورست المعتمد البريطاني في تقريره المرفوع إلى حكومته

بتاريخ ١٠ مايو ١٩١١ والذي يلقى الضوء على محاولات بعض المتطرفين الأقباط إثارة الخواطر بدعوى أن الأقباط في مصر لا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها المواطنون المسلمون قال جورست:

إن المسلمين يؤلفون ٩٢٪ من مجموع السكان ويمثل الأقباط أكثر قليلا من ٦٪ (...) لهذا فإن فكرة معاملة قطاع من سكان البلاد كطائفة مستقلة في نظري يمثل سياسة خطأ سوف تكون في النهاية مخربة لمصالح الأقباط، إن شكوى عدم تطبيق العدالة مثلا في التعيين في الوظائف الحكومية تنقصه الإحصاءات التي تبين أن الأقباط يشغلون نسبة من الوظائف العامة تزيد بكثير عن نسبة قوتهم العددية التي تسمح لهم بذلك (...) إن جملة العاملين بوزارات الحكومة بلغت ١٧٥٩٦ منهم ٩٥١٤من المسلمين أي بنسبة ٦٩ , ٥٤٪ و ٨٢٠٨ من الأقباط أي بنسبة ٧١ر٤٥٪ بينما في بعض الوزارات ترتفع هذه النسبة أكثر بكثير، فوزارة الداخلية وإداراتها المحلية تضم ٦٢٢٤ موظفا منهم٧ , ٣٧٪ من المسلمين والباقي من الأقباط(بنسبة الثلث من المسلمين والثلثين من المسيحيين، وفي وزارة الداخلية بالذات!!).

من هذا يتبين أن الأقباط يمثلون في الجهاز الحكومي من حيث العدد والمرتبات نسبة لا تتكافأ مطلقا مع نسبتهم العددية. إنني لا أقر مطلقا في ضوء مصالح الأقباط أنفسهم أن أشجع أي نظام من شأنه أن يحدث انشقاقا بين الطوائف المسلمة والقبطية لأنه ليس في صالح الطائفة القبطية.

أي تمثيل نسبي و أي حقوق إذن؟ .

النسب السابقة لم نوردها نحن ولم ندَّعِها، لقد سجلها المندوب السامي البريطاني ووجهها إلى حكومته في عام ١٩١١ وهو مسيحي وليس مسلما!!.

وعلينا أن نلاحظ هنا أن الأقباط الذين كانوا وما يزالون يتمتعون بنسبة من الثروة والوظائف والمهن تفوق أضعاف أضعاف نسبتهم العددية ، لم يقنعوا بهذا ،

إنهم يريدون أكثر، لكن إلى أي حد؟ !، لم يقولوا حينها ولكن بعضهم يقولونها الآن: يريدون كل شيء!! إلى حد طرد المسلمين من مصر!! لأن المسلمين أتباع دين بدوي وافد!!، وكأنما الأديان محلية، وكأن الإنجيل نُزّل على خوفو أو كأنما عبد الله المسيح عيسى ابن مريم قد أرسل إلى مصر، ولماذا هم مسيحيون إذن وقد أرسل عبد الله سيدنا عيسى في فلسطين؟ ! لماذا والمسيحية دين وافد أيضا، لماذا إذا كانوا فراعنة لم يبقوا وثنيين يعبدون رع أو حتى ست؟ !، لماذا يمارسون طريقة الساقطات في الإسقاط والاستهانة برعي الغنم وبالبدو وهم يقصدون بذلك العرب والصحابة عليهم رضوان الله وسلامه؟ ألم يرع كل الأنبياء الغنم حتى اعتبر رعي الغنم من خصائص وعلامات النبوة؟ في كلمة واحدة لعبدة الشيطان : ألم يرع عبدا الله موسى وعيسى عليهما السلام الغنم؟ ؟ .

***

يقول الدكتور محمد عمارة : أن الأرقام- التي لا تكذب ولا تجامل- تعلن أن الأقلية القبطية- التي لا تتعدى الثلاثة ملايين- هي الحاكمة الفعلية في المجتمع المصري- الذي يزيد تعداده على الستين مليونا!!

و أن ٩ , ٥٪ من سكان مصر - الأقباط- يملكون ما يتراوح بين ٣٥٪ و٤٠٪ من ثروة مصر وامتيازاتها؟ !.

فأي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

هم تمادوا في مسلكهم وأوعزوا بطبع منشورات وتسجيلات عن الأحداث دونها تمحيص، وأوعزوا بنشرها في المجلات الصادرة بالداخل والخارج، وأن البابا شنودة يريد أن تقيم الكنيسة من نفسها دولة داخل الدولة».

والجميع يذكر أن شنودة نفسه هو الذي أصدرت هيئة مفوضي الدولة قرارها ضده وفيه:

«إن البابا خيَّب الآمال وتنكَّب عن الطريق المستقيم الذي تُمْلِيه عليه قوانين البلاد، واتخذ الدين ستارًا يخفي أطماعًا سياسية- كل أقباط مصر منها براء- وإنه يجاهر بتلك الأطماع واضعًا بديلاً له، بحرًا من الدماء تغرق فيها البلاد من أقصاها إلى أقصاها، باذلاً قصارى جهده في دفع عجلة الفتنة بأقصى سرعة وعلى غير هدى في أرجاء البلاد، غير عابئ بوطن يؤويه ودولة تحميه، وبذلك يكون قد خرج من ردائه الذي خلعه عليه أقباط مصر».

والجميع يعلم أن شنودة هو الذي أدخل الكنيسة القبطية إلى مجلس الكنائس العالمي وهو حظيرة أمريكية بامتياز يقول عنها هيكل في كتابه خريف الغضب: «إن مجلس الكنائس العالمي يعكس دون أدنى شك رغبة جهات أمريكية معينة في أن يقوم الدين بدور رئيس في الصراع، وإن التحقيقات التي جرت في الكونجرس أثبتت أن مجلس الكنائس العالمي كان من الجهات التي حصلت على مساعدات ضخمة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية».

ويقول عنه الكاتب القبطي المعروف الدكتور وليم سليمان قلادة في كتابه (الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية): «إن دعوة مجلس الكنائس العالمي تتجه في صراحة تامة إلى ضرورة تدخل الكنائس داخل البلاد المستقلة حديثًا في سياسة بلادها، وابتداع لاهوتية جديدة لتبرير هذا الاتجاه تقول بأن نشاط الدولة في كل نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو تحت سلطان الله، ولا بد للكنائس من أن تُبدي رأيها في هذا النشاط، ولا بد من الاستعانة بخبرة الكنائس الغربية حتى يكون اتجاه الكنيسة داخل الدولة المستقلة حديثًا متفقًا مع اتجاه الكنائس المسيحية في الغرب».

ألم أقل لكم في بداية المقال أنه لا توجد فتنة طائفية بل يوجد مؤامرة تدنس بها أقباط المهجر ويحزننا تورط بعض رؤوس الكنيسة في الداخل فيها.

مؤامرة، والنصارى هم الذين يتحرشون بالمسلمين، وبالوطن، وبالتاريخ.

***

ما يطلق عليه الفتنة الطائفية إذن لم تبدأ بالسادات بل بالبابا شنودة. ولو رجعنا إلى التاريخ نيفا وعشرين عاما سندرك أن الأمر كان مدروسا ومخططا.

أسألكم يا قراء وأنا أدين حكومة وأجهزة بلادي:

لو أن عشر هذه الاتهامات التي وجهت إلى البابا شنودة كانت قد وجهت إلى مسلم، ماذا كانوا سيفعلون به؟ وهل كانوا سيقتصرون عليه؟ أم سينكلون بمائة ألف حوله؟ .

أسألكم يا قراء وأنا أدين حكومة وأجهزة بلادي:

لو أن مسلمين في الخارج صنعوا ١٪ مما يفعله أقباط المهجر، ماذا كانوا سيفعلون بهم؟ كم حكما بالإعدام كانوا سينالون.؟ كم سحبا للجنسية يكون؟ كم مطاردة وكم متابعة؟ وهل كان سيستقبل القادم منهم سياط الجلادين وكلاب تنهشه أو باقات الرياحين ورئيس وزراء يقابله.

ولا أريد أن أزيد الأحزان بالشهيدة وفاء قسطنطين ورفيقاتها.

رحم الله شهداءنا المسلمين.

رحم الله من قتلوا غدرا وغيلة ولم يدافع عنهم أحد.

رحم الله من أعدموا ظلما وعدوانا.

ولا تنسوا أبدا أن هؤلاء ضحوا بأنفسهم في سبيل دينهم وأمتهم ووطنهم، وأولئك ليس عندهم مانع من تحطيم وطنهم وأمتهم في سبيل الشيطان.

***

هل تريدون نموذجا للمذابح الطائفية حقا؟

انظروا إلى مجزرة جوس عاصمة ولاية بلاتو في وسط نيجيريا، لقد هاجم النصارى المسلمين الذين كانوا يبنون مسجدا هدمه النصارى قبل ذلك. كان عدد قتلى المسلمين في المجزرة يتراوح بين ٣٥٠ و ٤٠٠ مسلم وحوالي ٢٠ طفل وتشريد أكثر من عشرة آلاف من السكان.

يقول الشيخ إبراهيم صالح الحسيني مفتي نيجريا ورئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية أن تعداد السكان في نيجيريا يبلغ ٢٠٠ مليون نسمة يشكل المسلمون ٧٠ ٪ من التعداد ورغم أن الغالبية من سكان نيجيريا مسلمون إلا أن هناك سيطرة مسيحية خصوصاً في المجالات السياسية والاقتصادية، حتى إن رئاسة الجمهورية حاليا (٢٠٠٥) يشغلها مسيحي وهو الرئيس أوليسجو أوباسانجو، وهو أول مسيحي يحكم نيجيريا منذ الاستقلال عن بريطانيا عام ١٩٦٠، حيث قتل كل من أعاق توطيد العلاقات مع إسرائيل، وقد واكب تولي الرئيس المسيحي للدولة المسلمة ضغوط دولية متعددة من أجل نقل السلطة إلى غير المسلمين ثم مورست ضد المسلمين أبشع مظاهر التهميش، وتم هضم حقوقهم السياسية المعروفة، وتم استبدال المسلمين الذين يشغلون مناصب مهمة في الجيش والشرطة والبحرية والسلك الدبلوماسي بمسيحيين ووثنيين. ولقد بلغ التمييز الطائفي أن بلدا يبلغ تعداد المسلمون فيه أكثر من ٧٠٪ يكون الرئيس فيه مسيحيا و١٦ وزيرا فقط مسلمين من بين ٤٢ وزيرا. وفي التعليم هناك يقتصر الاهتمام على مدارس التنصيريين، فجميع المدارس العربية في نيجيريا غير معتبرة لا شهاداتها ولا تعليمها من المراحل الابتدائية والإعدادية إلى الجامعية، فمن حمل شهادات هذه المدارس سواء من داخل نيجيريا أو من خارجها فلا يعتبر ولا يجد الوظيفة الحكومية. وليس للمسلمين صوت، لأن جميع مراكز الإعلام بأيدي المسيحيين، فلا يوجد في نيجيريا مطبعة للمسلمين ولا مركز إعلامي ولا مجلة تنطق باسمهم في حين يوجد مئات

للمسيحيين، ويستخدمون هذه الإمكانات لنشر النصرانية وتشويه صورة الإسلام والمسلمين ولنشر أكاذيب وأباطيل عنهم. ويسيطر النصارى على جميع الشركات والمؤسسات المالية الحكومية في جنوب نيجيريا، أما الشركات الغربية فهم الموظفون فيها وشرط حصول أي مسلم على وظيفة فيها هو أن يتنصر، وجميع البنوك الحكومية وغير الحكومية يسيطر النصارى عليها تماما. وهم المسيطرون على كل وسائل الإعلام وجميع الجرائد والمجلات. وقد سيطروا أيضا على جميع المناصب العليا في المؤسسات العسكرية الحكومية وعلى وزارة الدفاع النيجيرية. وقد استغل النصارى الظرف السائد فجمعوا الأسلحة واحتفظوا بها في الكنائس بعلم جهاز المخابرات النيجيري وفى علم الحكومة الفيدرالية.

هكذا يكون التمييز حقا وتكون الفتنة الطائفية حقا!

لكن الأخطر أن هذه هي المساواة التي يطالب بها أقباط المهجر.

نعم، هذا هو نوع المساواة الذي يطالب به أقباط المهجر ويندفع الآن خلفهم – بسبب ضعف الدولة الرخوة– نصارى الداخل الذين بدؤوا يتخلون عن ذواتهم ويتصرفون بسيكلوجية الجمهور.

****

ترى كم هي نسبة الأقباط في الأمية وفي سكنى المقابر وفي البطالة وفي المعتقلات وفي المقتولين من التعذيب؟ ؟ وكم نسبتهم في الجامعات، كم نسبتهم في أصحاب البلايين وكم نسبتهم في أصحاب الملايين.

كم نسبتهم.

كم نسبة سكان القبور وسكان القصور من المسلمين والنصارى؟ .

****

ثم. هل من حق المسلمين أن يطالبوا حكوماتهم بمساواة المساجد بالكنائس،

وجعلها قلاعا لا يعرف أحد ماذا يجري فيها، وبتمكين كل مسجد من إنشاء فرقته المسرحية و إصدار صحيفته!!، بل قد يفكر البعض بأن العدل يقتضي باعتماد نسبة المسيحيين التي يقولونها هم بألسنتهم، ليكون لهم في المعتقلات دون محاكمة ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف، و أن يعدم منهم – بأحكام عسكرية – عشرون أو ثلاثون، وأن ينكل بهم ويعذبوا كما ينكل بالمسلمين!!.أو بأن تفتح الكنائس قبل الصلاة بخمس دقائق وتغلق بعدها بخمس دقائق، تحت رعاية مباحث أمن الشيطان.

أما عن تمثيلهم في المجالس النيابية فلماذا لا يعرضون أنفسهم على الناس؟ لماذا لا يتقدمون للترشيح؟ لماذا يقتصر جهدهم على لطم الخدود وشق الجيوب لأن الحزب الوطني لا يرشحهم على قوائمه، والحزب الوطني لا يرشحهم لأنهم بلا شعبية ، كيف تكون لهم شعبية وهم يحملون كل هذه الكراهية والأفكار الخاطئة؟ سوف يفقد الحزب المقعد الذي يرشحهم عليه، كما أنهم يعلمون أن نواب الحزب ينجحون في الأغلب الأعم بالتزوير. لقد كان نواب الأقباط ينجحون بأصوات المسلمين عندما كانوا يدافعون عن الأمة والوطن والشرف والكرامة، بل إنني أذكر أن نصرانيا في إحدى الدوائر فاز على شيخ الأزهر، وفي بعض الدوائر التي فاز فيها نصارى لم يكن بالدائرة نصراني واحد! كانوا يدافعون عن بلادهم وأمتهم بل وعن المسيحية الأرثوذكسية أيضا، لكن، بعد أن انضموا إلى أمريكا و إسرائيل، فكيف ينتخبهم الناس بعد أن خرجوا على إجماع الأمة وخانوها في لحظة حرجة من لحظات التاريخ لن تنسى لهم أبدا. و أظن الوقت الذي سيبدؤون دفع الثمن فيها قد اقترب إن لم يكن قد بدأ بالفعل.

نعم، بعد هذا كله أصبح من الصعب جدا إن لم يكن من المستحيل أن يحصلوا على أصوات المسلمين، بل ولا على أصوات المسيحيين الشرفاء أيضا.

***

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

والمسلمون يتمنون المساواة بالأقباط على كافة المستويات.

أما الأمل في أن تتساوى الأقليات الإسلامية في العالم بمثل ما تتمتع به الأقلية القبطية في مصر فيبدو مستحيلا.

***

من حقي أن أسأل بني وطننا من النصارى الذين أوصانا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أي تمثيل نسبي و أي حقوق؟ .

أسأل البابا شنودة أي حقوق مهضومة لهم وأي مظالم مدعاة تقع عليهم؟

وليذكر لي البابا أو أي واحد من الأقباط أقلية مدللة كما يدلل الأقباط في مصر؟

بل هاتوا لي أقلية مسلمة تتمتع بمعشار ما يتمتع به الأقباط في مصر؟

هل يتمتع المسلمون في الهند أو الصين أو حتى أوروبا و أمريكا بما يتمتع به الأقباط في مصر؟

يبلغ عدد المسلمين في الهند مائة مليون (١٥٪ من السكان) يذبحون ويحرقون أو يغرقون أحياء وينكل بهم أيما تنكيل.

وفي الصين يبلغ عدد المسلمين ١٢٠ مليونا (١١٪ من السكان).ينالون حقهم الكامل من السحق والتذويب رغم أن نسبة عددهم تصل إلى ضعف نسبة عدد الأقباط في مصر.

وفي روسيا حوالي أربعين مليونا من المسلمين (٢٠٪ من السكان) ينكل بهم منذ ثلاثة قرون على الأقل، سحقوا وحرموا من ممارسة أي شعيرة من شعائر دينهم وكان القتل نصيب من يكتشفون أنه ما يزال مسلما، نعم، عانى المسلمون في روسيا

من شتى صنوف التعذيب والاضطهاد ومنعوا من إقامة الصلاة والصيام والحج والزكاة حتى الكتب الدينية والمصاحف لم تسلم من الروس فمنعوا طباعتها، وتم إنشاء مدارس لتلقين أصول الإلحاد وخلق جيل إسلامي لا يعرف عن الدين شيئا وانتشرت الكتب والمجلات التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين.

***

نعم، كان عدد المسلمين داخل ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي أربعون مليونا، ويلاحظ أن عدد الولايات أو الأقاليم الستة عشر منها ستة أقاليم يمثل المسلمون فيها أكثرية تبلغ في بعضها ٩٥٪ وبالطبع تلاشت هذه الأكثرية وتحولت إلى أقلية؛ فألغيت المحاكم الشرعية في المناطق الإسلامية عام ١٩٢٦م، ومنعت الأنشطة الإدارية الدينية واشتدت حملات الإرهاب الشرسة ضد المسلمين فاعتقل ابتداء من عام ١٩٢٨م أكثر من مليون ونصف المليون من المسلمين، وفي عام ١٩٢٩م أغلقوا وهدموا أكثر من عشرة آلاف مسجد، وأكثر من أربعة عشر ألف من المدارس الإسلامية. واتبعت الشيوعية أساليب ترجو من ورائها إذابة المسلمين وتمييع كيانهم، وكان لمحنة الأقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتي أبعاداً ذات خطورة لا يتصورها عقل بشري وخاصة ونحن في القرن العشرين؛ حيث هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، ولجنة حقوق الإنسان والقانون الدولي العام.

فهل فعل المسلمون في النصارى ذلك يا نيافة البابا شنودة؟ !

***

من أجل ذلك كله وبعده كله أقول أننا مسؤولون عن عدم عقاب أقباط المهجر كمجرمين بالخيانة العظمى كي نوقف تأثيرهم الضار على نصارى الداخل، وأن يشعر نصارى الداخل أنهم ليسوا فوق القانون.

إن الدولة التي تركت المجرمين وقطاع الطرق يرتعون ويمرحون في الدخيلة

ونجع حمادي وغيرها من الأوكار قد أساءت إلى هؤلاء المجرمين وأوردتهم موارد التهلكة(والكموني واحد من هؤلاء ربما لو رُدِعَ لارتدع).

***

إني أتهم الدولة بالإساءة البالغة إلى النصارى، وبظلمهم، لكنها ليست بالإساءة التي يتوهمونها، وإنما على العكس تماما تماما، كالأب الذي يترك ابنه ويفسده بتدليله ونفاقه وعدم عقابه حتى تتكاثر جرائمه وتقوده إلى حبل المشنقة.

***

نعم أكرر اعترافي بأننا ظلمنا النصارى.

ظلمنا النصارى حين راحت أجهزة الدولة تحابيهم على حساب المسلمين وتحجب الحقائق عن الأمة لأن إعلانها سيفجر الوضع المأساوي للمسلمين وقدر الاضطهاد الذي يتعرضون له مقارنة بالنصارى.

ظلمنا النصارى حين راحت أجهزة الدولة تحابي العلمانيين على المسلمين والكفار على المؤمنين والمرتدين على القابضين على الجمر وغير المتدينين على المتدينين مما أعطى الجميع انطباعا خاطئا أن الأغلبية هي الفئة الخارجة على الإجماع.

ظلمنا النصارى حين تكفلت أجهزة الدولة بحماية رواد الحانات وتهديد رواد المساجد، بمحاباة السكارى ووضع المعتكفين على قوائم الاشتباه.

ظلمنا النصارى حين أصبحت كلمة نصراني تعني نوعا من الحصانة كحصانة مجلس الشعب، فبمجرد أن يعلن النصراني عن دينه لا تمتهن كرامته ولا يقبض عليه للاشتباه ولا ينكل به في أقسام الشرطة ولا يضرب على قفاه بل ويحاذرون حسابه على أخطائه وجرائمه خوفا من تدخل الكنيسة واستفحال الأمر.

ظلمنا النصارى حين حسمت أجهزة الدولة اختيارها فحالفت أعداءها ضد أمتها وتاريخها ودينها، بل إنها تبدو كما لو أنها تبنت دون أن تعلن رأي بعض

الأقباط في استثناء المسلمين من حقوق المواطنة، وفي وجوب تجريدهم من الجنسية وطردهم إلى الحجاز!

ظلمنا النصارى حين تركت الدولة بعض النصارى يرتكبون الجرائم فلا تجرؤ الدولة على مواجهتهم وفي الوقت نفسه تنسب تلك الجرائم أو مثلها للمسلمين وتعاقبهم عليها، كالتنظيم الدولي والتمويل الدولي والميليشيات المسلحة وتخزين السلاح.

ظلمنا النصارى حين قامت الدولة بتجنيد آلتها الإعلامية الجبارة للدفاع عن النصارى مهما بلغت جرائم بعضهم وتشويه المسلمين مهما كانت براءتهم.

ظلمنا النصارى حين قام جهاز الأمن الباطش الجبار ليحاصر المسلمين وليضيق عليهم وليحاربهم وليجامل النصارى ويغمض عينه عنهم ويترك لهم الحبل على غاربه حتى أصبح أقل من ٦٪ هم عدد النصارى يملكون أكثر من ٤٠-٦٠٪ من ثروة البلاد، وتذكروا أن مطلبهم في مقعد رئيس الجمهورية ليس لمجرد استفزاز الغالبية المسلمة أو وفاء لحقوق الإنسان وإنما لأنهم يرون أنهم هم أصحاب البلاد وأن المسلمين «غزاة» آن أوان تحرير البلاد منهم.

ظلمنا النصارى حين راح الطاغوت يدمر روح الأمة. ويقضي على مقاييس الحق والعدل والخير والجمال، ويدمر مكارم الأخلاق، وينشر بين قومه أبشع ما في البشر من جرائم وأخس ما فيهم من صفات.

إن الطاغوت يقف دائما ضد الأغلبية ويستعمل الأقليات كي يضرب بها الأغلبية لأنه يتوجس دائما أن تهديد استمرار حكمه بل وتوريثه يأتي من ناحيتها، كما أن بعض الأقليات كي تعوض ضعفها كثيرا ما تتحالف مع الأجنبي ومع أعداء البلاد. وباستقواء الحاكم بهم فإنه يستقوي بحلفائهم: أعداء أمته ووطنه ودينه، وبهذا قام الطاغوت بالاستقواء بالنصارى مقابل مكاسب قريبة وخراب بعيد

لقد رأت الدولة أن الإسلام هو الخطر الأكبر الكفيل بمقاومة ظلمها وطغيانها وإزاحتها من على عرش الطغيان والجماجم والظلم والجرائم فجعلت منه عدوها الرئيسي ومن أعدائه حلفاءها، نعم، الدولة المسلمة تحالفت مع اليهود والنصارى والعلمانيين-وهم ألعن- ضد الإسلام والمسلمين.

***

إني أتهم الدولة بأنها عندما يرتكب النصارى الجرائم تتهم بها المسلمين. ألم يوجهوا اتهام الإفك إلى ما سموه الميليشيات المسلحة للإخوان. وكانت الميليشيات عند النصارى، وكان التمويل الدولي للنصارى وللتنصير حديث العالم واعترافات النصارى أنفسهم لكن الدولة الخائرة العاجزة الخائفة وجهت الاتهام إلى الإخوان المسلمين وصادرت حر مالهم ودمرت شركاتهم وأغمضت عيونها عن التمويل الحقيقي. وكان كل ذلك يصب لمصلحة النصارى وضد مصلحة المسلمين. وكان ساويرس يدعم الجنوب المسيحي في السودان للانفصال حيث سيكون عدوا لمصر وكان خيرت الشاطر يدعم أهلنا في غزة فانظروا كيف ومن عاقبت الدولة ومن كرمت.

***

شر البلية ما يضحك.

فإليكم شر البلية: تقول النكتة: أن كبير القبط جلس مع السلطان ليعتذر له عن تطرف بعض النصارى ومطالبتهم بجواز أن يكون السلطان نصرانيا، وقال:

- لقد قلت لهم يا سيدي السلطان: إن هذه البلد بأغلبيتها المسلمة لا يمكن أن يحكمها نصراني.

- لكنه فوجئ بالسلطان يقول له:

- ولا مسلم أيضا، لا يمكن أن يحكمها مسلم

هل قلت لكم أنها نكتة؟ !.

آسف.

ليست نكتة!!

***

حاشية

التنصير في معرض الكتاب

في معرض الكتاب[1] كان بعض الرفاق غاضبين. كان الحضور النصراني في المعرض صارخا وزاعقا وسوقيا ومبتذلا، كان الواضح فيه أن هناك أمرا أعلى ليس لمجرد الدعوة بالتنصير وإنها بالتحرش. باصطناع المعارك وادعاء الاضطهاد. وكان ذلك يصل في بعض الأحيان إلى حد البذاءة. كتلك المرأة التي تدعى التحرش بها كي تنشب معركة يتمكن فيها شريكها النشال(اقرأها: أقباط المهجر) من سرقة الضحايا. كان رخص المعروضات مذهلا. إذ يمكنك ملء مكتبة بعشرة جنيهات! أو شراء أربعة كتب بجنيه. ضحكت، فهذا الرخص في الأسعار لا يمكن أن يغري أحدا . أما شرائط الفيديو فكانت فضيحة. خاصة شرائط ظهور العذراء. فاض الضحك إلى ما يقرب من الصخب بعد خروجنا من صالة العرض عندما ألقيت لهم بطرف الخيط فسألتهم: ماذا كان يمكن أن يحدث لو أننا قلنا أن طيف السيد البدوي قد ظهر فوق قبته. ماذا كانوا سيفعلون بنا؟ ماذا كانوا سيقولون عنا؟ ويذيعون؟ إلى أي مدى كان سيصل نباح العلمانيين وعواء الليبراليين. بل ماذا كانت ستفعل بنا مباحث أمن الدولة؟ بل.. وبل.. ماذا كان النصارى سيقولون عنا. لقد خيل إليّ أننا رجعنا إلى الوراء أكثر من خمسة آلاف عام عندما اندثر الدين وتشوه التوحيد في حقب متطاولة تفشت فيها الخرافات وانتشرت الأساطير وغاب

(١) معرض القاهرة الدولي للكتاب عام ٢٠١٠.

العقل وساد الظلام بعد آدم وقبل نوح عليهما السلام.

كوني ملتحيا فقد جوبهت بنظرات الاستنكار والريبة أثناء مروري في الصالة. والحقيقة أنني لم أكن غاضبا، بل كنت أغالب ضحكي. وكنت أرتل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفال].

الحقيقة أنني لم أكن مزدريا بل كنت مشفقا على القائمين بحملة التنصير بكل همة، لكنني وأعترف كنت شامتا ومحتقرا لقياداتهم التي أصدرت لهم الأمر بالتحرش. فرد الفعل عكسي تماما.

ثمة جملة لا أنساها أبدا، حوار جاء في مسرحية القصة المزدوجة للدكتور بالمي تأليف الكاتب الأسباني: أنطونيو بابيخيو (مثلت في مصر على المسرح باسم: دماء على ملابس السهرة). جملة تقول:

- كثيرا ما يكون الجلاد شهيدا قد استطاع التغلب على الصعوبات ليعيش، بينما يكون الشهيد جلادا لم يمت في الوقت المناسب.

أتذكر هذه الجملة كلما تذكرت ثلاثة كان طول أعمارهم وبالا عليهم(ليفهم القارئ المجاز الذي لا يجرح العقيدة). فقد كشف طول أعمارهم خبيئتهم وفضح طويتهم. ولو ماتوا قبل ذلك كان أفضل لذكراهم، أما الثلاثة فهم: محمد حسنين هيكل، والبابا شنودة، ولا داعي لذكر الثالث فالأمة كلها تعرفه.





ساووا الأسارى بالنصارى !

في ذكرى مولدك يا سيدي وحبيبي ومولاي صلى الله عليك وسلم تسجد كل خلية من خلاياي بل كل ذرة بل كل جزء من الذرة حمدا لله أنه اصطفانا بك وأنه نجانا من الشيطان فلم نكابر فآمنا برسالتك فعبرنا الصراط من مستوى دون مستوى الأنعام إلى مستوى قد تغبطنا عليه الملائكة.

الحمد لله على نعمة الإسلام، حمدا يزداد كلما رأيت البشاعة والدنس والتحريف والتخريف والكذب والظلم وعدم الموضوعية عند الآخرين، حتى إنني لأنظر إلى التاريخ فإذا جل ما فيه كذب وأنظر إلى البشرية جمعاء فإذا جل من فيها وحوش مفترسة تريد الاستيلاء على ما يملكه الآخرون بلا كابح أو رادع إلا بعض أمتك يا رسول الله ﷺ حتى إنني لا أرى في العالم اليوم من يكبح جماح شرور الإنسان وأطماعه وشهواته إلا أمتك أو بعض أمتك فمنهم فقط نجد من يقول: «إني أخاف الله».

ولأننا تعلمنا منك التضحية والإيثار والزهد وأن الدنيا لا تساوي عند الله جيفة ولا جناح بعوضة فإننا كثيرا ما تركنا حقوقنا عن قوة وأريحية فظن الآخرون أننا نتركها عن ضعف أو خوف. ولقد استمر هذا على كافة المستويات ومنها مستوى توزيع الثروة والسلطة والحقوق والواجبات بين المسلمين والنصارى. ولقد ذكرنا في المقالة الماضية أن المساواة التي يقصدها بعض النصارى لا تقصد المعنى الذي يرضاه العدل والمنطق والعقل، وإنما المعنى الذي يرضاه الشيطان!!، إنهم يريدون- مبدئيا- ٥٠٪ من كل شيء، وأقول مبدئيا، لأنهم في النهاية يريدون ١٠٠٪ من كل شيء. وهم ليسوا بدعا في هذا. هذه هي فلسفة الرجل الأبيض، وهذه هي نسبة ما استولى عليه في أمريكا الشمالية وأستراليا وما كان يمكن أن يحدث لباقي العالم الإسلامي لولا أن أرسل الله إلينا الدولة العثمانية، لولا أن قيضها الله في الوقت المناسب لتحمي أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

المائة في المائة أيضا يريدها اليهود في إسرائيل حين ينادون بدولة يهودية خالصة وتهجير الفلسطينيين (أرأيتم المأساة التي يمكن أن تحيق بنا بعد قليل: منذ أعوام كانت أقصى أحلام إسرائيل أن نتنازل عن حق العودة، الآن أصبح هذا -أو كاد أن يصبح- حتما مقضيا، انتهوا منه ليطالبوا بدولة يهودية خالصة ويطالبون بحق الطرد!، طرد الفلسطينيين).

فهل لاحظتم التشابه بين منهج الشيطان هنا وهناك؟ ألم تروا أن أقباط المهجر - وقد تحولوا من شرذمة شاذة معزولة إلى رأس حربة وقيادة- يطالبون بطرد المسلمين الغزاة من مصر وإبقائها خالصة للنصارى؟!.

مطالب اليهود في فلسطين هي هي مطالب بعض الأقباط في مصر.

نعم.

الكفر ملة واحدة.

والغرب جبهة واحدة، وما يحدث في مصر يشبه تماما ما حدث في فلسطين،

***

المسلمون هم المتهنون المهانون المغبونون ثم يُتّهمون بأنهم هم الظالمون!.

ظلم مذهل.

لكن هذا الظلم يشكل اللبنة الأساسية للتاريخ الغربي كله وكذلك لما يردده أقباط المهجر أو بعض النصارى في مصر حتى أنني ألتمس أحيانا بعض العذر للملاحدة الذين وضعوا الأديان في أبواب الخرافات والأساطير وليس في أبواب التاريخ.

بل وأكاد ألتمس المعاذير للمأفون الذي قال : أن الدين أفيون الشعوب، لأنه من المؤكد أنه كان يقصد ممارسات الصليبيين والصهاينة، وهذه الممارسات ليست دينا بالتأكيد، لكنها بالتأكيد أفيون الشعوب.

نعم، هذا الظلم والكذب يشكل تاريخ اليهود كله كما يشكل تاريخ روما التي لم تتنصر وإنما روّمت الكنيسة.

ظلم لا يخجل أبدا من أشد أنواع الكذب بشاعة وبذاءة ولا من أشد درجات الجرأة على الحقيقة.

كذب فاجر من نوع أن الأزهر والسعودية قد أغلقوا مواقعهم الإليكترونية على الإنترنت لأنهم اكتشفوا أن المسلمين يرتدون عن الإسلام عندما يقرؤون القرآن!.

كذب فاجر من نوع أن المسلمين في مصر تخلصوا من الخنازير لأنها كشفت سحر النبي محمد ﷺ أو لأنها قتلته (كان وجود الخنازير وسط العمران في قلب القاهرة فضيحة مخزية صمتت الأجهزة الصحية عنها مجاملة للنصارى ومراعاة لمشاعرهم رغم أنني أؤكد أنه لا توجد علاقة بين النصارى والخنازير، بل لقد وصل الأمر إلى أن أقباط المهجر قد أقاموا مناحة من أجل الخنازير ويبقى أن يقيموا حائطا للمبكي على كل حظيرة كانت للخنازير).

كذب ظالم فاجر من نوع أن عمر بن الخطاب قال عن أقباط مصر: «يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء فإذا هلكنا وهلكوا أكل أبناؤنا أبناءهم ما بقوا».

وكذب فاجر من نوع أن مبارك تحالف مع السعودية التي أغدقت على حكمه الرشاوى فقبلها لأن النبي كان يقبل الرشاوى.

وكذب فاجر من نوع أن رجال أمن الدولة يتقاضون الدولارات من السعودية في مقابل كل بنت قبطية يتم اختطافها وإجبارها على الدخول في الإسلام

وكذب فاجر من نوع أن نقابة الأطباء غيرت قسم أبقراط الشهير إلى قسم إسلامي وتصدر قرارا بمنع نقل الأعضاء بين المسلم والمسيحي لأن الأصوليين المسيطرين على النقابة يرون أن جسد المسيحي نجس ولا يصح شرعا نقل عضو مسلم طاهر إليه.

وكذب فاجر من نوع أن الأقباط المسالمين قد فقدوا حوالي ٤٠٠٠ قتيل وجريح خلال العقود الثلاثة الماضية بدون سبب سوى لكونهم مسيحيين، هذا بالإضافة إلى تخريب ونهب ممتلكات بعشرات الملايين وممارسة التهجير القسري لخلخلة الصعيد من الكثافة القبطية.

كذب فاجر عن الخط الهمايوني الذي لا يكفون عن الصراخ منه والتنديد به وفضحه بينما يعلق الأستاذ جمال سلطان في مقال له بمجلة المنار على ذلك بأن الخط الهمايوني إنما تم بطلب ملح ومتكرر من قبط مصر ، وبعد استغاثات للكهنة والوجهاء الأقباط في مصر إلى الباب العالي لحمايتهم من الغزو الكنسي الكاثوليكي والبروتستانتي الذي انتشر في مصر انتشار النار في الهشيم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فاستجاب الباب العالي بعد إلحاح كبير ، وعندما صدر هذا القرار اعتبرته الكنيسة المصرية عيدا ويوما تاريخيا.

بيد أن الدكتور محمد عمارة يفاجئنا في كتابه: «في المسألة القبطية: حقائق وأوهام»دار الشروق القاهرة، أن القانون لم يطبق في مصر على الإطلاق.!!

****

كان المؤرخ الأمريكي (ريتشارد كوتوم) يعمل في إحدى الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية، ويتخصص في التاريخ الإيراني الحديث والمعاصر. وكان لهذا الأستاذ تلامذة إيرانيون يحضرون صفوفه ويكتبون أبحاثهم تحت إشرافه.

وكان هذا الأستاذ يسأل تلامذته الإيرانيين عن أسباب وقوع حدث ما عند وقوعه في إيران، فكان الطلبة الإيرانيون يجيبونه عادة بأن بريطانيا هي المحرك الأساسي لهذا الحدث أو ذاك من وراء ستار عن طريق التآمر. وينقل عن هذا الأستاذ الأمريكي أنه ضاق ذرعاً بتفسير طلابه الذي لا يتغير للأحداث في بلادهم، وأخذ ينظر إليهم نظرة مملوءة بالسخرية متهما عقولهم القاصرة بالتعويض عن

عجزهم وقصورهم بنظرية المؤامرة. ثمّ حدث أن عرضت الحكومة الأمريكية على هذا الأستاذ أن يعمل لديها ويتخلى عن وظيفته الجامعية ففعل ذلك لأسباب شخصية. وما أن بدأ يعمل لدى الحكومة الأمريكية حتّى أصبح بمقدوره الاطلاع على التقارير السرية التي كانت تصل من السفارة الأمريكية في طهران إلى وزارة الخارجية في واشنطن.

وبعد عدة شهور من الاطلاع على هذه الوثائق، صاح هذا الأستاذ: يا إلهي! لقد كان تلامذتي الإيرانيون على حق.

نعم، كذب فاجر حتى أنني تخيلت أن الشيطان ألقى في روعهم أن الكذب فضيلة وأنهم يثابون عليها.!.

كأن هؤلاء الناس ما وجدوا إلا ليكذبوا.

لقد تلاشى كيانهم الإنساني كله ولم يبق منه إلا ألسنة تكذب.

تماما كالداعرات اللائي تلاشى وجودهن الإنساني ولم يبق منهن إلا فروجا تنتهك.

هؤلاء هم المستنيرون الذين تحتفل بهم فضائياتنا!.

***

وانظر أيضا إلى رأيهم في الحروب الصليبية حيث يزعمون بفجور أن الفرنجة قد اضطروا إليها بعد أن كسر المسلمون عهودهم بحماية زوار أورشليم واعتدوا على زوار القبر المقدس من الفرنجة. أما عن موقف النصارى منهم فهو أنهم كالمسلمين يحاولون احتلال أرضهم والاستيلاء عليها. لكن الفرنجة أفضل من المسلمين على أي حال. ذلك أن المسلمين يعتقدون أن البلاد التي احتلوها خلال قرون هي بلادهم أرغموا أهلها بالقتل والقهر والإرهاب والظلم حتى أصبح غالبية سكانها من المسلمين فأسموها بلادا إسلامية. والفرنجة كان هدفهم حماية المقدسات

المسيحية من هؤلاء الذين دنسوها وهدموها وقتلوا زوارها من الفرنجة.

***

كذب فاجر يجعل من الداعرات رموزا للشرف ومن الساقطات رموزا للعفة، ومن الجنون، من الجنون نفسه مقياسا للعقل والحكمة.

انظر مثلا إلى كاتب رصين- هو الدكتور عبد الله النفيسي- وهو يصرخ محتجا على دول الخليج التي تفتح أحضانها للسيدة أو الآنسة «ليز تشيني» ابنة «ديك تشيني» و التي تظهر في المؤتمرات الصحفية لتقول: «أنا غير متزوجة، ولن أتزوج، فأنا سحاقية، وسأظل إلى الموت سحاقية»! هذه الفاجرة جاءت –يقابلها وزراء وشيوخ – كي تعلمهم ماذا يجب أن تكون عليه مناهج التعليم وتطالب وتعترض على الآيات القرآنية التي تتحدث عن اليهود فهي في عرف السحاقية آيات تبث الكراهية بين الشعوب، وبالتالي لا بد من إلغائها تماماً من الذاكرة العربية والإسلامية؟!.

أرأيتم البئر المسمومة النتنة التي ينزح منها أقباط المهجر وقبلهم العلمانيون، تلامذة السحاقية.

انظروا إلى القيادي الوفدي منير فخري عبد النور يفضح أحد أكبر المسؤولين ويصمه بعار تسليم الشهيدة وفاء قسطنطين إلى الكنيسة، ثم يستطرد القطب الوفدي متحدثا عن الكارثة الكبرى التي تهدد أمن الوطن فقد اكتشفوا(لم يقل من هم وأين ومتى) في الكتب المدرسية الرسمية للوزارة ثلاث صفحات كاملة منقولة نصاً من كتاب سيد قطب «معالم على الطريق» (فيا للهول.. يا للهول.!!).ويستشهد منير على هذه الرواية بالدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم الأسبق عليه من الله ما يستحق.

لماذا –يا بهاء أو يا هباء- لم تستنجد بالسحاقية أو اللواطي كي تستفتيهم في

مناهج الأخلاق ولماذا لم تغير اسمك ليكون بهاء صهيون أو بهاء الصليب.

***

فجور مذهل، دفع مؤسسات عديدة لأن تناشد وتنادي بل وتتوسل لكي يتساوى المسلمون المأسورون المضطهدون بالنصارى وليس العكس.

***

لقد انعقد في لندن مؤتمر مسلمي المهجر وأصدر توصيات صارخة يطالب فيها بمساواة المسلمين بالنصارى!!، وجاء في البيان الصادر عن المؤتمر[1]:

يعرب المجتمعون عن قلقهم البالغ للانتهاكات المستمرة التي يتعرض لها المسلمون ويطالبون بمساواتهم بإخوانهم النصارى في مصر في الأمور التالية (بتصرف واختصار: م ع):

أن تمتنع الدولة عن تعيين شيخ الأزهر ويترك الأمر لهيئة كبار العلماء لانتخاب أحدهم كشيخ للأزهر أسوة بعدم تدخل الدولة في انتخاب أو تعيين البابا، وأن يملأ شيخ الأزهر مكانه ومكانته دون الإحساس المشين بأنه موظف مرؤوس (رحم الله شيخ الأزهر، لقد تمنيت أن يموت في إسرائيل لكن الله شاء له أن يدفن في البقيع، سبحانك، لك الأمر من قبل ومن بعد، إن الدفن في البقيع لا يؤكد شيئا ولا ينفيه، لكنه بالتأكيد علامة مرعبة لنا أنه ليس من حقنا أن نحكم أو أن نتألى فليس لنا إلا الظاهر، وصدق رسول الله ﷺ : «. فوالله إن أحدكم - أو : الرجل - يعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار

(١) بنفس الطريقة التي كذب بها بعض العلمانيين عرض المسرحية السافلة انبرى بعضهم لإنكار انعقاد هذا المؤتمر. لكن لسان الحال أصدق من لسان المقال، فنحن نتحدث عن واقع نعيشه.

فيدخلها. الراوي: عبدالله بن مسعود المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: ٦٥٩٤) و: (أن رجلا قال : والله ! لا يغفر الله لفلان. وإن الله تعالى قال : من ذا الذي يتألى علي أن أغفر لفلان. فإني قد غفرت لفلان. وأحبطت عملك. أو كما قال. الراوي: جندب بن عبدالله المحدث: مسلم - المصدر: صحيح مسلم - الصفحة أو الرقم: ٢٦٢١). كما أنني أذكر هنا أن حديث «اذكروا محاسن موتاكم »ضعيف ولا يحتج به ، ولكن في البخاري عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال النبيُّ ﷺ : (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا). إن الأمر لا يتعلق بالشيخ طنطاوي فنحن لا نتراجع عن إدانة ما تعرف من أعماله، لكنه يتعلق بيقين أحمق صور لنا أننا نعرف من هو في الجنة ومن هو في النار. المشكلة والرعب تتعلق بنا قبل أن تتعلق بالشيخ! تتعلق بجرأتنا الوقحة على تصور النهايات وعلى كشف الغيب و معرفة من يغفر الله له ومن لا يغفر، جرأتنا الوقحة التي تخيل لنا أحيانا أننا نعرف الحقيقة المطلقة، لم نفرق بين علمنا وعلم الله، وتلك خطيئة ومعصية، لقد غرّنا الشيطان فجعلنا على يقين من أن الشيخ طنطاوي في النار، وهذا إثم لا يقل في جرمه عن يقين من يؤكد أنه في الجنة. إن هذا لا يعني شيئا بالنسبة لشيخ الأزهر الذي أفضى إلى بارئه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، وإن عذابه لشديد، ولكن مغفرته وسعت كل شيء إلا أن يشرك به. نعم، هذا لا يعني شيئا بالنسبة للشيخ طنطاوي، لا سلبا ولا إيجابا، لكنه سلبي جدا بالنسبة لنا.

لقد تابعت ما أصدرته جبهة علماء الأزهر. كانت البيانات قاسية جدا. بل بالغة القسوة. ولقد تألمت. لكنني في نفس الوقت أقر بحقهم الكامل في إصدارها، بل بواجبهم الذي قد يأثمون إن لم يفعلوه، خشية أن يظن الناس أن علامة غير مؤكدة تحل حراما أو تنفي الجرم عن معصية.

٢- عدم خضوع مشيخة الأزهر والجمعيات الإسلامية للرقابة المالية من قبل

أجهزة الدولة أسوة بعدم خضوع الكنيسة المصرية للرقابة المالية للدولة.

٣- إلغاء قانون منع التظاهر والاعتصام بدور العبادة بعدما ثبت أنه لا يطبق إلا علي المسلمين خصوصا في مسجد الأزهر بينما يسمح بالتظاهر والاعتصام للمسيحيين بالكنائس.

٤- إلغاء وزارة الأوقاف ونقل صلاحيتها لفضيلة شيخ الأزهر المنتخب وخصوصا في المجالات الآتية :

أ- إدارة أوقاف المسلمين بعد رد ما نهب وسلب منها (وهو يساوي مئات المليارات) ونقل هذا الاختصاص لمشيخة الأزهر أسوة بإدارة الكنيسة للأوقاف المسيحية.

ب- أن يكون تعيين الأئمة والوعاظ من اختصاص مشيخة الأزهر دون تدخل من أجهزة الأمن.

ج- عدم إغلاق المساجد عقب الصلاة وتركها مفتوحة حسب نشاط كل مسجد أسوة بالكنائس.

د- أن يعامل المشايخ في أجهزة الأمن والإعلام(وهما وجهان لنفس العملة) بنفس الاحترام الذي يعامل به القسس والرهبان.

يهيب المؤتمر بأجهزة الدولة أن تتوقف عن تشويه صورة علماء الدين الإسلامي وتقديمهم في صورة تليق بهم أسوة بما يتم مع رجال الدين المسيحي.

وقف محاكمات المسلمين المدنيين أمام محاكم عسكرية والإفراج عن المعتقلين الذين لم يصدر بحقهم أحكام قضائية.

السماح بتعيين المحجبات في جميع الوظائف والتوقف عن سياسة منع تعينهم في بعض المجالات.

وقف حرمان طلبة الثانوية الأزهرية من الالتحاق بكلية الشرطة والكليات

العسكرية مع تخصيص نسبة لهم تتناسب مع عددهم أسوة بما يتبع مع إخوانهم النصارى.

إلغاء الشروط العشرة لبناء المساجد والتي تسببت في عجز المساجد عن استيعاب المصلين خصوصا في صلاة الجمعة مما يضطر المصلين إلى الصلاة على الأرصفة وفي الشوارع.

١٠- وقف تلاعب الدولة في قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين وأن تكون مشيخة الأزهر هي المسئولة الوحيدة عن تحديد هذه القوانين بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية أسوة بعدم تدخل الدولة في قوانين الأحوال الشخصية لغير المسلمين وتركها هذا الأمر للكنيسة.

١١- عدم تدخل الدولة في مناهج التعليم الأزهري والسماح بإعادة بناء المدارس والمعاهد الأزهرية المتوقف بناؤها منذ سنوات وعدم الاستعانة باللواطيين والسحاقيات لتعديل المناهج.(وأتساءل: لماذا التعليم الأزهري وحده؟ ..)

١٢- الالتزام بمبدأ (الفكر لا يواجه إلا بالفكر) ووقف مصادرة وحظر الكتب الإسلامية أو العبث بها.

١٣- تعويض المسلمين عن هدم منشآتهم ومدارسهم ومستشفياتهم. والمطلوب مساواة المسلمين بالنصارى في إقامة المدارس الإسلامية أسوة بالمدارس المسيحية التي تتمتع بحصانة ضد أجهزة الأمن. بينما يهدم الأمن المدارس الإسلامية والمستشفيات و يسرق الرهبان آلاف الأفدنة فتقرهم الدولة على السرقة.

١٤- عدم ملاحقة المسلمين اقتصاديا مع السماح المتعمد للأقباط بنهب اقتصاد الدولة مما أدى إلى اختلال التوازن حيث يظفر أقل من ٦٪ من المسيحيين بنسبة تقارب الـ٦٠٪ من الثروة القومية.

١٥- مساواة المسلمين بالنصارى في إصدار الصحف والفضائيات والإعلام.

١٦- التوقف عن حساب العلمانيين في صف الإسلاميين (نتكلم عن الإحصاء وليس العقيدة) إذ لا يمكن إحصائيا أن نضع حمدي رزق أو صلاح عيسى ورفعت السعيد في كفة ميزان غير كفة النصارى. نعم، إن العلمانيين والنصارى يشكلان كتلة واحدة وهدفهما الموحد هو الحرب على الإسلام. ومن المحزن أن القوميين انتقلوا إلى حجر إسرائيل، كما انتقل الشيوعيون إلى حجر أمريكا.

***

وقد طالب المؤتمر الدول الغربية أن تتعلم من سماحة مصر وثقافة مصر تجاه غير المسلمين وطالبها بالآتي :

أن تسمح للمسلمين المقيمين بالغرب بتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية في مجال الأسرة.

أن تقدم تسهيلات لبناء المساجد في الدول الأوربية والأمريكية أسوة بالتسهيلات التي تقدمها مصر لبناء الكناس مما جعل عدد الكنائس في مصر وحدها أكبر من عدد المساجد في دول أوربا مجتمعة.

الاحتفال بالأعياد الإسلامية وإذاعة صلاة الجمعة في العالم الغربي أسوة بإذاعة قداس الأحد في مصر، خاصة في البلاد التي تتساوى فيها نسبة المسلمين مع نسبة النصارى في مصر أو تزيد!.

***

لقد نقل وقائع هذا المؤتمر الأستاذ ممدوح أحمد فؤاد حسين والذي يضيف في الجزء الخاص بمطالب النصارى المتعلقة بـ«المادة الثانية من الدستور»:

١- البابا شنودة نفسه قد رفض علانية تنفيذ حكم القضاء بالتصريح بالزواج الثاني للأقباط وأعلن صراحة (أنا لا أستطيع أن أخالف الكتاب المقدس) فهل من العدل والمنطق أن نخالف نحن كتابنا المقدس مجاملة للنصارى أو رضوخا لهم؟ .

٢- إن الدستور في بلاد مسيحية عديدة ينص على ديانة ومذهب الدولة كاليونان والدانمرك وإسبانيا والسويد فهل النص علي ديانة الدولة وديانة رئيسها حلال لكل الأديان حرام على الإسلام ؟ !! وهل الأقلية أم الأغلبية هي التي تحدد نظام البلاد وتفرض قوانينها؟ !!

***

لقد ناقش المؤتمر أيضا إصدار القانون الموحد لدور العبادة ليكشف للناس أن سبب تعثر هذا القانون هي مطالبة الكنيسة الأرثوذكسية بعدم الالتزام بأي معايير أو النسب التي يراد على أساسها بناء الكنائس ويطالبون بأن يترك لرجال الدين وحدهم تحديد احتياجاتهم من الكنائس.

***

لست أدري بالضبط ما يدور في أذهان النصارى وهم يطالبون بإصدار القانون الموحد لدور العبادة.

إنني أنصح القارئ ألا يقع فيما وقعت فيه عندما كنت أتخيل أننا نتكلم لغة واحدة لأكتشف بعد ذلك أنهم لا يتكلمون بالصدق ولا يقصدون الحق. إنهم يقصدون الضغط والتمويه والخداع والغواية. ولو أنك سألت أي واحد منهم :

- ما هو قانون دور العبادة الموحد الذي تريده؟

فإنه لن يجيبك أبدا، ولكن ما يمكن استشفافه من كتاباتهم أنهم يريدون أن يكون الأمر شأنا كنسيا خالصا لا دخل للدولة فيه. إنهم يعلمون التعقيدات التي تضعها الدولة أمام بناء المساجد. وهم يكتفون بذلك حاليا. ولست أستبعد مستقبلا أن يبنوا كنيسة بجوار كل مسجد كمرحلة أولى، سوف يساعدهم التمويل الخارجي ليبنوا كنيسة في كل ميدان وفي كل شارع رئيسي. وفي المرحلة الثانية سيطالبون بهدم كل مسجد تجاوره كنيسة.

ربما لا يتخيل بعض القراء أنني أبالغ.

وهؤلاء أحيلهم إلى الدكتور عبد الله النفيسي الذي كتب يقول:

في الكويت لا يوجد كويتي مسيحي، لكن هناك مسيحيون حصلوا على الجنسية الكويتية، عددهم ١٩٢ شخصا فقط، ووفق أرشيف رسمي، فإن معظمهم من فلسطين والعراق والشام، جاءوا إلى الكويت منذ الثلاثينيات والأربعينيات، للعمل كأطباء وممرضين ومترجمين، واستوطنوا الكويت وطابت لهم الإقامة فيها، فأُعطوا الجنسية الكويتية. وقد شيدت ٣٥ كنيسة، بمعدل كنيسة لكل خمسة!.

يصرخ النفيسي: نحن لسنا ضد النصارى أبداً، لكن أن تنشأ ٣٥ كنيسة، فهذا يعني وجود غرض سياسي وليس دينيا.

***

إن المساواة التي يقصدها النصارى ليست ما يتبادر إلى أذهاننا. إنهم يقصدون مساواة أخرى يتم استبعاد الإسلاميين منها كخطوة أولى ثم كل المسلمين بعد ذلك لينفردوا بالساحة مع العلمانيين، والعلمانيون أشد كفرا ونفاقا!!.المساواة التي يقصدونها كالحياد المضحك الذي وصفه الدكتور مصطفى الفقي في الأهرام ٢٦-١-٢٠١٠ فقال دون أن يدرك كم يثير قوله السخرية: لم نسمع عن أحداث طائفية ذات بال في العصر 'الناصري' إذ إن' عبد الناصر' قد ضرب التيار الإسلامي متمثلا في جماعة' الإخوان المسلمين' ضربتين قاصمتين أولاهما عام١٩٥٤ والثانية عام١٩٦٥ وهو ما أدي إلى إحساس عام بأن نظام الحكم يقف محايدا بين أتباع الديانات.

نعم، هذا هو الحياد الذي يريده النصارى. وهو ما عبر عنه المهندس المرتشي المقبور عدلي أبادير، زعيم أقباط المهجر حين ناشد النظام الحاكم في مصر لكي يعتقل جميع أعضاء الإخوان المسلمين. وفي نفس الإطار والهدف تجرى دعاوى

ساويرس وقنواته الداعية إلى هدم الدين واللغة والعفة.

***

مهما كفل قانون دور العباد الموحد للنصارى من حقوق فلن يقتنع بعضهم أبدا، فقد وسمهم شيطان الطمع بالشره الذي يجعلهم يزدادون جوعا كلما أكلوا!. جوع لا يعرف الشبع وعطش لا يعرف الارتواء، أليسوا أقل من ٦٪.ألسنا أكثر من ٩٤٪؟ أليس الحق والعدل والمنطق أن يحصلوا على ٦٪ ونحصل على ٩٤٪؟ فهل يمكن أن يقنعوا بذلك أو أن يقتنعوا به؟ !، ما من أحد لا يعرف الإجابة، بل لو أننا عكسنا الأمر فحصلوا على ٩٤٪ لسألوا أنفسهم ولماذا يحصل المسلمون على ٦٪؟ !، لماذا لا يذهبون إلى البدو؟ !

إنني أتصور أحيانا- ولست عابثا تماما- أنهم يسألون أنفسهم: ألم يجعل الله الأرض لنا (للمسلمين) مسجدا طهورا، فلماذا يكون حظهم (النصارى) أقل منا!، لماذا لا نكتفي -نحن المسلمين- بالأرض؟ ![1] ألم يجعلها لنا الله كلها مسجدا طهورا؟ فلماذا نحتاج إلى المساجد إذن؟ ولماذا لا يستولون على كل شيء ويمنعون تماما وجود المساجد، وربما ينبثق ساعتها حل صليبي صهيوني نصراني يسمح للمسلمين -أحيانا- بالصلاة في الكنائس بعد هدم كل المساجد!!، وأن يتكفلوا هم بمزيد من الكرم في تعليم خطباء المساجد كيف يخطبون والدعاة كيف يدعون إلى الإسلام!!.

قد يظن القارئ أنني أسخر أو أبالغ مبالغة شديدة فجة ومرذولة.

لكن - ولدهشة القارئ- أن بعضا من هذا قد حدث فعلا.

إي وربي!!.

بل إنك وأنت تقرأ هذا المقال أيها القارئ فإن المعهد الكاثوليكي في باريس

(١) كانت طرفة أو تكاد، لكنني ذهلت عندما قالها أحد النصارى بعد ذلك جادا تماما.

يستعد لتخريج ٣٠ إماما للمساجد، بينهم أربع نساء. إنهم يستهدفون إسلاما مسيحيا، إسلاما بلا إسلام! علما بأن عدد المسلمين في فرنسا يقدر بستة ملايين شخص (نسبتهم أكثر من نسبة النصارى في مصر، وبلا ثروة ولا وزراء ولا محافظين ولا ضوضاء ولا عجيج ولا تحرش ولا قلة أدب).

لقد اكتشفوا أن أفضل وسيلة للسيطرة على الإسلام أن يخرّجوا هم دعاته.

ولقد استعارت الولايات المتحدة التجربة وسوف تبدأ جامعة هارتفورد في تخريج دعاة الإسلام حيث تبدأ الدراسة فيه يوم ٢٩-٣-٢٠١٠ بالتعاون مع عدد من المعاهد المسيحية. ولقد أنشئت هذه الجامعة عام ١٨٣٣ كإبريشية لتخريج القساوسة والمتخصصين في الديانة المسيحية، وفي وقت سابق هذا الشهر، أعلنت الجامعة عن أول برامجها لتخريج أئمة مسلمين للمجتمع المسلم في الولايات المتحدة، بهدف مساعدة قادة هذا المجتمع على «فهم دينهم».

الجدير بالذكر أنهم ضربوا عرض الحائط برأي رئيس دار الفتوى باتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا، الذي قال لـ«إسلام أون لاين. نت»- وهي المصدر- إن تخريج أئمة يحملون شهادة المعهد الكاثوليكي من شأنه أن يبعث الريبة في صفوف المسلمين بالمساجد، والذين لن يثقوا بالتأكيد في أئمة متخرجين في معهد مسيحي».

...

هل أدركتم إذن أني لا أبالغ!.

***

أسجل هنا مرة أخرى أن تعداد النصارى في مصر أقل من أربعة ملايين ونصف طبقا لتأكيدات مركز «بيو»الأمريكي، وكذلك الفاتيكان. وثمة دراسة بريطانية تؤكد تناقص النسبة ٢ ٪ سنويًا ويتصور البعض أنه قبل نهاية هذا القرن سيموت- أو يهاجر- آخر نصراني في مصر!.

الأمر الذي دفع عددًا من الكتاب والباحثين الأقباط ـ والأجانب ـ إلى الاعتراف ـ ولأول مرة، وبعد أن كانوا يبالغون في أعدادهم ـ بأنهم يواجهون الانقراض خلال القرن الواحد والعشرين.

ـ لقد كتب الدكتور كمال فريد إسحاق ـ أستاذ اللغة القبطية ـ بمعهد الدراسات القبطية ـ بحثًا قال فيه:

«إن نسبة النصارى المصريين تقل تدريجيًا، وذلك لأسباب ثلاثة:

أولها: الهجرة إلى الخارج.

وثانيها: اعتناق عدد كبير منهم الدين الإسلامي.

وثالثها: أن معدل الإنجاب عند النصارى ضعيف، على عكس المسلمين.

وإن هؤلاء النصارى ـ لذلك ـ سينقرضون في زمن أقصاه مائة عام».

ـ وكتب الباحث القبطي ـ سامح فوزي، يقول

«إن تعداد النصارى في المنطقة العربية يصل إلى ما بين ثلاثة عشر وخمسة عشر مليونًا، ويتوقع بعض المراقبين أن يهبط هذا الرقم إلى ستة ملايين نسمة فقط بحلول عام ٢٠٢٠م، نتيجة موجات الهجرة المتوالية للمسيحيين، وهكذا تصبح المنطقة العربية على شفا حالة جديدة يغيب فيها الآخر الديني، ويصبح الإسلام هو الدين الوحيد والمسلمون هم وحدهم أهل هذه البلدان.

وتشير الدراسات إلى أن تعداد النصارى في تركيا كان مليوني نسمة سنة ١٩٢٠م ولقد تناقص الآن إلى بضعة آلاف، وفي سوريا كان تعداد النصارى في بداية القرن العشرين ثلث السكان، ولقد تناقص الآن إلى أقل من ١٠٪. وفي لبنان كان المسيحيون يشكلون سنة ١٩٣٢م ما يقرب من ٥٥٪ من السكان، ولقد أصبح عددهم الآن يدور حول ٣٠٪.

وفي العراق تناقص عدد النصارى من ٨٠٠,٠٠٠ ـ على عهد صدام حسين ـ إلى

بضعة آلاف بعد الاحتلال الأمريكي.

***

لكنني لو كررت هذا الكلام ألف مرة فسوف تجد غدا ألف موقع تنشر أخبارا مغلوطة.

مليارات ساويرس تفعل الكثير، وستون ألف جنيه شهريا لكل متنصر وثمانون ألف للصحافي قادرة على فعل المعجزات!

من خلال مليارات ساويرس فهمت كيف يسوغ بعض المذيعين والمذيعات والصحافيين والصحافيات الأمر لأنفسهم. كيف يكذبون وهم يعلمون أنهم يكذبون وأن الأمة كلها تعلم أنهم يكذبون.

وهكذا قام بعض المذيعين والمذيعات والصحافيين والصحافيات بالبغاء الفكري.

***

أقول لشركائنا في الوطن (الأقل من ٦٪) ما قاله السيد حسن نصر الله للنصارى في لبنان(٣٠٪) أنه لا حماية لهم خارج الوطن لأن هذه الحماية نوع من الانتحار والدليل على ذلك أنه يوجد في العراق ١٥٠ ألف جندي أمريكي لم يستطيعوا حماية النصارى الذين لا يستطيعون الاجتماع في كنائسهم لإحياء ميلاد السيد المسيح.

***

يتحدث الكثيرون جدا كثيرا جدا عن قانون دور العبادة الموحد لكن أحدا لم يعرض بنودا ومواد كي نناقشها. رائحة عطنة تفوح. رائحة خيانة وسرقة وبيع. رائحة ردة وانقلاب وتسليم. نفس نوع الروائح التي هبت وهم يبيعون الوطن لكنها تأتي هذه المرة من باب الدين. مشاريع مبتورة تحيل في إجمال متعمد إلى قوانين قديمة لا يعرف القارئ عنها شيئا كي يفكر ويحكم ويختار.

انظر مثلا إلى مشروع القانون المنسوب للمستشار محمد الجويلي:

المادة الأولى: يسري على بناء أو تدعيم أو ترميم دور العبادة الإسلامية والمسيحية واليهودية أحكام قانون البناء رقم ١٠٦ لعام١٩٧٦.

المادة الثانية: يلغى كل نص يخالف أحكام القانون.

انتهى مشروع القانون!!!

فهل فهمتم شيئا؟ !

بعد جهد جهيد استطعت الحصول على أحد المشاريع المقترحة بتفاصيل أكثر:

مادة ١: يجوز إقامة دور عبادة أو تعليتها أو توسعتها أو تدعيمها أو إجراء ترميمات فيها بترخيص من الجهة الإدارية المختصة.

مادة ٢: لا يجوز الترخيص ببناء دار عبادة أعلى بناء قائم يستغل في أغراض أخرى، ولا يجوز الترخيص بتغيير استعمال بناء قائم ليكون كله أو جزءًا منه دارا للعبادة.

مادة ٣: يقدم طلب الحصول على ترخيص بأي من الأعمال المبينة في المادة الأولى من هذا القانون من الجهة الدينية المختصة على النماذج المعدة لذلك، مرفقاً بها سند ملكية الأرض محل أعمال البناء المطلوب الترخيص بها، وإيصال سداد بالرسوم المستحقة بما لا يجاوز ألفي جنيه، وكذلك المستندات والإقرارات التي تحددها اللائحة التنفيذية.

مادة ٤: على الجهة الإدارية المختصة بعد إجراء المعاينات اللازمة واستطلاع رأى الجهات الأمنية المختصة، البت في طلب الترخيص خلال مدة لا تجاوز أربعة أشهر من تاريخ تقديم الطلب إليها مستوفياً، فإذا تعلق الأمر بطلب ترميم أو تدعيم وجب البت في الطلب خلال مدة لا تجاوز شهرين.

مادة ٥: يصدر القرار بإنشاء بناء دار عبادة جديدة من المحافظ المختص، ويعتبر انقضاء المدة (...) دون صدور قرار مسبب من الجهة الإدارية المختصة برفض الطلب بمثابة موافقة على طلب الترخيص بالبناء، وفي حالة الرفض ترسل الجهة

المختصة قراراً مسبباً للرفض ويكون للطالب الطعن فيه أمام المحكمة المختصة.

مادة ٦: تختص محكمة القضاء الإداري وحدها دون غيرها بالفصل في الطعون على جميع القرارات الصادرة تطبيقاً لأحكام هذا القانون، وإشكالات التنفيذ المتعلقة بتلك القرارات أو ما يصدر بشأنها من أحكام، والفصل فيها على وجه السرعة، ولا يترتب على الطعن على القرار أو الحكم الصادر بشأنه أو الاستشكال في أي منهما وقف التنفيذ، وللمحكمة التي تنظر الطعن أن تأمر بوقف التنفيذ لحين الفصل في الموضوع.

مادة ٧: تنشأ دائرة بالمحكمة الإدارية العليا تختص وحدها دون غيرها بالفصل في كافة الطعون على أحكام محاكم القضاء الإداري المتعلقة بقرارات بناء دور العبادة أو توسيعاً أو تعليتها أو تعديلها أو تدعيمها أو ترميمها.

مادة ٨: يطبق على كل من يرتكب إحدى المخالفات المنصوص عليها في هذا القانون الأحكام الواردة في المادة ٢٢ من القانون رقم ١٠٦ لعام ١٩٧٦ في شأن وتوجيه أعمال البناء

****

إن القانون قاصر جدا، وما سكت عنه أكثر مما تحدث عنه، والمسكوت عنه لصالح النصارى. فالقانون لم يتطرق مثلا لنسب عددية ولا لمسافات ما بين المساجد والكنائس. وفي ظل نظام متحالف مع العلمانيين والنصارى فمن المتوقع أن يفسر كل المسكوت عنه ضد مصلحة المسلمين. ومع ذلك فقد ثار النصارى على هذا القانون لأنه يغلق الباب أمام الحلول التي اعتاد الأقباط اللجوء إليها للتحايل ببناء أو شراء مباني عادية ثم تحويلها لكنائس.

لقد رفضوا أن يصدر القانون الموحد لبناء دور العبادة بنسبة ١ إلى ١٠ بين المسلمين والنصارى بحجة أنه لا يوجد تعداد رسمي. فإذا عرفنا أن البابا هو الذي

طلب من السلطة عدم الإعلان عن التعداد يزداد عجبنا، وإذا لاحظنا إصرارهم على إلغاء خانة الديانة من بطاقات الهوية أدركنا السر وراء ذلك كله. إنهم يخافون من أي محاولة للمساواة الحقيقية.

إنني أتصور، دون مزاح، ودون تصوير كاريكاتوري، ولكن فقط أسمي الأشياء بأسمائها بعد إزالة مساحيق التجميل وأدوات التنكر، أتصور أن القانون الموحد الذي يريده النصارى في أعماقهم دون أن يعلنوه يتضمن البنود التالية:

١ - بناء الكنائس شأن كنسي لا حق للدولة بالتدخل فيه تحت أي ظرف من الظروف.

٢ - من حق الكنيسة اختيار أي مكان لبناء أي عدد من الكنائس.

٣- في حالة استيلاء الكنيسة على أراضي مملوكة للدولة لتشييد أو توسيع الكنائس فليس من حق الدولة أن تعترض.

٤- أي محاولة للمساواة بين النصارى والمسلمين ظلم لا يرضاه النصارى أبدا وسيستدعون شارون وبوش(!!) لمناصرتهم!.

٥- ليس من حق أي أحد تحت أي ظرف التدخل في أي شأن من شؤون الكنائس.

٦- على كل أجهزة الدولة ألا تكف عن مراقبة المساجد.

٧- يباح للكنائس أن تهاجم الإسلام بكل الوسائل بما فيها الرشوة والغواية.

٨- تحدد الكنيسة من يمكن قبول تحولهم من النصرانية إلى الإسلام ومن حقها اعتقال من تشاء منهم وقتله دون أي حق لمباحث أمن الدولة أو نيابة أمن الدولة أو محاكم أمن الدولة!

٩- ليس من حق المحاكم أن تدين النصارى مهما كانت أدلة الاتهام ولا تبرئة المسلمين مهما كانت أدلة البراءة!.

أنا لا أهزل يا قراء، راجعوا ما حدث في مرسى مطروح في الفترة الأخيرة، لا يوجد هناك إلا عدد قليل جدا من النصارى، لم يحدث أبدا عبر ألف وخمسمائة عام صدام، لكن ماذا يفعل النصارى في الأوامر الصادرة إليهم بالتحرش بالمسلمين والاستيلاء على أراضي الدولة في المنظومة التي افتضحت وانكشفت بين نصارى الداخل وأقباط المهجر وزكريا بطرس والأستاذ شنودة، ينهال طوفان الدولارات من الخارج، ومجموعة من النصارى تشتري-بأغلى الأسعار وبأضعاف سعر السوق- أرضا مساحتها ألف متر وتستخرج لها الترخيص كمبنى سكني، ويبدأ البناء فيلاحظ الأهالي الجدران العالية والقباب وحجم الخرسانة فيبلغون الجهات المختصة أن هذه كنيسة وليست عمارة، تتحرك الجهات المختصة ببطء شديد، وبعد لأي يبدأ هدم أجزاء صغيرة من المخالفات، يتجمع النصارى ويعتدون على الشرطة، تتوقف الشرطة والسلطة عن محاولة الإزالة، وتتحول قضية الاعتداء على الشرطة إلى قضية تنظرها المحاكم-ربما يتم الفصل فيها قبل نهاية القرن الحادي والعشرين- وتحتقن مشاعر المسلمين، ليس في مرسى مطروح وحدها بل في ربوع الوطن، فالسلطة والشرطة التي تبدي نشاطا بالغا وهمة منقطعة النظير في هدم أي منزل أو مسجد أو منشأة إسلامية أبدت قدرا هائلا من النشاط والهمة، وما ذكرى مستشفى الجمعية الخيرية ببعيد. لكن النصارى لم يكتفوا بذلك، ولم يكن الأمر صدفة ولا تصاعدا مفاجئا للأحداث، في الجهة الأخرى من المبنى المخالف كانت توجد كنيسة، وكان يفصل مبنى الكنيسة عن المبنى المخالف شارع عمومي، فجأة قررت الكنيسة الاستيلاء على الشارع وضمه إلى المبنيين، دعك الآن من أنه شارع عمومي يستعمله الناس جميعا، دعكم من هذا وانظروا إلى الوقاحة والجرأة. ولم يتم الأمر اعتباطا، كانت الكنيسة قد جهزت ستمائة من النصارى ليدافعوا عن الشارع المغلق، وطلب الأهالي الشرطة لكن النصارى بادروا بالاعتداء عليهم كي يلتقط الحدث أقباط المهجر ولكي يصعدوا الأمر وربما يعتزل الأستاذ شنودة في الدير حتى

تستسلم الدولة وتسلم الشارع للنصارى.

دولة سلمت الشهيدة وفاء قسطنطين هل تنكص عن تسليم شارع؟ !.

دولة سلمت مسلمة إلى أعدائها لأول مرة في التاريخ هل تنكص عن أي شيء؟ !

الكارثة بعد ذلك أن كل أجهزة الإعلام عتمت على الحقيقة فلم تذكر الوقائع الفاجرة لعملية السرقة المشينة والاستيلاء على أراضي الدولة، لقد مكثت أياما أقرأ الصحف كي ألمّ بأطراف الحقيقة، كان هناك خط أحمر: ممنوع ذكر الحقيقة إذا كانت تدين النصارى، حتى عضو مجلس الشعب هناك عندما استضافوه على فضائية تكلم كثيرا جدا ولم يقل شيئا، أما الفضائيات –ناهيك عن الصحف- التي يمكن أن تقلب الدنيا لو كان المخطئ مسلما فقد نكصت جميعها-بلا استثناء –عن تغطية حية للأحداث، فمثل هذه التغطية الحية كانت ستظهر الحقيقة وتفضح النصارى، ولو أن الفضائيات قامت بذلك لشكلت نوعا من الردع للنصارى لمنعهم من مواصلة المخطط الصليبي اليهودي الاستعماري المجرم للتحرش بالمسلمين، لكن الفضائيات بل الفضائحيات لم تفعل.

صحف ساويرس كانت مذهلة في درجة تعتيمها، حتى أن القارئ خالي الذهن لا بد أن يصرخ: يا لهؤلاء المسلمين الإرهابيين المتوحشين الذين يمنعون النصارى الطيبين من العبادة والصلاة!.

***

إنني أعترف أنني كنت واحدا من الغافلين عن خطر الفتنة الطائفية لأسباب عديدة منها أنني لا أمانع من أن تتنازل الغالبية للأقلية والأقوى للأضعف. ولا مانع عندي على سبيل المثال من أن يحصل النصارى على ضعف نسبتهم العددية أو حتى ضعف الضعف وذلك حرصا على السلام الاجتماعي من ناحية وإدراكا لقلق الأقليات وحاجتهم إلى قدر أكبر من الطمأنينة. والحقيقة أن جيلي قد نشأ على واقع

ملموس بغض النظر عن الدافع إليه. هذا الواقع هو رقة النصارى ودماثتهم وعدم رغبتهم في الخلاف مما كان يدفع الكثيرين من المسلمين لاصطفائهم خلانا وأعوانا: انظر مثلا مصطفى النحاس ومكرم عبيد. كان لعموم النصارى أيضا حظ أكبر من التعليم والثروة. فما الذي حول الرقة إلى قسوة والدماثة إلى تحرش؟ !. من الذي تغير؟ ولماذا تغير؟ ومن غيّره؟ !، تلك هي المسألة وهنا يقبع السر.

مهما كالوا لنا الاتهام بالباطل فإننا -نحن المسلمين- لم نتغير لسبب بديهي واضح. هو أن موقفنا محكوم بثوابت الإسلام. الثوابت التي لم تغيرها مجالس ولم يحرفها أباطرة ولم يبتدعها باباوات.

نعم، قبل ذلك كله وبعده كله وبغض النظر عنه كله كان القرآن يضع لنا إطار العلاقة بيننا وبينهم. ولم نكن قد نضجنا للدرجة الكافية فركزنا على: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة].

وكان هذا جيدا ومطلوبا على أن نذكر الجانب الآخر الذي أورده القرآن أيضا لكننا نسيناه أو أنسيناه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة].

وقبل ذلك وبعده وبغض النظر عنه فلم يكن يمكن لموقفنا من النصارى أن يتحدد بالهوى ولا أن يتغير بالزمن لأنه محكوم بنص الأحاديث النبوية الشريفة و بسبب التحذير الصارم لمن يسبب الأذى للنصارى وما ينتظره من عذاب.

نعم.

كان الرسول ﷺ يوصينا بالنصارى.

وكان ما حفظناه من الأحاديث النبوية الشريفة يضع لنا حدود العلاقة ويحذرنا من تجاوزها.

***

سوف نكتشف مع الصحوة أن معظم هذه الأحاديث ضعيف أو موضوع لكن تبقى الفكرة الأساسية صحيحة. ففي الحسن على سبيل المثال ورد : - من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة الراوي: - المحدث: أحمد شاكر - المصدر: الباعث الحثيث - الصفحة أو الرقم: ٢/ ٤٥٧ خلاصة حكم المحدث: بهذا اللفظ لا أصل له ولكن ورد معناه بأسانيد لا بأس بها.

وكذلك حديث : «**ألا من قتل نفسا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً**».الراوي: أبو هريرة المحدث: ابن الملقن - المصدر: شرح البخاري لابن الملقن - الصفحة أو الرقم: ١٨/ ٥٩٤- خلاصة حكم المحدث: روي من حديث أبي بكرة بإسناد صحيح نحوه.

أما باقي الأحاديث فمعظمها موضوعة أو ضعيفة رغم أن بعضها مشهور جدا.

***

لقد راجعت ما يقرب من مائة حديث توصي بالنصارى وجدت الغالبية العظمى منها أحاديث موضوعة.

لكن هناك نقطتين هامتين جدا.

هناك نقطتان تفسران لماذا نحن خير أمة أخرجت للناس:

النقطة الأولى : أن حديثا واحدا صحيحا يوصينا بالنصارى تجب علينا- نحن كل المسلمين- طاعته إلى يوم القيامة، وهذا الحديث موجود، وليس ذلك فقط، بل

هو أكثر من حديث واحد بكثير.

النقطة الثانية: أن هذه العشرات والعشرات من الأحاديث الموضوعة التي تناقلها المسلمون عبر تاريخهم، هذه العشرات والعشرات كانت في صف النصارى وليس ضدهم.

صحيح: هناك احتمال أن يكون بعض من وضع هذه الأحاديث وروجها من النصارى واليهود، لكن علينا أن نعترف أنه لو لم يوجد ما يؤيدها من الأحاديث الصحيحة لما انتشرت، وكذلك فمن المؤكد أن مقاصد هذه الأحاديث الموضوعة توافق هوى الأمة من حدب على النصارى.

أؤكد أن هذا وضع غير مسبوق في التاريخ.

غير مسبوق في التاريخ أن يوصي دين بأعداء معتنقيه!، بل ويحرص على حقوق الأعداء حتى في مخالفته!.

ولكي تستوثقوا مما أقول راجعوا أقوال اليهود في النصارى والنصارى في اليهود وراجعوا أقوالهما معا في المسلمين.

أو لا تراجعوا الأقوال، وراجعوا الأفعال، راجعوا المذابح والقهر والسرقة والاغتصاب والاستعمار.

نعم.

نحن فقط الذين أُمرنا ألا يجرمنا شنآن قوم ألا نعدل.

نحن فقط، ولهذا كنا خير أمة أخرجت للناس.

صدق الله العظيم:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران].

نعم، كنت واحدا من الغافلين عن خطر الفتنة الطائفية بل كنت أنكرها أصلا وأرى أن الأمر كله لا يتعلق بالدين بل بالمؤامرة الغربية على العالم ونحن في قلبه وعلى رأسه. وكنت أقرأ وأعيد قراءة خطة المستشرق الصهيوني «برنارد لويس»- الإنجليزي الأصل، الأمريكي الجنسية - وهي عبارة عن دراسة منشورة في مجلة وزارة الدفاع الأمريكية - البنتاجون - يقترح فيها إعادة وزيادة تفتيت العالم الإسلامي - من باكستان إلى المغرب - وإنشاء أكثر من ثلاثين كيانًا سياسيًا جديدًا - علاوة على الدول الستة والخمسين التي تتوزع عليها خارطة عالم الإسلام - أي تحويل العالم الإسلامي إلى «فسيفساء ورقية» تقوم فيها ٨٨ دولة، بدلاً من ٥٦، بما يعنيه هذا التقسيم المقترح من شقاقات وصراعات وحروب وآلام، تزيد هذه الكيانات ضعفًا فوق ضعفها، وهزالاً فوق هزالها، الأمر الذي يجعل بأس هذه الكيانات بينها شديدًا، ومن ثم تكون رحيمة على أعدائها الحقيقيين!، ولقد كان «برنارد لويس» صريحًا عندما قال: إن هذا التفتيت للعالم الإسلامي هو الضمان الحقيقي لأمن إسرائيل«!، التي ستكون الأقوى وسط هذه «الفسيفساء»!.

أما مقاصد هذا المخطط، فهي - بنص كلمات «برنارد لويس»: «ويرى الإسرائيليون أن هذه الكيانات ستشلها خلافات لا انتهاء لها، الأمر الذي سيجعلها أضعف من إسرائيل، فتضمن - إسرائيل - تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل»!.

وكنت واعيا تماما أنه منذ أقل من قرن تم تفتيت الدولة الإسلامية العثمانية إلى نيف وثلاثين دولة، وأن النجاح أولا يغري بالنجاح ثانيا.

في هذا الإطار كنت أقرأ ما يسمى بالفتنة الطائفية. وكنت أستبعد أن مجتمعا ظل مستقرا طيلة ألف وخمسمائة عام يمكن أن يتسع لفتنة. وكنت أستبعد أن يستدرج شركاؤنا في الوطن إلى هذا المستنقع.

أعترف أن حساباتي كانت مخطئة.

إن الأمر لم يكن مجرد استدراج، بل لقد تم استقطابهم بالغواية لكي يكونوا فاعلين أصليين وجزءا من المؤامرة على أوطانهم. ولكم هو محزن أن يكون على رأس المستدرجين البابا شنودة نفسه.

كنت واحدا من الغافلين عن خطورة الأمر، حتى أنني لم أشعر بالخطر عندما جاءني أستاذ في كلية الهندسة والهواجس تنهش قلبه يقول لي إنه لاحظ بمحض الصدفة (وكلمة الصدفة يمكن التجاوز عنها بقاعدة خطأ شائع خير من صواب مهجور) أن جدران الكنائس وقبابها لا تبني بالطوب بل بالخرسانة المسلحة وبسمك كبير جدا، وواصل الصديق وهو يحدث نفسه: كأنها ملاذات آمنة ومخابئ من الغارات.

وكنت واحدا من الغافلين حتى فوجئت بالدكتور مصطفي الفقي (عدو الإسلاميين البارز وصديق النصارى وعضو مجلس الشعب الناجح بالتزوير الفاضح) يتحدث عن صعوبة إصدار قانون موحد للعبادة إذ كيف يمكن حساب أديرة النصارى وبعضها تصل مساحتها إلى آلاف الأفدنة.!!.



ذهلت.

صعقت يا قراء.

المعلومة ليست جديدة تماما فعلى تخوم الذاكرة تبدو ذكرى باهتة لحديث لا أذكر شيئا عن قائليه ولا عن ظروف قوله تتحدث عن دير تبلغ مساحته ألف فدان.

سبحانك يا إلهي.

المعلومة ليست جديدة لكننا لا نهتدي إلى ما نريد وما نحب ولكن الله يهدي من يشاء.

ألم نعلم من حكاية الشهيدة وفاء قسطنطين أن هناك ديرا ذا أغوار وكهوف

ومسالخ للتعذيب كذلك التعذيب الوثني الذي شهده عصر الشهداء.

فلماذا استقر في خاطري –بالباطل أن مساحة هذا الدير قد تكون بضعة مئات من الأمتار فإذا تجاوزت الألف كان مهولا.

لذلك عندما قرأت قول نائب التزوير الفادح –الذي فضحته المستشارة نهى الزيني– أن بعض الأديرة تصل مساحته إلى آلاف الأفدنة فقد ذهلت وصعقت، وهرعت إلى الشبكة العنكبوتية أتلمس أبعاد هذه الكارثة التي لم تخطر لي على بال.

نعم..

هرعت إلى الشبكة العنكبوتية، وها أنذا أنقل لكم منها حرفيا (بطريقة القص واللصق) حتى يمكن لأي قارئ أن يستوثق.

***

إليكم ما تقوله الشبكة العنكبوتية:

يغطي دير الأنبا شنودة رئيس المتوحدين الشهير بالدير الأبيض في سوهاج بصعيد مصر مساحة ١٢,٨٠٠ فدان.

يا إلهي، ١٢٨٠٠ فدان.

إنها مدينة وملاذ آمن.

يا ليتهم سمحوا للمسلمين بمثله، إذن لهرب إليه عشرون ألف معتقل بلا اتهام.

يا ليتهم سمحوا للمسلمين بملاذ آمن مثله، ملاذ آمن يعدّ مرور ضابط إلى داخله أصعب من مرور جمل في سم الخياط.

يا ليت.. يا ليت.. يا ليت.. يا ليت.

إن عدد المسلمين ضعف عدد النصارى ستة عشر مرة، فلنضرب مساحة الدير بهذا الرقم ونتمنى أن ينال المسلمون–مثل النصارى–هذا الملاذ الآمن.

لكنه ليس ملاذا واحدا.

إنها ملاذات وملاذات وملاذات.

والآن دعونا نتمنى وانطلقوا معي إلى ملاذ آخر، أقصد إلى دير آخر.

أواصل البحث والقراءة:

دير مقار بوادي النطرون الواقع عند الكيلو٩٢ علي طريق مصر - إسكندرية الصحراوي والذي يعيش فيه١٢٠ راهبا مساحة الدير كبيرة(٢٧٠٠ فدان).

يا إلهي.

وأقرأ في مكان آخر:

سور عال حوالي ٢٠ مترا في الارتفاع يعلوه أفريز رخامي به صفان من النوافذ السفلى قريب من منتصف السور. له ٢٧ نافذة بكل من الضلع البحري والقبلي٩ نوافذ بكل من الضلع الغربي والشرقي وطول المبنى ٧٥ مترا وعرضه ٣٧ مترا. وهذا الشكل يمثل عظمة فن المعمار القبطي لا من المساحة العظيمة فقط والتي تبلغ نحو ٢٧٧٥ مترا مربعا وهى أكبر كنيسة بالقطر المصري ولكن من جهة ضخامة الأحجار التي بني بها إذ يزيد بعضها عن مترين طولا.

يا إلهي.

هذه قلاع حربية وليست أديرة.

في مكان آخر أقرأ أن سمك الجدران يصل إلى مترين.

لكنني فوجئت بالشيخ أسامة حافظ يقول إن سمك الجدران يزيد عن ثلاثة أمتار.!!

يقول الشيخ:

أما الأديرة هذه الأيام والتي انتشرت في كل ربوع مصر من أقصاها إلى أقصاها فشيء مختلف تماما.

فهي مساحات شاسعة من الأراضي تصل في بعض الأحوال إلى أكثر من ألف ومائتي فدان (حوالي ٥ مليون متر مربع) كما في أديرة وادي النطرون مثلا وهى مساحة مدينة متوسطة يحيط هذه المساحة الهائلة سور ضخم شديد الارتفاع – ارتفاعه في دير أنطونيوس ١٠ م وفي دير السريان ١١,٥ م وكذا في دير البراموس ـ وسمك حوائط السور كبير يصل إلى ٣,٥ م كما في دير أبو مقار و ٢ م في دير الأنبا بيشوي وهكذا.

وفي السور باب واحد ليكون الدخول والخروج تحت السيطرة ويتناثر على حوائط الدير مجموعة من الأبراج العالية المحصنة بها فتحات – مغازل – لاحتماء الحراس خلفها ويصل ارتفاع هذه الأبراج إلى ١٦ متر كما في دير أنطونيوس بل إنه في دير أبي مقار حوالي ٦٠ مترا !.

يصرخ أسامة حافظ نفس الصرخة التي كانت في حلقي:

هذه الأسوار العالية والحصون الهائلة ما علاقتها بوظيفة الدير في العبادة والتبتل، وهل لو جمعنا مساحات مساجد مصر كلها هل توازي مساحة دير واحد فقط من تلك الأديرة.

يصرخ أسامة حافظ وأصرخ معه:

نعم نريد قانوناً موحداً يعطينا كمسلمين أصحاب أغلبية هذا البلد حقوقنا في المساجد وفي أراضي بلدنا مثلما أعطي النصارى ما أعطوا أو يأخذ من كنائسهم وأديرتهم لنتساوى معهم أم أن المقصود هو إعطاء الأقلية القبطية وحرمان الأكثرية المسلمة.

***

لو جمعنا مساحات كل مساجد مصر لما وصلت إلى مساحة دير واحد.

ثم يطمعون أن نزيد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ﴾ [المدثر].

هل نحن في حاجة الآن للحديث عن رهبان لصوص يستولون على أراضي الدولة بالسلاح؟ وبدعم من أعلى القيادات الدينية.

يا للعار.

نعم.

أقص وألصق من الشبكة مرة أخرى:

إن ما يحدث هذه الأيام في دير أبو فانا يسير طبقا لخطة استخدمتها الكنيسة مسبقا وتستخدمها حاليا وستستخدمها مستقبلا طالما تحقق أهدافها كل مرة. والهدف الأساسي هو الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من أراضي الدولة في هيئة أديرة وكنائس وذلك لفرض أمر واقع على الأرض يمكن عن طريقه الحصول على مكاسب لا تتناسب مع نسبة النصارى الحقيقية في مصر. وهذه الخطة تسير وفق خطوات محددة تلعب فيها كل من الكنيسة والقساوسة والرهبان وشعب الكنيسة والمنظمات القبطية وأقباط المهجر والأقلام المأجورة أدوارا مرسومة بعناية.

لقد حدث نفس الأمر بدير الأنبا أنطونيوس في البحر الأحمر.

أولا: يعترف البابا شنودة في أحداث دير أبو فانا أن هذه الأرض لا تتبع الدير أصلا وأن الاستيلاء عليها غير قانوني. وبالتالي تكون كل ادعاءات الكنيسة والمنظمات القبطية وأقباط المهجر والمظاهرات التي تدعي بأن الدولة تهدم الدير ما هي إلا أكاذيب. ومن يرى الصراخ القبطي بأن الدولة تهدم الأديرة وأنهم مستعدون للاستشهاد يصدق أنهم على حق وليسوا مدافعين عن عملية نهب وسرقة

واستيلاء غير قانوني على أرض الدولة. إن مساحة الدير تبلغ أصلا ١٨ فدان (٧٥ ألف و ٦٠٠ متر مربع) وهي مساحة شاسعة. فهل تحتاج هذه المساحة إلى إضافة ٥٠٠ فدان (٢ مليون و ١٠٠ ألف متر مربع) كحرم للدير؟ (وهي بمثابة مضاعفة مساحة الدير حوالي ٢٨ ضعفا!!!). لقد كان الرهبان يبنون صوامع للعبادة على بعد ثلاثة كيلومترات من الدير ثم يعتبرون المسافة بين الصوامع والدير ملكا لهم، إنهم يفعلون ما تفعله إسرائيل، كما أنهم يحولون الخيال العابث إلى واقع في النكتة الشهيرة عن ابن المسؤول الكبير الذي وافق له والده على أن يفتح شقتين سكنيتين يمتلكهما على بعضهما، إحدى الشقتين في مدينة ٦ أكتوبر والثانية في العاشر من رمضان!!.

لقد قام الدير بفرض أمر واقع ببناء سور طويل يبلغ طوله ٦ كيلو مترات تقريبا حول الأرض الاستيلاء عليها وفرض الأمر الواقع بالبلطجة؟

لقد دافع الرهبان عن الأرض التي سرقوها بالسلاح، وقتلوا مسلما.

واستسلمت لهم الدولة.

فهل أصبحت الأديرة «مستوطنات قبطية» تحرسها «ميليشيات الرهبان»؟

***

انظروا إلى الحملة المسعورة على محافظ قبطي كاللواء مجدي أيوب لمجرد أنه خضع لمقتضيات الأمانة والشرف فشهد بأن الكنيسة تخالف القانون وأن النصارى هم الذين يبدؤون المشاكل.

***

لا أستطيع أن أفهم أمرين، أحدهما بالنسبة لليهود والآخر بالنسبة للنصارى، وكلاهما يتمتع بقدر وافر من الذكاء والثقافة بسبب استيلائهما على أضعاف حقوقهما من القوة والثروة والسلطة.

فكيف لا يفهم اليهود في فلسطين أنه مهما بلغ اختلال ميزان القوى الآن فليس

هناك أي أمل لهم في المستقبل. سيبادون، سيبادون، سيبادون.

أما النصارى في مصر فلست أدري كيف يخونهم ذكاؤهم، هل يتصورون أنهم كالمجرمين البيض وأننا كالهنود الحمر؟ .

ألا يخشون لحظة الغضب الجامح.

إن الشعب المصري صبور كالجمل، يصبر طويلا جدا ويتحمل كثيرا جدا لكنه لا ينسى أبدا، ويكون انتقامه في النهاية مروعا.

قد يميل الميزان عاما، أو عشرة أعوام أو حتى مائة عام.

قد يخون الآن من يخون وقد يهون من يهون لكن يوما سيأتي وسيأتي معه من يقف في وجه الانحدار، وأخشى أن يسدد أبناؤكم تبعات الجرائم التي يرتكبها بعضكم.

هل جننتم؟ .

هل تدركون عواقب ما تفعلون، أنتم تشبهون من ينهال بالمعاول على سد هائل دون اعتبار لطوفان الغضب والامتهان خلفه، قد يحتمل السد مليون معول، لكنه سينهار أخيرا وسيغرقكم الطوفان.

ماذا تظنون أنكم فاعلون؟ ما هي نهاية تحرشكم بالمسلمين واختلاق المشاكل وإشعال الفتن.

هذا المجرم الذي يسلطكم على ذلك إما مجنون أو أحمق.

هو شيطان مريد.

والأمر ليس دينا، ليس دينا على الإطلاق، فالمسيحية حتى بمفهومكم لا تقر ما تفعلون، بل هي ضده على طول الخط، ليست فتنة طائفية، وإنما هي جريمة خيانة عظمى، تستقوون بالخارج وتتسلطون، ويوم تنقلب الآية أو ينفجر الغضب سيفعل الشعب بكم ما فعله الإيرانيون بضباط السافاك بعد الثورة الإيرانية، ليس لأنكم

نصارى، بل لأنكم خونة.

لقد كنت دائما أقول أن الجرثومة لم تصب معظم النصارى في مصر، وما زلت أقوله، لكنني لم أعد على نفس اليقين به. ومرة أخرى ليست فتنة طائفية والأمر لا علاقة له بمسلمين ولا بنصارى، وإنما هي جنون وحماقة وغباء وشيطان وخيانة عظمى.

ثم.

هل تتصورون أنكم يمكن أن تقضوا على الإسلام وأن تطردوا المسلمين؟ .

أي حماقة وأي جنون.

فإذا استسلم الأكثر من ٩٤٪ لكم وتركوكم تذبحوهم أو تطردوهم، فماذا ستفعلون في مليار ونصف المليار يحيطون بكم.

إنني أدعوكم إلى النجاة لكنكم تندفعون إلى النار.

إلى الهلاك.

أي شيطان مريد تسلط عليكم ويغويكم كي يستأصل شأفتكم؟ !

أي شيطان مريد يقودكم لانتقام لا تقدرون عواقبه.

أما أقباط المهجر فهم ككل مجرم سيكونون ساعتها بعيدا.

أظنه سيكون يوما رهيبا.

أنا لا أتمناه أبدا.

ولو مد الله في أجلي حتى ذلك اليوم سوف أحاول إنقاذكم وحمايتكم وكبح مشاعر الغضب والانتقام مستعيدا قول حبيبي وسيدي ومولاي: من دخل داره فهو آمن.

لكن: هل سيطيعني الباقون.

بل، هل سيسمعون صوتي.

ثم.

ألا تحاولون أنتم حماية أبنائكم وإنقاذهم من سوء أفعالكم.

***

لننتقل هنا إلى نقطة هامة جدا.

ما هو موقف الدولة ممن يستولي على سلطانها ويزدريها ويستقوي بالأجنبي عليها ويشهر بها.

الإجابة الكارثية أن الدولة تؤيدهم، حيث يوجد أغرب تحالف بين هادم ومهدوم، بين مغتصب ومغتصبة، ويكاد الخيال يعجز عن تصور هذا لولا ما تواجهنا به أخبار الحوادث بين آن وآخر عن زوجة فاجرة وعاشق قواد يتآمران على قتل الزوج الشرعي لاغتصاب حقوقه والاستيلاء على أملاكه!.

***

إن كل أجهزة الدولة والإعلام تبدو فاتحة ذراعيها مرحبة بكل ما هو نصراني وما يقوله النصارى حتى لو كان تحريفا، ولكن نفس هذه الأجهزة تبدو متربصة متنمرة متأهبة للانقضاض وإنشاب الأنياب لكل فكرة مسلمة مهما بدا من منطقيتها وعقلانيتها.

انظروا مثلا إلى فضيحة ظهور العذراء في الأيام الأخيرة واكتشاف المصباح الذي يخفونه كي يعكس الأضواء، مما دفع كاتبا شابا هو الدكتور يوسف عبد الغفار إلى كتابة فانتازيا مضحكة عن اكتشاف ظهور طيف الدكتور سرور فوق قبة مجلس الشعب، ولو أن العكس هو الذي حدث لمنحوا يوسف عبد الغفار جائزة الدولة التقديرية.

انظروا –على سبيل المثال– إلى قامتين هائلتين كالشيخ محمد الغزالي والشيخ

«محمد أبو زهرة »ورفاق لهم ذهبوا ، عام ٦٨ كي يعلقوا على خرافة ظهور العذراء، فلا يجدون لا عذراء ولا شمطاء.

كتبا مقالة يقولان فيها ذلك لكن الأهرام، بانية العلمانية، عدوة الإسلام وعدوة محمود شاكر وربيبة لويس عوض ومعشوقة محمد حسنين هيكل رفضت أن تنشر للشيخين الهائلين تكذيبا لظهور العذراء. نفس الأمر تكرر مع الدكتور محمد جمال الدين الفندي الذي حاول أن ينشر بحثه في الصحف فأبت، والغريب أنه لما نشر في مجلة «الوعي الإسلامي »الكويتية منع دخولها مصر.

والأغرب من ذلك أن الأوامر صدرت لأئمة المساجد ألا يتعرضوا للقصة من قريب أو بعيد!.

نفس الأمر يتكرر بعد أربعين عاما مع المستأنسة منى الشاذلي. ولو أنها كذبت وجود الله سبحانه وتعالى لجعلوها من الفلاسفة العظام ولو أنكرت نبوة محمد ﷺ لجعلوها في عليين لكن شكوكها في ظهور العذراء جعلهم يرجمونها.

أرأيتم قدر المساواة؟ !.

هل تذكرون الضجة الهائلة التي يثيرونها عندما يذكر مسلم حلم الشيخ عبد الحليم محمود الذي رأى في المنام رسول الله ﷺ يبشره بنصر أكتوبر؟ أم حجم الهجوم الكاسح على من يقول أن الملائكة جاءت وحاربت؟

كان عليهم إما أن يصدقوا هذا وذاك أو أن يرفضوا هذا وذاك. لكنهم لجؤوا إلى المعايير المزدوجة دونما خجل.

***

الدولة تسلط كتابها (بالتاء وليس باللام) لتشوه كل رمز مسلم ولتقدس النصارى واليهود. انظروا مثلا إلى ما كتبه حمدي رزق عن شنودة:

«من وجهه تطل ملامح الإنسان المصري التي سجلها العلماء في كتبهم القديمة،

نقية جلية، بشرته بلون طمي النيل، وعيناه تعكسان نظرة حانية حكيمة، تكوينه ككل صعيدي الروح والدم، من حنكة الصعايدة وصلابتهم وقوتهم وحنوهم - في آن واحد - جاء البابا 'شنودة الثالث' الذي تمر هذه الأيام الذكرى الخامسة والخمسون لرهبنته. (...) . البابا شنودة عبر عن مصريته هذه بمواقف حولته من زعيم روحي للأقباط إلى شخصية وطنية كبيرة يلتف حولها الجميع مسلمون ومسيحيون فمواقفه لا تفرق وإنما توحد، وهو بها يسجل سطورا مضيئة في سجل الوطنية المصرية، لا في سجل الكنيسة المصرية وحسب وهي الكنيسة التي طالما ضربت المثال في الوطنية على مر تاريخها الطويل(...) إذن فإن رهبنة البابا شنودة الثالث قبل ٥٥ عاما كانت موعدا مهماً في دفتر هذا الوطن، فمن تلك المحطة التي تخلص فيها من دنيويته، وأعيد ميلاده من جديد وسلك مسلكه نحو كرسي البابوية كان للوطن موعده مع رجل من طراز فريد، جهزته الأقدار منذ هذه اللحظة البعيدة في الزمن ليقوم بدوره الوطني القدير بعد ذلك.

...

يا حمدي رزق.

هل تريد تقديس شنودة كشخص؟ هذا شأنك.

أما إذا كنت تريد تقديس اللقب فلتعلم أننا عزوفون عن الإساءة والشخصنة، لكن اللقب لم يحظ بالقداسة إلا نادرا فالحقيقة إن بعض البابوات كان ابنا غير شرعي ومنهم الأرمل وكان كثير منهم قتلة ومنهم الوثنيون وبعضهم اشترى منصب البابا ثم قام ببيع متعلقات الكنيسة ليسترد ماله. وواحد منهم على الأقل كان يعبد الشيطان وكان بعضهم له أبناء غير شرعين. والبابا سرجيوس على سبيل المثال- وصل للكرسي البابوي عن طريق ماروزيا التي كانت عشيقته وولدت له ولد (من الزنا لأن البابا لا يتزوج) كرست حياتها لتوصيله إلى كرسي البابوية وعند

بلوغها الستين أصبح حفيدها أوكتافيا البابا الجديد يوحنا الثاني عشر وكان حتى لفجور عصره مثلا صارخا للفجور فقد قام بمعاشرة أمه معاشرة الأزواج وقام بإهداء ممتلكات الكنيسة للعاهرات.

ليس للقب من قداسة إذن!.

***

ولنعد إلى حمدي رزق ولنقرأ ما كتبه عن الأستاذ محمد مهدي عاكف الذي نعتذر إليه مؤكدين أننا نفرق بينه وبين الأستاذ شنودة وأنه لا يمكن المقارنة بين من يريد الاستشهاد في سبيل الوطن وبين من يريد الاستيلاء على الوطن.

يقول حمدي رزق:

في حديث بلا أحذية، حديث الشرابات بين المرشد وعمرو أديب في برنامج «القاهرة اليوم» علي فضائية «أوربت» ينزع مولانا ورقة التوت الأخيرة عن عورة الجماعة «المحظورة»، يقول لا فض فوه «إذا تحسن المناخ السياسي العام في مصر، فإن الإخوان سوف يتقدمون لترشيحات رئاسة الجمهورية» ربنا يديلك على قد نيتك.

يتصنع عاكف الخشية على مستقبل جمال مبارك، حنية الوز، وينصح بتجنيب جمال المناصب كلها، ليس كراهية في التوريث، ولكن ليحتلها الإخوان، أي نعم، اظهر وبان عليك الأمان يامولانا المرشد، لا تقل لنا بعد ذلك الإخوان جماعة دعوية، ولا جماعة رعوية، لا نهياً عن منكر كان، ولا أمراً بمعروف هو كائن، هدفكم الحكم، السلطة، اعتراف المرشد سيد الأدلة.

أكاد أجزم أن عاكف يحسد نوابه الخمسة الذين حضروا حفل توقيع كادر المعلمين، كان نفسه ياكل حاجات صغيرة محشية حاجات صغيورة، يقال لها : «باتي بان».

***

هل تريدون المزيد يا قراء.

انظروا إلى نفس الكاتب من كتاب(بالتاء لا باللام) السلطة يكتب عن العلامة الدكتور يوسف القرضاوي:

عشر سنوات والشيخ مريض بالهوى، والرفاق من حوله حائرون يفكرون يتساءلون في جنون حبيبة الشيخ من تكون، معلوم أن الشيخ منذ أن تزوج ممن تصغره بأربعين عاما، صار يتاجر في الخسارة، الخلصاء انفضوا من حوله، تركوا ساحة الشيخ خاوية، انفردت – هي – بالشيخ، وتمترست في البيت وتمكنت من الغيظ، زوجة في البيت وعالمة في الغيط، صارت من علماء المسلمين، عَلمت على فكر الشيخ، حرفته عن مقصده، زعقت في وجه «ولاياتى» في ضيافته.

« شرشيه لافام» ابحث عن المرأة كلما ألمت بالشيخ أزمة فقهية، حلمت به وتحقق الحلم، قالت: عسى أن ينفعنا أو نتخذه زوجا، اتخذته زوجا لكنها لم تكرم مثواه، منعته عن ماضيه، وحصرته في حاضرها، ونذرته لمستقبلها.

***

أشعر بالغثيان.

خاصة عندما أدرك جيدا أن هذا الموقف ليس موقف كاتب من كتاب(بالتاء) السلطة بل هو موقف السلطة نفسها.

لقد قدست السلطة البابا شنودة رغم أنه يجب أن يُحاكم أمام قضاء عادي لا عسكري.

يُحاكم؟ !.

لقد فوجئت بدهشة القراء عندما طرح الكاتب الشاب الفذ محمود القاعود فكرة ضرورة محاكمة الأستاذ شنودة، بدا كما لو أنه يخرق قانونا من قوانين الطبيعة كالجاذبية أو الطرد المركزي أو قوانين الحركة، بدا كما لو كان يخرق نظرية استقرت

كذا ألف عام، كنظرية أن الذرة لا تتفتت قبل يمكن اكتشاف أنها يمكـن أن تتفتـت، فهل سيمكن محاكمة الأستاذ شنودة ذات يوم؟!.

بدا لي من دهشة القراء كما لو كان قد استقر في وعي الناس أن الأستاذ شنودة لـه حصانة مطلقة، وإن مجرد طرح الفكرة هرطقة تقتضي إعادة محاكم التفتيش.

لله درك يا محمود القاعود!!

لقد طرحت فكرة لم تكد تخطر ببال أحد.

حتى فكرة أن الشمس ستشرق ذات يوم من الغرب هي فكرة مطروحة.

أما فكرة محاكمة الأستاذ شنودة فلم تُطرح أبدا.

هاجمتني الأفكار بعنف، وفاض طوفان من المرارة.

لو أن مسلما فعل ما يفعله الأستاذ شنودة، ماذا كانوا سيفعلون به؟ !.

هل كانوا سيتركونه إلى الآن؟ أم يقتلونه قبل عام ٧١ أم يعدمونه بعدها.

كم ألف سوط كان سيضرب.

كم «عروسة» كان سيُعلق عليها.

كم كلبا كانوا سيطلقونه كي ينهش جسده.

وكم كلبا كانوا سيطلقون قلمه للنباح عليه.

كم ليلة كانوا سيتركونه واقفا في غرفة تملأها مياه المجاري.

أستعيد التاريخ وطوفان المرارة ما يزال يفيض.

لقـد فعـل الأسـتاذ شـنودة جميـع مـا اتهمـوا بـه الإسـلاميين، فتركـوه وحاسـبوا الإسلاميين بما لم يفعلوا.

هل كان يمكن أن تساوى السلطة بينـه وبـين قيـادات إسـلامية أنزههـا عـن ذكـر أسمائها.

هل كانت مباحث أمن الدولة ستستبيحه كما استباحتهم؟

وهل كانت نيابة أمن الدولة ستحبسه حبسا مطلقا كما حبستهم.؟

وهل كانت محاكم أمن الدولة ستختار كما اختيرت لهم؟ .

هل كان سيبيت على «برش»؟ .

هل كانوا سيصمونه بالكفر؟ .

أو بأنه إرهابي أو من الخوارج؟ .

وهل كان سيخرج علينا صوت عواء أن أحدهم قد اكتشف ثلاث صفحات من كتاب للأستاذ شنودة مقررة على أطفال المدارس؟ .

ليت السلطة تعامل شيخ الأزهر أو مرشد الإخوان كما تعامل البابا.

ليتها تسوي بين خيرت الشاطر وساويرس.

ليتها تعلن تعداد النصارى.

ليتها تصدر قانون دور العبادة الموحد.

وليتها تسوي بين أسراها المسلمين وبين سواهم.

ليتها تسوي بين الأسارى والنصارى.

يفيض طوفان المرارة فأصرخ:

هل ساوت الدولة بين أسراها من المسلمين وبين النصارى؟

هل ساوت رئاسة الجمهورية بين الأسارى وبين النصارى؟

هل ساوت الحكومة بين الأسارى وبين النصارى؟

هل ساوت مباحث أمن الدولة بين الأسارى وبين النصارى؟

هل ساوت صحافة أمن الدولة بين الأسارى وبين النصارى؟

هل ساوت نيابة أمن الدولة بين الأسارى وبين النصارى؟

هل ساوت محاكم أمن الدولة بين الأسارى وبين النصارى؟ .

أصرخ وأصرخ وأصرخ:

ساووا بين الأسارى والنصارى.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

***

حاشية:

شيخ الأزهر «١»

بلغ التحرش والاستفزاز أن طالب النصارى بدخول الأزهر، وهو طلب غير جاد، بل لو سمحت الدولة به لقاتلوا لمنعه، والسبب معروف، سيدخلون نصارى ويتخرجون مسلمين!. لن أندهش كثيرا لو طالبوا بحقهم في المساواة في التعيين لشغل منصب شيخ الأزهر!.





وإلا :
على الإسلام والعرب السلام!

هل آن الأوان للوقوف على رباك يا مصر، وعلى أطلال بلاد العرب والمسلمين، لأنوح كما ناح نصر بن سيار قبل ثلاثة عشر قرناً حين راح بقلب واجف متفجع ملهوف يحذر الخليفة الأموي مروان بن محمد من أن ملكه يوشك على الانهيار وأن دولته كربت على التلاشي بعد أن نخرها الضعف والهوان، وعصفت بها الصراعات والفتن والانقسامات والولاءات. وكثّف تحذيره في قصيدة شعر أرسلها إليه لاستدراك الأمر والنهوض للتصدي له، فما استدرك وما تصدى، وجاء في كتاب نصر بن سيار:

أرى تحت الرماد وميض نار ... وأخشى أن يكون لها ضرام
فإنّ النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظٌ أميّة أم نيام
فإن يقظت فذاك بقاء ملك ... وإن رقدت فإني لا ألام
فإن يك أصبحوا وثووا نياما ... فقل قوموا فقد حان القيام
فغرّي عن رحالك ثم قولي ... على الإسلام والعرب السلام
أرى تحت الرماد وميض نار ... وأخشى أن يكون لها ضرام

***

أخذ مروان بن محمد يهرب من بلد لبلد، وينتقل من هزيمة لهزيمة، حتى لجأ هاربا إلى كنيسة في مصر فقتلوه.

فهل آن الأوان لكيلا يعود لحكامنا من ملاذ آمن إلا الكنائس، وفيها يُقتلون؟ !.

***

هل آن الأوان للوقوف على رباك يا مصر كي أنوح كما ناح نصر بن سيار، بل إن

الكارثة التي نواجهها أفدح بكثير مما واجهه الشاعر، فلم تكن المصيبة أيامه تنال من الدين أو الأمة أو الهوية أو الوطن وإن نالت من الحكام والحكومات، كان صراعا على الحكم بين طائفتين –أو طوائف– تحملان ذات الهوية تحت ظلال نفس الإيمان حتى وإن اختلفت الرؤى، أما الآن فإن الصراع على الدين نفسه وعلى الإيمان ذاته. وهو صراع لا أعلم له مثيلا في تاريخنا المكتوب. وربما حدث ما يشبهه في عصر الهكسوس، لكن الهكسوس كانوا غزاة، أما الآن فمن يخونوننا منا، ومن يطعنون في ديننا مسلمون مثلنا أو هكذا يزعمون، وتضيع الأمة بين حاكم فاجر ومثقف كافر وسياسي عاهر.

***

يجب أن أعترف للقارئ هنا أنني سأقوم على الفور بعملية بالغة الإيلام، سوف أكظم غيظي، وأطفئ نيران غضبي، وأضغط على مشاعري، وأكبح جماح قلمي، وسوف أقتصر في القول على معشار ما أريد قوله فعلا[1]، ليس جبنا والله ولا عجزا، لكني لا أريد أن أفرض على إخوان لي دخول معركة لم يخططوا هم للدخول فيها الآن. سوف أحاصر انفعالاتي بها يجمدها دون أن يقتلها تماما كما يحيط النيتروجين السائل بجسم حي فيجمده دون أن يقضي على الحياة فيه.

***

أذكر القراء والوطن والحكومة أنني قد كتبت منذ عدة شهور أحذر من انفجار الوضع في سيناء. وأن كل ما حذّرت منه قد حدث –ما عدا التوقع الأخير وهو : استقلال سيناء وتحالفها مع إسرائيل ضد مصر، وعلى أي حال فهذا إن حدث لن يكون عجيبا جدا، ولن يكون أعجب–مثلا– من تحالف مصر مع إسرائيل ضد حماس، كما لن يكون أعجب من تحالف نخبتها مع الشيطان ضد الله!.

(١) المقصود المعركة مع نظام حسني مبارك وليس مع النصارى.

منذ أسابيع كنت أصرخ:

سيناء التي فقدناها عام ٦٧ واستعدناها بسبب حرب ٧٣، لماذا نضيعها الآن، لماذا، لماذا، لماذا نتركها لابن العلقمي يضيعها؟ ! إن الأحداث واضحة حتى يكاد يراها الأعمى؛ بل إنها معلنة أيضا، ومنها المخطط لتفتيت وتحطيم العالم الإسلامي. كانت البداية تفتيت دولة الخلافة (...) في هذا الإطار يدور مخطط عزل سيناء عن الوطن، ولعزل أهل سيناء عن الأمة، ولتدمير البنية الاقتصادية، والأكثر من ذلك أن هذا المخطط يهدف أيضا أن يدمر ولاء أهلنا في سيناء لمصر. ذلك أن ابن العلقمي وأتباعه يعاملون أهلنا في سيناء كأعداء وليس ثمة نتيجة وهدف لذلك إلا فصل سيناء عن مصر وإعطائها ثمرة ناضجة لإسرائيل.

نعم..

ثم أضفت:

هناك شيطان من الإنس، يقبع في مكان ما، له من الإمكانيات والسلطات ما يجعله يقدر، هذا الشيطان البشري ينفذ خطة طويلة الأمد لفصل سيناء عن مصر وبيعها لإسرائيل. شيطان بدأت جذوره الأولى أيام محمد علي لكنه ترعرع الآن وتغول وقضى على منافسيه أو أصابهم بالعجز والشلل، ولقد خطر ببالي لفترة طويلة أن هذا الشيطان يمكن أن يكون غبيا لا يدرك مغبة ما يفعل، ولكن ما استقر في وجداني أخيرا أنه يعلم جيدا ويتآمر واعيا، تماما كما فعل ابن العلقمي حين أسقط عاصمة الخلافة.

***

تذكروا، فقد حدث ما حذرت منه، تصرفت الشرطة كجيش احتلال، وواجهها البدو فكسروا شوكتها وقضوا على هيبتها وأهانوها. بل وأسروا رجالها وعجزت السلطة الباطشة الحمقاء العمياء عن حسم الأمر مرتين. : مرة على المستوى النظري

والتخطيط، ومرة على أرضية الواقع. ولقد تنبأت بما حدث قبل شهور، بل وقبل سنين، وليست هذه هي المرة الأولى، ولن تكون الأخيرة، ولست بالعبقري الذي لم يفر أحد فريه، ولا أعلم الغيب ولا أرجم به، وإنما أنا إنسان عادي تماما يتتبع أبسط أدوات المنطق والتي تثبت أننا متجهون إلى الكارثة. نحن لسنا علماء فضاء نختلف على أعقد قوانين الفيزياء، بل إن خلافنا كله ينحصر في عمليات القسمة وجدول الضرب والجمع والطرح، نحن نعرفه وهم ينكرونه.

نحن نقول أن مصر (زائد)+ توريث+ يساوى خراب.

ونحن نقول أن مصر (ناقص) - شورى = خراب.

ونحن نقول أن مصر + تعذيب = خراب.

ونحن نقول أن مصر – دستور محترم وغير مفصل على مقاس شخص = خراب.

ونحن نقول أن مصر + حاكم لا يزيحه إلا الموت =-خراب

ونحن نقول أن مصر - دورها الإسلامي العالي= خراب.

ونحن نقول أن مصر + نخبتها المثقفة المعينة من الحكومة = خراب.

ونحن نقول أن مصر – إسلام= خراب.

ونحن نقول أن مصر + علاقات مع إسرائيل = خراب.

ونحن نقول أن مصر- علاقات مع غزة= خراب.

ونحن نقول أن مصر + لصوص الحزب الوطني = خراب.

ونحن نقول أن مصر –عقولها المسلمة التي تخاف الله = خراب.

ونحن نقول أن مصر+ شنودة = خراب.

ونحن نقول أن مصر – خيرت الشاطر= خراب.

ونحن نقول أن مصر + ساويرس =خراب.

ونحن نقول أن مصر – رفيق حبيب = خراب.

ونحن نقول أن مصر + القمني وأبو زيد وخليل عبد الكريم ورفعت السعيد = خراب.

نعم.

نحن نقول أيضا أنه عندما يكون التوريث هو القاسم المشترك الأعظم فالخراب قادم لا ريب فيه.

***

لقد حذرت وحذرت وحذرت.

والآن أحذر مرة أخرى.

الطوفان قادم، وأدعو الله ألا يغرق الجميع، بل يقصم من أراد مصر بسوء[1].

***

في مقال بالغ العمق والأهمية يرصد الكاتب الرائع الدكتور رفيق حبيب آليات الاستقطاب الحادثة في المجتمع إلا أنه لا يصل بها إلى نهاياتها.

والمقال طويل ويستحيل تلخيصه لعمقه وتركيزه وهو منشور في موقع نافذة مصر بتاريخ: ٢٧ / ٧ / ٢٠١٠.

ولكننا نقتنص بعض ومضاته –بتصرف واسع يعفى الكاتب من تبعات ما أقول– فهو يرى أن نظم الحكم الحالية في الدول الإسلامية تمثل نوعًا من الاستعمار الداخلي، الذي يمنع مجتمعات الأمة من تحديد اختياراتها السياسية، ويمنعها من اختيار مرجعيتها، كما يمنعها من اختيار حاكمها وممثليها. إلا أن الاستعمار في واقعنا المعاصر أشد قسوة من الاستعمار القديم. إنه استعمار مزدوج. فالاستعمار الداخلي

(١) نشر هذا المقال في شهر أغسطس ٢٠١٠.

يمثلـه حكوماتنـا وشرطتنـا وجيوشـنا، ويضـاف إليـه سـياج آخـر مـن الاسـتعمار الخارجي يحميه ويعضده. وثمة تحالف بين الاستعمارين يصل إلى ما يشبه الامتزاج، لكنه امتزاج صوري، لأن الاستعمار الخارجي هو الأصيل وهو الباقي مهما اختفى ، أما الاستعمار الداخلي فمجرد خادم خسيس خائن لوطنه ولأمته ويمكـن استبداله في أي وقت بل يجب استبداله كل حين وآخر. وهو يجب أن يكـون خسيسـا وكاذبـا ولصا ودمويا وغبيا، ولابد أن يكوّن دائرة واسعة مـن الأتبـاع، والتـابع دائـما أكثـر خسة من متبوعه، لذلك فإن الاستعمار الـداخلي أكثـر خسـة وإجرامـا وجبروتـا مـن الاستعمار الخارجي. كما أن أتباع الاستعمار الداخلي أكثر خسـة وإجرامـا منـه، بدايـة من أجهزة الأمن والإعلام والاقتصاد ومرورا بأجهزة الثقافة والحكم المحلي حيـث تتضافر كل هـذه الأجهـزة عـلى هـدف واحـد: ذبـح الأمـة وتقطيـع أوصـالها وبيعهـا بالقطعـة والحصـول عـلى ثمنهـا. لا يـردعهم ديـن ولا فلسـفة ولا منطـق ولا حتـى حسابات المستقبل. يتحالف الاستعماران الداخلي والخارجي للهيمنة على مقـدرات أوطان الأمة. ويسعى الاستعماران -للحفاظ عـلى وجودهمـا- إلى السـيطرة الشـاملة على مقدرات الأمة وهدمها سياسيا وعلميا واقتصاديا وأخلاقيا ومعنويا وإلى الكبح الدائم والمستمر لإفساد أي محاولة للإصلاح، ولمنع أن يصـل غـير فاسـد إلى منصـب رئيسي. ولمزيد مـن الحيطـة فـإن الإبقـاء عـلى الوضـع الـراهن لا يكفـي، فقـد يحـدث المحذور وتفيق إحدى قوى المجتمع لتكون كالنواة التي تستجمع كل طاقات الأمـة حولها. لتشكل الخطر المحـذور الإبقـاء عـلى الوضـع الـراهن إذن خطـر. ولابـد مـن السعي إلى تفكيك الأمة وإلى إفساد جيشها وبوليسها ووزرائهـا ومحافظيهـا ورؤسـاء مدنها وأعضاء الإدارة المحليـة فيهـا ورجـال أعمالهـا، ولابـد أن يـتم خـلال هـذا كلـه إفسـاد القضـاء والنيابـة والمحـامين والجامعـات والنقابـات والصـحف والإذاعـة والتلفاز والفضائيات والكتاب والصحافيين ولابد قبل هـذا مـن تـدمير الـدين فهـو

الحاضن الأول لكل مقاومة ودفاع عن الحق. لذلك لابد من التركيز عليه، لابد من التنكيل والتشهير والسجن بل والإعدام لعلماء الدين الحقيقيين. ولابد أن يأتوا بالكفار، نعم بالكفار ليجعلوهم رجال دين يعلمون الأمة الحلال والحرام. كما يأتون بداعرات كي يكن مقاييس للشرف، وبشواذ كي يكونوا دعاة للثقافة ومكارم الأخلاق. و.. و.. لابد من إفساد الشارع كله وإجهاض كل قوى المقاومة وإحباطها بالفشل تلو الفشل كي تفقد الأمل في التغيير، ولابد أن يؤدي هذا كله إلى تفتت الأمة إلى دول قطرية، ثم إلى إمارات طائفية تُعلي من العلمانية والقومية، حتى تمنع نمو الهوية التاريخية الحضارية للأمة الإسلامية، وتمنع توحدها، ومن خلال عملية تغريب واسع النطاق، وعلمنة عميقة، يتم إخراج الأمة من هويتها؛ لتكريس هيمنة الطبقات الحاكمة، والهيمنة الغربية. وحتى عملية التغريب والعلمنة تلك لا تتم بالمقاييس الغربية. فما يؤخذ من الغرب الانحلال لا القوة، والفجور لا العلم. صناعة السياحة الجنسية لا بناء المصانع والمفاعلات النووية، وهكذا دواليك.

يسعى الاستعماران إلى حصار الإسلام والإسلاميين بكل السبل، حتى لا يصل إلى الحكم، لكن الإسلاميين لا يركنون إلى الحصار ولا يستسلمون له بل يقاومون ويسعون إلى منع التغريب والكفر عن الناس وإلى الحفاظ على منظومة القيم الإنسانية وإلى الحفاظ على التاريخ والهوية. وبهذا تتم عملية الحصار المتبادل بين الطرفين، فإستراتيجية الإسلاميين تتأسس على بناء القاعدة السليمة أولاً، والنظم الحاكمة لا تستطيع منع تمدد الجماعة بين الجماهير، كما لا تستطيع منع انتشار فكرتها بين الناس؛ لذا يتمدد المشروع الإسلامي في قاعدة المجتمع، وشرائحه المختلفة، حتى يصبح مشروعًا جماهيريًا، مما يدفع النظم الحاكمة إلى حماية نفسها وحماية مقاعد السلطة من هذا التمدد ومنع الحركة الإسلامية عامةً، وجماعة الإخوان المسلمين خاصة من التمدد داخل النظام السياسي. وعليه يصبح النظام الحاكم محاصرًا داخل

المجـال السـياسي، وتصـبح جماعـة الإخـوان المسـلمين محـاصرة داخـل المجـال الاجتماعي.

لقد فشل النظام السياسي في مختلف الدول العربية والإسلامية في مواجهـة تلـك الإستراتيجية، فهي إستراتيجية التمدد الاجتماعي من أسفل، والتي تـؤدي إلى إبـراز هوية المجتمع في المجال العـام، وحضـور هويـة المجتمـع المختلفـة عـن هويـة الدولـة والنظام السياسي، وفشل النظام السياسي في نشر هويته في الفضاء العام خارج نطاق المجال السياسي الرسمي، حتى باتت هوية النظام محاصرةً في البناء الفوقي الرسمي، ويظهر تعارضها مع هوية المجتمع واضحًا.

ولم تستطع النظم السياسية الحاكمة إيجاد حل لتلك المعضلة، أكثر من اهتمامها في كثير من المواقف بإظهار تبنيها للهوية السائدة شكليًّا، فبات النظـام السـياسي يخشـى من هويته العلمانية، ويخشى من المجاهرة بتلك الهوية، فأصبح محـاصرًا بـالرأي العـام المخالف له، حتى بات خطابـه أحيانًـا بـلا هويـة محـددة؛ خوفًـا مـن انكشـاف هويتـه العلمانية بصورة فجّة أمام الجماهير، مما قد يترتب عليه خروج واسع للجماهير عليه.

ويلاحظ الدكتور رفيق حبيب أن النظام يحاول حماية نفسه بتمديد عملية العلمنة في المجتمع حتى يوقف التوسع الإسلامي فيه، ولكن الجماعة في المقابل تصـد عمليـة العلمنة بتعميق إسلامية المجتمع، وتصبح إسلامية المجتمع في حد ذاتها، دلـيلاً عـلى فشل النظام السياسي الحاكم، وأيضًا دلـيلاً عـلى غربـة النظـام السـياسي وهويتـه عـن المجتمع وهويته.

ويعاني النظام السياسي الحاكم من صعوبة نشر العلمنة والحداثة الغربيـة، وتعـاني معه النخب العلمانية المتحالفة معه، والتي تنشر فكرًا ليس له أرضية، ويتعـارض مـع فكر المجتمع وهويته.

وتبدأ معركة المصطلحات بين النظام ونخبه والحركات الإسلامية، ومنهـا جماعـة

الإخوان المسلمين، فالعلمانية تحتاج إلى ساتر من التدليس اللغوي حتى يمكن نشرها، ولكن الإسلامية تنشر بلغتها الصحيحة؛ لذا يحاول النظام ونخبه بث مصطلحات تشوّه الفكرة الإسلامية، أو ترسم لها صورة متطرفة.

***

لقد تحدث رفيق حبيب عن الاستعمار الخارجي والداخلي، وهو في كتاباته أفضل بما لا يقاس من كل العلمانيين، وأعمق من كثير من الإسلاميين، وربما أوجز الحديث، وربما تجنب الألغام، وربما لم يتسع المقام، وعلى الأحرى ربما تناول في مقالات أخرى ما افتقدته في مقاله هذا. ذلك أن التوازن الحادث بين الأمة في جانب، وعمودها الفقري هو الإسلام، وبين أعدائها في الجانب الآخر، من الاستعماريين الداخلي والخارجي، والذي أراد من العلمانية أن تكون عموده الفقري، لكنها فشلت، ولا يعود الفشل للعلمانية نفسها فقد نجحت في أوروبا مثلا، بغض النظر عن تقييم النجاح وعن معناه، بل يعود هذا الفشل إلى أن النظام الإسلامي الباهر قد لفظها بقواه الكامنة ومناعته الذاتية. لفظها كما يلفظ الخبثَ الحديد وكما يلفظ الجسدُ الصديد. كما يعود هذا الفشل من ناحية أخرى إلى نوعية العلمانيين الغربيين مقارنة بأقرانهم في العالم الإسلامي. في الغرب هناك فلاسفة نتفق معهم ونختلف، أما هنا فقد كان جل العلمانيين كالساقطات، كلما ازددن عمرا ازددن نتانة وقبحا ، وهن في كل حال يمنحن ولاءهن –وأجسادهن / أقلامهن– لمن يدفع لهن.

***

فشلت العلمانية إذن في أن تكون العمود الفقري للمشروع التغريبي الذي يستهدف القضاء على الأمة. وهنا حدث أمر خطير جدا مرير جدا وغريب جدا، لقد تقدمت الكنيسة تحت قيادة الأستاذ شنودة لتكون هي العمود الفقري للمشروع المعادي للأمة، للدين وللأمة وللتاريخ وللجغرافيا ليتكرر في صورة فاجعة خيانات

عديدة في منعطفات من التاريخ ، خيانات نحاول دائما الالتفات عنها، حرصا على جار أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم به، ولسنا من أولئك الذين يوشون التاريخ بالأكاذيب لتجميله، وفي نفس الوقت، لسنا من الذين ينبشون الماضي كي يفضحوا العورات، ولكن ليس معنى ذلك أن ننسى. ولعل موقف أقباط مصر الآن تحت رئاسة شنودة، هو ما يذكرنا بتآمر بطريرك الكنيسة المصرية بالاتصال بملكي الحبشة والنوبة للتآمر على الدولة الإسلامية في أولى عقودها في مصر. واشتراكهم في قتل الخليفة الأموي مروان بن محمد بعد أن لاذ بإحدى كنائسهم سنة ١٣٢هـ. كذلك قيامهم بالتمرد مرات عديدة على عديد من الخلفاء الذين حاولوا التسامح معهم ووصل الأمر أن ذكر ابن القيم تململ الخليفة المأمون منهم لدرجة أن المسلمين كانوا يتظلمون منهم أو كما قال «قال عمرو بن عبد الله الشيباني: استحضرني المأمون في بعض لياليه ونحن بمصر، فقال لي: «قد كثرت سعايات النصارى، وتظلم المسلمون منهم، وخذلوا السلطان في ماله»

انظروا سماحة دين يشتكي خليفته-خليفة أقوى دولة في العالم- من أقلية بين رعاياه لا يحميهم من بطشه إلا سماحة الإسلام وحرصه على الآخر.

نحن لا نطالب أن تكون للنصارى في الدفاع عن الإسلام حمية، لكن تلك الحمية مطلوبة منهم عند الدفاع عن الوطن. وربما يكون مفهوما أن يقوم بعض النصارى بمحاربة الإسلام جيلا أو جيلين بعد الفتح. لكن كل مقاومة بعد ذلك كانت خيانة عظمى لأنهم كانوا يرون رأي العين ويعلمون علم اليقين أن المسلمين ليسوا هم الفاتحين بل هم نصارى مصر الذين هداهم الله للإسلام، لكن النصارى في ذلك الوقت استعانوا بالأجنبي الدخيل لينصرهم على إخوتهم وأبناء جلدتهم. تلك الخيانة التي استمرت عبر التاريخ تظهر أحيانا وتتوارى معظم الأحيان، حتى جاء العصر الحديث، تحت رعاية شنودة، ليطالب بعض النصارى بطرد المسلمين

وإعادتهم إلى بلاد البدو. وهو أمر لا يختلف منصف في أنه خيانة عظمى. وأنه ضد المواطنة التي صدعوا رؤوسنا بها. وأن النيابة التي تنكل بالمسلمين بالباطل كان عليها أن تتصدى للخونة بالحق. وأن أمن الدولة كان عليه أن يحمي الدولة لا من يهددون الدولة، وأن السجون كان يجب أن تفتح، والمشانق التي شنقت سواهم كان أولى بها أن تشنقهم (وإن كنا ضد الإعدام إلا بالضوابط الشرعية).. و.. و.. و.. وكان على الدولة ألا ترتعد فرائصها كلما كشر لها عن أنيابه أصغر قسيس.

يقول الدكتور هاني السباعي في بحث قيم في المسألة أنهم -أي النصارى- نقضوا جميع الاتفاقيات المتعلقة بأهل الذمة إلا أن الحكام المسلمين كانوا يعفون عنهم وكان في إمكان هؤلاء الحكام والولاة أن يبيدوهم عن بكرة أبيهم بموجب قانون الحرب وكانت لدى هؤلاء الحجة وهي نقض الأقباط العقود المتعلقة بأهل الذمة، لكنهم للأسف الشديد ظلوا يتربصون بالمسلمين الدوائر خاصة في حالات ضعف الدولة الإسلامية أو في حالات العدوان الذي شنه أعداء الأمة الإسلامية بدأ من الصليبيين الأوائل ومروراً بالعدوان الفرنسي على مصر (١٢١٣هـ) الموافق (١٧٩٨م) وانتهاء بالصليبيين الجدد (احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢م) ثم موقف بعض الضباط النصارى والجنود إبان العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦م عندما كانوا يذهبون للجنود الفرنسيين ويقولون لهم: نحن مسيحيون مثلكم، وكانت فضيحة بكل المقاييس لذلك غضت الدولة الطرف عنها ولم تسلط عليها أضواء وسائل الإعلام خشية غضبة الأمريكان الذين تدخلوا لمساعدة حكومة ناصر في ذلك الوقت. وليس يمنع هذا وجود استثناءات منهم لا يجرمننا شنآن شنودتهم ألا نعدل.

لا نريد أن نغوص في خيانة المعلم يعقوب ولا ما فعله إبان الحملة الفرنسية، وهو الخائن المجرم الذي يحاول بعض النصارى والعلمانيين أن يجعلوا منه بطلا،

والذي ارتعدت فرائص وزير ثقافتنا الهمام أمام غضبتهم عندما أعيد طبع كتاب يكشف خيانته. لكننا فقط نقول أن كل من لا يعترف بخيانته خائن مثله. كما نثبت أنه لم يثبت تاريخيا أن النصارى قاوموا الاحتلال الفرنسي وأن حكاية اختراع بطولات وهمية لتجميل التاريخ كانت مجاملة من المسلمين أو العلمانيين أو لتقليل دور المسلمين. لا نريد أن نغوص في هذا الأمر أكثر من ذلك، لكننا فقط نذكر بالدور الإجرامي -كذلك- لبطرس غالي في البوسنة- وهو غير بطرس غالي الذي سب الدين في مجلس الشعب. وهو حفيد الجد الأكبر بطرس غالي وخياناته معروفة.

لكن كل ما حدث عبر التاريخ كان جزئيا ويمكن احتماله، حتى جاء الأستاذ شنودة، ليجد ظرفا تاريخيا هبط المسلمون فيه إلى حضيض لم يسبق لهم الهبوط إلى مثله، فقاد ثورة شاملة ودبر انقلابا تاريخيا صادف دولة رخوة متحالفة بطبيعتها ومصالحها وضعف عقيدتها مع الاستعمار الخارجي، كما صادف عجزا مشينا وازدواجا فاضحا للمعايير عند النخبة العلمانية الساقطة، ليقع في خطيئة عمره، وليكون هو العمود الفقري للسلطة ضد الأمة. إنه يغازل الحكم بالتوريث، ويضغط لإلغاء إسلامية الدولة، ويبذل كل ما يستطيع لنصرنتها!. وهو الوسيط والشفيع لها عند أعدائها في الخارج. وليس يعني هذا أننا نقلل حجم الإدانة لواحد مثل زقزوق.

لقد وقع شنودة في خطيئة عمره. لأنه ظن أن الإسلام يوشك على التلاشي، وأن الهزيمة الشاملة قاب قوسين. وهو خطأ فادح. سيدفع أتباعه ثمنه، فادحا، فادحا.

***

لن نتتبع في هذا المقال الآثار السلبية الوخيمة التي ترتبت على سياسات شنودة. لا يتسع المجال لاستعراض مفصل، ولا لعودة إلى الماضي القريب، ولا حتى لاستعراض جرح في قلب الأمة ما يزال ينزف، هو جرح الشهيدة وفاء قسطنطين.

لكننا نستعرض في عجالة التفاصيل الحقيقة لقصة مشابهة حدثت مؤخرا للمسلمة الأسيرة كاميليا شحاتة واعتقالها ثم تسليمها للكنيسة. لن ندخل في التفاصيل. لكننا نتناول فقط شيئا هائلا ومروعا وفظيعا حدث. شيء لا نظنه حدث عبر التاريخ، ونظن أن قضية تسليم وفاء قسطنطين للكنيسة كانت استثناء لا يتكرر واجتهاد جاهل أو فاجر أو كافر أو كل أولئك جميعا. ربما كان هناك مجال للفهم – وليس للقبول– فيما حدث للشهيدة وفاء قسطنطين. كان كحادث اغتصاب مفاجئ للأمة نستطيع تفهم الشلل الذي أصاب الضحية بسبب عدم توقعها للحدث. كان كهزيمة ٦٧، وكان يجب ألا تتكرر مرة أخرى. لكن حادثة الشهيدة وفاء قسطنطين تكررت مع كاميليا شحاتة. وتكرار الكارثة يعني وصول أجهزة الدولة إلى درجة من التهتك والانهيار لم يسبق لها مثيل. إنها ليست حادثة وحيدة لذلك فهي تشي بانهيار الدولة كلها. بانهيار المنظومة كلها، بالاستهانة بالكفر وبالشهامة وبالوطنية وبحقوق الإنسان، بـ، بـ. وهنا أمسك عن الحديث.

***

لكننا نسرد النقاط الأساسية الفاجعة في فاجعة كاميليا شحاتة، لقد توجهت إلى الأزهر لإشهار إسلامها، وكان منشورا أمنيا قد سبق إلى الأزهر يحذره فيها من قبول إسلامها ويطالبه بالإبلاغ عنها. لا أحد يعرف التفاصيل الدقيقة. وهل وصلت كاميليا شحاتة إلى مكتب شيخ في الأزهر أم حيل بينها وبين ذلك. لكن المتيقن منه، أنها توجهت إلى الأزهر لتفاجأ بكمين أمني يلقى القبض عليها –كعبدة هاربة– ليسلمها إلى الكنيسة –أو محاكم التفتيش– [1].

***

(١) بعد الثورة توافد موظفو الأزهر وشيوخه ليشهدوا أمام النيابة بأن كاميليا ذهبت مرات وهم يتهربون منها ويرفضون تسجيل إشهار إسلامها بتعليمات من مباحث أمن الشيطان عليهم لعنة الله.

هذا نظام كله ينهار، بكل مؤسساته، هذا نظام وصف المعري مثله بأن رئاسته خساسة، نظام ينهار، ليست رئاسته فقط، بل وأيضا حتى أزهره وكنائسه!.

***

أعترف للقراء أنني ألتزم الحد الأقصى من الحذر والتدقيق في مثل هذه الأمور، عندما بدأت الأخبار تتسرب اتصلت بأصدقائي كي يرسلوا إليّ بالبريد الإليكتروني ما يعلمونه. وأرسلوا. لكن رسالة واحدة لم تصل، مما أيقظ هاجسي القديم، وأيد شكوك بعض أصدقائي بأن بريدي معطل جزئيا فلا يصل إليّ إلا الرسائل التي يريدون أن تصل، وأنني كلما غيرت كلمة المرور اكتشفوها خلال ساعات.

فجأة انفجرت المرارة في قلبي، إن قطاع الاتصالات خطير جدا، بل ويكاد يكون أخطر قطاع إستراتيجي في الدولة، أي دولة. وراجعوا أحداث لبنان في الفترة الأخيرة والقبض على جواسيس لإسرائيل في هيئة الاتصالات اللبنانية. هؤلاء الجواسيس كانوا موظفين في شركة ساويرس للاتصالات. فهو المشرف عليها في لبنان.

يا إلهي.

إنه مسؤول عنها في مصر أيضا.

وفي الجزائر.

وفي العراق.

وفي بلاد أخرى كثيرة.

وفي كل واحدة من البلاد التي يعمل فيها تبدو توترات وشكوك وهواجس، إن رأس المال جبان ويتجنب دائما مناطق التوترات، فلماذا يختار ساويرس مناطق التوتر(تذكروا أن محسن السكري كان موظفا عنده في العراق، وتذكروا قتل السفير).

لكن.

يجمل بي هنا التوقف.

مع رجاء لمستر ساويرس: أعد إلىّ بريدي الإليكتروني!

***

أسقط في يدي، فلا أستطيع الكتابة في الموضوع دون يقين موثق كامل. فوجئت على إحدى الفضائيات بالدكتور حسام أبو البخاري، وهو شاب مذهل في نقائه وصفائه وعلمه وجهاده أعرفه منذ قضية المسرحية الملعونة في الكنيسة الملعونة: «كنت أعمى والآن أبصر».

كان الدكتور حسام أبو البخاري يتحدث عن أن هناك ظاهرة بدت منتشرة وهو إسلام زوجات القساوسة مثل كاميليا شحاتة وقبلها وفاء قسطنطين التي لا يعرف عنها أي شيء حتى الآن وما إذا كانت قتلت أم مازالت على قيد الحياة وأيضاً ماري عبد الله زوجة كاهن الزاوية الحمراء والحاجة إجلال بنت أخت البابا شنودة وأخت الأنبا بيشوي سكرتير الباب شنودة أسلمت هي الأخرى وبالتالي مسألة الفتنة ليس للمسلمين شأن فيها بينما هي أمور تخصهم رغم أنه حينما تنصر بعض المسلمين لم يخرج المسلمون للمظاهرات ولم يخطف من تنصروا ، مؤكداً أن الكنيسة أصبحت دولة داخل دولة وأصبح اسمها دولة وادي النطرون ولها رئيس ومخابرات والأديرة لا يستطيع أحد أن يدخلها.

ووضع د. حسام حلولا لمشكلة الفتنة الطائفية في مصر بقوله : كي لا تصبح مصر لبنان فعلينا كدولة أن نحكم الحكم الشرعي ، وأنادي الأزهر بأن يكون له دور كما للكنيسة دور كبير فأين دور الأزهر ولماذا لا يحمي المتحولين للدين الإسلامي ويتركهم في أيدي من يقتلونهم ويحرقونهم لإعلانهم الإسلام، واليوم في روز اليوسف كتب عن مسيحية أسلمت اسمها ياسمين فوزي قام أخوها وجيه

وابن عمها بخطفها وحبسها في كنيسة الجيزة فأين دور الأزهر؟. كما أضاف أن الكثيرين في مصر يتصرفون كما تصرف الكثيرون أيام الحملة الفرنسية وقبلها أيام التتار. عندما ظنوا أن دولة الإسلام دالت وهيبته زالت فراحوا يتقربون إلى الغازي بالتنكيل بالمسلمين وتشويه صورتهم.

كان الدكتور حسام أبو البخاري رجلا في أمة، وقد قام وحده في قضية المسرحية النجسة بدور يحتاج للآلاف. دور عجزت عنه الدولة. دور لم يقم به رئيس الوزراء- سامحوني أن لم أذكر رئيسه- ولا النائب العام ولا وزير العدل ولا النيابة ولا القضاء ولا الصحافة ولا الفضائيات، فتصدى له الدكتور حسام وحده تقريبا فنجح فيه أيما نجاح. ولقد كتبت عن تفاصيل الأمر أيامها بعنوان: «النصارى يحكمون مصر، والبابا يتبختر كقيصر». وأردت أن أشيد به، لكنه أبى تماما أن أذكر اسمه مجرد ذكر، وكان إنكارا للذات جدير بمن يحتسب عمله عند الله ويخشى أن ينقص من أجره الإعلان عنه[1].

بعد مرور هذه الأعوام أبيح لنفسي أن أعلن عن اسمه. حيث وصفته في ذلك المقال بـ:«الشاب النبيل».

***

أقول فوجئت بالشاب النبيل حسم أبو البخاري على إحدى الفضائيات يؤكد إسلام كاميليا شحاتة والقبض عليها بتهمة ارتكابها جريمة «الإسلام»!!، وتسليمها إلى محاكم التفتيش.!!

***

يا إلهي، لشد ما ولطالما فضحونا بأحكام الطاعة التي تنفذها الشرطة على الزوجة الناشز، وهي أحكام لم أر حكما واحدا منها ينفذ ولا أظنها من الإسلام حتى ولو

(١) راجع المقالة الأولى في هذا الكتاب.

قال بها رأي فقهي فالفقه متغير[1]. فضحونا بأحكام الطاعة وبالضغط علينا كي نبيح تغيير الأديان واحتفلوا أيما احتفال ببضعة قرود تنصرت وأشعلوا النيران في الوطن من أجل استعادة من أسلمن وتبخرت في رؤوسهم أبخرة المواطنة وحرية العقيدة.

***

إن الحادث لا يقتصر على حدوده. إنه يعنى انهيارا كاملا. فالكل يعرف أن تسليم مسلم لمسيحي لكي يرده عن الإسلام هو الكفر بعينه. الكفر المخرج من الملة. الكفر الذي يقول فيه الفقه أنه من لم يكفر الكافر فقد كفر. ومع ذلك فقد شارك في هذا الكفر كل من روعها وخان الله ورسوله داخل الأزهر ليحملها إلى وكر الشيطان، وكل من ساعد وساهم وتستر ورضخ ولم يعترض.

لقد سقط القانون والقضاء والمحاماة وسقطت السلطات جميعا، بل وسقط الدستور نفسه، سقط الوطن.

***

لقد حذرت، وأحذر مرة أخرى أن مخزون الغضب عند النار قد جاوز حدود الانفجار، وفي أي لحظة سوف ينفجر، ومن المؤكد أن جزءا من انفجاره سيتوجه إلى النصارى، الذين استقووا بالغرب ليذلوا المسلمين، تماما كما حدث أيام التتار والحملة الفرنسية.

الانفجار قادم لا ريب فيه فانتبهوا، لأن سيكلوجية الجماهير الغفيرة تختلف عن سيكلوجية الأفراد. وسيتوجه غضب الناس عند القهر لمن امتهنوهم وساموهم العذاب سواء من نظام الحكم أو من النصارى، لكنهم سينالون من الأقرب فالأبعد

(١) الرأي الفقهي هو امتناع الزوج عن الإنفاق إذا أصرت الزوجة على عدم طاعته فإن فشلت كل محاولات الإصلاح بينهما حكم القاضي بالطلاق ولو دون إرادة الزوج.

وقد ينفسون عن غضبهم من الحكومة والحاكم في التنكيل بالنصارى.

الانفجار قادم، وأحذر من ميليشيات شبه عسكرية في الكنائس فإن خمسين مسلحا يقدرون على مواجهة عدة آلاف غير مسلحين خاصة إن كان لدي الأوائل حصون مشيدة ودعم جوي!! والله وحده يعلم حقيقة ما يقال عن السلاح المخزون. فليس هناك مسؤول يجرؤ على اقتحام كنيسة ولو لتأمين الوطن.

***

يا رئيس الجمهورية يا رئيس الوزراء يا وزراء يا قادة يا كتاب يا صحافة يا، يا.. يا.. : إن الأمة في خطر.

لكن.. هل استنجدت بمن ينقذني أم بمن يسلمني إلى سكين الجزار!.

***

الكارثة التي حدثت والجريمة التي ارتكبت هو أن الكنيسة لعبت دور العمود الفقري الذي يبرر ويغطي ويحمي. ولولا الكنيسة لبدت سوءات العلمانيين العملاء. نقلتهم الكنيسة من خانة العملاء والخونة إلى صفوف الليبراليين والتنويريين. ولم يكن الأمر كذلك. لم يتطهروا، وإنما تدنس بعض آباء الكنيسة وخانوا، وكيف لا يفعلون وقد خان أجدادهم عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم.

***

أعطت الكنيسة -كعمود فقري- الحماية للعلمانيين، كانوا كديدان البلهارسيا والإنكلستوما والإسكارس فقدمت لهم الكنيسة العائل الذي يقتاتون عليه ولا يستطيعون الحياة بدونه. حمتهم وحمت أكاذيبهم وغطت على عمالتهم. وانظروا على سبيل المثال ما حدث مع الدكتور نصر حامد أبو زيد، وكيف كان الشاذ -باعترافه- رؤوف مسعد أعلى الأصوات المدافعة عنه. لم ينافسه إلا جابر عصفور.

لقد تحول موت الرجل –كحياته– إلى مهرجان للهجوم على الإسلام والمسلمين.

ودعكم من الطلاء الذي يغيرون به ألوانهم والأقنعة التي يخفون بها ملامحهم.

***

هل أحدثكم؟ .

هل أحدثكم؟ .

هل أحدثكم؟ .

***

لقد حذرت وحذرت وحذرت.

وأحذر مرة الأخرى.

الانفجار قادم.

الانفجار يوشك[1].

أحذر وأنذر.

أن العلاقة بين المستعمر الخارجي والاستعمار الداخلي مهما بدت وثيقة وقوية إلا أنها تشبه العلاقة بين القواد وبيت الدعارة الذي تمارس فيه الخطيئة، وأنه مهما كانت هذه العلاقة وثيقة فإن القواد لا بد أن يغير فتياته كلما فاحت رائحتهن مهما بلغ من إخلاصهن له.

أليس هذا هو ما حدث مع شاه إيران ومع.. ومع.. ومع.؟؟!

من أجل ذلك أحذر وأحذر وأحذر.

(١) نشر هذا المقال في أغسطس ٢٠١٠ . وقد تم الانفجار فعلاً في ٢٥ يناير ٢٠١١م.



يا نصارى :

خذوا حقوقنا وأعطونا حقوقكم

باهلونا أو بادلونا ...

باهلونا أو بادلونا!!

شق الخبر قلبي.

انفطرت.. وانشطرت..

انفتق جرح لما يلتئم، حتى وإن بدا من الظاهر أنه التأم لكنه في أعمق الأغوار مفغور لا يكف عن النزيف.

كرامتي أيضا راحت تنزف.

كان طول جرحي لا يقاس بالبوصة أو بالسنتيمتر بل بالزمن.

وكان طول الجرح ألف عام، كان كل عام منها ينقض من الإسلام عروة ويهدّ لبنة ويشرخ جدارا وينكأ جرحي،

هكذا انتكأ الجرح في عام ٦٧، ويوم زيارة السادات لإسرائيل ويوم حصار بيروت ويوم غزو أفغانستان، ويوم اقتحام الشيشان ويوم انفصال تيمور ويوم عجز كشمير عن الاستقلال، ويوم نشر وزارة الثقافة وليمة لأعشاب البحر، ويوم سحق العراق، ويوم سقوط بغداد، وأيام انسحاقنا، ويوم صرح ولاة أمورنا أننا على الحياد بين فلسطين و إسرائيل، ثم يوم تمنيت أن نكون فعلا على الحياد بين فلسطين وإسرائيل!!، ويوم استشهاد كمال السنانيري، ويوم استشهاد الشيخ أحمد ياسين، ويوم قصف غزة، ويوم محمد الدرة، ويوم إيمان حجو، ويوم الجدار الفولاذي، ويوم توغلي في التاريخ لأكتشف يوما بعد يوم في التاريخ والجغرافيا شواهد قبور كانت يوما بلادا للمسلمين استولى عليها النصارى (٩٣٪ من مساحة الاتحاد السوفيتي السابق كان في الأصل بلادا إسلامية). وكذلك جل شرق أوروبا، ويوم اكتشفت أن باقي البلاد الإسلامية لم تعد تحتفظ من الإسلام إلا كما يحتفظ طائر زينة ريشه وجلده المحنط، بعد أن فقد القلب النابض والعقل والحياة، ويوم اكتشفت خططهم ومؤامراتهم ضد الدولة العثمانية التي تشظّت وتفتّتت إلى خمس وثلاثين

دولة، وأنهم الآن يريدون إعادة الكرة على الشظايا، ويوم اكتشفت، ويوم، ويوم، ويوم، بل كل يوم، كل يوم، كل يوم، وتواصلت الأيام واتصل الجرح ليصبح طوله ألف عام، وظل ذلك يحدث حتى انتهى بنا الأمر إلى تلك المذلة والمهانة، وتلك الأسرة المصرية المسلمة يحاط بها ويحاصرها القهر فلا تجد ملاذا إلا كنيسة تعتصم بها لتنشد عدلا لم تجده لدينا كأمة ودولة وشيوخ وعسكر، ولا حتى ككتاب ومثقفين.

ليس مهما السبب، ولا التفاصيل أيضا مهمة، ولا حتى كون الأسرة على حق أم على باطل مهما، لكن المهم، أن هذه الأسرة حين حوصرت. حين ظلموها ولم تجد لها من دون الله ناصرا، حين قهرت، حين لم تجد في كل من حولها ملاذا، حين قنطت، حين استبد بها اليأس، لم تجد هذه الأسرة المسلمة إلا الكنيسة تعتصم بها وإلا القسيس تلوذ به.

***

تفاصيل الخبر نقلته بعض الصحف والمواقع الإليكترونية على الشبكة العنكبوتية وسط تعتيم ملحوظ.

قال موقع دبي- العربية نت:

قرر أب مصري مسلم اللجوء إلى إحدى كنائس مدينة العريش للفت الأنظار إلى مطلبه بالإفراج عن ابنه الموقوف منذ أشهر، إلا أن محاولته باءت بالفشل.

(...)

يشار إلى أن مئات من أبناء سيناء رهن التوقيف من قبل السلطات لأسباب جنائية وسياسية، ويقوم ذووهم وناشطون بالتظاهر للمطالبة بالإفراج عنهم أو إحالتهم للمحاكمة، وتقع اشتباكات بين هؤلاء المواطنين وقوات الأمن بين حين وآخر، كان آخرها يوم الجمعة الماضي، أمام مسجد الرفاعي بالعريش.

حينما قيل لأحد أكبر المسئولين على سبيل الشكوى أن التنكيل بأهل سيناء

وخاصة العريش قد جاوز كل حد يمكن احتماله و أن عدد المعتقلين في العريش وحدها ٢٥٠٠ معتقلا علّق ساخرا وغير مصدق -ومتجاهلا الجزء الأول من الملحوظة- أن سكان العريش لا يتجاوزون هذا الرقم!. أما أحد الوزراء فقد اختزل الرقم فنزل به من ٢٥٠٠ إلى خمسة معتقلين فقط!.

***

نعود إلى الأسرة المسلمة، الأسرة الحزينة المسلمة، الأسرة المقهورة المسلمة، الأسرة الذليلة المسلمة، الأسرة التي شاركنا في قهرها وإذلالها جميعا، جميعا، جميعا، جميعا، جميعا، جميعا، جميعا.

فتحت عنوان: «الأقلية المسلمة في مصر!»كتب محمود سلطان في عدد «المصريون»في ٠٣-٠٤-٢٠١٠:

في مدينة العريش يوجد شارع اسمه «شارع الأزهر »توجد به «كنيسة قبطية»!، هذه المفارقة من ألطف ما عرفت، لأنها تحمل في دلالتها ورمزيتها مخزون التسامح الذي احتضن المصريين جميعا مسلميهم ومسيحييهم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، لكن المفارقة المدهشة حقا، أن أسرة مسلمة من العريش اعتصمت يوم أمس الأول الجمعة (٢/ ٤/ ٢٠١٠) داخل هذه الكنيسة، خوفا من بطش الأمن بها من جهة، ولحمله على الإفراج عن ابنها المعتقل من جهة أخرى!

الأسرة المسلمة لم تلجأ لإمام مسجد أو للمسجد ذاته، ولم تلجأ إلى أعلى سلطة أمنية في محافظة شمال سيناء «مدير الأمن» ولم تشك للنيابة العامة ولم تحرك دعوى قضائية مباشرة أمام المحاكم، ولا احتمت بشيوخ القبائل ممن يتمتعون بهيبة ووجاهة عائلية واجتماعية كبيرة في سيناء، ولم تتظاهر أمام مجلس الشعب ولا على سلالم نقابة الصحفيين، وإنما اعتصمت في «كنيسة» طلبا لـ «الرحمة» وإنقاذا لها من حفلات تعذيب متوقعة!.

راعي الكنيسة تدخل ـ فعلا لدى مباحث أمن الدولة، والتي أرسلت بدورها «تشريفة» اصطحبت الأسرة إلى مقرها لـ «التفاهم» معها بشأن ترتيبات الإفراج عن نجلها المعتقل!

المعلومات الواردة من العريش قالت إن ضابط امن الدولة المسؤول استقبل الأسرة وكاهن الكنيسة بحفاوة غير معهودة وقدم لهم ما لذ وطاب من «مشاريب» متعهدا لـ «الكاهن» بأن المسألة «بسيطة» وستحل، لم تكن تحتاج إلى أن «يكلف خاطره» ويحضر بنفسه جلسة التفاهم «المخملية»!

التقارير الصحفية التي نشرت ظهر أمس نقلت عن شقيق المعتقل «إنهم لجؤوا إلى هذا الأسلوب بعد أن ضاقت بهم السبل»!

هذه الأسرة ـ على بساطتها ـ كانت شديدة الذكاء، واستقر في وعيها مدى «الدلال» الذي يحظى به المسيحيون المصريون، وأنه باتت لهم «حصانة »خاصة ولا يجرؤ أي مسئول في البلد مهما علا قدره أن «يتجهم» في وجوههم أو أن يرفض لهم طلبا، بل إن كنائسهم باتت من العصمة على النحو الذي يجعلها بمنأى عن أي «مغامرة» أمنية شرعت في أن تعيدها إلى سلطة الدولة.

الكنيسة «الآمنة» اليوم باتت ملاذا للمضطهدين المسلمين، والموقف الذي حدث في العريش ربما يصحح الصورة، وربما أيضا يعطي معنى جديدا ومستحدثا لمفهوم «الأقلية» مناقض تماما لفحواه ومعناه الدارج، فالأقلية ـ في النموذج المصري ـ ليست هي الفئة أو الطائفة الأقل عددا وإنما الجماعة الأعلى صوتا ومشاغبة وابتزازا للدولة والأكثر قدرة على إخافة النظام من «الخارج»!.

ويواصل الأستاذ محمود سلطان:

شكرا للكنيسة القبطية في شارع الأزهر بالعريش وشكرا للأسرة العريشية التي أعادت ـ وبلا سفسطة ولا فلسفة ـ تصحيح صورة البلد أمام العالم، وتطالبه بحماية

«الأقلية» المسلمة في مصر.

***

ما الذي أوصلنا إلى هذه المهانة؟ .

وما الذي أوصل هذه الأسرة إلى هذا الحال؟ !.

كم من الملوك وكم من الرؤساء ساهموا في هذا الانهيار.

كم مائة وزير شارك في هذا الانحدار.

كم مائة ألف ضابط سيسألهم الله يوم القيامة ويعاقبهم عقاب من صد عن سبيل الله، وكم مليون جندي.

كم من هؤلاء وأولئك كانوا أشد تأثيرا في التنصير من عتاة المبشرين.

كم، وكم، وكم.

يصيبني الذهول.

كيف هان على كل هؤلاء دينهم.

كيف استطاعوا الاحتفاظ بكيانات متماسكة لا تنهار.

ذلك أنهم احتفظوا بأمرين في نفس الوقت، بالشيء وضده.

قالوا بأنهم ما يزالون مسلمين في الوقت الذي دأبوا فيه بكل همة ونشاط على هدم الإسلام والمسلمين.

والأمران لا يجتمعان.

تماما كالداعرة التي تصلي خمس مرات كل يوم وتزني خمس مرات كل يوم، فإما أن تنهها الصلاة عن الزنا أو أن يكفها الزنا عن الصلاة.

كذلك..

إما أن ينهاهم الإسلام عن محاربة الله ورسوله والمسلمين أو أن يدفعهم حربهم

وطواغيتهم إلى الردة.

في هذه النقطة بالذات يجب أن يبحث الباحثون.

كيف جعلوها تزني وتصلى.

وكيف جعلوه يصلي وينكل بمن يصلى!.

كيف اجتمع هذا وذاك، أي عقار رهيب مثبط لمناعة القلب والروح أعطوه لجهاز الأمن الباطش الجبار ولجهاز الإعلام الفاجر كي يجمعوا بين الشيء وضده، دون عذاب للضمير، ودون انهيار.

كان يمكن أن أفهم لو أنهم فعلوا كعسكر أتاتورك ووزرائه، لو أنهم أعلنوا الكفر وجهروا به، وارتدوا عن الإسلام وسخروا منه.

أما أن يجمعوا بين هذا وذاك فأمر محير.

وفي بحر الحيرة المتلاطم سقطت البديهيات وتعارضت المسلّمات، والتجأت الأسرة المسلمة للكنيسة لا للمسجد، للقسيس لا للشيخ.

***

ذكر أبو الفرج بن الجوزي – عن سير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – أن العزيز قد ولى عيسى بن نسطورس النصراني أمر مصر ، واستناب منشا اليهودي بالشام ، فكتبت إليه امرأة : بالذي أعز اليهود والنصارى بمنشا وابن نسطورس ، وأذل المسلمين بك.

أما أنا فأقول : أن النصارى عزوا بشنودة وعز اليهود بذلّكم وذل المسلمون بكم يا ولاة أمورنا.

***

إن ما ذكرته بروتوكولات حكماء صهيون يتحقق الآن بكل سرعة وبراعة وإتقان في الشر، إن هذه البروتوكولات تعلن صراحة عن هدفها النهائي، وهو أن تدفع كل

الشعوب إلى اليأس من حكامها وحكوماتها كي تلجأ إلى اليهود مطالبة بحكومة عالمية واحدة، يقول البروتوكول العاشر: «إن حكمنا سيبدأ في اللحظة التي يصرخ فيها الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم - وهذا ما سيكون مدبرا على أيدينا - فيصرخون هاتفين: اخلعوهم وأعطونا حكما يستطع أن يمنحنا السلام والراحة، لكن لكي يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء لابد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكام، اضطراب يستثمر العداوات والحروب والكراهية والموت استشهادا أيضا، هذا مع الجوع والفقر، وسيستمر كل ذلك إلى الحد الذي لا ترى شعوبهم الأمل في أي مخرج من المتاعب غير أن يلجؤوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة..

ربما.

ربما.

ربما لو كان في العريش معبد يهودي لفضلته الأسرة المستضعفة المستذلة عن المسجد وعن الكنيسة.

***

لم يأت التجاء الأسرة المسلمة إلى الكنيسة من فراغ.

ثمة ممارسات تمارس، إن كانت مقصودة فهي الخيانة العظمى وإن كانت خبط عشواء فبعض أنواع الخطأ أشد سوءا من الخيانة.

في تقرير يرصد هذه الممارسات عبر زيارة تقصي حقائق قام بها كل من: د. ليلى سويف، د. عايدة سيف الدولة و أ.أحمد سيف الإسلام حمد و د. ماجدة عدلي) هؤلاء شكلوا لجنة تقصي الحقائق، يذكر تقرير اللجنة كيف يعامل الأمن أهل سيناء، بل وكيف حاول منع الناس من لقاء اللجنة والحديث إليها وكيف عاقب بقسوة من تحدث إلى تلك اللجنة، قسوة أوصلت الشاهد إلى شلل نصفي في جانبه

الأيمن وفقدان البصر والقدرة على الكلام. يبدأ التقرير بتلك الملحوظة :

ملحوظة: ليلة أمس، الثلاثاء الموافق ٢٣ نوفمبر، وأثناء تحضير هذا التقرير في صيغته النهائية نما إلى علمنا أن شابا آخر ممن قابلناهم في تلك الزيارة تم اعتقاله من قبل مباحث أمن الدولة، حيث أمضى يومين معصوب العينين، تعرض خلالهما لصنوف بشعة من التعذيب، وهو يرقد الآن في أحد مستشفيات الجمهورية حيث يعاني من شلل نصفي في جانبه الأيمن وفقدان البصر والقدرة على الكلام.

ويستطرد التقرير:

١٤٠ سيدة تم القبض عليهن كرهائن، تصريح على لسان مسؤول أمن سيناء (شمال وجنوب) يقدر عدد المعتقلين بـ ٢٥٠٠ معتقل ومحتجز (دون حساب الرهائن). جاء هذا في حديث مع المشايخ وأعضاء المجلس المحلي ومجلس الشعب، تم الإفراج عن ٣٢٠ من الرهائن ليلة عيد الفطر، أغلبهم ممن وردت أسماءهم في بيان اللجنة الشعبية لحقوق المواطن بسيناء. كل من تم الإفراج عنهم تم تخويفهم وأمرهم بعدم الاتصال بمنظمات حقوق الإنسان، النقاب ينزع من على وجوه النساء في الشوارع، لم تعد هناك نساء يسرن في الشارع وحدهن، الرجال حلقوا لحاهم خوفا من الاشتباه، قصص التعذيب تتراوح ما بين التعليق من خلف وشد الرجلين بالحبال، وكهرباء توصل عن طريق مشابك تربط في أصابع الرجل، عصي لها طرفين في نهايتها تشبه ولاعة البوتاجاز لها ثلاث مفاتيح، توضع على المناطق الحساسة وتتسبب في سيحان الجلد ويخرج منها رائحة الجلد المشوي، لم يتركوا أحدا، اعتقلوا حتى المعاقين عقليا، الأسئلة التي وجهت للناس: بتحب أمريكا؟ بتحب إسرائيل، أيه رأيك في عملية طابا؟ بتصلي فين؟ بتعرف مين؟ إيه رأيك في عمرو خالد؟ في الشيخ كشك؟ يقول المفرج عنهم أن بعضا ممن حضروا التحقيق كانوا حمر الوجوه حليقي الرأس يرتدون نظارات سوداء ولا يتكلمون، كانوا يهجمون على المساجد، يضعون أكياسا

سوداء على رؤوس المصلين ويأخذوهم في البوكسات.

***

هل تذكرون قصة أحمد العريشي الذي حكيت لكم قصته في المقالة السابقة؟ .

ها هي ذي الأمور تتجاوز حتى ما تصوره.

عزّ النصارى بشنودة وعز اليهود بذلّكم وذل المسلمون بكم يا ولاة أمورنا.

***

استمعت اللجنة لأحد الرجال المفرج عنهم، قال:

(...)

جم وش الصبح، بالرشاشات والمسدسات، فتشوا البيت والدواليب، سألوا عن (م) ومراته، قلنا لهم ما شفناهمش من يوم ما فطروا معانا في أول يوم رمضان، أخدوا الولد الصغير لحد ما (م) يسلم نفسه، وأخذوا أخاه، الناس خايفة، البنت راحت سلمت نفسها عشان يسيبوا أخاها الصغير، خلوهم خمسة أيام عندهم وبعدين خرجوهم، كانت حاملًا في أربع شهور، بعد ما خرجت رمت حملها، حتة لحمة صغيرة عمرها ييجي أربع شهور، العيال بقت بتصرخ والنسوان خايفة، حتى الرجالة حلقوا دقونهم، كانوا يمسكوا الراجل من دقنه يشدوها يطلع الشعر في أيديهم ومعاه الدم عليه، حسبي الله ونعم الوكيل.

(...) يضيف الأب الشيخ:

زمن الاحتلال خبيت عندي سبع عساكر مصريين و٢ ضباط، خبيتهم لمدة ٢٠ يوم وساعدتهم يهربوا ولحد النهار ده بيتصلوا بي، احنا نتحمل كل ده ليه من الحكومة؟ ده الاحتلال ما عملش فينا كده، هو فيه إيه؟

***

عزّ النصارى بشنودة وعز اليهود بذلّكم وذل المسلمون بكم يا ولاة أمورنا.

في تقرير زيارة تقصي حقائق استمعوا لأحد الأبناء المفرج عنهم، قال:

يوم ١١/٧ الساعة ٢ الصبح سألوا عليّ ما كنتش موجود في البيت، أخدوا أخويا، رحت الأمن الصبح، قلت لهم أنا جاي مكان أخويا، أخدوني وما طلعوهوش لحد دلوقتي، من ٩ بالليل يبدأ التحقيق والتعذيب، نطلع فوق، الضرب والسب، مش هتتكلم؟ تعرف مين؟ سألني كام سؤال، سألني عن أخويا. طب أخويا عندهم هأعرف إزاي، مش هتتكلم؟ طيب خدوه! كنا متغمين، جردوني من ملابسي تماما وربطوا ايديا ورجليا علقوني من ايديا وانا واقف على الترابيزة بعدين رفسوا الترابيزه بعيد وسابوني متعلق وهم بيشدوني من رجليا، ست ساعات، وهم يعلقوني وكهربوني، وأنا متعلق ثبتوا مشابك في صوابع رجليا وكهربوني، كنت مربوط، جسمي بيرجف ومش عارف اتحرك، بعد شويه ما كنتش حاسس بالكهربا من كتر الألم في دراعاتي، كان جسمي بيترج يمين وشمال من الكهربا وأنا متعلق، بعدين رموني على الأرض، كان عليها ميه وكانت بتكهرب، بعدين علقوني تاني، وطول الوقت ضرب في بطني ورجلي، علامات التعذيب لسه باينه على ضهري وايديا زي ما تكون محروقة (شاهدنا على المعصمين شريطين من الجلد المحروق، بعضه لازال محتقنا، بعرض ٤-٥ سم).

(...)

هاني أبو شتيته خلعوا ضوافره وكسروا رجليه، لما سألنا عليه قالوا نقلناه مستشفى العريش، بس ما حدش هناك راضي يقول حاجة، الناس خايفه، أنا إيديا زي ما أنتم شايفين، مش عارف أعمل حاجة لنفسي، ولا حاجة».

قال الأخ الرهينة: أخدوني فجر الجمعة، سألوني أخوك بيروح فين؟ مين بييجي له؟ قال لي هتقول الصراحة ولا تتعلق، طول الليل صراخ من الساعة ٩ مساء للساعة أربعة الصبح، قعدنا يومين، أخويا جه سلم نفسه، ربطوه، وعلقوه وكهربوه

من الساعة ٩ لحد الصبح، أخويا التاني لسه عندهم وما نعرفش وين.

(...)

الأم (حوالي ٧٠ سنة)

هو اللي كان مخللي باله من أبوه العاجز، كان هو اللي بيأكله وبيحميه، دلوقتي مفيش حد، الأولاد الاتنين ايديهم باظت ومفيش حد معايا، حسبي الله ونعم الوكيل، الواد هو اللي كان بيراعي أبوه، أبوه مشلول بيعمل على روحه، كان بيحميه كل مرة يوسخ نفسه، أنا عجوزة ما أقدرش، أعمل إيه، وإخواته طلعوا من السجن إيديهم عاجزة، مين يراعينا ومين يصرف علينا، حرام عليهم، خليهم يرجعوا الولد (الأب نائم في الفراش، عمره يتجاوز الثمانين عاما، مشلول، تقريبا لا يسمع، في حجرته حاجز وراءه حمام).

(...)

الأم:

أول ما جم أخدوا حسام ١٦ سنة، طالب في دبلوم تجارة، ده كان قبل رمضان بـ ٩ أيام مع آذان الفجر، سألوني مين عندك، قلت . حسام، أخدوه وجريوا، يوم ١٠ رمضان أخدوا الأربعة الباقيين.

كانوا عاوزين ياخدوا البنت (١٢ سنة). هربت من البيت، العريش كلها قعدت بره بيوتها حوالي ١٣ يومًا. الحكومة قعدت هنا في البيت لما مشيت تلات أيام، خمسة من الأمن، أي ضيف ييجي يطلبوا من بنتي إنها تفتح الباب ويا إما ياخدوهم يا إما يسألوهم بس، الناس بقت تخاف تزورنا أو تسأل علينا، أخدوا مرات حماده كانت حامل، لفوا بيها في العربية عشان تدل على أصحاب جوزها، نزفت من كتر اللف في العربيات. مرات اسماعيل كهربوها في صوابعها، لما راحت البنت تسأل عن أخيها قال لها عدي جوه لحسن أطلع ميتين أمك، وشتم سمر وقال لها: يا بنت المرة الوسخة: ومرات إسماعيل شد النقاب من على وشها، وقت ما حجزوا مرات (ح)

كان فيه ٤٥ ست فوق بعض ولما يدخلوا الحمام يفوتوا على الرجالة وكانت بتسمع صوت رجاله بيصرخوا، وشافت إسماعيل متعلق عريان قدامها.

(...)

فيه واحدة زميلتي في الشغل كانت في السوق، قالوا لها : اخلعي النقاب، رفضت، ضربوها رصاصة في كتفها، بقوا يقلعوا النسوان النقاب بالعافية ويضربوهم بالشلاليت، أنا شفت ده بعيني، إن شغلي قريب من السوق وبأشوف الستات لما ده حصل لهم، وأخدوا ابني يسألوه عن مكان الحاجة لما سابت البيت.

***

هل علمتم الآن لماذا التجأت الأسرة المسلمة للكنيسة؟ .

لأن النصارى قد عزّوا بشنودة وعز اليهود بذلّكم وذل المسلمون بكم يا ولاة أمورنا. يا وزراءنا ويا ضباط أمننا ويا نخبتنا المثقفة الخائنة،

***

هل لاحظتم رقة ضابط الأمن مع كاهن الكنيسة؟ .

هل هي الرقة أم الجبن أم النفاق أم الخسة ؟ !

مركز النديم للعلاج والتأهيل النفسي لضحايا العنف يجيب بطريقته الخاصة فيرصد الجانب الآخر، يرصد كيف يعامل ضابط الأمن المهذب الرقيق في تعامله مع الكهان والقساوسة وكيف ينقلب على عقبيه في التعامل مع الشيوخ، يسرد المركز وقائع تعذيب أحد شيوخ المساجد، ويروي حكاية علقة ساخنة لإمام مسجد داخل أمن الدولة بالعريش بعد خطبة عن رعاية اليتيم. وقد نشرت صحيفة «المصريون بعض التفاصيل »: فقد قام ضابط برتبة مقدم بمباحث أمن الدولة بالعريش باستدعاء إمام وخطيب مسجد أم القرى الشيخ محمد عبد الحميد ـ وذلك بعد إلقائه خطبة الجمعة عن رعاية اليتيم ، إلى مقر أمن الدولة بالعريش وانهال عليه

بالسب والشتم وسب الأم والأب ثم قام الضابط محمد رضا بضرب الشيخ على وجهه وعلى صدره ضربا مبرحا وهدده بالاعتقال إذا رآه مرة ثانية في مكتبه.

وكان نفس الضابط قد قام باستدعاء الشيخ المثالي بالمحافظة وإمام وخطيب مسجد أبو هريرة بالعريش الشيخ عبد الله القطب وقام بسبه وشتمه بأفظع الألفاظ الجارحة وشتم الأب والأم ، وقام بتهديده بتلفيق قضية أموال عامة واعتقاله وصعقه بالكهرباء وتعذيبه ، وتتطاول على أئمة المساجد بأفظع الألفاظ.

وقام الشيخ محمد عبد الحميد والشيخ عبد الله القطب بتقديم بلاغ إلى المحامي العام بنيابة شمال سيناء.

وتعجب قطب من موقف مدير عام أوقاف شمال سيناء والذي يقف موقفاً متخاذلاً أمام ما يتعرض له الأئمة من انتهاكات وإهانات من الأمن وقال : إننا أرسلنا فاكسات عاجلة لكل من وزير الداخلية ووزير الأوقاف وشيخ الأزهر ومحافظ شمال سيناء لإطلاعهم على ما نتعرض له.

***

كم شيخا حرموه من العلاج حتى مات فوضعوا العلاج في جيبه بعد موته كي يداروا جريمتهم، بالمناسبة أحدهم اسمه محمد عبد الهادي.! وآخر اسمه فهد محمد نور الدين، فقط على سبيل المثال.

هل جن أحدهم كما جن حمدان من التعذيب، لم يكن متهما بشيء، أخذوه رهينة حتى يسلم أخوه نفسه، وسلم الأخ نفسه، وأصابه ما أصابه، ثم أفرج عنه، لكن أخاه الرهينة لم –ولن – يفرج عنه أبدا، لأنه قد جن من التعذيب!. ليس حمدان وحده، بل هناك مئات وربما ألوف مثله ولكن ضاق عنهم الحصر. خمسة أعوام من التعذيب المستمر وسحق الكرامة سبب كاف للجنون.

***

سعد عبد الحميد كان واحدا ممن جنوا. كان يطالب بنقل الكعبة إلى سيناء توفيرا للمشقة والإنفاق ، وألا يكون لرمضان ميعاد محدد وإنما يختار له أكثر الشهور اعتدالا .

هل حدث لأحد من النصارى ما حدث لأحمد صبح وأشرف الطرابيبي -على سبيل المثال فقط- عندما كان الضابط يطالبهما بمضاجعة الجدار طالبا منهما- ومنهم- مولودا جديدا، وبسرعة.

وكانا يضاجعانه في الحفل الموسيقى الوحشي حيث مصدر الموسيقى صوت السياط.

كم نصرانيا أمر الضابط أمين الشرطة أن يبول في فمه، فيموت المسكين قهرا.

هل تعرض النصارى لتعذيب دفعهم لطلب التنازل عن جنسيتهم وطالبوا الأمم المتحدة أن تبحث لهم عن جنسية بديلة هربا من التعذيب.

هل تعرض النصارى لتعذيب دفعهم لطلب ترحيلهم لسجون إسرائيل ومنهم الشيخ محمد الشرقاوي وآخرون.

هل تعرض النصارى لتعذيب دفعهم لطلب إعادة تسليمهم إلى المخابرات الأمريكية التي كانت تعذبهم لكن عذابها كان أخف، من هؤلاء كان أحمد محمد العجمي.

لقد طالب رضا عسكر بطل الجمهورية في الكاراتيه اللجوء إلى إسرائيل. أما أشرف الشرقاوي وأيضا الحاج محمود مصطفى إبراهيم وآخرون فقد طلبوا تغيير ديانتهم إلى النصرانية كي يفرجوا عنهم!.

هل تعرض النصارى لما تعرض له المسلمون من هجوم الآلة الإعلامية الجبارة للسلطة مدعومة بميديا الغرب والتي قدمت الضحايا على أنهم مجرمون إرهابيون يستحقون الاعتقال والسجن والمحاكم العسكرية والقتل بأحكام المحكمة أو خارج

نطاق القانون.

يقول الدكتور محمد الدريني في كتابه «عاصمة جهنم»-وهو مصدر لبعض المعلومات في هذا المقال خاصة ما يتعلق بأسماء المعتقلين وعناوين الصحف- من أنه تأكد خلال وجوده في المعتقل وتعذيبه أنه هو وغيره من المعذبين ضحية عصابة دولية وليس نظام حكم، عصابة دولية تستفيد من الدكتاتوريات الباطشة التي تحكمنا وتواجه العالم ببجاحة شديدة وهي آمنة من أي محاسبة محلية أو دولية كلما كان الضحايا مسلمين.

وعاصمة جهنم -طبقا لوصف محمد الدريني -الذي كان هو أحد ضحاياه - هو معتقل مصري يتوارى إلى جواره أبو غريب وجوانتانامو خجلا من هول ما يحدث فيه وفق منهج مدروس لتحطيم الضحايا.

ولو كان منطق الشيطان يقتضي اعتقال من يسمونهم بالإرهابيين فما هو السبب في اعتقال بعض الطوائف التي تحرم حتى قتل الحشرات كالصراصير والحيوانات ومنها الثعابين والحيات.

هل تعرض النصارى لما تعرض له المسلمون؟.

لنترك الدكتور محمد الدريني يصف بعض ما حدث- ومن يتابع مقالاتي سيتذكر على الفور مئات المراجع والمذكرات التي تؤكد كلام الدريني وتزيد عليه- يقول الدريني:

«كان يتم ترحيلهم إلى المعتقلات وهناك تكون في انتظارهم القوة الضاربة المدججة بالعصي الكهربائية والهراوات والسيوف تصاحبهم الكلاب البوليسية الضخمة وحال وصول سيارة الترحيلات يأمرون المعتقلين بأن يتركوا متعلقاتهم وكراماتهم وأن يختار كل منهم اسم امرأة ويسير بين صفين من الجنود ينهالون ضربا عليه حتى يصل إلى الزنزانة فيأمرونه تحت السياط أن يسجد أمام عتبة الزنزانة

قائلا:«جيتلك يا شريفة يا طاهرة»ثم يتم تجريده من ملابسه مع باقي زملائه في الزنزانة ويأمرونهم أن ينبطح كل منهم فوق الآخر، وأن يمارسوا الفحشاء.

فهل تعرض النصارى لذلك.

لقد استنجد بعض النصارى ظلما وفجورا بشارون ضد مصر.

وكذلك استنجد بعض المسلمين بشارون.

لقد استغاث المعتقلون الإسلاميون بشنودة، وهو المحرض الأول على إشعال الفتنة منذ جاء.

ولم تكن العلاقة بين المسلمين والنصارى بهذا السوء أبدا إلا منذ جاء الأستاذ شنودة.

ليس هذا رأيا سياسيا ولا صراعا طائفيا وإنما هو حكم محكمة القيم برئاسة واحد من أساطين القضاة في مصر هو المستشار أحمد رفعت خفاجي نائب رئيس محكمة النقض وعضوية السادة المستشارين محمود طه زكى رئيس محكمة الاستئناف ومحمد طه سنجر المستشار بمحكمة النقض وماهر قلادة واصف المستشار بمحكمة استئناف بني سويف (وواضح من اسمه أنه نصراني فلم تكن محاكمة المسلمين للنصارى بل كانت محاكمة القانون للمتهمين، ولا نقول المجرمين).

كان ذلك في القضية رقم ٢٣ لسنة ١١ قضائية قيم جلسة ٣ يناير سنة ١٩٨٢.

واستعرضت المحكمة ما قاله الرئيس السادات -رحمه الله- حين وجه في الخامس من سبتمبر سنة ١٩٨١ بياناً إلى الشعب المصري أورد فيه أنه «منذ فترة ليست بالقصيرة حاولت بعض الفئات المخربة في مراحل متعددة إحداث فتنة بين أبناء الأمة وعملت جاهدة للقضاء على وحدتها الوطنية مستعملة في سبيل تحقيق أغراضها بعض الشعارات المضللة والوسائل غير المشروعة، نفسية ومادية لتعويق مسيرة الشعب في طريق تنميته وازدهاره وديمقراطيته. وقد تصدت الحكومة لهذا

كله بالإجراءات العادية تارة وبالنصيحة مرة أخرى ، وبالتوجيه والترشيد مرات ، وفى الآونة الأخيرة بصفة خاصة وقعت أحداث جسيمة هددت الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي وسلامة الجبهة الداخلية بخطر جسيم ، إلا أن هذه الفئة الباغية قد استرسلت في غيها واستهانت بكل القيم والقوانين وتنكبت عن الطريق السوي وسلكت سبيل العنف والإرهاب وسفك الدماء وتهديد الآمنين ، كما أن بعض الأفراد قد استغلوا هذه الأحداث وعمدوا على تصعيدها – الأمر الذي وجب معه اتخذا إجراءات سريعة وفورية لمواجهة الخطر الذي هدد الوحدة الوطنية انطلاقاً من المسئولية الدستورية المستمدة من أحكام ٧٣ من الدستور.

وأشار البيان إلى أنه إعمالا للصلاحيات المقررة بمقتضى المادة ٧٤ من الدستور والتي تنص على أنه لرئيس الجمهورية إذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستوري ، أن اتخذ الإجراءات السريعة لمواجهة هذا الخطر ويوجه بياناً إلى الشعب ويجرى الاستفتاء على ما اتخذه من إجراءات خلال ستين يوما من اتخاذها ، فقد قرر رئيس الجمهورية حظر استغلال الدين لتحقيق أهداف سياسية أو حزبية وخطر استخدام أو استغلال دور العبادة ، لهذا الغرض أو في المساس بالوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعي أو سلامة الوطن فلا سياسة في الدين ولا دين في السياسة[1] ، كما اتخذ رئيس الجمهورية قرارات أخرى من بينها القرار رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ سالف الذكر ، ثم أصدر رئيس الجمهورية القرار رقم ٤٩٨ لسنة ١٩٨١ بدعوة الناخبين إلى استفتاء على إجراءات ومبادئ حماية الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي الواردة في البيان المنوه عنه وذلك في يوم الخميس ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٨١ (الجريدة الرسمية ، العدد ٣٦ »مكرر).

(١) نستغفر الله ونرفض بل إن القول نفسه كفر (القول على مسؤوليته دون القائل.. فأمره إلى الله).

ثم تستعرض المحكمة الجرائم التي ارتكبها الأستاذ شنودة:

أولاً : تعريض الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي للخطر.

ثانياً : الحض على كراهية النظام القائم.

ثالثاً : إضفاء الصبغة السياسية على منصب البطريرك واستغلاله الدين لتحقيق أهداف سياسية.

رابعاً : الإثارة.

وتحت كل بند من هذه البنود تأتي عشرات الصفحات.

ثم تصل المحكمة إلى استنتاجها وحكمها النهائي:

وحيث أن المحكمة بتشكيلها الشعبي وطابعها السياسي ، إذ تعبر عن ضمير الأمة جمعاء قد بان لها بما لا يدع مجالا للشك ما سلف بسطه من وقائع محددة قاطعة الدلالة على أن المتظلم قد فاته أن أرض مصر ضمت بين جنباتها على مختلف العصور أخوة اتفقت كلمتهم على صيانة مصر والحفاظ على القيم الأساسية للمجتمع المصري ومن بينها الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي، هذا وإذا اختلفت دياناتهم ، ولم يخرج من بينهم على خط الوطنية أحد، فكانوا مثال إعجاب الشعوب المعاصرة يشيدون بالسلام الذي ظلل أرض الكنانة، وتحطمت على صخرته كل محاولات الأعداء للفرقة بين أبناء الوطن الواحد. وهكذا كانت مسيرة الوحدة والسلام والأمن والأمان بين أفراد الأمة بأسرها مهما تباينت عقيدتهم، زكاها كل سلفه بغير تمييز، ومجدها كل أبناء ملته في غابر الزمان ومختلف العصور. وظل الحال به كذلك إلى أن جاءت به طائفة كل أقباط مصر، آملة فيه مواكبة المسيرة ودفعها إلى الأمام ، وإذ به يخيب الآمال ويتنكب الطريق المستقيم الذي تمليه عليه قوانين البلاد ، فيتخذ من الدين ستاراً يخفى أطماعاً سياسية أقباط مصر براء منها، وإذ به يجاهر بتلك الأطماع واضعاً بديلاً لها – على حد تعبيره – بحراً من الدماء

تغرق فيه البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، باذلا قصارى جهده دافعاً عجلة الفتنة بأقصى سرعة وعلى غير هدى إلى أرجاء البلاد ، غير عابئ بوطن يأويه ودولة تحميه ، وأمة كانت في يوم من الأيام تزكيه، وبذلك يكون قد خرج عن ردائه الذي خلعه عليه أقباط مصر في محبة ووئام. لما كان ما تقدم، فإن القرار المتظلم منه يكون صحيحاً فيما جاء به، مبرراً ما قام عليه من أسانيد ، مما يتعين معه القضاء في موضوع التظلم برفضه. ا. هـ

***

كان هذا حكم محكمة عليا.. وهو حكم نهائي.. والحكم عنوان الحقيقة.

***

لأن دولة مبارك لم تتصد لمخططات شنودة وجرائمه كما تصدى له السادات فقد انتهى المآل بالأسرة المسلمة المسكينة في العريش أن تلجأ إلى قسيس بدلا من أن تلجأ لشيخ. فالشيوخ يُضربون ويسحلون أما القسس فيهددون بتفجير بحر من الدماء والطاغوت المتوحش يمتهن الشيوخ ويسجد أمام القسس.

شنودة هذا هو الذي استغاث المعتقلون به.

نعم، استغاث أعضاء من التكفير والهجرة بالبابا شنودة في رسالة قالوا فيها: لقد لجأ أسلافنا إلى النجاشي ملك الحبشة حين تعرضوا للاضطهاد ونحن بحكم الجوار في وادي النطرون (حيث مكان دير شنودة) نطالبكم بالتدخل لإنهاء مأساتنا.

ولست أدري هل كانوا جادين أم ساخرين.

لكن.

في مثل هذه الأحوال فإن السخرية تكون أكثر جدية من الجد ذاته.

ففي معتقل آخر فوجئت إدارة السجن بالمعتقلين المسلمين-ولاحظوا اختراع مصطلح الإسلاميين لإبعاد الشبهة أن الحرب على الإسلام- يطالبون باقتناء قرود!

فلما سألوهم عن السبب أجابوا أن منظمات حقوق الإنسان المحلية والعالمية لم يستفزها ما يحدث لهم، وأنهم يطالبون باقتناء القرود عسى أن تهتم بها منظمات حقوق الحيوان مما يلقى الضوء على مأساتهم باعتبارهم مرافقين للقرود!.

***

لا يكتب محمد الدريني كتابات مرسلة بل يورد أرشيفا للصحافة التي ذكرت وأيدت ما كتبه، ففي صفحة ١٠٥ وما بعدها من كتابه «عاصمة جهنم: وهو موجود على الشبكة الإليكترونية- وهو بدون ناشر وقد صودر »نجد مانشيتات الصحف -كالدستور وصوت الأمة والغد وصحف أخرى- تقول:

الحكومة سجنت رجلا ١٣ سنة لأنه قال لمبارك في الكعبة: اتق الله.

المعتقلون الإسلاميون ناشدوا البابا شنودة للتدخل للإفراج عنهم.

معتقلون إسلاميون في وادي النطرون يطالبون بتحويلهم إلى جوانتانامو.

معتقلون أصيبوا بالجنون بسبب التعذيب بالكهرباء والداخلية ترفض الإفراج عنهم خوفا من الإعلام الأجنبي

مأساة الأطفال المعتقلين:

الأمهات تبكين دما ويصرخن: نريد أولادنا.

بعد الضرب والتعذيب: الدولة تقتل المعتقلين بالأمراض.

كهربوه في أماكن حساسة وضربوا أمه وأباه:

بطل الجمهورية في الجودو يطلب اللجوء إلى إسرائيل هربا من التعذيب.

التعذيب في مصر منهجي وسيف الإسلام يطالب الرئيس بالاعتذار عن التعذيب.

لا المتشدد سلم ولا العلماني نجا:

الضابط هدد زوجته بتجريدها من ملابسها.

يسقط المجلس القومي لحقوق السلطات.

الداخلية تشن حرب تحرير سيناء من المصريين.

الأهالي: سنثأر من الأجهزة الأمنية لأنها هتكت عرض نسائنا.

الانتقام وراء مذبحة شرم الشيخ.

قائمة المحافظين والمسؤولين الكبار الذين اتهموا في قضايا التعذيب.

***

يقول الدريني : أن ما حدث للمعتقلين من تعذيب جسدي ونفسي أمر تشيب له الولدان وهو ليس سبة في جبين المصريين فحسب ، وإنما في جبين المجتمع الدولي الذي أغمض عينيه ولم يكترث بتقارير المنظمات المحلية والعالمية التي تناولت التعذيب والقتل وتشريد الأسر وأثر ذلك في عولمة الإرهاب. وأصبح المعتقلون يوقنون أن كل شيء يسير وفق منهج مدروس في التعذيب والاحتجاز والاعتقال ولم يعد أمامهم أمل في القضاء أو النيابة العامة حتى وصل الأمر بالمعتقلين بأن يعتقدوا أن ما حدث لأسر البعض منهم إنما كان مخططا حتى إنهم ينسبون للدكتورة فوزية عبد الستار مقولة: «أطيلوا حبسهم تبغ نساؤهم».

***

انظروا إلى هذه الطواغيت كيف تعامل المسلمين وكيف تعامل اليهود.

انظروا حتى إلى إفراجهم عن عزام عزام الجاسوس الإسرائيلي بعد قضائه نصف المدة وإلى الحرص على استمرار سجن الإسلاميين حتى بعد انتهاء المدة كلها.

انظروا إلى الحكم على مجدي حسين بالسجن عامين بسبب التسلل إلى غزة، ولم يتسلل إلا بعد أن منعوه من نصرة إخوتنا في غزة، وانظروا إلى الإفراج الفوري عن الصحفي الإسرائيلي يوتام فيلدمان الذي تسلل من إسرائيل إلى مصر، لقد أفرج عنه بعد تدخل وزير الداخلية الإسرائيلي إيلي يشائي لدى مدير المخابرات المصرية عمر

سليمان. بل إن عمر سليمان نفسه -الرجل الثاني في مصر- قد قابله، وخرج من لقائه إلى المطار.

***

انظروا كيف يعامل المسلمون وكيف يعامل النصارى.

وانظروا كيف يعامل الشيوخ وكيف يعامل القساوسة.

انظروا كيف جبنت أجهزة الأمن إزاء النصارى الذين رجموها من كاتدرائية العباسية وهم يهتفون لشارون حتى أصيب من مغاويرنا نيف وخمسون.

وانظروا كيف جبنت أجهزة أمننا إزاء الرهبان المسلحين لصوص الأراضي في دير أبو فانا والذين أطلقوا الرصاص على بدو فقبضت الشرطة على البدو رغم أن ضحية إطلاق الرصاص كان مسلما! من البدو.

انظروا كيف تحركت أجهزة الدولة كلها لتغلق الصحيفة التي تحدثت عن فضائح الراهب المشلوح.

واذكروا كيف تحركت الأجهزة كلها لإغلاق صحيفة الشعب لأنها دافعت عن القرآن، وعن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وانظروا كيف ألقت أجهزة الأمن القبض على ٢٨ من علماء الأزهر الشريف، على خلفية تظاهرةٍ ضمَّت نحو ٤٠٠ من علماء الأزهر الشريف وأساتذة بجامعة الأزهر وخطباء وأئمة مساجد، نادت بالإصلاح السياسي، وإلغاء حالة الطوارئ، وإصلاح مؤسسة الأزهر.

وكان على رأس من تم القبض عليهم الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية- الشيخ سيد عسكر- والشيخ إبراهيم عوض (إمام وخطيب)، والشيخ محمود زين العابدين (إمام وخطيب)، والشيخ علاء المسيري (من علماء الأزهر)، وصبري صلاح (إمام وخطيب)، وعبد الله أبو خليل (إمام وخطيب)، والشيخ

محمد خضر (إمام وخطيب). إضافة إلى علي عامر، وصلاح الشقفي، وإبراهيم طيب، وشعبان نصير، وخالد حسنين، ومحمد دراز.

ولم يكتف مغاوير أجهزة أمننا بالقبض على الشيوخ، بل ضربوهم وسحلوهم في الشارع.

فهل كنتم تريدون للأسرة المسلمة في العريش أن تذهب إلى شيخ.

في عهد المماليك، نعم، المماليك، كان المظلومون يستغيثون بالشيوخ.

في عهدك يا جهاز الأمن لا يستطيع مسلم أن يجير مسلما ولا أن ينصف مظلوما.

في عهدك أيها الطاغوت الباطش الجبار يستغيث المظلومون بالقساوسة واليهود.

لقد قدم النائب علي لبن بيانا عاجلا وطلب إحاطة لرئيس الوزراء ووزيري العدل والداخلية حول ضرب وسحل للشيخ السيد عسكر وزملائه لمجرد رفعهم لافتة تُطالب بالإصلاح السياسي أمام مسجد المحافظة بمدينة طنطا التي يُمثلها النائب في البرلمان موضحة -في البيان العاجل- إن قوات مباحث أمن الدولة ورجال الشرطة بالمحافظة قاموا بالاعتداء بالضرب والسحل للشيخ عسكر ومعه مجموعة من العلماء والأئمة والخطباء لمجرد مشاركتهم الوطنية في الوقوف أمام أحد المساجد مع المواطنين ليعبروا عن رأيهم في الإصلاح السياسي والمادة ٧٦ من الدستور التي أقر مجلس الشعب تعديلها.

وقال النائب : إنه لم يصدر منهم ما يُعكر الصفو أو يكدر الرأي العام ولم يحدث منهم أي اعتداء علي الشرطة التي تعمدت ضرب وسحل علماء الأزهر بصفة خاصة كأنها تتعمد إهانتهم أمام الجماهير فضلا عما وجهته لهم من ألفاظ نابية وسب وإهانة لعلماء أجلاء من المفترض أن تتباهي بهم مصر لا أن تحرقهم إلي هذا الحد ثم في النهاية حبسهم دون أي سند قانوني

وفي طلب الإحاطة الذي قدّمه النائب لنفس الوزراء أكد أن ما قام به رجال

الشرطة مع الشيخ السيد عسكر وباقي العلماء يعد إهانة لثاني عمامة في الأزهر الشريف بعد عمامة شيخ الأزهر، لما للشيخ عسكر من مكانة بارزة في مصر والعالمين العربي والإسلامي فهو لم يكن فقط مجرد أحد رموز مجمع البحوث الإسلامية وإنما له وجوده في الساحة الإسلامية داخليًا، وفي بيان عاجل آخر انتقد النائب محمد العزباوي موقف قوات الأمن من شيوخ وعلماء الأزهر الشريف، مطالبا شيخ الأزهر بالتدخل للدفاع والحفاظ علي هيبة المؤسسة الدينية الأولي في مصر والعالمين العربي المسيحي. وقال: لو كان ما حدث مع الشيخ عسكر ومن معه حدث مع أحد القساوسة فهل كانت الكنيسة ستلتزم الصمت؟! بل إنه أكد في بيانه أن أحدًا من رجال الشرطة لم يكن ليجرؤ علي القيام بمثل ما فعل لأحد القساوسة أو أحد رجال الدين المسيحي.

ويُضيف محمود زين العابدين: ذهبت إلى طنطا في ذلك اليوم (السبت) لأسلم أذون صرف المكافأة لمديرية الأوقاف بخطابٍ رسمي موجه من إدارة أوقاف قطور، وحينما فرغت من تسليم هذه الأذون- حسب طبيعة عملي الجديد كباحث دعوة- ذهبت أمام كلية التربية انتظر قدوم زوجتي لعلاجها في مستشفى طيبة، وكان الوقت ظهرًا ففوجئت بتجمع كبير من الأئمة والخطباء والمشايخ يخرجون من مسجد المحافظة الذي يقع في الجهة المقابلة لكلية التربية بشارع البحر.

لاحظت خروج الأئمة بزيهم الأزهري فقلتُ : لعله اجتماع لهم مع مدير المديرية إلا أنني وجدتهم يهتفون ويندِّدون بما حدث من تدنيس المصحف الشريف، ويطالبون بوقفة جادة رسمية للأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية؛ حيث لم تصدر كلمة واحدة عن مجمع البحوث الإسلامية، ولم يصدر عن شيخ الأزهر بيان كما كان يحدث في مثل هذه المواقف.

وذهبتُ إليهم وأخذتني الحمية والغيرة على ديني وعلى الأزهر الذي أنتمي إليه

وفوجئت عقب وقوفي مع الأئمة وترديدي لهتافاتهم بجحافل من قوات الأمن المركزي يحاصرون العلماء، وكان الشيخ سيد عسكر- ولم أكن أعرفه قبل ذلك- قد بدأ في الحديث وفي يده مكبر صوت، وكان حديثه يدور حول هذه الجريمة في جوانتانامو، وأنها لم تدّعها هيئة أو مؤسسه إسلامية، ولم تكشف عنها وسيلة إعلامية عربية؛ بل كشفت عنها مجلة (نيوز ويك) الأمريكية؛ حيث أكدت في تقريرٍ لها أنَّ عددًا من المحققين الأمريكيين في معتقل جوانتانامو قاموا بتدنيس المصحف بغرض الضغط على أعصاب السجناء المسلمين!

وأوضح الشيخ عسكر أنَّ مصر الأزهر لا يمكن أن تقبل أية إهانة لكتاب الله، ولا ينبغي أن تصمت أمام جريمة كشفت عنها وسيلة إعلامية أمريكية، فالسكوت في مثل هذه الأحداث يسيء إلى مصر التي لا تدخر جهدًا في الدفاع عن الإسلام وشريعته.

وتساءل: لماذا يصمت الأزهر على الإساءة المتعمدة للقرآن الكريم؟ ولم يكمل الشيخ كلمته حتى أحاط به رجال الأمن يريدون أخذ مكبر صوته منه بالقوة فقال لهم: اهدؤوا ولا تصعدوا الأمر، أنتم تعلمون أننا مسالمون وما هي إلا وقفة سلمية نُوصِّل بها رسالتنا ثم تنتهي في هدوءٍ وسلام، إلا أنهم أبوا إلا التصعيد وضربوا الشيخ وأهانوه ، وأوقعوا عمامته على الأرض، وانهال جنود الأمن المركزي على الأئمة الذين تجمعوا حول الشيخ الكبير (٧٢سنة) ، يدافعون عنه ويحمونه من ضرب رجال الأمن وانهالت عليهم الهراوات والعصي، وأصابت العديدَ منهم، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوهم في عرباتهم ، وصوروهم بالفيديو وهم يركبونها، وكنت معهم حيثُ لم أتمكن من مغادرة المكان.

وتمَّ إيداعنا في معسكر الأمن المركزي ، وظللنا فيه من ظهر السبت حتى الحادية عشر والنصف مساءً ، ثم نادوا على تسعة أئمة كنت واحدًا منهم وأخذونا واتجهوا

بنا إلى مقر أمن الدولة بطنطا ، ووضعونا في غرفة حجز ضيقة، وبدأوا في استجوابنا واحدًا تلو الآخر وعلى أعيننا عصابة قذرة، واكتشفت أنَّ في جسدي كدمات زرقاء وحمراء من أثر الضرب بالعصي، وظللنا في الاستجواب حتى الثالثة فجرًا، وأخلوا سبيلنا نحن التسعة عصر يوم الأحد ١٥/ ٥/ ٢٠٠٥م بعد أن عملوا لنا فيش وتشبيه في الأيدي والأرجل وكأننا مجرمون وليس علماء مبجلين!! وعلمنا منهم أنهم قد رحمونا؛ لأن الباقين من المشايخ والعلماء قد تمَّ عرضهم على النيابة بالقاهرة التي حبستهم ١٥ يومًا على ذمة التحقيق في سجن طرة.

هكذا يعاملون شيوخنا.

فهل كنتم تريدون للأسرة المسلمة في العريش أن تلجأ إليهم؟ .

انظروا أيضا كيف يعاملون الشيوخ:

أصدرت وزاره الداخلية المصرية بتاريخ ٢٨/ ٣/ ٢٠١٠ قرارا باعتقال إداري بحق ثلاثة من أئمة المساجد التابعين لوزارة الأوقاف المصرية وهم :

١- الشيخ عبد الفتاح فرج-مركز بيلا .

٢- الشيخ عبد المقتدر عبد الكريم عبد المقتدر- قرية النطاف .

٣- الشيخ عبد الله حماد- قرية الكفر الجديد .

وكان الثلاثة ضمن مجموعة تتكون من ١١ شخصا و كلهم من الأئمة والمشايخ التابعين لوزارة الأوقاف المصرية بمحافظة كفر الشيخ. وتعود الوقائع إلى تاريخ ٢٥ فبراير الماضي حيث قامت مباحث أمن الدولة مدعمة بقوات من الأمن المركزي بإلقاء القبض عليهم دون سند قانوني أو إذن قضائي، واقتادتهم إلى ترحيلات كفر الشيخ. ودام هذا الاحتجاز أكثر من شهر دون عرضهم على النيابة العامة أو أية جهة قانونية أخرى مع حرمانهم التام من الاتصال بالعالم الخارجي سواء تعلق الأمر بمحاميهم أو عائلاتهم.

وأفرجت مباحث أمن الدولة بتاريخ ٢٩/ ٣/ ٢٠١٠ عن ثمانية من الأئمة. وتحدث المفرج عنهم عن التعذيب النفسي و البدني والمعاملة السيئة التي لاقوها في سجن ترحيلات قسم كفر الشيخ ؛ حيث زُجَّ بهم وبأفراد آخرين من الجنائيين وذوى السوابق وكان عددهم ٢٤ شخصًا في غرفة لا تتعدى مساحتها خمسة أمتار مربعة، لا يوجد بها إلا شباك واحد لا يتجاوز عشرين سنتيمترا مربعا لا يسمح بتجديد الهواء، كما أن الطعام كان رديئا وبكميات ضئيلة لا تكاد تسدُّ رمقهم، وإمعانا في التنكيل بهم حرموا من دخول الطعام و الملبس إليهم من أهاليهم.

فهل كان الباطش الجبار يجرؤ على أن يفعل هذا في قسيس أو فيمن يلوذ بقسيس.

***

لقد منع الباطش الجبار آلاف المصلين من أداء صلاة الجمعة في مسجدي الأزهر والفتح، بعد أن دعت الجماعة المواطنين لأداء صلاة الغائب على شهداء غزة والتظاهر نصرة لأهلها.

فهل كان يجرؤ على فعل ذلك في كنيسة، حتى لو استنجد روادها بشارون؟ !

ولقد نشرت الصحف ووكالات الأنباء سابقة خطيرة حين قامت قوات الأمن بإغلاق مسجد الفتح في وجه المصلين، ومنعت دخول أحد إلى المسجد بدون إبراز تحقيق شخصيته، فضلاً عن اعتقال أي فرد من خارج محافظة القاهرة، رغم أن موقع هذا المسجد بالقرب من محطة سكك حديد مصر؛ مما يجعل أغلب مرتاديه من خارج القاهرة. ووقف الرائد طارق جلال من مباحث أمن الدولة على الباب الرئيسي للمسجد؛ للاطِّلاع على البطاقة الشخصية للمصلين قبل دخول المسجد، ولم يسمح إلا بدخول أبناء المنطقة المحيطة للمسجد، وبدا المسجد خاليًا إلا من ٥ أو ٦ مصلين. واحتلت قوات الأمن جنيات المسجد، وظهر عدد من جنود الأمن المركزي الذي يرتدون زيًّا مدنيًّا ، ويحملون جهاز اللاسلكي، كما منع الأمن النساء

من الصلاة في المسجد، مبرِّرًا ذلك بأن هناك إجراءَ إصلاحات، وهو غير حقيقي!!.

بل لقد استدعت قوات الأمن المصري خطيب مسجد الفتح قبل صعوده المنبر، وشددت عليه بعدم الحديث عن غزة، وبالفعل تحدث الخطيب عن الهجرة ولم يتطرق إلى موضوع غزة، واكتفى بالدعاء لنصرة المسلمين دون تحديد طرف بعينه. وأثناء الخطبة تجولت قوات الأمن داخل المسجد واعتقلت كل من تشتبه فيه، كما قامت بإغلاق جميع المنافذ الفرعية وقامت بطرد المصلين فور انتهاء الصلاة واعتقلت كل من اعترض على ذلك!.

***

قال الرسول ﷺ:

«يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة، وقضاة خونة، وفقهاء كذبة، فمن أدرك منكم ذلك الزمان فلا يكونن لهم جابيا ولا عريفا وشرطيا».

الراوي: أبو هريرة المحدث: الخطيب البغدادي - المصدر: تاريخ بغداد - الصفحة أو الرقم: ١٢/ ٦٣

خلاصة حكم المحدث: [فيه] داود بن سليمان الخراساني قال الطبراني لا بأس به.

ولا شرطيا.

ولا شرطيا.

ولا شرطيا.

ولا ضابط أمن دولة!!.

***

هل تريدون المزيد لكي تعذروا الأسرة المسلمة في العريش التي تركت خمسة وسبعين مليون مسلم لتلجأ إلى راهب!.

فلتقرؤوا:

رحلت الأجهزة الأمنية بلال محمد المذيع بقناة (الناس) الفضائية والمعتقل مع الدكتور عبد الرحمن البر إلى مستشفى قصر العيني؛ في محاولـه لإسعافه بعد تدهور حالته الصحية جراء تعذيبه في قسم شرطة البحيرة.

وقال الموقع الرسمي للجماعة على الانترنت إن بلالاً يعاني من كسور في القفص الصدري تضغط على عضلة قلبه يشك الأطباء أنه مصاب به منذ يومين على الأقل وأن هذه الإصابة تهدد حياته.

وأكد أن بلال أصيب السبت بحالة إغماء مفاجأة أثناء عرضه على النيابة وتم تحويله إلى مستشفى البنك الأهلي بالتجمع الخامس، واستمر فيها لأكثر من سبع ساعات رغم تأكيد المستشفى للضابط المصاحب للقوة بعدم استطاعة المستشفى تقديم العلاج له لصعوبة حالته وأنه يجب نقله بشكل عاجل إلى مستشفى قصر العيني. لكن الضابط الطاغوت المجرم المصاحب للقوة أصر على عدم نقل بلال إلى قصر العيني إلا بعد أن يقوم أحد الأشخاص الذين كانوا مصاحبين لهم بتسليم نفسه ، لأنه قام بتصوير بلال بهاتفه المحمول ، وبالفعل لم يتم نقل بلال إلى المستشفى إلا بعد أن قام عبد الرحمن طلعت (الشاب الذي التقط الصور) بتسليم الصور للضابط والذي قام بإلقاء القبض عليه ، وأمر بتحويله في سيارة الشرطة إلى قسم شرطة الخليفة، كان بلال قد أكد لزملائه في سيارة الترحيلات ، أنه تم الاعتداء عليه من جانب الضباط بقسم الشرطة قبل ترحيله إلى النيابة، كما أنه كان ينزف الدماء من فمه وأنفه وفي حالة إعياء شديدة أثناء وجوده بسيارة الترحيلات وأثناء وجوده بالنيابة حتى فقد الوعي. وقد رفضت إدارة مستشفى البنك الأهلي –رعبا من الطاغوت– تسليم محامي بلال صورةً من التقرير الطبي الخاص به والذي يوضح أن بلالا مصاب بكسر مضاعف في القفص الصدري يضغط على عضلة

القلب وأن حالته خطيرة للغاية تستدعي نقله إلى مستشفى قصر العيني حيث توجد العناية اللازمة لحالته.

***

فهل كنتم تريدون من الأسرة المسلمة في العريش أن تستغيث بشيخ، أو حتى بصحافي مسلم.

فلتقرؤوا إذن:

اقتحمت مجموعة من أفراد أمن الدولة بدمنهور بصحبة عدد من مشايخ الأوقاف مسجد قباء بمدينة دمنهور أمس الأربعاء، قبل أذان المغرب بنصف ساعة، وطالبوا المعتكفين الموجودين بداخله بسرعة إخلاء المسجد تماماً حتى من المصلين الذين تواجدوا في هذا الوقت، وعندما أراد عدد من المعتكفين الاستفسار والاطلاع على الأمر كان الرد بعنف من قبل أمن الدولة بضرورة الخروج من المسجد وإغلاقه، مع حمل الحقائب الخاصة بالمعتكفين. وقال عدد من المعتكفين الذين طردا من المسجد لليوم السابع: «إننا فوجئنا دون سابق إنذار باقتحام أفراد أمن الدولة للمسجد، وتعاملوا معنا بعنف وقسوة وأجبرونا على الخروج من المسجد على مرأى ومسمع من أهالي المنطقة، والأغرب من ذلك أنهم هددونا بالاعتقال إذا لم نخرج من المسجد بحقائبنا فوراً، وكادت أيديهم أن تبطش بنا ولكن جميع المعتكفين والمصلين خرجوا وسط دعائنا على الظالمين وعلى من منعونا من أداء شعائر الشهر الكريم في بيت الله».

هل كان الطاغوت المجرم يجرؤ على فعل ذلك في تلك الكنيسة الفاجرة بكل من فيها والتي أخرجت ومثلت مسرحية نجسة كمن مثّلها وكمن أشرف عليها، مسرحية نجسة مثّلها أنجاس اسمها: «كنت أعمى والآن أبصر». كانت تسب الرسول ﷺ وتسخر من القرآن فهل جرؤ الطاغوت على اقتحامها وطرد الممثلين الفجرة والقسس

الأشد فجورا كما اقتحم المساجد وطرد المعتكفين؟ !.

***

هل كنتم تريدون من الأسرة المسلمة أن تستغيث بمسلم؟ .

هل قرأتم ما فعلوه بالمستشفى الخيري بمدينة نصر، ٤٤ مليون جنيه يجعلونها هباء منثورا بهدمهم للمستشفى لأن الذين بنوها مسلمون.

هل كان الطاغوت الجبار الباطش يجرؤ على فعل ذلك في سور ملحق مبنى كنسي على أرض مسروقة؟ .

***

هل كنتم تريدون من الأسرة المسلمة أن تستغيث بمسلم؟ .

إذن فلتقرؤوا:

شنت قوات الباطش الجبار حملة اعتقالات أمس ضد أولياء أمور تلاميذ مدرسة الجزيرة، طالت كثيراً من الصحفيين، ضمنهم الزميل حسام الوكيل بجريدة الدستور، مما دفع مركز هشام مبارك للقانون إلى إدانة معالجة الأمن للواقعة، معلناً تضامنه مع الوكيل وغيره من الصحفيين. وألقت قوات الأمن القبض على ١٢ مواطناً، بينهم صحفيون بعد اشتباك أولياء الأمور مع قوات الأمن التي تحاصر المدرسة لليوم الثامن على التوالي، رغم إلغاء مجلس الدولة في القضية رقم ١٥٥٥٣ لسنة ٦٢، قرار المحافظ بإغلاق المدرسة. وقد فوجئ طلاب المدرسة البالغ عددهم ألف طالب، وأولياء أمورهم بتعدي قوات الأمن عليهم لمنعهم من بدء الدراسة أمام أسوار المدرسة المغلقة، وهو ما تسبب في اعتقال خمسة تلاميذ، أطلق سراحهم فيما بعد، وعدد من الصحفيين من بينهم سميرة مزاحي بجريدة وطني، والتي احتجزها الأمن لمدة ساعة صادر خلالها كارت الميمورى الخاص بها لمنعها من نشر الصور التي التقطتها، كما تم اعتقال حسام الوكيل بجريدة الدستور، و١١ آخرين لم

يتم معرفة مكان اعتقالهم حتى الآن.

***

هل كنتم تريدون من الأسرة المسلمة أن تستغيث بمسلم؟ .

إن ما يحدث في بلادنا ضد الإسلام والمسلمين هو صورة طبق الأصل لما يحدث عند الصليبيين واليهود. إنها كما اعترف المجرم بوش حرب صليبية، حرب على الإسلام. لقد كشفت صحيفة «واشنطن بوست» تفاصيل تجنيد شرطة نيويورك أسامة الداوودي وهو مهاجر مصري يحمل الجنسية الأمريكية من خلال تجنيده لحساب شرطة نيويورك للتجسس علي المساجد وأضافت الصحيفة أن الداوودي عمل بنشاط ضمن البرنامج الجديد كمرشد لمدة ١٣ شهرا، حضر خلالها ٥٧٥ خطبة في مساجد نيويورك وكان يبلغ عن كل شيء داخل المساجد حتى أرقام السيارات التي تقف في المواقف الخاصة، فضلا عن أن اتصالاته بالأمن كانت تتم مرتين يوميا، مما مكنه من كتابة ٣٥٠ تقريرا.

المدرب والمتدرب يفعلان نفس الشيء.

ماذا كان علينا أن ننتظر من أجهزة أمننا وهي تتدرب هناك.

ما يفعلونه هناك يفعلونه هنا.

لكنهم هناك يفعلونه من منطلق صليبي.

فمن أي منطلق ينطلق من يفعلونه هنا.

***

انظروا كيف يعاملون الشيخ الضرير الفقيه الأستاذ الدكتور عمر عبد الرحمن في سجون الطاغوت الأكبر.

هل يجرؤ أي طاغوت عندنا أن يعامل أصغر قسيس أو كاهن كما يعامل الشيخ الجليل.

إهانة الشيوخ ليست حادثا عارضا إذن، بل إنها أمر مقصود، هنا وفي الخارج.

كان يمكن ألا أصدق أن الجرأة والوقاحة والفجور قد وصلت إلى هذا الحد، لكن أحد أصدقائي المقربين شيخ تعرض لمثل ذلك، ولننتظر قليلا لنعرف بعض التفاصيل عنه.

***

هل يجرؤ ضابط الأمن أن يفعل شيئا من ذلك في قسيس.

بل هل يجرؤ وزير الداخلية.

بل رئيس الوزراء.

بل...

ترى ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن ضابط الأمن قطب جبينه وهو يلقى كاهنا.؟ !

أو لم يقدم له الساخن والبارد. أو تشاغل عنه.

ثم ماذا كان يمكن أن يحدث لو سبه سبابا قبيحا على أبيه وأمه وصفعه على قفاه.

وماذا كان يمكن أن يحدث لو أنه عذب ذلك الكاهن حتى الموت.

أقباط المهجر كانوا سيطالبون بتدخل المارينز!.

***

لكن هذا يحدث للشيوخ، ففي ٢/ ٢٥/ ٢٠٠٨ كتب محرر مصراوي :

توفي واعظ ديني في الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة داخل مقر مباحث أمن الدولة في ألماظة بعد ١٠ أيام من اعتقاله. وقالت جريدة المصري اليوم: أن تحقيقات إدارية بدأت مع الضباط الذين حققوا مع الواعظ للوقوف على ملابسات الوفاة.

وكان المتوفي - ويدعى خالد سعيد بدران من حي الزيتون الغربية ٤٢ عاما حاصل على ماجستير علوم الحديث من كلية دار العلوم - قد اعتقل يوم ٢ فبراير الجاري، واحتجز في مقر مباحث أمن الدولة، لكنه توفي يوم ١٢ فبراير. ويعمل المتوفي واعظا في مساجد الجمعية الشرعية بالعباسية، وكان يحضر لنيل درجة الدكتوراه. وبعد اعتقاله أرسلت مباحث أمن الدولة إلى أسرته تطالبها بتوفير الطعام له، وعندما زاره أحد أقربائه لإعطائه الطعام أبلغه أحد الضباط أن بدران مجنون ويحاول الانتحار. وبعد يومين حتى تم استدعاء الأسرة لتسلم الجثة من مشرحة زينهم. وتم تشريح جثته بمعرفة الطب الشرعي في زينهم، وسلمت جثته إلى أسرته التي قالت مصادر مقربة منها: إنها تلقت تهديدات بالتزام الصمت حول الحادث، بعد أن تحرر محضر أثبت فيه أن الوفاة سببها الانتحار. وطبقا للتقرير المبدئي، والكشف الظاهري على الجثة بمعرفة الطب الشرعي، تبين وجود عدة إصابات في جسد المتوفي، خصوصا حول رقبته، وأرسل الطبيب الشرعي عينات من مواضع الإصابات إلى المعامل لتحديد أسباب التقيحات والالتهابات الموجودة فيها. ومن المتوقع أن يصدر التقرير النهائي للطب الشرعي عن سبب الوفاة خلال أسبوع، للتأكد من تطابق نتائجه مع ما ورد في محضر مباحث أمن الدولة، الذي قال إن المتوفي انتحر بشنق نفسه.

يا كلاب جهنم.

يا أبناء الأفاعي،

أذللتمونا وأعززتم اليهود والنصارى، وحتى البهائيين والشواذ.

***

ماذا كان يمكن للنصارى أن يفعلوا لو أن ضابط أمن عذب كاهنا معاقا؟ .

لقد فعلوها مع شيخ، وإمام مسجد معاق، فأرسل يقول للعادلي: رجالك

ضربوني على قفايا وعذبوني في قسم الشرطة. وقال الشيخ أحمد حلمي عبده سالم إمام وخطيب مسجد المصطفي لصحيفة المصري اليوم: إنه فوجئ بقوة من مباحث قسم الكردي علي رأسها الضابط أحمد فريد، رئيس المباحث، تزيل بعض المباني في الأراضي الزراعية، وعندما اعترضت بعض النساء، تعدي عليهن الضابط ومجموعة من المخبرين بشكل غير لائق، ووجهوا لهن السباب بألفاظ جارحة ومخلة. وأضاف: قلت للضابط هذا لا يليق فسبني، وقال لي: إنت بقي الدكر اللي فيهم، وأمر المخبرين بوضعي في سيارة الشرطة، وفي داخل القسم ضربني على قفايا، وركلني المخبرون بالأيدي والأرجل، ولم يرحموا إعاقتي، ثم ضربني الضابط مرة ثانية على قفايا، وصفعني على وجهي وسبني بألفاظ نابية عندما قلت له حرام عليك أنا إمام وخطيب وإنسان، ووجه لي الاتهامات بالاعتراض على السلطات. وأضاف: رغم أن النيابة أفرجت عني واعتذر لي نائب المأمور بالقسم عن الإهانة، لم أعد أستطيع دخول المسجد، ومواجهة أولادي الثلاثة، حيث أشعر بالخجل فهل هذا يرضي وزير الداخلية؟ ومن يرد لي كرامتي؟ .

***

عزّ النصارى بشنودة وعز اليهود بذلّكم وذل المسلمون بكم.

بل عزّ النصارى واليهود وذل المسلمون بكم.

هل تتصورون أن امتهان الأمن للدعوة الإسلامية قد بلغ أنه ما من داعية يمكن تعيينه أو استمراره دون أن يوافق عليه الأمن، هل يجرؤ الأمن على أن يبدي رأيا في قسيس؟ .

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد تجاوزه للحد الذي أصبحت فيه المباحث تجند مفتشي الأوقاف للعمل لصالحها .!!

لقد قالت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان «أن يتجسس بعض

المواطنين على أئمة وخطباء المساجد لحساب أجهزة الأمن ، فهذا يحدث ، ولكن أن يقوم خطيب مسجد ، وبحجم مسجد الأزهر بالتعاون مع أجهزة الأمن ضد المصلين، فهذا هو الجديد والعبث بعينه».

***

يا من عزّ النصارى واليهود وذل المسلمون بهم.

ماذا كان يمكن أن يحدث لو أن رئيس الجمهورية وقف يوما ليخطب قائلا عن كبير كهنتهم أنه مرمي في السجن كالكلب؟ !.

قالوها على شيخ مسلم لا نزكيه على الله.

وكأنما المقصود النيل من هيبة المسلمين بل من هيبة الإسلام نفسه، ليصل الأمر في النهاية إلى حد ألا تجد الأسرة المسلمة إلا الكنيسة لتستغيث بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

***

نعم.

القضاء على هيبة الإسلام والمسلمين أصبحت المحرك الأول لثقافتنا وإعلامنا.

وقد ينجم الأمر عن جهل البعض، لكنه قد ينجم أيضا عن الخسة والنفاق بل والكفر.

وقد يكون من دواعيه سيطرة الثقافة الغربية والفكر الغربي لتشكل وجدان الناس صفوتهم وعامتهم فتحشوها بما فيها من حقد صليبي دفين على الإسلام وتمن بزواله، وقد تسرب هذا إلى المسلمين فأصبحوا يزدرون أنفسهم ويتمنون زوال الإسلام، لقد نجح الغرب المجرم في أن يوهم الرجل الأسود بشيء مثل هذا، أنه يستحق الازدراء والإدانة، وأن اعتراضه على ذلك يجعله مستوجبا لمزيد من الازدراء والإدانة، أو كما ورد في تراثنا القصصي عن الحيوان، فالحيوان الطيب هو

الذي يرضى بمصيره، بالذبح، أما ذلك الحيوان الذي يعترض، فقد ارتكب إثما يستوجب التعجيل بذبحه. هكذا يريدون من المسلمين.

هكذا يريد ولاة أمورنا منا، هكذا يريد أمننا منا، هكذا تريد حكوماتنا منا، هكذا يريد الصليبيون والصهاينة منا، هكذا يريد أقباط المهجر منا، أن نمتلئ بالإدانة لأنفسنا، وأن نقتنع بأن الذبح هو مصيرنا العادل، أما من يعترض فلابد أن يذبح أولا.

***

يا من عزّ النصارى واليهود وذل المسلمون بهم.

ألستم تستهدفون نزع هيبة الإسلام والمسلمين.؟ .

في هذا الصدد يتم اقتحام المساجد بل و إطلاق الرصاص فيها وهدمها، فهل كانوا يجرؤون على الاقتراب من سور كنيسة؟ .

***

بصدد التعذيب لا يغيب عن خيالي ثلاثة كان تعذيبهم بهدف كسر عزة الإسلام فيهم ولقد وددت دائما أن أكتب عما حدث لهم ،لكن النوازل الهائلة والهوائل النازلة لا تدع لي فرجة وقت للكتابة عنهم.

أولهم هو الأستاذ الدكتور محمد مورو رئيس تحرير مجلة المختار الإسلامي والذي عذب تعذيبا شديدا ورهيبا شهورا متعددة، لكن قضاءنا العظيم العادل أنصفه بعد سنين من طلب التعويض في المحاكم، حكم له قضاؤنا العادل بتعويض ضخم جدا، بألف جنيه!.

أما الثاني فهو الأستاذ عامر عبد المنعم رئيس تحرير الشعب المصادرة، وقد عذب هو الآخر تعذيبا شديدا رغم أنه بالقطع لم يفعل شيئا، إلا شيئا واحدا كان جريمته الكبرى وذنبه الأعظم، أنه كان مسلما ملتزما!.

أما الثالث فهو شيخ أزهري جليل كان والده أستاذا كبيرا من هيئة كبار العلماء في الأزهر. يرفض الأمن استمراره في العمل بعد أن أوقف مرتبه منذ ما يقرب من عشرين عاما، يتعقبه الأمن ويعد عليه أنفاسه، يغلق أمامه كل أبواب الرزق والدعوة والعمل، مزقوا أوراقه الرسمية وحالوا بينه وبين استخراج بديلها. رفع قضية أمام القضاء الإداري، بعد أعوام طويلة تخللتها أهوال وراء أهوال تحددت جلسة النطق بالحكم، وكان المتوقع أن يكون لصالحه فقد عجزت وزارة الداخلية والأوقاف عن إثبات أي تجاوز ضده، وكان ينبغي له أن يحضر، وحضر بالفعل مع محام فدائي.......

كنت أعرف موعد الجلسة، وظللت أهاتفه طول الوقت كي أطمئن على صدور الحكم لصالحه، كان هاتفه خارج النطاق.

وأخيرا، قبيل المغرب، جاءني صوته، مبحوحا هامسا لاهثا، وكان يحاول إخفاء أنه يبكي، وربما أراد الإيحاء لي أنه يلهث وليس أنه ينتحب. ظننت أن الحكم قد صدر لغير صالحه، لكنه أخبرني أنه لا يعرف ما الحكم، فقبيل دخول المستشارين بخمس دقائق، فوجئ بمن يسأله برقة عن اسمه ويخبره أن هناك من يريده على باب القاعة، خرج الشيخ، وفوجئ ببغلين يطبقان عليه ويطلبان منه التحرك معهما دون مقاومة وإلا فالويل له. وهناك. في جهنم، واصلوا تعذيبه لمدة ثماني ساعات. مع أقذع سباب يمكن أن يسمعه بشر. كان لحظتها خارجا لتوه من عاصمة جهنم.

بعد شهور كنت أعوده فقد كان مريضا، سقط في الشارع بغيبوبة سكر، لم يكن مصابا به من قبل، لكن الضغط النفسي الهائل أصابه بمرض السكر. وزاد منه جرح في ساقه لم يلتئم.

أحد الأصدقاء طلب أن يشاهد الجرح، كان مروعا، وأبدى الصديق دهشته من أن يمكث مثل هذا الجرح ستة شهور دون التئام، ورحت أومئ له أن يصمت، لم

يفهم، قلت له أنه جرح حرق من الكهرباء، فتساءل في هشة أشد: وما الذي أوصل الكهرباء إلى هذا المكان؟ وأجبته هامسا في ضيق وحرج:

- من التعذيب يا رجل.

***

الدكتور أحمد كمال أبو المجد، الوزير الأسبق، ذوب قلبي وهو يقول في برنامج تلفازي ردا على من يسأله على اعترافاته في التحقيقات، وأجاب الرجل بمرارة وغضب لا يوصف:

- لقد تعرضت لتعذيب لو تعرض له جمال عبد الناصر لاعترف على الفور بأنه زعيم الإخوان المسلمين.

هل كان يمكن أن يعذب بطرس غالي أو بطرس بطرس غالي كما عذب أحمد كمال أبو المجد؟ !

***

عندما نعترض، عندما نقول لا، يتهموننا بالإرهاب. لم يعد الكاذب يخجل من كذبه بل يريد منا أن نخجل من كشف كذبه!! ولم يعد البغاث يستخفي ولا الفئران تجبن عن المواجهة ولا الأفاعي تهرب إلى الجحور ولا الكلاب تعوي من بعيد، عندما نعترض يهاجمنا كل أولئك في جرأة وقحة، (أحد الظرفاء قال في مرارة : إنهم كالأنعام أو أضل. إنهم لا يفقهون حديثا، إنهم يحتاجون إلى محام من نوع خاص يواجههم، ليس المحامي الذي يواجه البشر الأسوياء حتى لو كانوا خطائين، محامي بيطري!!).

***

تصوروا يا ناس.

كل هذا يحدث لنا ثم يصرخ بعض النصارى أنهم لا ينالون حقوقهم.

آآآآه لو كان ينفع!.

لو أنكم تستجيبون!

إذن لدعوتكم للمباهلة.

والمباهلة هي الملاعنة..

وآية المباهلة هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [آل عمران].

وكان سبب نزول هذه الآية أن وفد نصارى نجران حين قدموا المدينة جعلوا يُجادلون في نبي الله عيسى عليه السلام، ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية. وقد تصلبوا على باطلهم، بعدما أقام عليهم النبي ﷺ البراهين بأنه عبد الله ورسوله. فأمره الله تعالى أن يباهلهم. فدعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة، بأن يحضر هو وأهله وأبناؤه، وهم يحضرون بأهلهم وأبنائهم، ثم يدعون الله تعالى أن ينزل عقوبته ولعنته على الكاذبين. فأحضر النبي ﷺ علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وقال: هؤلاء أهلي. فتشاور وفد نجران فيما بينهم: هل يجيبونه إلى ذلك؟ فاتفق رأيهم ألا يجيبوه؛ لأنهم عرفوا أنهم إن باهلوه هلكوا، هم وأولادهم وأهلوهم، فصالحوه وبذلوا له الجزية، وطلبوا منه الموادعة والمهادنة، فأجابهم ﷺ لذلك.

ينظر: «تفسير ابن كثير»(٢ / ٤٩)، «تفسير السعدي»(١ / ٩٦٨).

***

لو كان ينفع لدعوت النصارى للمباهلة.

لكن ذلك لن يتحقق.

ولكم أتمنى أن يدعو شيخ حقيقي -كالشيخ القرضاوي- باباواتهم للمباهلة، لكنهم سيرفضون.

إذن دعوني أعرض عليهم أمرا آخر.

أن يأخذوا حقوقنا ونأخذ حقوقهم!

باهلونا أو بادلونا.

نعم.

باهلونا أو بادلونا.

باهلونا أو بادلونا.

بادلونا.

خذوا وضعنا وأعطونا وضعكم.

يا ليت.

أن يأخذ كل واحد منا وضع الآخر بالكامل، (ليس في أمور العقيدة طبعا) فنحن بعون الله باقون على التوحيد حتى نلقى الله. لكنني أقصد الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

سألني صديق وهو يحاورني: هل توافق حتى على حقهم في أن يكون رئيس الجمهورية نصرانيا؟

فقلت : أنه ليس لي أن أوافق أو لا أوافق على ترشيحهم لنصراني، فذلك شأنهم، بل إنني لا أستطيع أن أمنع إسرائيليا من أن يرشح نفسه للمنصب كما لا أستطيع أن أمنع مجرما ولا مجنونا، فذلك أمر تحدده بنود معينة لا مجال لتناولها، لكنني أطالب بحق مماثل في أن يكون من حق المسلمين أن يرشحوا رئيسا مسلما! وأن يكون الاختيار للأمة بانتخاب نزيه. إنني لا أتحدث من الوجهة الشرعية بالطبع فالرأي فيها واضح وأظن أنه واحد. لكنني أتناولها من وجهة نظر أخرى. قد يظنها البعض

ساخرة، فليظن من شاء ما شاء، لكن دعوني أطرح وجهة نظري عليكم. رغم أن هذا الطرح سيطلق عليّ قطعان الكلاب والذئاب.

يتساءل هذا الطرح-:

متى كانت آخر مرة حُكِمْنا فيها حكما إسلاميا بمعنى الكلمة.

الإجابة الصادمة للعلمانيين، أنها في الدولة العثمانية (ليس كلها بالطبع).

السؤال الثاني الذي يطرحه التصور:

ما هو حكم الإسلام في العلمانية؟ !.

مع التجاوز والاعتذار للدكتور المسيري عن تقسيمه للعلمانية فالأمر أمران: إما إيمان وإما كفر، فمن يجحد أن شرع الله صالح لكل زمان ومكان كافر حتى لو تعلق بأستار الكعبة.

ومن فضل قانون الناس على شرع الله فهو كافر حتى لو دفن في البقيع.

التجاوز الوحيد الذي لا يخرج هؤلاء من الإسلام هو سوء الاستدلال أو سوء الفهم أو سوء التأويل، أو أن يعترف أن شريعة الله هي الأصلح لكنه لا يطبقها لأنه فاسق أو عاجز.

.

.

.

أعترف أن النقاط السابقة حلت محل سطور كثيرة كنت قد كتبتها ثم حذفتها، لا تسألوني لماذا.!!

لكنني أضيف هنا طرحا آخر، ورغم أنني أعلم الإجابة عليها فلن أذكرها هنا.

فالسؤال الذي كان يجب أن يسبق جواز تولية نصراني الولاية العظمى هو جواز

تولية علماني تلك الولاية.

.

.

لكنني أقول –ساخرا– أنه ربما يكون الطريق الوحيد المتاح أمامنا لتولية حاكم مسلم هو أن نوافق على تولية حاكم نصراني، فذلك يفتح لنا بابا ظل مغلقا عبر قرون، باب الدين، أنا أعرف أن الدين عند الله الإسلام وأن من يبتغ دينا غيره فلن يقبل منه، لكن لماذا لا نجاريهم كي نفتح الباب الموصد؟ وأن نصر في الوقت نفسه على أن يجري الانتخاب بين المسلم والنصراني مع استبعاد العلمانيين، على أن نشدد على نزاهة الانتخابات، معتمدين على أن نسبة المسلمين أكثر من ٩٤٪ تتزايد، وأن نسبة النصارى أقل من ٦٪ تتناقص. وأن الطبيعي أن يفوز المسلم، ذلك أنني أظن أن مهارات بعض النصارى في التزوير والكذب لا تضاهي العلمانيين فيهما. إن هذه النسبة تكشف على الفور أن الطلب ليس حقيقيا بقدر ما هو باب للتحرش، وهم منذ جاء شنودة لا يتركون بابا للتحرش دون أن يطرقوه.

ثم أن الحاكم النصراني ليس خطيرا جدا.

فكثير من الأقباط أفضل من معظم العلمانيين.

ألا ترون المحافظات التي عين فيها محافظ نصراني.

لم يشك من أولئك المحافظين المسلمون، وإنما اشتكى منهم النصارى.

بل لقد كان أولئك المحافظون النصارى أكثر جرأة على النصارى من المحافظين المسلمين فجهروا بالحق وشهدوا بأن النصارى وراء كل التحرشات والاستفزازات والأزمات الطائفية. بل وقال أحدهم إنه هدم ثلاثة مساجد فلم يعترض مسلم، بينما ملأ النصارى الدنيا كذبا وصراخا وعويلا بحجة أنه يهدم كنيسة وكان ذلك كذبا صريحا، وأثبت المحافظ كذبهم، كان سكنا لأحد الموظفين في الكنيسة خارج

مبناها وأراد لصوص الأراضي ضم المكان زورا للكنيسة فلما قرر التنظيم هدمه صرخوا في أربعة أركان الأرض.

لكم تمنيت أن تجمعنا بنصارى مصر بالذات معركة واحدة شريفة ونبيلة، معركة نواجه فيها الإلحاد الذي يستشري في أرجاء العالم، ولكنهم وقعوا في نفس الخطيئة، كما وقع اليهود فيها في صدر الإسلام حين مالؤوا الشرك على التوحيد، أظن أن بعض نصارى مصر فعلوا نفس الشيء، اختاروا الكفر، بل إنني أظن بعضهم وجل نصارى المهجر لم يكتفوا بالممالأة، بل كانوا كإخوانهم من زعماء يهود قديما ومن الصهاينة حديثا، ومن المعروف أن معظم زعماء الحركة الصهيونية ملحدون.

ولكم تمنيت أن نحارب معا معركة شريفة ونبيلة في مواجهة السقوط الأخلاقي الذي بدأت كنائس الغرب تتورط فيه، بل وتبيحه، بل وتتبناه، لكم تمنيت أن يحاربوا معنا انتشار الدعارة والشذوذ وموافقة كنائس غربية على الزواج المثلي.

لكنهم للفجيعة تركوا كل ما يمثله المسلمون من مكارم للأخلاق وكان يمكن أن نتفق فيه لينضموا معنا على من ينادون بالدعارة، وبالشذوذ وبالزواج المثلي، بل وبالتستر على الاستغلال الجنسي للأطفال، تلك الجريمة البشعة التي تورط فيها بابا روما، لكنهم للأسف اختاروا جانب الشيطان.

أظن أن موقفي واضح من الأستاذ شنودة، وأنني أعتبره من أخطر من هددوا الأمة والدولة، ولا أريد أن أقول من خانوها، لكنني أقول إنه خيب الآمال وتنكب الطريق المستقيم، واتخذ من الدين ستاراً يخفي أطماعاً سياسية ، وجاهر بتلك الأطماع واضعاً بديلاً لها بحراً من الدماء تغرق فيه البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، باذلا قصارى جهده دافعاً عجلة الفتنة بأقصى سرعة وعلى غير هدى إلى أرجاء البلاد ، غير عابئ بوطن يأويه ودولة تحميه ، وأمة كانت في يوم من الأيام تزكيه.

نعم، يا شنودة.

لم تعبأ بوطن آواك، ولا بدولة حمتك، ولا بأمة في يوم من الأيام زكتك.

لقد انضممت إلى أعدائها.

وبالرغم من ذلك، فلقد كنت فخورا بك عندما رفضت استقبال بابا روما بل وتركته يأتي إليك ولكم أعجبني يومها استعلاؤك.

لماذا انقلب الحال، وكلما أوغل بابا روما في الفضائح والأخطاء كلما ازداد استسلامك وتسليمك له.

لماذا؟ .

لماذا؟

لماذا؟

***

نعم.

خيبتم أملنا فيكم يا بعض نصارى مصر ويا كل أقباط المهجر.

أخطأتم خطيئة كبرى.

إنني أظن أن أحمد أبو الفتح كان صحافيا عظيما جدا، وأن جمال عبد الناصر كان جلادا وعدوا للإسلام وأنه قادنا للخراب، ومع ذلك فإن الأمة لم تستطع أن تغفر لأحمد أبو الفتح أبدا ممالأته لأعداء الوطن، حتى لو كان رأس هذا الوطن عبد الناصر.

كذلك يا بعض نصارى مصر ويا كل أقباط المهجر. لن نغفر لكم أبدا أنكم مالأتم أعداءنا علينا ونحن في حالة حرب وقد حاصرنا الأعداء من كل جانب.

تشكون من عدم نجاح مرشحيكم في الانتخابات؟

عندما كنتم جزءا من الحركة الوطنية كان مرشحوكم ينجحون في دوائر ليس

فيها نصراني واحد.

أغراكم شياطين الجن والإنس بأننا نمر بلحظة ضعف تاريخية وأن الفرصة لن تسنح لكم مرة أخرى إذا لم تهتبلوها هذه المرة.

غرتكم الأمانيّ فحلمتم بالمستحيل.

ووقعتم في بئر الخيانة.

وقعتم في شرك الخيانة.

وأنتم أقرباؤنا في الوطن:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة . . . على النفس من وقع الحسام المهند.

ما لأتم الأعداء وانضممتم إليهم، ونسيتم عشرة ألفًا وخمسمائة عام.

فتحتم لهم ثغرة ينفذون منها إلينا كتلك الثغرة التي فتحتها يهود لأبي سفيان- قبل إسلامه- في غزوة الخندق ليقتحم المدينة.

بعد هذا كله ألا يوافقني القراء على ضرورة المباهلة أو المبادلة.

نعم.

باهلونا أو بادلونا.

أوافق.

وأوافق أن يكون الأستاذ شنودة موظفا في الدولة يؤمر فيطيع وأن يكون شيخ الأزهر عبدا لله لا يطيع مخلوقا في معصية الخالق، وأن يرفض حكم المحاكم لأنها تخالف الشريعة.

أوافق على أن تعود إلينا أوقافنا وأن تسلب منهم أوقافهم!.

أوافق على أن تكون مساجدنا حصونا وملاذات آمنة، وتبلغ مساحتها عشرات الآلاف من الأفدنة.

أوافق على أن يتكالب العالم للدفاع عن سجين واحد بدلا من ازوراره عن قتل ما يقرب من مائة ألف في أقل من أسبوع واحد في سوريا، وعن اعتقال أربعين ألف في ليلة في مصر ، وعلى اعتقال عشرين ألفا عشرين عاما دون تهمة.

وأوافق على أن يرتعد رجل الأمن أمامي بدلا من أن أرتعد أمامه.

أوافق على أن تلجأ الأسرة المسيحية إلى شيخ ليحميها بدلا من أن تلجأ الأسرة المسلمة إلى قسيس ليحميها.

وأوافق على أن تبتعد كل أجهزة الدولة عن مشروعاتي الاقتصادية كي تنمو وتزدهر، ولن أطالبهم أن يفعلوا بالنصارى ما يفعلونه الآن من مطاردة ومحاصرة وترويع المشروعات الإسلامية مما يخلي السوق للنصارى(انظروا ماذا فعلوا بالتوحيد والنور).

أدعو إلى المباهلة أو إلى المبادلة.

فهل يوافق النصارى؟ !

وإن لم يفعلوا هذا ولا ذاك.

فلا أقل من أن يتوقفوا عن وقاحة المطالبة بمزيد من الحقوق.





وا إسلاماه :
المادة الثانية من الدستور
خط أحمر دون الدماء

وا إسلاماه[1].

أصرخ بها دون صوت ودونها أمل في الاستجابة والغوث فتتمزق نياط قلبي.

وا إسلاماه.

أينما توجهت رأيت مسلمين يذبحون وإسلاما يعتدى عليه وبلادا تتفكك وأمة تتآكل.

كي يرضى العالم القاسي المجرم المتوحش عنا لا بد أن نترك ملتنا ونتبع ملته وأن نوالي عدونا ونبرأ من أخينا وأن يكون عدونا الإستراتيجي هو حليفنا الاستراتيجي.

يرمونا بدائهم وينسلوا.

فوا إسلاماه.

عندما يكون المسلمون أقلية فهم لا قيمة لهم ولا صوت حتى لو كان عددهم ثلث السكان وحتى في أوطانهم عندما يكونون أغلبية فإن الأقلية تحاول السيطرة عليهم وابتزازهم والاستقواء بالغرب عليهم،

فوا إسلاماه.

أقولها دونها صوت، أو أن صوتي يصم البرية، لكن البرية بآذانها صمم.

أقولها بين الواقع والخيال، وبين الحلم والكابوس

وا إسلاماه.

أقولها مذهولا وأنا أتأمل المسلمين كالمصعوق متسائلا: هل ماتت قلوبكم؟ إلى هذا الحد هان عليكم دينكم؟ هل يئستم من الخلد في الجنة؟ أم أنكم لم تؤمنوا بها أبدا؟ !.

وا إسلاماه.

---

(١) نشر هذا المقال قبل الثورة: في سبتمبر ٢٠١٠.

أكاد أسير في الشوارع كالمجنون إن كنتم أنتم عاقلين، أو كالعاقل إن كنتم فقدتم عقولكم، أسير، أحمل درة أهوي بها على الناس صارخا أفيقوا، أنهم يذبحون الإسلام بعد أن ذبحوا المسلمين.

أصرخ في كل كاتب: إن لم تكن هذه قضيتك الأولى فالنار في الآخرة أولى بك، أما هنا، في الدنيا، فسلال القمامة أولى بك.

أصرخ في كل قارئ.

أصرخ حتى فيمن لا يقرءون.

أصرخ في كل من ركع لله ركعة أو صام يوما أو نطق بالشهادتين:

وا إسلاماه.

أقولها معذبا ممزقا نازفا لكنني لا أفقد الأمل في النصر الموعود أبدا.

ما أشك فيه هو أننا الجيل الذي يستحق النصر.

***

وا إسلاماه.

تصرخ بها كل نبضة من نبضات قلبي، كل شهقة وكل زفرة، مع كل صحيفة أو مجلة، كل مشهد، كل خبر أطالعه أو تعليق أسمعه، أو واقع في الشارع أراه.

وا إسلاماه.

أقولها وأنا أرى الدين يستباح، والحرمات تنتهك، والأمة تمزق، وولاة الأمر يخونون، والنخبة المجرمة المنحطة تنافق.

أقولها وأنا أنظر في عيون الأبناء والأحفاد فأرى فيها حيرة من غسلوا مخه فأضلوه السبيل.

أقولها وأنا أنظر في عيون من حولي فأكاد أسمع صراخهم في يوم سيكون عليهم

عَسِيراً.

وَيَوْمَ تعض النخبة الظالمة من حكام وأبناء حكام وكتاب وأشباه كتاب وضباط أمن الدولة عَلَى أيديها يَقُولُ الواحد منهم: يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ الرئيس خَلِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ ابن الرئيس خَلِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ نتن ياهو خَلِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ أوباما خَلِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ شنودة خَلِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ رجل الأمن خَلِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ رئيس التحرير خَلِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ المسؤول الكبير خَلِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ الطاغوت خَلِيلاً.

يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ المجرم خَلِيلاً.

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي.

يا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا.

***

يدوخني الألم فأقولها.

يذهلني الألم فأقولها.

يدميني الألم فأقولها.

ويدوخني ويذهلني ويدميني أنني أقولها فلا تستجيبون ولا تتحركون.

أسمع صمت صوتكم وصوت صمتكم:

اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا خائفون.

اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا جبناء منافقون.

اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا لصوص سارقون.

اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا سفلة منحطون.

اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا في الأسواق والمعيشة مشغولون.

اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا للمسلسلات والفوازير مشاهدون.

وا إسلاماه.

أقولها فتختلط الأمور، فلا أكاد أعلم هل ما أراه ورأيته وما أحسسته وأحسه كان حلما أم كابوسا أم خيالا أم حلم يقظة أم واقعا مريرا موازيا، تتراءى لي قصص كافكا المروعة فإذا الناس كالمسوخ أما الحكام فحيوانات مرعبة مفترسة مصاصة للدماء، وتتراءى لي مزرعة حيوانات جورج أورويل حيث تحكم البقرة ويكون الخنزير رجل دين والحمار فيلسوفا والذئب رمزا للوفاء والحية الرقطاء رمزا للأمان، وتكون الأسود خدما للكلاب والبغل الغبي الذي يحشر نفسه في الإبريق رمزا للحكمة، أما الحمائم فهي تُذبحُ أو تؤسر.

تختلط الأمور.

ذلك أن الحلم يتجسد فكأنه هو الواقع، أما الواقع فهو أغرب من الخيال.

فكيف أفرّق وكيف أميّز وكيف أستبين؟ !

أستغيث فلا يسمعني أحد.

وأستنجد فلا يدركني أحد.

يتكرر المشهد.

أراه في المنام كما أراه في اليقظة:

أراني في صحراء واسعة شاسعة مترامية هائلة وثمة خطر هائل محدق لكنني لا أصرخ ولا أستغيث لأنني أعلم أن لا يوجد أحد يستطيع إنقاذي إلا هو، هو الباقي، وأنه يسمع صمتي كما يسمع صوتي فلذلك أفقد الرغبة في الصراخ رغم الكارثة المحدقة.

ذلك: هل هو حلم أم كابوس أم خيال أم حلم يقظة أم واقع مرير موازٍ؟

هل هي آثار بقايا الألم الطاحن المتخلفة عن زلزال ١٩٩٢ م حيث الناس معزولون تحت الأنقاض يجأرون بالصراخ فلا يُصاخ لهم سمع، وكنت مع كل واحد منهم، كأنني هو، وكأنني تحت أنقاض وطن تقوض وأمة حكم عليها أن تتحلل تحت الرماد.

هل هي الذكرى الدامية لضحايا الدويقة التي ضاقت بلادهم عن أن توفر لهم قبرا فتركوهم تحت الصخور الهائلة، فكأنني منهم، وكأن معجزة هائلة جعلتني حيا وميتا تحت الأنقاض في نفس الوقت.

هل هو استباق لما سيحدث يوم القيامة حين يستغيث من عصوا الله فلا يغاثون.

أم أنها اختلطت بذلك الموقف الذي مزق قلبي -منذ ما يقرب من ربع قرن- وأنا أحاول خداع أبي والكذب عليه- عليه رحمة الله الواسعة، فلشد ما أحببته- كان قد أصيب بنزيف خطير في المخ، كان عاجزا عن النطق، ورحت في ألم محموم وحنان مكلوم أؤكد له -كاذبا- أنه بخير وأنه سرعان ما يشفى وينهض، وإن أنس لا أنس -أبدا- حركة يده وهو يشيح بها مؤكدا أنه لا يصدقني، من المؤكد أنه حاول آلاف المرات أن يكلمني، أن يستنجد بي، أن يستغيث، فلم يخرج صوته، أطبق عليه اليأس مني، ولم يعد له من أمل إلا في الله الذي يسمعه دون أن يتكلم، فتكلم بيده حين أشاح بها، وبدا كما لو أن كل إصبع من أصابع يده الحبيبة لسانا يعزيني فيه، ولو كان كل إصبع من أصابعه خنجرا ينغرس في قلبي لما كان الألم أكثر.

هل كنت أستغيث مثله؟.

هل يئست ممن حولي.

أم أنني أستنكف أن ينجدوني بينما كان عليهم أن يصرخوا مثلي:

وا إسلاماه.

أقولها دونما صدى.

أقولها وليس ثمة أمل إلا أن يكشف الله البلاء عنا.

ولكنني -حتى- لا أعلم إن كان الإذن الإلهي برفع الضر قد حان أوانه

***

وا إسلاماه.

أقولها فأشعر أن من يجب أن يسمعها لا يسمعها أبدا، لأنه انضم إلى معسكر الأعداء.

أقولها مع اجتياح أعدائنا لنا، ومع استسلام حكامنا، والأعجب منه استسلام شعوبنا.

أقولها مع حصار الخارج بالصهاينة والصليبيين ومع حصار الداخل بتحالف المفسدين والنخبة والحكومة والنصارى ضد الأمة والدولة والدين والتاريخ والجغرافيا.

أقولها وقد استنسر البغاث علينا.

أقولها وقد باض الحمام على الوتد وبال الحمار على الأسد.

أقولها ومبارك يذلنا وشنودة ينكل بنا.

أقولها والنصارى الأقل من خمسة بالمائة يستحوذون على ٦٠ بالمائة من الثروة ثم يملؤون الدنيا صراخا ونواحا وعويلا لأنهم مظلومون، بينما لا يوجد مسلم في مصر

إلا وهو يتمنى أن يحظى بمعاملة كالتي تتعامل بها الدولة والأجهزة مع النصارى.

أقولها مع الشهيدة وفاء قسطنطين.

أقولها مع كاميليا شحاتة.

أقولها مع التنكيل بالإسلام والإشادة بالكفر.

أقولها مع أنيس الدغيدي، ذلك المجرم الذي لا ينبغي أبدا أن نتركه يفلت بجريمته إلا في ظل حكومة مزرعة الحيوانات[1].

نعم.

مزرعة حيوانات تسود فيها الكلاب المسعورة والخنازير المأجورة.

مزرعة حيوانات بلا دين ولا صدق ولا رحمة ولا عدل.

مزرعة حيوانات يُكرّمُ فيها المجرم ويدان البريء.

مزرعة حيوانات لا يدري مقتول فيها من قاتله ولما قتله: ورؤوس الناس على جثث الحيوانات، ورؤوس الحيوانات على جثث الناس، فأطيعوا صلاح عبد الصبور وتحسسوا رؤوسكم يا أعداء الإسلام.

وتحسس رأسك أيها الكلب الذي تحدث عن الليالي الحمراء للنبي مع النساء.

وتحسس رأسك أيها الخنزير الذي أشاد به أو تركه يفلت.

وتحسس رأسك أيها المجرم الذي نشر له.

وتحسس رأسك يا جوالا مملوءا بالذهب المسروق ينفق منه على كتاب الشوارع- كأطفال الشوارع- كي يصدوا عن سبيل الله.

وا إسلاماه.

أقولها مع سفينة مليئة بالمتفجرات المهربة من إسرائيل والمملوكة لابن مطران بور

(١) أفاق وكذاب، عليه لعنة الله وكل من ساعده وأيده، نشر في أحد صحف ساويرس إعلانات ضخمة مسيئة للرسول الكريم ﷺ، وعندما فوجئوا بسورة الغضب انسحبوا كفئران مذعورة.

سعيد فإذا بالكل يعتم على الخبر وإذا بابن المطران أكبر من مصر كلها وأقوى من مصر كلها وأهم من مصر كلها.

سفينة مثلها ينسبونها زورا للمسلمين كفيلة بذبح آلاف المسلمين.

حادثة مثلها لا يسندها سوى حديث مرسل ضخمه عملاء الأمن عن شحنة سلاح موهوم للإخوان تأتي من السعودية عن طريق السودان عام ١٩٦٤، لكن كلاب السلطان يروعون الإخوان المسلمين من أجلها حتى الآن، شنقوا العشرات وعلى رأسهم الشهيد سيد قطب، لعن الله قاتله وكل من أيد قتله أو سمح به أو برره، شنقوه وأصحابه وقتلوا المئات وسجنوا الآلاف واعتقلوا عشرات الآلاف من أجل أقل من ذلك بكثير ومن أجل شحنة ربما تكون موهومة وربما لم تصل واعترف بها مدعيها تحت تعذيب حيواني مجرم، بل تعذيب كافر، أما شحنة ابن المطران التي وصلت بالفعل فلم ينبح كلب ولم نلحظ همهمة اعتراض ولا إشارة تنديد ولم نسمع شحيج بغل ولا نهيق حمار ولا فحيح حية ولا نقيق ضفدع ولا خوار بقرة ولا نبيب تيس ولا قباع خنزير. ولم نسمع أيضا صوت هزيم مدرعات الأمن المركزي تتحرك ولا قعقعة الأسلحة وهي تحاصر ولا أزيز الرصاص يحصد، لم تقتحم الكنائس وتمزق الأناجيل كما اقتحمت المساجد ومزقت المصاحف، ولا لاحظنا عزيف مباحث أمن الدولة وهي تتدخل.

لم نسمع أيا من ذلك، ولا سمعنا ثغاء وغثاء الذين يكتبون في الصحف القومية، ولا طنين الذباب والبعوض والطنبور الذين يكتبون في صحف ساويرس.

لم نسمع أيا من ذلك لكننا سمعنا الشيخ حافظ سلامة يصرخ ويصرخ ويصرخ..

البطل العظيم الشيخ حافظ سلامة، قائد المقاومة الشعبية في حرب أكتوبر، وهو القائد الذي انبثق من المسجد رافعا شعار لا إله إلا الله، رافضا الاستسلام بعد أن استسلم محافظ السويس، فكان صموده هو سبب إنقاذ السويس من الاحتلال

والجيش الثالث من التدمير، وقبل هذا وذاك أنقذ كرامتنا من العار. وللبطل الشيخ خبرة عميقة بالحرب والسلام. ولقد صرخ ينبه إلى ضرورة إخضاع الأديرة والكنائس المختلفة للتفتيش الأمني لضمان عدم استخدامها من قبل متطرفين دينيين للإضرار بأمن مصر وسلامتها، وذلك في أعقاب ضبط سفينة مملوكة لنجل وكيل مطرانية بورسعيد وهي محملة بكميات كبيرة من المتفجرات تم تهريبها من إسرائيل ، وقال سلامة في بيانه الذي أصدره تحت عنوان : «فتشوا الكنائس والأديرة قبل أن يستفحل الأمر»: إن الأخبار حملت لنا خبر السفينة التي تم ضبطها في ميناء بورسعيد وبها مئات الأطنان من المتفجرات والأسلحة قادمة من إسرائيل والتي يملكها جوزيف بطرس نجل وكيل مطرانية بورسعيد ، والسؤال هو : ما هي عدد المرات السابقة لمثل هذه الحمولات من أسلحة ومتفجرات وأفلتت من الرقابة والضبط ؟ !! وإلى أين كانت تخزن الحمولات السابقة؟ !! ، إن هذا الحادث مبرر كاف لتفتيش هذه الكنائس والأديرة للبحث عن الحمولات السابقة لهذه الحمولة.

وأكد الشيخ حافظ سلامة أن الواقعة شديدة الخطورة واتهم الولايات المتحدة وإسرائيل وجهات دولية مشبوهة بدعم قوى متطرفة في مصر من أجل إحداث اضطرابات أمنية والعبث باستقرار البلاد.

ولم يستجب للشيخ القائد البطل أحد.

صمت الكل ذلك الصمت الخائن المجرم الخسيس الجبان، مع أن سلاحا يضبط مع الأقباط يهدد وجود الدولة والأمة، أما السلاح الموهوم الذي لم يضبط مع الإسلاميين، فعلى فرض صحة الواقعة المزعومة المدّعاة فلا يهدد إلا الحاكم، ووريثه.

وا إسلاماه.

وا إسلاماه.

وا إسلاماه.

أقولها مع كل هذا.

ومع.

ومع.

ومع التوريث.!!

***

لا يهمني التوريث في حد ذاته، لأن هناك ما هو أخطر منه.

لا يهمني أن يخلف الابن أباه ولا الأب ابنه.

ما يهمني الآن وهو الأخطر وعليه يجري المزاد هو أن يحكمنا: كمال أتاتورك!!

أنا حذيرك ونذيرك يا أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أنا حذيرك ونذيرك.

ثمة حلف رباعي أو خماسي للقضاء عليك، والشيطان سادسهم.

إن النخبة الحاكمة قد تحالفت مع الكنيسة المصرية مع العلمانيين والشيوعيين مع أمريكا وإسرائيل على إزاحة الإسلام من مصر، لأنه هو القوة الوحيدة التي تجعل مصر قادرة على الوقوف والمواجهة وتجميع المسلمين مرة أخرى. الإسلام ليس خطرا على صاحب حق أو عادل أو منصف. لكنه خطر على السماسرة والخونة والعملاء واللصوص، والكفار.

نعم.

تذكروا دائما:

النخبة الحاكمة ضد الإسلام.

والكنيسة بقيادتها المرتدة عن الوطنية المصرية ضد الإسلام.

والأزهر الذي يسلم المسلمات لمحاكم التفتيش الكنسية ضد الإسلام.

والمفتي الذي يفتي بجواز ذلك ضد الإسلام.

والعلمانيون بأصنافهم ضد الإسلام.

وأمريكا ضد الإسلام.

وإسرائيل ضد الإسلام.

وقد تحالفوا جميعا.

فمصر هي فرصتهم الأخيرة.

ورئيسها القادم بغيتهم الأولى.

لا يهمني الأشخاص والأسماء.

وأيا كان اسم القادم الرمزي-الذي ستسمح به أمريكا ولا تعترض عليه إسرائيل- فإن اسمه الحقيقي هو: كمال أتاتورك.

***

من نسل يهود الدونمة كان كمال أتاتورك.

كانت أمه غانية، أما أبوه -في شهادة الميلاد- فقد كان ضابطا تركيا انتحر كما يقول المؤلف التركي المجهول لكتاب: «الرجل الصنم». وكان من أسباب انتحاره معرفته بأن كمال أتاتورك ليس ابنه بل ابن سِفَاحٍ لجندي صربي.

هذا اليهودي السفّاح ابن السِّفَاح هو الذي قضى على الدولة الإسلامية.

دبر اليهود والغرب مؤامرتهم الكبرى، ووصلوا إلى بغيتهم في ابنهم كمال أتاتورك، كان فاسقا عربيدا لا يكف عن السكر، وكان قاتلا سفاحا، لكنه غطى على كل ذلك، وفي إطار عملية الخداع عين فقيهين مالكيين لتعليمه الدين ثم أعدمهما عندما استتب له الأمر.

ويذكر كتاب «الرجل الصنم» وهو من أهم الكتب التي تكشف سر كمال أتاتورك: «...الذي يتمعن في حركة مصطفى كمال يرى العجب في المدى الذي وصل إليه في تقليد الغرب: غيّر الأحرف التركية إلى الأحرف اللاتينية، غير القيافة إلى القيافة الغربية، غير حتى الأعياد الدينية، وجعل يوم الأحد هو يوم العطلة الرسمية بدلاً من يوم الجمعة، ومنع الحج، وأباح تزويج المسلمة لغير مسلم.»

***

المطلوب الآن حاكم بهذه المواصفات.

فلا تستدرجي يا مصر إلى الفخ فتتمزق قواك وتتوزع بين التوريث وعدم التوريث، وبين هذا أو ذاك، فالأمر أخطر بكثير، وما أرى يا أمة إلا أنهم يصوغون لك كمال أتاتورك آخر يقضي على البقية الباقية من مظاهر الإسلام ويلغي المادة الثانية من الدستور، وليس عندي شك في أنه والأمة تستجمع قواها للمواجهة من الشرق فإن العدو سوف يأتي من الغرب، وأنهم يتركوننا نحتشد في المكان الخطأ ونضع الشروط الخطأ، فنتصارع: هل هو الرئيس أم ابنه؟ هل هو ابنه أم البرادعي؟ هل هو البرادعي أم حمدين صباحي؟ هل هو حمدين صباحي أم عبد الله الأشعل؟ هل هو أيمن نور؟ هل هو مرشح يدعمه الإخوان؟ هل تتحقق المفاجأة ويكون ساويرس؟ أم أن السيد البدوي قلب الأوضاع جميعا فهو النجم الذي يصنع منذ ثلاثين عاما ليحل أزمة الغرب بين طاغوت جعله مكروها وبين اتجاه إسلامي سيجعله مطرودا؟.

لا تستدرجي يا أمة إلى هذه التساؤلات بينما المساومة الحقيقية تتم في الظلام، مساومة خفية تقرع أجراسها ويصرخ دلالها:

ينعقد المزاد، أما الجائزة فهي مصر، نعم، مصر وليس عرش مصر، مصر، لا كعرش يعتلى بل كدين يباع وثروة تنهب وأمة تستعبد.

ينعقد المزاد السري في الغرف المغلقة وأقبية المخابرات.

من منكم سيتخلى عن الإسلام؟ .

من منكم سيعتبر إسرائيل حبيبة وحماس عدوة.؟ !!

من منكم سيعتبر الإخوان ألعن من اليهود؟ .

وخطر إيران أكبر من خطر إسرائيل؟

من منكم سيجعل العري مستحبا والحجاب ممنوعا والنقاب حراما.

من منكم سيكون مثل سمير جعجع؟

من منكم سيطالب بسحق حزب الله وضرب إيران وغزو سوريا.

من منكم سيستعديهم على أبنائنا وعلى أبطالنا.

من منكم سيبيع لهم ديننا.

من منكم سيكمل حصار سور الفولاذ حول الإسلام والمسلمين.؟ .

من منكم سيبجل شنودة وينكل بمحمد بديع.

من الخنزير الذي سيروج لشيطنة الإسلاميين وتحويل مجرمي التعذيب إلى ملائكة.

***

إنني واثق أنهم الآن في مكان ما يبرمون اتفاقية لوزان أخرى مع الحاكم القادم.

الذي سيوقع هو الرئيس.

وذلك أن جواز المرور لكل حاكم سابق أم لاحق ليس إلا تكرارا للملحق السري الذي وقع عليه كمال أتاتورك ، حيث ينص بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ على الشروط المعروفة بشروط كروزن الأربعة على ما يلي:

أولا – قطع كل صلة بالإسلام.

ثانيا – إلغاء الخلافة الإسلامية.

ثالثا – إخراج أنصار الإسلام من البلاد.

رابعا – اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الإسلام.

(أنور الجندي– رجال اختلف فيهم الرأي).

هذه هي الشروط في مزاد الأوطان والأمم.

فمن يبيع.

من يبيع وطنه بمقعد؟ !

من يبيع أمته بمنصب؟ !

من يستعيض عن صلته بالله بصلته بالموساد والبيت الأبيض.

من لا يهمه رضا الله ويهمه رضا أمريكا وإسرائيل وشنودة.

من يستبدل الخلد في منصبه بخلده في الجنة، حتى لو كان الثمن هو الخلد في النار، التي أشك أنه يؤمن بها.

المزاد ينعقد الآن وكل شيء يباع.

فمن منكم يتعهد : ليس بإلغاء المادة الثانية من الدستور فقط، بل بإلغاء الإسلام كله.

انتبهي يا مصر.

أفيقي يا أمة.

إن إلغاء المادة الثانية من الدستور ليس سوى مقدمة ومن بعدها يأتي الطوفان.

لقد فعلها أتاتورك عام ١٩٢٨ فألغى المرجعية الإسلامية من الدستور تماما.

ولم يكتف بذلك، فقد حارب الإسلام كله.

فانتظروا إذن اكتمال القائمة.

انتظروا تجفيف المنابع.

فهل تعلمون ماذا يعني تجفيف المنابع؟

إنه يعني انتزاع الشتلات من تربتها كي لا تنمو وتصبح أشجارا.

فلتقتلع شتلة كل من يمكن أن ينافس على كرسي الحكم ذات يوم.

ولأنه لا توجد وسيلة لتحديد أي شتلة ستنبت مشروع رئيس فمن الضروري اقتلاع الشتلات جميعا، تماما كما فعل فرعون حين راح يقتل الأطفال الذكور من بني إسرائيل.

وفي هذا الإطار سيتم اقتلاع شتلة كل عالم يمكن أن يواجه الطاغوت ذات يوم ليواجهه بأنه فاجر.

وسيتم اقتلاع شتلة أي مفكر يمكن أن يقول للص : أنت لص وللظالم: أنت ظالم وللفاجر أنت فاجر.

انتظروا الجمود القاتل والعقم المميت الذي سيترتب على اقتلاع شتلات الحياة.

انتظروا أن يحدث لنا ما وصفه الكاتبان الفرنسيان (بينغسن ولمرسييه) في كتابهما: (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) عن تجربة سياسة «تجفيف المنابع»، التي رسمها المفكر الشيوعي «سلطان غالييف»، وهو مفكر من نوع جمال البنا ورفعت السعيد والقمني وخليل عبد الكريم ونصر أبو زيد. و أقولها هو -رغم ادعائه الإسلام- هو الذي رسم خطة تجفيف المنابع في الجمهوريات الإسلامية للاتحاد السوفيتي. وتماما كما يفعل جمال البنا فقد بدأ «سلطان غالييف» حياته بالتنظير لإسلام عصري (كما يفعل أصحاب الفكر الإسلامي المستنير اليوم).

رسم « سلطان غالييف » سياسة النفس الطويل للقضاء على الإسلام، ومن ملامح هذه السياسة وجوب « إبعاد المسلمين عن دينهم بمراحل تدريجية لا تثير

صداماً أو مقاومة قد تتخذ شكل حرب وطنية وفوق ذلك كان على الدولة الشيوعية أن تبعد عن نفسها ظن المسلمين وهي تشن حرباً على الإسلام أنها إنما تفعل ذلك استمراراً للحملة التي شنها عليهم المبشرون المسيحيون في القرن التاسع عشر»، ولم يكن هذا جديدا تماما، بل لقد كان استمرارا عصريا للحروب الصليبية وأجنحتها الثلاث: التبشير والاستشراق والاستعمار، وهذا يشمل بطبيعة الحال دور المبشرين بالنصرانية الذين وجدوا في المهن التي يحتاجها المسلمون مثل الطب والهندسة وغيرها، فرصة لمتابعة عملهم التبشيري دون اهتمام كبير من المسلمين. وهو الأمر الذي لاحظه النصارى المصريون منذ زمان طويل لتشتد وتيرته في عهد شنودة.

نصح «سلطان غاليف» بتجفيف منابع الإسلام بشكل غير مباشر: يقول المؤلفان: « ما كادت الحرب الأهلية تنتهي حتى هاجمت الحكومة السوفيتية الإسلام بطريق غير مباشر، وذلك بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الثلاث، وهي: أولا: الأوقاف التي كانت تضمن القوة الاقتصادية لعلماء الدين، ثانيا: المحاكم الشرعية التي تمنح الإسلام السيطرة على حياة المسلمين الخاصة، وثالثاً: التعليم الديني الإسلامي، وقد شنت هذه الحملات الثلاث في وقت واحد تقريباً».

هل تلاحظون يا قراء أن هذه هي ذات السياسة التي تطبق علينا؟ .

إنهم لا يهدمون البنيان مباشرة بل يخلخلون الأرض من تحته (إنهم مثلا لا يواجهون الإخوان المسلمين مباشرة بل يدفعون عميلا لهم لكتابة مسلسل لتشويه الإخوان كي يزلزلوا الأرض تحت أقدامهم). المهم هو القضاء على مرجعية الإسلام في قلوب الناس. وفصم العلاقة بينه وبين القضاء والقانون والمحاكم والقضاء على الأزهر وهو ما يحدث الآن، أما القضاء على نظام الأوقاف فقد أنجزه الزعيم(الخالد: في النار أم في الجنة؟: لا أدري!) جمال عبد الناصر عندما استولى على

أوقاف المسلمين وترك أوقاف النصارى.

انتظروا مزيدا من حصار علماء الدين وحرمانهم من أسباب رزقهم.

انتظروا المزيد من حصار المساجد مادة ومعنى وحرمان العلماء من الخطابة ومنح الرخصة للجاهلين المنفرين.

انتظروا المزيد من تدمير القوى الاقتصادية للمسلمين قبل الإسلاميين (وراجعوا فضائح الأنظمة مع الشريف والسعد والريان حين لم تتردد الدولة في القضاء على مدخرات الملايين خوفا من أن يشكل الإسلاميون قوة اقتصادية).

انتظروا مزيدا من الحرب على العادات الإسلامية وعلى التشريع الإسلامي.

انتظروا «المفكرين الإسلاميين العصريين» يعصرنون الإسلام حتى يقضوا عليه.

انتظروا العلمانية الكاملة الشاملة التي ما زالت مقنعة خلف ستار مزيف يدعي أن العلمانية ليست كفرا.. انتظروها وهي تعلن جهارا نهارا عن كفرها.

نعود إلى كتاب (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) فمن المذهل أن الكاتبين وهما يرصدان ما حدث هناك إنما يصفان ما يحدث لنا بحذافيره. يقول الكتاب: «ولم يكتف الحزب الشيوعي السوفيتي بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الثلاث، ولكنه في الوقت نفسه كما يقول الكتاب قام بحملة دعائية ضخمة ضد علماء الدين، حيث «كانت الدعاية الرسمية تسعى، في بداية الأمر، إلى الحط من أقدار علماء الدين فقط في نطاق عملهم وتتهمهم بالجهل وعدم فهم القرآن وعدم معرفة أحكام الشرع، وبالتالي تتهمهم بأنهم أئمة غير صالحين، ثم تطورت حملة التحقير رويداً رويداً، وصار علماء الدين يتهمون بعد سنة ١٩٢٦ م بالرشوة والسرقة والإجرام، وأخيراً بسوء السيرة والخلق. وبعد سنة ١٩٢٨ م قررت السلطات السوفيتية أن تبدل حملاتها غير المباشرة بحملات مواجهة، بأن تهاجم الإسلام في جوهره وصميمه، متناسية نصائح الحكمة والحذر التي أسداها إليها سنة ١٩٢١م (سلطان

غاليف) وغيره من الشيوعيين المسلمين».

ويكمل الكتاب الحديث عن آخر فصول هذه الخطة التي رسمها الحزب الشيوعي للقضاء على الإسلام نهائياً في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق فيقول: «في سنة ١٩٢٨م بلغت السياسة الحكيمة، التي لجأت إليها الحكومة في مكافحة الدين، هدفها من غير أن تثير أية مقاومة شعبية، وذلك بتبنيها الكفاح الذي كان (المفكرون الإسلاميون المستنيرون) يخوضونه منذ عشرات السنين بغية جعل الإسلام عصرياً، وتطبيقه على العالم الحديث، وبعد أن نجحت هذه السياسة بتجريد الإسلام من قوته الزمنية أصبح بالإمكان البدء بتنفيذ المرحلة الثانية وهي الكفاح في سبيل إقامة مجتمع شيوعي بعيد كل البعد عن الأفكار الدينية، وقد بدأ تطبيق هذه المرحلة بعنف منذ البدء بمشروع السنوات الخمس، وذلك بحملة مجابهة على الإسلام تقرر تنفيذها في الوقت الذي تقررت فيه مجابهة (الجديد)، وتصفية أكثر أعضائه الذين انضموا إلى الحزب الشيوعي وإعدام « سلطان غالييف».

***

هل تفهم يا جمال البنا؟ .

حتى أنت، حتى أنت، لو امتد بك العمر أكثر مما امتد سيعدمونك كما أعدم الروس « سلطان غالييف».

***

انتظروا ذلك كله بعد التوريث مقابل إلغاء المادة الثانية من الدستور.

***

انتظروا منظمات حقوق المرأة «المخترقة والممولة من الخارج»، والتي أقامت الدنيا ولم تقعدها على ختان الإناث في حين تجاهلت ما حدث في البوسنة والهرسك من اغتصاب أكثر من ستين ألف مسلمة على يد الصرب، كما تجاهلت ما حدث

للشهيدة وفاء قسطنطين وكاميليا شحاتة.

انتظروا رائدات التحرير العلمانيات صاحبات شعار «نحن بشر». وهو يتعلق بزوجات الشيوعيين المعتقلين في الستينيات حن رحن يخنّ أزواجهن المعتقلين بحجة أنهن لم يستطعن الوفاء لأزواجهن ولا مقاومة رغباتهن وغرائزهن لأنهن بشر، بررن الزنا بأنهن بشر، بل وقد ارتبط بعضهن برباط مدنس مع الضباط الذين اعتقلوا أزواجهن أو كانوا يعذبونهم، من هاتيك وأربابهن جل رائدات وعضوات التحرير وأصحاب بوتيكات تحرير المرأة الآن، فعندما اختطفت محاكم التفتيش وفاء قسطنطين وكاميليا شحاتة لم تكونا وحدهما ولا ماريان وكريستين كانتا وحدهما ولا ماريان وتريزا كانتا وحدهما بل تحولت محاكم التفتيش إلى دولة أقوى من الدولة ونكلت بالنساء تنكيلا لم نسمع بمثله منذ اضطهاد الرومان للنصارى الحقيقيين الموحدين الذين تحدث عنهم رسول الله ﷺ في رسالته إلى المقوقس:«فان توليت فإنما عليك إثم الآريسيين». لم تتحرك رائدة من رائدات التحرير ذوات شعار:«نحن بشر».

ولقد لاحظ الدكتور جلال أمين ملاحظة هامة هي أن المعارضة العلمانية التي يتزعمها هؤلاء وأزواجهن وأخدانهن وأمثالهن من النساء وأشباه الرجال ليست معارضة حقيقية: «فمعظمهم يحظى برضا الدولة ويحتل مراكز رسمية مجزية للغاية من الناحية المادية، ومنهم من يحتل مناصب رسمية عالية في أجهزة الثقافة وكثير منهم ضيوف ثابتون في أجهزة الإعلام الرسمية (وكذلك الصحف والفضائيات الخاصة التي تتصرف كملك يمين للحاكم) يطلب أيهن باستمرار في أي موضوع ثقافي أو حتى سياسي في التليفزيون وغيره، وهم أيضا مدعوون دائمون لمقابلة الرئيس في معرض الكتاب»: كتب لها تاريخ-كتاب الهلال- العدد ٦٢٦.

نعم لم نسمع منهن ولا منهم نباحا ولا فحيحا.

هؤلاء هم فلاسفة الغد وفقهاؤه ومنظروه والمتحكمون الوحيدون فيه بعد التوريث.

فانتظروا ماذا سيفعلون في الإسلام والمسلمين.

انتظروا الرعب منهم والقسوة والفجور والشذوذ.

انتظروا تحالفهم مع اليهود وأقباط المهجر ضدكم.

وانتظروا أن يتحصن أفجرهم بالحصانة.

انتظروا الهوان على يد كمال أتاتورك.

انتظروا الاستسلام على كل الجبهات، في الداخل والخارج.

انتظروا أن يكون نتن ياهو هو رئيسنا الحقيقي، وأن يكون أوباما أمير المنافقين.

انتظروا كل الرعب والمهانة والاستخذاء والاستسلام أمام أصغر قسيس وكل الجبروت والبطش أمام أكبر عالم.

انتظروا محاصرة الدعوة والسماح بالتبشير.

انتظروا الحرية كل الحرية للكنائس وكل القيود على المساجد.

انتظروا التنصير.

انتظروا خمسين ألف جنيه شهريا يمنحها شنودة للمسلم الذي يتنصر، والسجن والتعذيب والصعق والقتل للمسيحي الذي يسلم.

انتظروا خروج المسلمين من دين الله أفواجا.

انتظروا التفتيت، وكما تفتت الأمة إلى أوطان انتظروا تفتت الأوطان إلى قبائل.

انتظروا حاكما يبيع القدس مقابل عرشه ليقود جيل العار الذي تضيع من يديه القدس كما حدث مع الجيل الذي أضاع الأندلس.

انتظروا حاكما يمنع أي تعاون أو تكافل مع العالم العربي أو الإسلامي وسيسلم

كل مقدراتنا لإسرائيل والولايات المتحدة وسيمنع مشروعات الاكتفاء الذاتي من الأغذية.

انتظروا من يجاهر بالفحشاء وبالخيانة، أما يفعلونه اليوم من وراء ستار يغطي العورات فسوف يجري بعد ذلك على رؤوس الأشهاد.

انتظروا تخريب البلاد لأن في إعمارها خطورة على وجود إسرائيل وعلى مصالح أمريكا.

انتظروا الجوع، لأن أمريكا تضع خطا أحمر على مشاريع الاكتفاء الغذائي وخاصة في القمح، فتوجد بحوث مصرية جاهزة لزراعة القمح بكفاءة تامة في رمال الصحراء وبمياه البحر (معلومات شخصية من الدكتور أحمد مستجير قبل وفاته) عليه رحمة الله.

لقد بلغ الأمر أن الأهرام منع كاتبة كبيرة من الكتابة لأنها طالبت بالاكتفاء الذاتي من القمح، كما بلغ أنه بعد أن قدمت السودان أراضي زراعية بالمجان لمصر لزراعة القمح كي يكفي الإنتاج احتياجات الدولتين والتصدير لباقي الدول العربية والإفريقية، إنه بمجرد إرسال الأبحاث والدراسات إلى مقر الصندوق في القاهرة تمهيدا لتنفيذ المشروع واقعيا قامت قوات أمن مصرية بالهجوم على مقر الصندوق، وتم السطو على الأبحاث والدراسات الخاصة بالمشروع. ولقد كان هذا شاذا وغريبا حتى إن الصحف نشرته لغرابته فانتظروا أن يكون هو القاعدة بعد ذلك وغيره استثناء، وانتظروا أن يحدث ذلك لكل من يطالب بالاكتفاء من أي شيء حتى لو كان قليلا من العزة والكرامة.

هذه هي البذور السامة فانتظروا الثمار القاتلة.

انتظروا تحول مصر التي كانت أكبر رصيد في محيط أمتها الإسلامية لتصبح أهم رصيد عند أعداء الأمة.

انتظروا خيبتها وهي تجعل العدو الأول هو الحليف الوحيد.

انتظروا سعادتنا بأن نكون خدما للأمريكان والصهاينة.

انتظروا اكتمال المؤامرة، رغم صراخ الخنازير أنه لا توجد مؤامرة، فليس يولى حاكم أو يعزل حاكم أو يورث حاكم أو يقتل حاكم إلا في إطار تخطيط دقيق، كل شيء فيه بالثمن، و أنه ما من حاكم يُولّى إلا بعد أخذ العهود والمواثيق منه أن يحارب الله ورسوله والمؤمنين. أما تفاصيل المؤامرة فتحتوي على أن تحمي الجيوش إسرائيل لا الوطن، و أن تكون الشرطة أضعاف عدد الجيش كي تحمي الطاغية من غضب شعبه، و أن يدخل المثقفون الحظيرة، بعد أن يتحولوا إلى مرتزقة.

انتظروا من الحاكم القادم أن يصرح بأن أتاتورك مثله الأعلى.

***

لقد فجعت عندما قرأت أنه كان المثل الأعلى للضباط الأحرار، وعزوت الأمر لجهلهم وسطحيتهم وانعدام وعيهم وقلة بضاعتهم في الشريعة والتاريخ. من أجل هذا كانت فجيعتي أكثر عندما علمت أن مصطفى النحاس الذي أطلقوا عليه(رجل يجمع بين شجاعة الأبطال وطهارة الأطفال) كان هو أيضا يعتبر ذلك المجرم الكافر السفاح أتاتورك مثلا أعلى!!، صحيفة الأهرام- يوم ١٥ ربيع الأول ١٣٥٥ الموافق ٦ يونية ١٩٣٦ م .

***

حتى أنت يا نحاس.

حتى أنت.!!

***

ولقد تجلت عبقرية حسن البنا ووعيه الديني والتاريخي والسياسي والوطني في رسالته إلى مصطفى النحاس والتي يقول فيها:

«.. دولتكم أكبر زعيم شرقي عرف الجميع فيه سلامة الدين وصدق اليقين، وموقف الحكومة التركية الحديثة من الإسلام وأحكامه وتعاليمه وشرائعه معروف في العالم كله لا لبسَ فيه، فالحكومة التركية قلبت نظام الخلافة إلى الجمهورية، وحذفت القانون الإسلامي وحكمت بالقانون السويسري مع قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٣]، وصرَّحت في دستورها بأنها حكومة لا دينية، وأجازت بمقتضى هذه التعاليم أن تتزوج المسلمة غير المسلم، وأن ترث المرأة مثل الرجل، واصطدمت في ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[الممتحنة: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[النساء: ١٧٦]، وهذا قليل من كثير من موقف الحكومة التركية من الإسلام، وأما موقفها من الشرق فقد صرحت في وقت من الأوقات بلسان وزير خارجيتها بأنها ليست دولة شرقية، وقد قطعت صلتها بالشرق حتى في شكل حروفه وفي أزيائه وعاداته وكل ما يتعلق به (...) ولقد أخذ كثيرٌ ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون: هل يُفهَم من هذا أن دولة النحاس باشا وهو الزعيم المسلم الرشيد يوافق على أن يكون لأمته- بعد الانتهاء من القضية السياسية- برنامج كالبرنامج الكمالي يبدل كل الأوضاع فيها، ويفصلها عن الشرق والشرقيين، ويسقط من يدها لواء الزعامة؟ وإنا نعيذ دولة الرئيس من هذا المقصد الذي نعتقد أنه أبعد الناس عنه. القاهرة في ٢٤ ربيع الأنور سنة ١٣٥٥ هـ = ١٤ يونية سنة ١٩٣٦ م.

***

انتظروا إهمال التعليم الديني ثم إلغاءه، وانتظروا محاصرة الأزهر ثم ضمه للتربية والتعليم تحت قيادة اللواء بدر والذي ما أظنه جاء إلا لغرض في نفس آل يعقوب، ولأنه الأسوأ فسوف يمكث كما مكث فاروق حسني.

انتظروا أن يكون لخليفة شنودة حق الفيتو على الأزهر ودار الإفتاء.

بل..

وعلى القرآن..

انتظروا حذف الآيات التي تجرح مشاعره.

انتظروا حذف سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة الأنعام.

انتظروا إلغاء الدين من المدارس، ومن الصحف، ومن كل الميديا الإعلامية، ليبقى في المعتقلات فقط.

انتظروا الجحيم على الأرض.

انتظروا التحالف الكامل بين مصر وإسرائيل ينتقل من طور الاستتار والإخفاء إلى طور المجاهرة بالفحشاء.

انتظروا منع الحجاب وإباحة الزنا واللواط والسماح بارتكاب الفاحشة على قارعة الطريق،

انتظروا اعتبار العفة تخلفا والاعتزاز بالشرف إرهابا.

انتظروا إلغاء الباقي من المرجعيات الإسلامية في القانون.

انتظروا تسليم كل مسلم يتنصر وكل نصراني يسلم إلى البابا شنودة وعصابته.

انتظروا فرمانا من شنودة بقتل كل من يشهر إسلامه (ويقال: إن الفرمان موجود من الآن لكنه بعد ذلك سيعلن).

انتظروا أن يفعل النصارى بالمسلمين ما فعله نصارى دمشق والشام بأهلها في الحروب الصليبية وغزو التتار وما فعله نصارى مصر في غزوة نابليون الذي احتفل المجرمون بذكراه المائتين.

انتظروا آلافا وعشرات الآلاف مثل وفاء قسطنطين وكاميليا شحاتة وقد تم أسرهن وربما قتلهن لأنهن شهدن أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

انتظروا عارا أكبر للأزهر وشنارا أكبر لبعض علمائه وهم يصدون عن سبيل الله

ويتصرفون بمنتهى الخسة وهم يسلمون مسلمة استنجدت بهم إلى جلاديها بعد أن رفضوا منحها شهادة بإسلامها تدعم مركزها: اللهم العن من فعل ذلك إلى يوم القيامة، اللهم افضح كل من ساعد على ذلك في الدنيا والآخرة وعجل عقابه واحرمه مما رام بالحرام أن يناله.

انتظروا يا بعض علماء الأزهر الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، يا مقبوحين، يا أئمة يدعون إلى النار، يا من رضيتم بهوان الأزهر فأصبحت عمامة من أكبر العمائم فيكم لا تنحني لله بل لرغبة أصغر قسيس يأمركم بأن تصدوا المسلمين والمسلمات عن دين الله فتستجيبون وتصدون، فإن كان بعضكم قد فجر وأخذ يخرق السفينة فأين الباقين ولماذا لا يأخذون على يديه.

الآن تسلمون من يسلم من النصارى ، وغدا تسلمون من يقبض على دينه من المسلمين.

بل انتظروا تسليم كل من يتلو آيات القرآن عن عبد الله عيسى ابن مريم إلى الكنيسة لتقتص منه في محاكمها المعقودة الآن، محاكم التفتيش.

انتظروا تحريم تلاوة: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة].

انتظروا تسليم من يتلو: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ . أو: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

انتظروا التسليم بالأمر كله، لشنودة لا لله الواحد القهار.

عار عليك يا أزهر إن لم تتصد للذين يريدون أن تكون كلمة الله هي السفلى وكلمة الذين كفروا هي العليا.

عار عليك يا أزهر إن لم تكن الصخرة التي تتحطم عليها سفن التبشير والاستشراق والتغريب والتنصير.

عار عليك يا أزهر إن لم تتصد.

عار عليك يا أزهر إن لم تتب.

عار عليك يا أزهر إن لم تواجه.

عار عليك.

فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه.

من يسلم مسلما إلى الكفار أمره معلوم..

ولولا أن شيخنا وأستاذنا الأستاذ الدكتور محمد جبريل رئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر حذرني بشدة من تكفير من فعل ذلك ، ومن أمر به ومن تستر عليه ومن سكت كالشيطان الأخرس فلم يصرخ احتجاجا لفعلت.

فانتظروا المزيد.

انتظروا المزيد.

واخجل يا أزهر من نفسك، أيها الأزهر الذي كان شريفا-كما أطلق عليه الشيخ كشك إن مجاهدين أفرادا يغارون على دينهم قدموا للإسلام أكثر مما قدمت، منهم الأستاذ محمود القاعود الذي آلى على نفسه أن يواجه ذلك الخطر الداهم على الدين والأمة فانبرى كمسعر حرب وكنذير عريان يصرخ في البرية محذرا صارخا عل الناس يفيقون، وأفرادا آخرين دافعوا عن الإسلام خيرا منك يا شيخ الأزهر مثل الأستاذ نزار غراب وخيرا منك يا فضيلة المفتي مثل الأستاذ ممدوح إسماعيل.

لقد قيدني الدكتور محمد جبريل، أما الشيخ وجدي غنيم والشيخ ياسر برهامي فقد شفيا نفسي وأبرآ سقمها حين حكما بأن كل من شارك في هذا الأمر كافر.

انتظري الذل يا أمة نكصت عن الجهاد وعن النطق بكلمة حق أمام سلطان

جائر.

انتظروا –يا مسلمون– الفجار والكفار يتراجعون مؤقتا عن سب الرسول صلى الله عليه وسلم والحديث عن أسرار لياليه الحمراء مع النساء، وانتظروا ذلك كله وأسوأ منه يعاد نشره بعد حين بأضخم الأبناط في صحف جارية استولى عليها بذهب النصارى وسيفهم نصراني متعصب لتصبح ملك يمينه يفعل فيها ما يشاء، ليحتضن كل من وكل ما يسيء للإسلام، فإذا واجهتهم، اتهموك بالإرهاب.

انتظروا مثقف الشوارع الصعلوك البذيء الذي يفعل مثل هذا حين يعينه أتاتورك وزيرا للثقافة أو الإعلام.

انتظروه يسب الرسول ﷺ فيمنح الجائزة التقديرية.

ولو سب الرئيس أو ابنه لغلقت أمامه الأبواب كلها إلى يوم يبعثون.

لكنهم يسبون الله والرسول ﷺ فيكرمون.

انتظروه يسب فلا يقتل بل يكرم ويقابل بالتقديس والتبجيل كما لو كان شهيدا، وتجد مسؤولين على شاكلة جابر عصفور يهيمون به ويدافعون عنه في ولع شاذ: أليس الولع بالكفر شذوذا؟ وأليس تكريم من يجب قتله شذوذا؟ ؟ ذلك أن مذهب عامة أهل العلم وجوب قتل من سب النبي مسلماً كان أو كافراً، قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن حد من سب النبي القتل، وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق، وهو مذهب الشافعي.

انتظروا مزيدا من التنكيل بالمسلمين ومزيدا من الفجور والغطرسة لبعض النصارى وجل العلمانيين.

انتظروا تمجيد من يسب أئمتنا كنصر حامد أبو زيد، الكافر الذي يسب القرآن، وينكر أن الله هو الذي سماه قرآنا وأن الإسلام دين محلي عربي وليس عالميا وأن علوم القرآن تراث رجعي أن الشريعة هي السبب في تخلف المسلمين وانحطاطهم ،

كما أنه يصف العقل الذي يؤمن بالغيب بأنه غارق في الخرافة ، وصرح بأن الوقوف عند النصوص الشرعية يتنافى مع الحضارة والتقدم ويعطل مسيرة الحياة ، ويتهم النهج الإلهي بتصادمه مع العقل بقوله «معركة تقودها قوى الخرافة والأسطورة باسم الدين والمعاني الحرفية للنصوص الدينية وتحاول قوى التقدم العقلانية أن تنازل الخرافة أحياناً على أرضها ».

انتظروا أن يكون ذلك كله مباحا باسم حرية الفكر.

ولقد أكدت المحكمة -قبل الأزهر وبعده- كفر نصر حامد أبو زيد الصريح فعامله كلاب النار وحصب جهنم كقديس ، فانتظروا أن يكون كل من يصف القرآن بأنه أساطير الأولين بطلا، وكل من ينكر حجية السنة مستنيرا، وكل من يهاجم أئمتنا عبقريا.

انتظروا أن كل جاهل يتهم الإمام الشافعي والإمام أبا حنيفة بالجهل سوف يرفع على الأعناق وتشيد به صحف الكلاب وفضائحيات الخنازير.

فانتظروا -مع تولي أتاتورك حكمنا- أن يكون الدفاع عن الله والقرآن الرسول ﷺ تخلفا ثم إرهابا ثم جريمة أمن قومي.

انتظروا تبجيل كل من يسخر من القرآن.

انتظروا أن يكون تعداد النصارى ٩٥٪ وتعداد المسلمين ٥٪ فمع تنافسهم على الكذب الفاجر الذي لم يتورع عنه أكبر رأس فيهم وصل عدد النصارى حتى الآن إلى خمسة وعشرين مليونا (العدد الحقيقي : حوالي أربعة ملايين، يعرفه الكل ، لكن لعن الله النفاق والدولار والكفر والفجور الذي لا يعرف للتدني حدا).

انتظروا السماح بكنيسة تطل من كل ربوة، وكل ميدان رئيسي وكل شارع هام.

انتظروا شراء دور الصحف ومحطات الفضائيات بأموال النصارى ليسموها بأسماء تخدش عقيدة المسلمين وليضعوا على رأسها مرتدين أو منافقين، في محاولة

لاقتلاع الدين واللغة من جذورهما.

انتظروا تحويل المساجد إلى متاحف.

انتظروا إلغاء قوامة الرجل وفرض الأحرف اللاتينية.

انتظروا إلغاء الزواج الشرعي وإباحة زواج المسلمة بغير مسلم.

انتظروا إلحاق بقايا المسلمين بمساجد معينة كما يلحق المساكين ببقال تموين معين، فلا يجوز لهم الصلاة في غير المسجد الذي حدد لهم.

انتظروا الكاميرات في المساجد لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها.

انتظروا منع الأذان أو الأذان الموحد.

انتظروا إخراس ميكروفونات المساجد والتغاضي عن مكبرات صوت الملاهي والدعارة.

انتظروا محاصرة بقايا البرامج الدينية وتعليم أبنائنا الفحشاء.

انتظروا إهمال اللغة العربية حتى تموت، وليس لهم من وراء ذلك إلا هدف وحيد يستميتون عليه، وهو أن إضعاف اللغة العربية يعني إضعاف صلة المسلمين بالقرآن وعزلهم عن تأثيره، ومن هذا المنظور احكمي يا أمة على كل من يسخر من العربية أو يهملها أو يروج للغات الأجنبية للعامية أو القبطية أو الهيروغليفية.

انتظروا ألا يقبل في الوظائف إلا خريجو المدارس الأجنبية الذين لا يتحدثون العربية إلا كأجانب، والذين لم يدرّس الدين لهم أبدا فأولئك محصنون ضد القرآن، مفتوحون للغرب، وأفئدتهم هواء.

انتظروا إلغاء الحج والعمرة توفيرا للعملة.

أما لو اقترح أحد تحديد السفر إلى أمريكا وإسرائيل فسوف يرجمونه في الشوارع، وربما طالب شنودة بتسليمه ليقضي بقية عمره بين صدمات الكهرباء وعقاقير الهلوسة في الدير.

انتظروا أن تكون شهادة البراءة الوحيدة من الإرهاب والتخلف أن تثبتوا أن نساءكم وبناتكم يرقصن مع الأغراب، وأنكم تشربون الخمر وتأكلون لحم الخنزير.

انتظروا إنشاء مدارس لتعليم الرقص الشرقي وكمائن للقبض على المحجبات.

انتظروا أن يقود الثقافة الشواذ.

وأن يكون كل المسؤولات عن سعادة الأسرة مطلقات، تحتاج إلى طبيب شرعي ليثبت أنهن نساء لا رجال.

انتظروا أن تكون الدعارة شرفا والشذوذ بطولة والشرف تخلفا والبطولة إرهابا.

انتظروا القضاء المسيس والسياسة التي تحصل بالقضاء المزور على ما تريد.

انتظروا بث الفتن بين فئات المجتمع وهيئاته اتباعا لمبدأ :«فرق تسد».

انتظروا أن يكون الحد الفاصل بين المتطرف وغير المتطرف هو القرآن: فمن يصر على أنه من عند الله متطرف ومن يقر بأنه من تأليف محمد فقد نجا!

انتظروا منكري السنة الذين يسمون نفسهم: «القرآنيون» ولو أنصفوا لسموا أنفسهم «اللا قرآنيون» وهم كفار، كفر الخروج من الملة، وقد سادوا وبرزوا وأصبحوا هم المسؤولين عن تفسير الدين وتطبيقه (الخطة الأولى في تطبيقاتهم ستكون إلغاء الصلاة، فتفاصيلها لم ترد إلا في السنة ولذلك يجب التخلص منها، ووالله يا قراء لست أمزح ولا أبالغ وتذكروا قولي).

انتظروا دروسا لا تتوقف في المدارس والفضائيات لتعليم الجنس وتوزيع وسائل منع الحمل على أبنائنا وبناتنا وانتظروا في نفس الوقت مراكز لمراقبتهم وترويعهم والتنكيل بهم إذا ما اعتكفوا في المساجد.

انتظروا ذلك كله وأكثر منه.

المدخل الأول لذلك كله – وكثير منه حدث ويحدث– هو إلغاء المادة الثانية من الدستور.

إنها مجرد بلونة اختبار.(بلونة اختبار يا دكتور محمد سليم العوا، الذي لا يمانع في إلغاء هذه المادة، والذي لم يعد قلبي يطاوعني على الدعاء له بالمغفرة).

بلونة اختبار إن سمحنا لهم بها فلن يتركوا لنا من الإسلام شيئا إلا كما ترك فريدناند وإيزابيللا للمسلمين في الأندلس.

إن التوريث ليس سوى الرداء الأحمر الذي يخدع الثور عن قاتله، وإن كل هذه الضوضاء المثارة حوله ليست إلا للفت انتباهنا وإبعاد اهتمامنا عن المادة الثانية من الدستور.

المادة الثانية من الدستور هي شرط دخول المزاد.

وبعدها الطوفان.

ومن خلال هذا، ومن خلاله فقط، تستطيعون تحديد موقع من يطالبون بإلغاء المادة الثانية من الدستور. وهم كثيرون، لكن من جاهر منهم بالفاحشة مؤخرا هو المستشار يحيى الجمل الذي لا ترون اسمه في صحف الدولة والخونة إلا مبجلا ومسبوقا بلقب «الفقيه الدستوري» تماما كما لا يظفر بوصف «المفكر الإسلامي الكبير» إلا من خرج من دينه وخرج عليه.

إن التغيير الذي طالب به يحيى الجمل في التطبيق العملي سيلغي قل هو الله أحد لأنها تهدد الوحدة الوطنية وتؤذي مشاعر الأقباط!!.

ولاحظوا، لاحظوا يا قراء، لاحظي يا أمة.. أنه ما من أحد أساء إلى الإسلام أو نال منه أو اعتدى عليه إلا وأحيط بآيات التبجيل وأطلق عليه لقب الفقيه والعلامة والأستاذ -حتى جمال البنا!!- وكأن موقفه العدائي من الإسلام قد حصنه وشكل له وجاءً من الميديا الإعلامية، لاحظوا ذلك يا قراء واستعيدا الأسماء منذ محمد على وسعد زغلول وجمال عبد الناصر.. و.. و.. و..

ولاحظوا في نفس الإطار تلميع علاء الأسواني.

والآن تلميع السيد البدوي، الذي يجهز لوراثة مقاعد الإخوان في مجلس الشعب.

إن ناصريا جميلا (!!) -وهو وصف شاذ دأب الناصريون على استعماله لكنه يثير الاشمئزاز إذا ما استعمل مع رجل- يتحدث بحرقة عن قلة الطائفية أيام عبد الناصر فيقول:

(وفي العهد الناصري كانت الطائفية -بمعنى التوتر في علاقات المسلمين والمسيحيين وطرح قضايا المساواة والتمييز- أخف حدة، حيث يعود ذلك إلى أن 'الناصرية' صاغت رؤية ثبت نجاحها للتعامل مع تلك القضية، رغم أنه تم القفز عليها واعتبارها كما لو كانت غير موجودة بعد وصول أنور السادات لسدة الحكم، فالتغيرات التي شهدتها مصر في حقبة حكم أنور السادات الذي أطلق شيطان التوتر الطائفي والتمييز ضد الأقباط من القمقم فانطلق الشيطان عندما بذل أنور السادات كل مجهوداته لاستخدام الدين الإسلامي من أجل توجيه الضربات القاتلة لكل أعدائه).

ونحن لا نمانع أيها السفيه في استعمال الأسلوب الناصري السفيه لوأد الفتنة الطائفية.

نعم.

نوافق.

ولكن، بما أن المسلمين كانوا هم الضحايا في المرة السابقة فليكن الضحايا من النصارى هذه المرة، فليشنقوا كما شنق المسلمون، وليعذبوا كما عذب المسلمون، وليطاردوا كما طورد المسلمون، وليحاصر أهلوهم ويجوعوا كما حوصر أهل المسلمين وجوعوا، وليعتقل منهم عشرات الآلاف كما اعتقل المسلمون وليسجنوا عشرات الأعوام بالأحكام الظالمة وبدونها كما سجن المسلمون، ولتصادر أوقافهم

كما صودرت أوقاف المسلمين، ولتنهب أموالهم كما نهبت أموال المسلمين.

أعدكم.

إذا ما تعرض شنودة أو أيا من رؤوس الفتنة لما تعرض له عبد القادر عودة أو الشهيد سيد قطب أو حطمت عظامه كما هشمت عظام الشهيد يوسف طلعت لوئدت الفتنة الطائفية على الفور.

بل إن الأمر أقل من هذا بكثير، فمع أول تشريفة وأول سوط سوف يعود كل النصارى كما كانوا من قبل، في منتهى الدماثة والأدب وانخفاض الصوت ولن يتحدث أحد عن الفتنة الطائفية وعلى عن عدد النصارى ولا عن نسبة التمثيل لمائة عام قادمة.

هل قلت أنني أوافق على أن يحدث لهم ما حدث للإخوان المسلمين على يد الإجرام الناصري؟ !

لا والله.

إنما قلتها للجدل، لأن ديني يمنعني من الموافقة على التنكيل بهم، بكم يا نصارى.

لكنني فقط أذكركم بالفقرة السابقة للناصري -الجميل- إذ يتحدث عن الإسلاميين كما لو كانوا شياطين خرجوا فجأة من القمقم على يد السادات، وينسى المجرم 'الكذاب أو يتجاهل الصفيق أنهم موجودون منذ البعثة المحمدية حتى حبسهم الشيطان ونكل بهم وترك الجو خاليا للنصارى فإذا بهم يفعلون ما يفعلون الآن، نعم حبس الشيطان المسلمين، والإسلام، الشيطان، سيده ومولاه وربه.

***

هذا الناصري الأحمق يتفق مع النصارى، فيعتبر أن نهاية الإجرام الناصري والإفراج عن الإخوان المسلمين المحبوسين بالظلم والجبروت والإرهاب هو بداية

الفتنة الطائفية، بينما كانت بداية الفتنة مجيء شنودة التي يصفها هيكل في كتابه خريف الغضب ملوحا بالتزوير الذي حدث في اختياره وكيف توافق ذلك مع رغبة السادات والمخابرات الأمريكية.

أنبيك يا ناصري أن البابا شنودة له نفس كاريزما وحماقة عبد الناصر وموسيليني وهتلر وأنه سينتهي بكارثة للنصارى لست أدرى كيف يعمون عنها.

لقد انتهز فرصة الضعف والذل التي يعيشها المسلمون بسبب قيادات خائنة فظن أنه بالاستقواء بالخارج يستطيع أن يحقق المستحيل.

أنبيك أنني كنت ألوم السادات لأنه عزله، لكنني الآن ألومه لأنه اكتفى بعزله.

إنني ضد المحاكم العسكرية كلها لكن إن كان هناك واحد فقط في مصر يستحقها فهو شنودة نفسه ولا أحد سواه.

سبحان الله.

إن النصارى يهربون السلاح فيعدم المسلمون.

ويكونون الميليشيات فيحاكم بسببها المسلمون.

ويكنزون أموال الأمة المنهوبة فتُصادر أموال الإسلاميين!!.

ويخرقون القانون فينكل بالمسلمين.

ويملؤون الكنائس بالمظاهرات فتمنع المظاهرات في المساجد!.

قديما، في زمن العبيد، كانوا في مرحلة بئيسة من مراحل التاريخ يعينون عبدا للسيد، فكلما أخطأ السيد عوقب العبد.

لقد جعلنا من لم يركعوا لله ركعة كذلك، كلما أخطأ النصارى عوقب المسلمون.

ولكن، لست أدرى كيف يجهل الأغبياء أو يجهلون ردة الفعل المتوقعة.

إذ لو استمر التصعيد الذي يواصل شنودة سكب النار عليه فإنه بعد عقود قليلة ستكون مصر من البلاد التي لا يوجد فيها سوى دين واحد.

لماذا لا ينبه أحد هذا الرجل إلى الهاوية التي يقود النصارى إليها.

ولست أدري كيف لم يوجد حوله رشيد ينبهه أن حسابات الدول غير حسابات غلام مراهق أو عجوز مخرف، وأن هناك أجهزة في الدولة لا يهمها الدين لكن يهمها تماسك الدولة وتوازنها، وأنها قد تحنى رأسها أحيانا لتجنب عاصفة أو الإفلات من مأزق أو تمرير مشروع -كالتوريث- لكنها بعد ذلك، وبعد أن تمر لحظة الأزمة ستنتقم، ذلك أن الحمقى والمجانين فقط هم الذين يتخيلون استمرار اختلال التوازن بين الـ٩٥٪ والـ٥٪. إن التاريخ مليء بالعظات والعبر ولكن لمن يفهمون. نعم، سوف يأتي يوم تنتقم الدولة لكرامتها التي أذلتها الكنيسة ومرغتها في الوحل، وساعتها لن ينقذ النصارى إلا مبادئ الإسلام وسماحته، وسيلجؤون إليه كما لجأ شنودة إلى المادة الثانية من الدستور كي يبرر أن يكون للكنيسة قانونها الخاص بالطلاق. بل إن ما تفعله أجهزة الدولة الذليلة المنكسرة أمام جبروت شنودة يحتوى على بذور الانتقام القادمة. لقد عصفت الدولة بالقانون ذلا وانكسارا وخوفا من شنودة المستقوي بأمريكا وإسرائيل. وأهينت المحكمة الدستورية بالتدخل في شئونها وإقحامها فيما ليس من شأنها، ولكن الأغبياء في الجانب الآخر لم يدركوا أن هذا الذل والانكسار والاستنلام يحتوي على لغم ليست الدولة مسئولة عنه ولا الإسلام، وإنما المسئول عنه هو تشرذم طوائف النصارى الذين عجزوا عن الاتفاق على القانون الموحد الذي طالبوا به، فلم يتفقوا عليه ولن يتفقوا أبدا وراح كل فصيل منهم يمزق الآخر ويفضحه، وبانت سوأة وانكشفت عورة لولا الحماقة والكاريزما ما بدت ولا انكشفت.

وثمة وضع آخر يتعلق بجهاز الأمن.

ذلك أن جهاز الأمن لن يكون أكثر عداء للإسلام والمسلمين من اللورد كرومر، ومع ذلك فقد اضطر -كرومر- إلى عدم المبالغة الشديدة في مجاملة النصارى وإلا اختل التوازن وثار المسلمون وعجزت بريطانيا عن السيطرة على مصر، أدرك

كرومر ذلك، وجهاز أمننا يدركه، ورغم أن أجهزة الأمن في العادة لا دين لها إلا أن تعبد النظام الذي تحميه، وهي تدرك – من وجهة نظر احترافية لا عقدية- أنها لكي تحمي النظام فإن للإخلال بالتوازن حدودا ينفجر بعدها الوضع وينهار النظام.

إنني مندهش لأن شنودة ومن حوله لا يدركون ذلك، ولا يدركون أن جهاز الأمن قد يقاوم تمرد الأغلبية بالقسوة البالغة لكنه يقاوم تمرد الأقلية بالسحق عندما يتوفر له الظرف المناسب. ذلك أن جهاز الأمن الباطش الجبار الذي تمرس على إذلال الأغلبية لا يغفر أبدا أن تذله الأقلية. وهو يأخذ بثأره وإن طال المدى[1].

لقد أسفر ذل الدولة وانكسارها أمام النصارى عن فضيحة هائلة للنصارى المصريين على مستوى العالم، لقد لجأت الدولة خوفا وذعرا واستسلاما وطمعا إلى فعل غير مسبوق في التاريخ، عندما سلمت المسلمات اللائي لجأن للأزهر والدولة إلى محاكم التفتيش، حيث يتم التعذيب والصعق بالكهرباء وغسيل المخ، لقد قاس الجلاد قوته وبطشه المدعومة ببطش الغرب وقوته بقوة نظام مهزوم طامع مذعور، ولقد كان محقا في أنه الأقوى، ولكنه نسي أمرين: الشارع الإسلامي الذي سيواجهه ليس في مصر وحدها بل في العالم الإسلامي كله، كما أنه على مستوى العالم غير المسلم سوف تحتج منظماته – شاملة حتى اليهود والنصارى والذين لا دين لهم- على المسخرة الوحشية التي يمارسها النصارى في مصر.

والحقيقة أن تصرفات البابا شنودة وسياساته قد أساءت إساءة بالغة إلى النصارى وسمعتهم. لقد كانت سمة النصارى في بلدنا دائما وسمعتهم عبر الأجيال أنهم يتميزون بالصدق والإخلاص والوفاء. وكانت التبريرات تختلف، فمن زعم بأن هذا يعود لسماحة المسيحية وروحانيتها، ومن قول بأن هذا سمت الأقليات دائما في كل مكان في العالم حيث يتجنبون الصدام خوفا ويعرفون أنه لا سند لهم سوى

(١) انهار جهاز الأمن الباطش المجرم الجبار بعد ثورة ٢٥ يناير.

التفوق، ومن قول أنه جبن الأقليات وخوفها وانطوائها على نفسها. وبغض النظر عن التبرير فقد نجحت سياسات شنودة في قلب الوضع تماما، إذ أننا بقدر كبير من الدهشة نراقب ما تحول بعض النصارى إليه من وقاحة وجرأة لا ينافسها إلا وقاحة اليهود الصهاينة وجرأتهم، تبخر الصدق والإتقان والوفاء وبرز السلوك الهمجي والقدرة المذهلة على الادعاء والكذب ونشر الشائعات وادعاء وقائع لم تحدث، وتحول المسيحيّ الدمث إلى همجي لا يكف عن التحرش بالإسلام والمسلمين وبالدولة، وليس ثمة شك في أنه تلقى أمرا أن يتحرش فتحرش.

تحول بعض القسس إلى قطاع طرق يمسكون المدافع كي يسرقوا الأراضي.

وتحولت الدماثة إلى خشونة والرقة إلى وحشية والأدب إلى قلة أدب وسفالة لا حد لها، والأمثلة بالملايين.

وإنني مذهول كيف استطاع البابا شنودة أن يدمر روح النصارى إلى هذا الحد وأن يجعلهم يشعلون نارا ستحرقهم وأن يدفعهم إلى هذا المستنقع الشيطاني الذي سيغرقون فيه، وإذا كان قد نجح في تحويل كبار القساوسة إلى بلطجية فترى: ماذا فعل في المواطن النصراني البسيط، لماذا حوله من مسالم إلى داعية فتنة، من صادق إلى كذاب، من ساع للإتقان كي يعيش إلى مدع للتمييز الطائفي كي ينال بالابتزاز والبلطجة ما لا يستحق على حساب المسلمين.

لقد جند شنودة أتباعه للاستقواء بالغرب من ناحية، ومن الناحية الأخرى لابتزاز النظام بتأييده للتوريث، وعلى رأس مطالبه شروط كرزون الشنودية، وعلى رأسها إلغاء المادة الثانية من الدستور.

***

لقد تورّط شنودة فيما كان يجب عليه تقديرا واحتراما لمنصبه أن يتورط فيه.

وليته أوعز إلى أحد مساعديه أن يكذب بدلا منه عندما يريد أن يكذب، كما فعل

في حديثه عن تعداد النصارى وعن محتوى مسرحية كنت أعمى والآن أبصر.

وكان عليه أن يمنع أتباعه من تسفل لا يليق مثل ما فعل زكريا بطرس ومرقص عزيز.

وكان عليه أن يمنع هذا الفيديو المهزلة الذي أتوا فيه بشبيهة كاميليا شحاتة تقول فيه أنها لما تزل مسيحية، كان الأمر مهزلة، وهي كاذبة وساذجة وفجة وغير صحيحة، وحتى لو صح هذا الشريط المصور فإنه لا يغير من الأمر شيئا، فالجريمة كاملة، وأقصى ما يفيده أن الصعق بالكهرباء كان مؤثرا وكذلك عقاقير الهلوسة. إلا أن الفجاجة والسذاجة بل والغباء هو أن من عرض هذا الشريط المهزلة نسي أن شنودة صرح قبلها بساعات أن كاميليا قد جنت تماما وأنها لا يمكن أن تظهر على الفضائيات. فهل يعني من زور الشريط المهزلة أن يتهم شنودة بالكذب؟ أم نصدق شنودة فيكون الشريط مزيفا بسذاجة وغباء.

وكان عليه أن يمنع سخافات مذهلة في خساستها ليس ثمة شك في أنها تمت بعلمه، وقد كانت صحيفة صوت الأمة – وهي من الصحف العلمانية الممالئة للنصارى والمعادية للإسلام- التي أنطقتها الحقيقة لتنطق بعكس هواها، كانت هي التي نشرت الواقعة المذهلة التالية:

كتب:عنتر **عبد اللطيف**

كشف الشيخ أبو يحيي عن فضيحة من العيار الثقيل بتأكيده «لصوت الأمة» أن القس تداوس سمعان زوج كاميليا زاخر تقمص شخصية شيخ مسلم يلبسه جن وذهب إلى القمص مكاري يونان بالكاتدرائية القديمة حتى يعالجه وانه ظل يصرخ «المسيح هو الله» وسط تصفيق الحضور في الكنيسة وقال أبو يحيي : إن اسم القس تداوس قبل رسامته كان أيمن وأنه كان يمثل أمام القمص يونان بأنه شيخ مسلم وأنه يحب المسيح والمسيحية وأن أحد المسيحيين واسمه ميلاد هو الذي أتى به إلى

الكنيسة للعلاج وتساءل الشيخ أبو يحيي ، إذا كان هذا الشخص قد ذهب للعلاج فلماذا يتطرق إلى العقيدة؟ ولماذا يصيح المسيح هو الله إلا إذا كان الغرض توصيل هذه الرسالة للمسلمين وبأن شيخاً مسلماً يعالج عند قس مسيحي حيث يعترف الجن على لسانه بأن المسيح هو الله وهي تمثيلية محبوكة؟ ! وأشار الشيخ أبو يحيي إلى أن القس تداوس عمل كومبارس في مسرحيات كنسية وأنه لا يحمل شهادات لاهوتية ورغم ذلك تم رسامته قس وأنه اتفق مع القمص مكاري علي هذه التمثيلية. الـC.D الذي حصلنا عليه تجري وقائعه داخل الكاتدرائية القديمة ويظهر فيه شخص ملتح يرتدي جلباباً أبيض وهو حسب قول الشيخ أبي يحيي القس تداوس سمعان زوج كاميليا والذي يبدأ في الإتيان بأفعال تشنجية ، فيصرخ فيه القمص مكاري يونان اقعد إلا أن هذا الشخص يصيح : «مش عايز اقعد» فيقول القمص مكاري يونان «باسم يسوع المسيح اقعد »ثم يستطرد : «اسمك ايه» فيقول هذا الشخص «مرقص» في إشارة إلى اسم الجن الذي يلبسه ويستمر الجدال بين القمص مكاري والجن مرقص والذي يصرخ بأن المسيح هو الله عندما يسأل مكاري: من الله وسط تصفيق الحضور في الكنيسة ، ويقرأ عليه مكاري قسم إخراج الجن وهو «باسم يسوع المسيح الناصري قوة دم صليب سلطان لاهوت المحيي نأمر كل روح مضادة هاربة أو محاربة أو ساكنة في الجسد بمغادرة الجسد وعدم العودة عليه ، كل رقية كل سحر ، كل عمل شيطاني يبطل، تقطع كل رباطات، وتبطل كل المحاربات باسم يسوع الناصري قوة دم صليبه سلطان لاهوت المحيي، هذا الجسد يتحرر باسم يسوع الناصريّ ويبدأ هذا الشخص في التشنج والصراخ متواعداً بأنه يريد لصاحب الجسد أن يموت إلا أن القمص مكاري ، يعود لترديد القسم بكل قوة حتى يخرج الجن وبعد أن يفيق هذا الشخص ، يؤكد للحاضرين أنه حضر إلى الكنيسة منذ أسبوعين مع شخص يدعي ميلاد ليقول إنه حلم بأنه حضر إلي

الكنيسة وشاهد صورة المسيح منورة وسط هتاف المئات من زوار الكنيسة.

ولقد كشف المرصد الإسلامي استغلال مكاري يونان عدد من الوجوه المسيحية غير المعروفة للقيام بتمثيل هذه المسرحية على المسلمين حيث ترتدي المسيحيات حجاب ، ويتشبهن بالمسلمات ، وتقوم الكنيسة بتصويرهن بهدف إقناع المسلمات باللجوء للكنيسة لأجل العلاج ثم التنصير.

أضف إلى هذه الفضيحة فضيحة ادعاء اختطاف الفتيات المسيحيات وتنصيرهن، وهي فضيحة كشفها الله لتكون عارا يحلق فوق رؤوس مطلقيها لمئات السنين، بل وشاء مكر خير الماكرين ، أن يطلقوا التهمة علينا لتثبت عليهم. ولينطبق عليهم المثل العربي :«رمتني بدائها وانسلت» أو المثل العامي: «تكلم الفاجرة تدهيك، وتجيب اللي فيها فيك».

لطالما تحدثوا عن قيام المسلمين بقتل المرتد، لطالما شوهونا واتهمونا بالباطل والأكاذيب، حتى أرغموا كبار شيوخنا على الإفتاء بالرأي الأضعف في قضية الردة، لنفاجأ أنهم هم يفتون بقتل من يشهر إسلامه.

***

لماذا؟ !.

لماذا فعلت بشعبك -كما تسميه- هذا.

لماذا أفقدت غالبيتهم احترام أمتهم.

لماذا حولت بعض القساوسة إلى قطاع طرق و إرهابيين ولصوص أراض.

لماذا سوغت لهم الكذب.

لماذا تركت الأقذار المدنسين يعتدون بمنتهى الخسة والبذاءة على الإسلام.

لماذا شحنت أقباط المهجر بنيران للحقد سوف تحرقهم وبصديد للفكر سوف يسمم عقولهم.

لماذا غضبت هذا الغضب الأعمى من أجل راهب مشلوح في الوقت الذي سلطت فيه كلابك على سيد البشر وخاتم الرسل.

لماذا رسمت المهرجين والكومبارس قسسا.

لماذا جعلت الكذب سمة والبلطجة صفة.

لماذا أفقدتهم سمعتهم الأولى التي تمتعوا بها عشرات القرون.

لماذا كشفت عورتهم وعريت سوأتهم.

لماذا أسأت لشعبك كما أساء عبد الناصر للمصريين وهتلر للألمان وموسوليني للإيطاليين.

لماذا شوهت شعبك وفضحته أمام العالمين.

لماذا يبدو المحيطون بك كالصحاف في العراق.

لا والله.

ألف اعتذار للصحاف.

***

في طريقي إلى المسجد الذي أصلي فيه الجمعة كنيسة هائلة المساحة تتعمد قرع أجراسها وقت صلاة الجمعة فتشوش على الخطبة، وتعلمون يا قراء أن معظم مساجدنا شديدة الضيق ومعظمها لا تزيد مساحته عن مساحة غرفة واسعة ولذلك يفترش المصلون يوم الجمعة الأرض في الشوارع، ويبدو أننا محسودون حتى على فقر مساجدنا وضيق مساحتها، ولذلك فإن غبيا أمر نصارى الكنيسة بأن يحتشدوا في الشارع ليسدوا الأفق كالمسلمين!، وكان الموقف هزليا بامتياز، فالكنيسة الهائلة ببهوها المعتم المكشوف من خلال أبوابها شديدة الاتساع تبدو خالية تماما، وكذلك الحديقة المتسعة المحيطة بالكنيسة والتي تحتوي على ممرات هائلة المساحة، وفي الشارع يبدو بضعة عشرات يحاولون سد الشارع!!.

هذا الموقف جدير بعادل إمام أو وحيد حامد فكيف تورطت فيه الكنيسة.

***

يا لها من حماقة!

تذكرت مقالا ساخرا كتبه الأستاذ أحمد بهجت في الأهرام منذ أعوام بعنوان «البغل في الإبريق». وكان -محرفا أصل الحكاية- عن مسؤول غبي حشر نفسه في إبريق ثم عجز عن الخروج منه، ولم يكن يستطيع طلب العون لأنه هو الذي حشر نفسه فيه.

***

انتبهي يا مصر، في ظهرك الآن الجدار الأخير لو سقط سقطت.

المادة الثانية من الدستور.

التوريث في حد ذاته لا يهمني الآن كثيرا مع شعب يستحق أن يورث ،لأنه لم يدافع عن شرفه وكرامته وعزته ودينه، وعلى أي حال فبالتوريث المادي أو المعنوي سوف ينتقل الحكم من ظالم إلى ظالم (مع الاعتراف بأن الظالم العجوز الخبير أقل خطورة من الظالم الصبي الطائش). لكن الخطورة الكاملة في أن يكون الثمن المدفوع مقابل ذلك إلغاء المادة الثانية من الدستور.

الخطورة في ذلك هو في المزاد الذي تنصبه إسرائيل وأمريكا الآن بحضور شنودة ودعمه وابتزازه وتأييده.

ليس مزاد حكم مصر بل مزاد خرابها.

مطلوب أتاتورك يحكم مصر.

جرس المزاد يدق.

من يبيع.

من يبيع من جسد أمه وأمته قطعة أكبر.

من يبيع من دينه وأمه جزءا أكبر؟!

قبل أن يتولى أتاتورك بكثير كانوا قد بدؤوا بصناعة نجمه.

إن جهة ما تبحث في المرشحين للرئاسة عن كمال أتاتورك آخر.

إن الساحة السياسية تتغير، وما يكاد الصليبيون واليهود يبنون جدارا في مكان حتى ينهار جدار في مكان آخر، لقد كانت تركيا وإيران ملك يمين لأمريكا لكنهما تحررتا الآن أو كادتا.

لذلك لابد من بناء جدار آخر بعد بث الفتنة لتقويض ما تم.

لابد من بث مزيد من الفتنة بين السنة والشيعة.

ولابد من محاولة كسر القوس الشيعي الذي يمتد الآن من إيران لحدود فلسطين، ولقد كان هذا في حد ذاته خطرا لكن الله أصابهم ببداية عودة تركيا إلى أصلها التليد وماضيها المجيد.

الوضع خطر إذن.

ولا يوجد مثل مصر لتقوم بهذا الدور ولتعوض خسائر الغرب الهائلة.

لقد كانت مصر حامية الإسلام لقرون متطاولة.

ولقد انسحبت مصر بالتدريج من معركة الأمة منذ زمن محمد علي مع وجود منعطفات فارقة تزداد فيها وتيرة الانسحاب مثل منعطف سعد زغلول ومنعطف جمال عبد الناصر.

ولم يعد هذا يكفي، لا يكفي أن تكون مصر على الحياد أو أن يُكتفى بمجرد انسحابها.

إذ لابد أن تحارب مصر الآن أمتها، وأن تكون في صف الأعداء، في صف إسرائيل ضد حماس، وفي صف أمريكا ضد سوريا، ضد تركيا، ضد إيران، وحتى

ضد السعودية، بل وضد الله.

ولقد بدأ هذا بالفعل في العقود الأخيرة تطبيقا لحكمة القرون التي ورثها الصليبيون واليهود، هذه الحكمة تقضي بأن شجرة الإسلام لن يقطعها إلا أحد أبنائها.

لا ليس شنودة، فهو غير قادر على اقتلاع فرع من فروعها.

وإنما من يستطيع – في عرف الغرب – اقتلاع الشجرة يمكن أن يكون واحدا ممن يدعمهم شنودة أو يدعمون شنودة.

نعم.

المطلوب الآن أن يأتي من يقطع شجرة الإسلام.

وعنه يبحثون بين المرشحين، فيك يا مصر.

***

دعكم من المبايعات واللافتات والترشيحات، فتلك ألعاب أطفال يستدرجونك بها يا أمة كي تلتفتي إلى الجانب الآخر، كي لا ترى السكين الموشك على جزّ عنقك.

دعكم مما تنشره الصحف وما تعرضه الفضائيات.

فكمال أتاتورك القادم تتم صناعته منذ عشرات الأعوام، ربما منذ عشرين أو ثلاثين أو أربعين أو خمسين عاما.

والمؤكد أنه تم تصنيع أكثر من واحد، فأولئك القوم لا يتركون شيئا للصدفة.

يبحثون عن أتاتورك آخر ينقل مصر نقلة واسعة، كما نقل كال أتاتورك تركيا من دولة الخلافة الإسلامية إلى دولة علمانية تكتب بالحروف اللاتينية، ويقضى على الإسلام فيها، ولقد كان أتاتورك عميلا غربيا كاملا، وعميلا صهيونيا أصيلا، وقد أدى دوره تماما. وأقام تلك التجربة المظلمة المريرة التي تركت آثارها على العالم الإسلامي كله، ولقد كان من أكبر معالم خيانة كمال أتاتورك وكفره أنه عندما أحس

بدنو أجله أن دعا السفير البريطاني ليتولى بدلا منه رئاسة الدولة التركية. وكان كعلامة من علامات الخسة والنذالة والخيانة!!.

يا إلهي.!!!

هل يمكن أن يكون السفير الأمريكي هو حاكمنا المنتظر، وهو الوريث؟ !.

لقد صنعوا أتاتورك أيامها والآن يستنسخونه، وصنعوا له زعامة مزيفة لتبرر تنازلاته وذبحه للإسلام بعد ذلك.

وبعد أن أعطي أتاتورك الزعامة المطلوبة (قارن ذلك بالزعامة التي منحت لسعد زغلول وجمال عبد الناصر والتي تعطى الآن لعديدين تحت الاختبار ربما يكون منهم البرادعي والسيد البدوي) بعد أن أصبح زعيما وبطلا مناضلا أمام الشعوب الإسلامية بدأ يفكر كيف يصل إلى سدة الحكم بدعم صهيوني وصليبي فوقع الخائن في عام ١٩٢٣م على معاهدة لوزان على تركيا وقبل جميع الشروط العلنية والسرية التي وضعتها المخابرات البريطانية له وهي الشروط المعروفة بشروط كرزون (وهو رئيس الوفد الإنجليزي في مؤتمر لوزان) وكان منها- ونعيد ذكرها:-

١- قطع كل صلة لتركيا بالإسلام .

٢- إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاما .

٣- إخراج الخليفة وأنصار الإسلام من البلاد ومصادرة أموال الخليفة .

٤- اتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم .

فانتظري يا مصر مثل ذلك بل أقل.

لن يضطروا لصنع انتصارات أو تقديم تنازلات فأمرك يا مصر الرخوة أهون بكثير.

فالتلويح بالرضا وبالمنصب يكفي!

التلويح بالمفاوضات المباشرة بين عباس ونتنياهو يكفي.

نعم،

لقد اصطنعوا لأتاتورك نصرا عسكريا ومجدا سياسيا وبهروا بهما جماهير مضللة عمياء لم تع أن وسام العفة لا يمنح للداعرة شرفا.

نعم.

لم يكن ثمة نصر ولا مجد ولا شرف.

كان هناك فقط توقيع ملحق معاهدة لوزان وهو الذي فتح الطريق إلى كل شيء، وبه حلت جميع المشاكل، وانسحبت كل الجيوش، وتحقق ما يسمى النصر والاستقلال في خطوات كانت سابقة التجهيز. وكتبت على أثر ذلك آلاف الكتب في تمجيد البطل الذي لم يكن إلا عميلا من عملاء الخيانة لحسابه الصهيونية العالمية، والنفوذ الغربي، والشيوعية أيضا فإن الشيوعيين هم أول من عاونه لقاء موقفه من عداء الإسلام.

كان توقيع معاهدة لوزان-وما يزال- هو الطريق الوحيد إلى مقاعد الحكم في عالمنا العربي والإسلامي لا يفلت منه إلا من رحم الله وأحسب منهم البطل أردوغان.

ولقد توفي الكافر المجرم أتاتورك في عام ١٩٣٨ بعد أن حول تركيا التي كانت مقر الخلافة الإسلامية إلى دولة لا دينية. وقد أوصى قبل موته ألا يصلى عليه!

***

وا إسلاماه.

أستصرخك يا أمة فهل تسمعين؟

إن الإبقاء على المادة الثانية من الدستور حد أدني يجب أن تكون دونه مقاومة الأمة المسلمة كلها.

فاللهم العن كل من يسعى لإلغائها أو يحرض أو يوافق أو يصمت أو يستسلم.

لقد بلغنا الحضيض الذي ليس بعده حضيض وبإلغاء المادة الثانية من الدستور سنفقد آخر حجر ثابت في بنياننا المنهار.

ربما لا نستطيع منع اختيار أتاتورك رئيسا، ولا أن يكون السفير الأمريكي حاكما لكننا نستطيع منع إلغاء المادة الثانية للدستور، فعندما يتأكد أن الأمة مصممة على الإبقاء عليها، وأن إصراره على الخيانة قد يكلفه عرشه، فلا ريب أنه سيتراجع.

***

إن الأمر لا يتعلق بمصر وحدها بل بالعالم الإسلامي كله، فمصر هي رمانة الميزان وواسطة العقد.

لذلك أناشدكم وأستصرخكم أن تقفوا حائط صد ضد إلغاء هذه المادة.

بل لابد أن نطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية كاملة.

أستصرخ كل مسلم وكل منصف.

أستصرخ الكتاب والمفكرين والعلماء.

أستصرخك يا شيخ الأزهر ويا شيخ الحرم المكي والنبوي.

لقد قصرتما كثيرا في حق الإسلام فأنصفوه مرة.

ويا شيخ المسجد الأقصى، جزاك الله خيرا: أنت أولى بأن نعينك لكننا نطلب منك العون.

أستصرخكم يا علماء المسلمين في كل مكان، أن يدلي كل منكم بدلوه.

أستصرخك يا شيخ يوسف القرضاوي:

أن تكون المرجعية الإسلامية للدستور خطأ أحمر لا يسمح بتجاوزه فخطوة مجرمة كهذه ستؤخر صحوة الإسلام قرونا.

أستصرخكم:

وا إسلاماه.

وا إسلاماه.

وا إسلاماه.

***

حاشية:

شيخ الأزهر الجليل، الذي كنا نظن أنه سيمحو عارا مضى، أفتى بأنه إذا كان فقهاء الأمة أجمعوا على أنه لا يجوز للجنب لمس القرآن الكريم حتى يغتسل، فالأمر كذلك ينطبق على الإنجيل والتوراة، فلا يجوز للجنب لمسه الكتاب المقدس للمسيحيين واليهود.

شكرا يا مولانا – لن أقول لك جزاك الله خيرا كي لا أجرح مشاعر أحد!.

لكن فتواك هذه لن يستفيد بها أحد ولم يطلبها منك أحد ولن يشكرك عليها أحد. بينما ينتظر الملايين منك فتاوى في مؤسسة ترفض إشهار إسلام مسلمة لجأت إليها:

ما درجة إثم موظفي هذه المؤسسة؟

فإن كان هذا الموظف يدرك أنه يصد عن دين الله –بل ويبلغ الجلادين- كي يطاردوا تلك المسلمة ليقبضوا عليها ويسلموها إلى طاغوت أكبر ويعذبها ويصعقها بالكهرباء وينكل بها ويصرح بأنه سيحبسها حتى الموت.

هل يقبل من مثل هذا الموظف عذر؟

أم أنه أصاب بطاعة ولي الأمر؟

وأين تذهبون بـ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾[الممتحنة: ١٠].

هل أصاب ذلك الموظف في تلك المؤسسة يا شيخ الأزهر الذي رجونا أن يمسح عارنا.

أم أنه كافر لأنه أطاع مخلوقا في معصية الخالق وخالف أمرا صريحا من القرآن؟

أم أنه فاسق فقط.

وهل ينطبق هذا الحكم على رؤساء هذا الموظف؟ كل رؤسائه.

وعند أي رئيس من الرؤساء يتوقف هذا الحكم؟ .

سوف ندخر الأسئلة الصعبة يا مولانا حتى لا نحرجك.

لن نسألك عن التعذيب، ولا عن التزوير، ولا عن غصب السلطة، ولا عن نهب أموال الأمة.

ولن نسألك عن كلمة حق عند سلطان جائر.

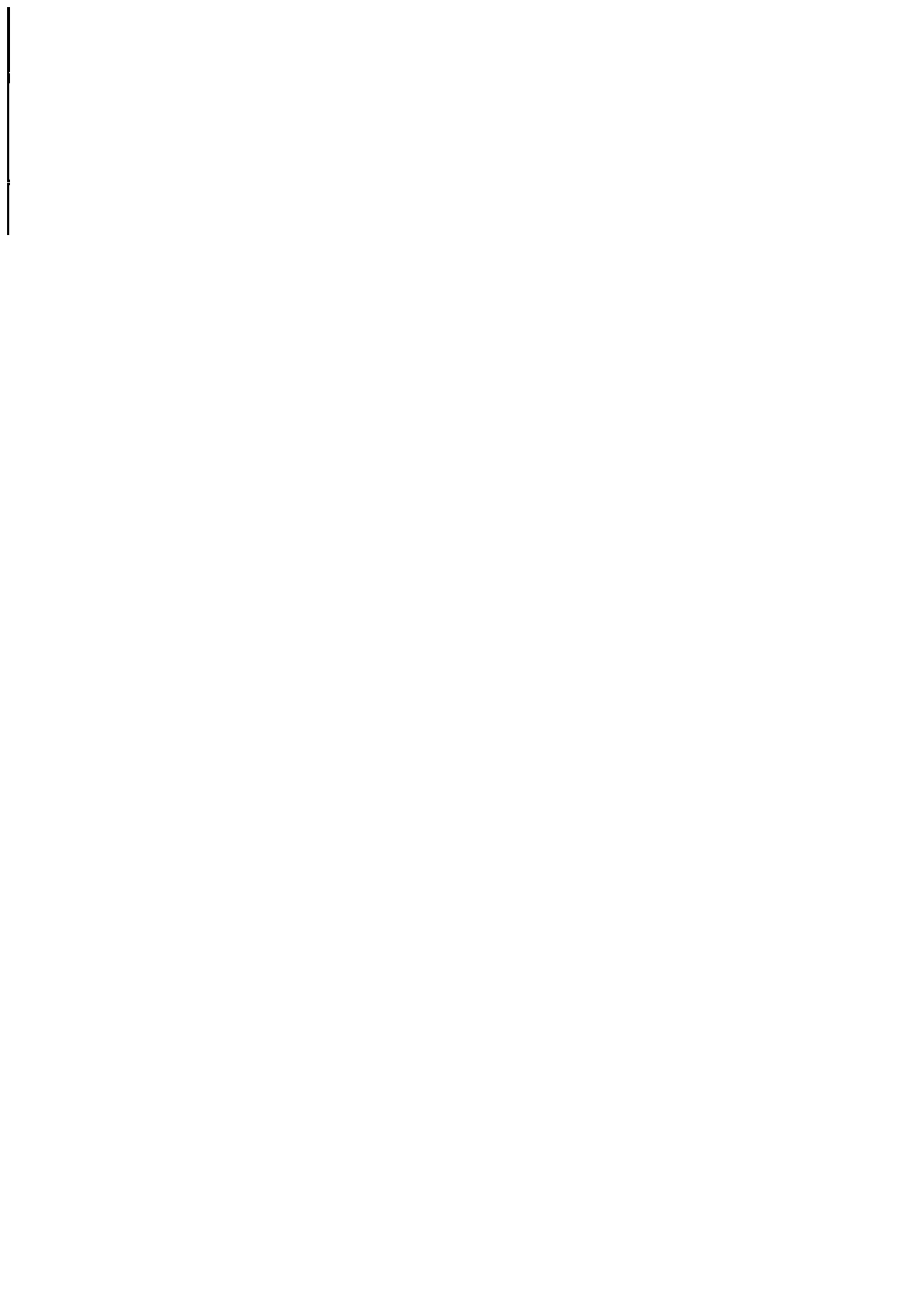
ولله الأمر من قبل ومن بعد.





مجزرة الإسكندرية :

هل هي كحادث المنشية مقدمة لسحق الإسلام ؟!



في نهاية الكتاب سيجد القراء اعتذارا مني عن مواصلة الكتابة[1]، وهو المنشور أيضا في مجلة المختار الإسلامي، ولولا فداحة ما حدث في الإسكندرية، بالإضافة إلى ضغط لا يسعني رده من إخوة في الله لا أستطيع أن أرد لهم طلبا لواصلت الالتحاف بصمتي. وهو ما أظن أنني سأفعله بعد ذلك. فقد سئمت ومللت وتقززت. ولا أقول : يئست.

لن أقدم القربان كحملة القرابين بأن أدين وأشجب وأندد بما حدث في الإسكندرية، لأنني في الحقيقة والواقع لا أوافق عليه، بل إنني – أيم الله غاضب وحزين- ذلك أن الدين والدين عند الله الإسلام، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه- يحرمه ويجرمه. بل إنني أتجاوز ذلك لأتهم كل من اكتفى بأن ندد وشجب، وبالغ في الإدانة والشجب، بأنه شريك في الجريمة، لأنه لم يجشم نفسه عناء البحث عن أسبابها الموضوعية، كي يتسنى علاج المشكلة من جذورها. ولشد ما يحزنني أن يكون بعض ممن أدينهم شيوخًا أجلاء أحبهم على كافة المستويات: فقههم وعلمهم وورعهم وتدفقهم ومخارج الحروف عندهم وحتى نبرات أصواتهم وملامح وجوههم. لكنني في الفترة الأخيرة ألاحظ في حزن أن بعضهم يتوقى مواجهة السلطان بكل طاقته. فأردد لنفسي في همس حزين: من لا يقدر على مواجهة السلطان لن يستطيع مقاومة الشيطان.

إن بعض من حكموا بخروج مرتكب مجزرة الإسكندرية من الإسلام كان عليهم أن يثبتوا لنا أولا أنه مسلم!!. فإن كان مسلما كان عليهم أن يطبقوا قواعد الفقه في الحكم عليه.

لقد كتب بعضهم في صحيفة اليوم السابع (وهذه أولى الأثافي، لأن اسم

(١) كانت هذه هي المقالة الأخيرة قبل الثورة، كنت قد استيأست، وعزمت على ألا أعود إلى الكتابة أبدا، كنت محتجا على صمت الناس، الصمت الذي خدعني، لأنه سرعان ما انفجر، كما تتفجر النجوم، لتملأ الكون حياة ونورا. وما كان لي أن أتوقف بعد انبلاج الثورة.

الصحيفة تجديف، ولأنها ترديد للأساطير التوراتية أن الله خلق الدنيا في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا). ثانية الأثافي أن بعض البعض حكم بالكفر على مرتكب حادث الإسكندرية، بينما يدرك أصغر تلميذ من تلاميذهم أنهم يقدمون القربان للسلطان كي يتقوا شرها. لأنهم يعلموننا أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة إلا عند الخوارج. فإذا أصروا على تكفير من قتل النصارى فهل يكفر أيضا من قتل صحابة رسول الله ﷺ في معركتي صفين والجمل؟ !. هل يكفر من يقتل المعتقلين دون محاكمة؟ ومن يعذبهم حتى الموت؟ وهل يقتصر الكفر على المنفذ دون الآمر؟ أم على الآمر دون المنفذ؟ أم عليهما معا؟ وهل ينطبق على الدول انطباقه على الأفراد؟ هل يمكن تطبيقه على أمريكا مثلا لقتلها مليوني مسلم في العراق؟ وعلى إسرائيل لقتلها مئات الآلاف منا؟ وهل ينطبق على فرنسا من أجل الجزائر؟ وبريطانيا.. و.. و..

الأمر في جوهره حرص على أصول الدين وقواعد الفقه كي لا تزيغ مع الهوى، وهو من الناحية الأخرى، سلاح خطير جدا قد يكون أذاه أكثر على من يبدأ باستعماله، ثم أنه غير هذا وذاك خطأ في التشخيص لابد أن يعقبه خطأ في العلاج. ثالثة الأثافي أن الشيخ لم يتطرق للظروف الموضوعية للاحتقان الطائفي، وأنه بسبب ظلم طاغوتي باطش خائن مارسته السلطة واستغله النصارى لهضم حقوق المسلمين بل وسحقها سحقا. ولست مستعدا للإفاضة، لكنني أحيل القارئ إلى هذا الكتاب بين يديه، وهو كتاب خاف جل الناشرين من نشره بسبب إرهاب الدولة وسطوة النصارى، حتى قيض الله له ناشرا شجاعا آلى على نفسه نشر الحق والصدق مهما كانت العواقب. وبين دفتي هذا الكتاب مقالات منشورة تنبأت بما يحدث وحذرت منه. أما الناشر الذي كان ينشر لي قبل ذلك، فقد أصبح المسؤول عن النشر عنده نصرانيا.

أما عن الكتاب والسياسيين فحدث ولا حرج. في كل أمة يوجد الغوغاء والحمقى والسفلة. لكنهم لا يحتلون مقاعد النخبة إلا في أتعس بلاد الدنيا. لقد كانت الحماسة المصنوعة مقززة في وضع مأساوي كهذا. كان مقززا أيضا تصفية الحسابات وانفجار الأحقاد. ولا أريد أن أستعرض ما يثير تقززي، ولكنني أدعو القراء للاطلاع -كمجرد عينة-على أقوال وحيد حامد ومحمد عبد الفتاح عمر وفؤاد علام والمحامي جبرائيل.

أما بالنسبة لمقدمي البرامج فقد كان وضعهم مرعبا. كان كل واحد منهم يبدو كما لو كان جالسا على فوهة بركان وإن إشارة من ضابط أمن دولة أو من أحمد عز كفيلة بأن تزيل المقاعد من تحتهم-كما يحدث في المشنقة- ليهووا إلى النار. بدوا كما لو كانوا قد مسخوا. ورحت أرقبهم في حزن ذاهل وهم يذبحون العقل والمنطق والضمير والصدق. رحت أرقبهم قائلا في نفسي في ألم عظيم: حتى الشيطان عندما عصى الله كان له منطقه، صحيح أنه منطق خاطئ، منطق شيطاني، لكنه منطق على أي حال. لكن هؤلاء كانوا يفتقدون أي منطق. كانوا كحيوانات السيرك المدربة تحت جلد السياط وذبح القطط والأرانب أمامهم بالإضافة إلى قطع الجزر والسكر وأصابع الموز، و، و، عشرات الآلاف في الحلقة.

تداعبني هواياتي القديمة: كتابة القصص. أفكر أن أكتب قصة على النقيض من قصة الكاتب اليهودي الفذ فرانز كافكا:«المسخ». في رواية كافكا يمسخ البطل إلى حيوان مقزز ومخيف، في روايتي المتخيلة التي لن أكتبها أبدا يظل البطل كما هو لكن الناس حوله يُمسخون ويتحكمون فيه وهم مسوخ، ويحكمون عليه.

كنت أتابع الفضائيات مذبوحا.

تذكرت إحساسا للكاتب العراقي المتميز «الدكتور أحمد العمري»في كتابه الرائع المروع:«ليلة سقوط بغداد». كانت الدبابات الأمريكية تدوس على الأسفلت، قال

أنه شعر أن هذه الدبابات تدوس على أشلاء أطفاله، وأنه كما لو أنهم قيدوه ليغتصبوا زوجته أمامه، أمام الفضائيات شعرت بنفس الشعور، كانوا كحيوانات مفترسة يمضغون أشلاء أحفادي، كان الدم يتساقط من أشداقهم، ويغطي مخالبهم.. دم الإسلام الذي يحاولون أن يذبحوه.

انقسم النصارى في الفضائيات والصحف والشارع إلى ثلاثة أقسام: قسم ضئيل وعاقل وفاضل ونبيل يشعر بمسؤولية الكلمة ولا يمنعه حزنه من الإنصاف وإحقاق الحق وإدانة التغول السياسي للكنيسة وغطرسة شنودة التي أوصلت الأمور إلى هذا المدى. القسم الثاني هو الأغلبية، وقد كانوا غاضبين لكنهم يكظمون غضبهم وإن أفلتت منهم كلمة هنا أو هناك تنال من الإسلام والمسلمين. القسم الثالث كان من أبناء الشوارع، كالتوربيني وحناطة (حتى لو كانوا يحملون الدكتوراة، ولو كانوا رؤساء تحرير أو وزراء) حثالة المجتمع، مجموعة من الصعاليك والزبالين والسفلة لم يردعهم حتى مندوب رئيس الجمهورية ولا منصب شيخ الأزهر أو المفتي (دعكم من زقزوق) فاعتدوا عليهم قولا وفعلا، بل وحبسوا الوزراء بعد أن حالوا بينهم وبين حرسهم في غرفة حقيرة وهربوهم في سيارة نصف نقل بطريقة مهينة. وليكن واضحا أن هذا لا يمكن أن يتم دون قيادة القسس ودون رضا مباشر من شنودة، فإن كان قد تم رغما عنه داخل كنيسته وعلى بعد أمتار منه فإن معنى ذلك أنه فقد السيطرة فقدانا كليا وأنه أولى به أن يعتزل.

لقد أهينت الدولة كلها بواسطة أتباعه وبتحريض رجاله.

لاحظت أن ضيوف البرامج الذين يحملون أسماء إسلامية أكثر شرا وبذاءة حتى من أشد النصارى شرا وبذاءة وكذبا. لست أدرى من أي مباءة جمعتهم الفضائيات واستقطرتهم لتركز عفنهم لتسمم به الأمة. أولئك السفلة أكثر انحيازا ضد الإسلام من حثالة النصارى. أولئك السفلة، الشيوعيون سابقا والمتأمركون والمتأسرلون

حاليا مجوس هذه الأمة. أولئك كان موقفهم من البداية ضد الإسلام. إنهم لا يكفون عن الهجوم عليه، بالباطل دائما، ولا يكفون عن مظاهرة النصارى، بالباطل في معظم الأحيان. معظمهم، يجب عليه أن يحسد الداعرات على ما يملكن من شرف لا يملكه، معظمهم يحملون أعلى الشهادات، ويحتلون أرقى الوظائف وتستضيفهم كل الفضائيات، أحدهم، كلب من كلاب النار، كان يصرخ: ولماذا لا تسمحون للنصارى ببناء كنائسهم كيفما شاؤوا أينما شاؤوا. يا كلب النار: هل تسمح أمريكا أو فرنسا أو ألمانيا للمسلمين فيها أن يبنوا المساجد هناك كيفما وأينما شاؤوا؟ فإذا كانت هذه المساجد ستبنى بأموال من الخارج لإعطاء الطابع الإسلامي لمدنهم، تراهم كانوا يوافقون؟ . يا كلب النار: لن أقول لك اقرأ كتابي عن النصارى، ليس لمجرد أنك أسوأ من أن تقرأه، ولكن لأنني واثق أنك تعرف ما فيه، وتعرف أنه الحق، لكنك تقول ما تقول كراهية في الإسلام وحبا في مكاسبك من النصارى.

كلب من كلاب النار يحمل اسما إسلاميا طلب إصدار قانون العبادة الموحد. فهل تدرك يا جاهل لماذا تتقاعس السلطة عن إصداره؟ لأنهم لا يريدون أن يعطوا حقوقا للمسلمين كتلك الممنوحة للنصارى. هل توافق يا أحمق فعلا على المساواة بين المسلمين والنصارى في دور العبادة؟ هل توافق على أن يخصص لكل مسلم أو مسيحي معدل عشرة أمتار مربعة من دور العبادة من المساجد والكنائس والأديرة؟ المسلمون يوافقون على ما دون ذلك بكثير. خذها مني أنا : متر مربع لكل مسلم مقابل مترين مربعين لكل نصراني؟ فهل يرضيك هذا يا أحمق؟ لكنني أوافق على أقل منه! أوافق على أن يكون لكل نصراني عشرة أضعاف المساحة المخصصة لكل مسلم. أوافق. فهل توافق؟ وهل يوافقون؟ . يا غبي.

غبي آخر طلب المساواة في الوظائف. وأنا أيضا أوافق. أوافق على المساواة في كل

شيء. في الوظائف والثروة والمعتقلات والأعباء والشرطة والتعذيب. فهل توافق يا أحمق؟ . وهل يوافقون؟ .

ثم أن هناك نقطة مهمة جدا وظالمة جدا. هل نعامل مثلا على أن النخبة القائدة من المسلمين؟ . بمعني هل هم من الذين يؤمنون بأن القرآن كتاب الله وأننا يجب أن نحكم به؟ . لن نكفر أحدا. لكننا نقول أنه يوجد كثير من النصارى في كثير من المؤسسات لكن لا يوجد إسلامي واحد. وما مجلس الشعب الأخير إلا مثلا. أم أنك تريد أن تعتبر أنه يوجد فيه عشرة من النصارى والباقي من المسلمين. تلك إذن قسمة ضيزى. لقد كان القائد الأول للجيش الثاني في أهم فترة في تاريخ مصر نصرانيا، فقارن ذلك بما حدث لكمال الدين حسين، وهو من الضباط الأحرار، ورفيق عبد الناصر والسادات، لمجرد أنه اعترض على التعذيب الحيواني المجرم للإسلاميين.

إن بعض الحمقى وكلاب النار يزورون التاريخ كله، فيعتبرون أن المد الإسلامي قد بدأ في السبعينيات. بل قبر في الخمسينيات والستينيات يا جهلة يا حمقى. وقبل ذلك كان موجودا طول الوقت. البعض أيضا، ممن بلغ بهم الجهل مدى لا يصدق، يتصورون أن الحجاب والنقاب وفد علينا في السبعينيات ولا يدرك هؤلاء أن أمهاتنا وجداتنا كن كذلك لعشرات القرون فيما عدا عقود قليلة في القرن العشرين لقطاع محدود من المجتمع تمكن منه الغزو الفكري الوافد مع الاستعمار. واحدة من هؤلاء كانت تصرخ على شاشة التلفاز أنها ترفض الزي البدوي والزي الإيراني الوافديْن وتتمسك بزيها المصري. وكانت الجاهلة الحمقاء-الناصرية- ترتدي زيا وافدا من أوروبا!.

هؤلاء الحمقى والأغبياء والجهلة الذين يتصدرون الساحة الفكرية والثقافية ليسوا انتخابا طبيعيا من بين المثقفين بل هو نوع من الخدمة الإلزامية أو التطوع لأجهزة الأمن السياسي. إنهم عساكر درك وليسوا كتابا. وهم يتبعون الداخلية لا الثقافة ولا حتى الإعلام.

أما رجال الأمن السياسي فإنني أصرخ فيهم:

ضيعتم الدين والبلاد والعباد.

كما أقول لهم: إن جنودهم من الكتاب والمثقفين الذين عينوهم في الصحف والفضائيات قد يكونون بغبائهم وحماقتهم واستفزازهم أقوى تأثيرا في بث الكراهية والازدراء للنظام من كتل المعارضة مجتمعة.

حادث الإسكندرية الأخير سيتكرر مرارا حتى انكسار مصر أو انكسار الطاغوت أو موت البابا شنودة -أكثر من أساء إلى نصارى مصر بغرور القوة وغطرسة السيطرة والاستعلاء بالأمريكيين- وتولي من يحسن معالجة الأمور لمصلحة النصارى قبل أن يكون لمصلحة الوطن.

لا شك في أن الحادث - فوق رفضه ابتداء على المستوى الديني باعتباره كبيرة من الكبائر- يسيء إلى مصر ويعرضها لمخاطر ترسم لها وأكمنة تعد لاصطيادها يشارك في بعضها للأسف أقباط المهجر وبعض نصارى الداخل. لذلك، فإنه فوق كونه خطيئة دينية فإنه خطأ سياسي مروع. نعم. بعيدا عن الحلال والحرام، وعن الخطأ والصواب، فإن ما حدث كارثة خطيرة، وهي كارثة لا يحمل وزرها المسلمون ولا الإسلام. على العكس. هم ضحاياها على المدى القريب والمتوسط. أما على المدى البعيد فإن النصارى هم ضحاياها، تماما كما حدث لنصارى العراق. وعلى كافة المستويات، فإن الوطن هو الضحية. الوطن هو الفريسة لا الكنيسة. بل تبدو الكنيسة كوحش خرافي شيطاني يقتل أمه.

بنسبة ٩٠٪ فإن حادث الإسكندرية من تدبير المخابرات الأمريكية والموساد مباشرة وبنسبة ١٠٪ فإنه من تدبير تنظيم القاعدة. ولكن ٩٠٪ من هذه العشرة في المائة ربما تكون بسبب اختراق للتنظيم عن طريق المخابرات الأمريكية والإسرائيلية. ونحن لسنا بصدد الحكم على جرائم الموساد أو المخابرات الأمريكية.

لكننا بصدد من يخونون لحسابهم أو يستقوون بهم. بصدد كبار مسؤولينا وقساوستنا وشيوخنا. بصدد حسابات كل منهم الخاصة. حتى لو أدت هذه الحسابات بالوطن إلى الدمار. سوف نتجاهل احتمالات أخرى لأن احتمالاتها بعيدة لا مستبعدة، منها أن يكون وراء العملية أقباط المهجر، أو بعض طوائف نصارى مصر التي تريد إشعال النار استدعاء لأمريكا لحل مشاكلها الداخلية، أو حتى بعض أجهزة العمليات القذرة التي تريد التغطية على فضائح تزوير الانتخابات تمهيدا لانتخابات الرئاسة[1]. يجب أن نضع في الاعتبار أيضا أن تكون الجريمة جزءا من مخطط عالمي (صهيوصليبي) لتفتيت مصر بعد تفتيت السودان. سوف نستبعد أيضا تصورا إجراميا آخر، أن تكون هذه الجريمة كحادث المنشية عام ١٩٥٤، وقد تم هو الآخر بإخراج أمريكي لتوجيه ضربة ساحقة للإخوان المسلمين.

وسواء كانت المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، أو القاعدة، أو حتى تنظيم مصري هو المسؤول عما حدث، فإنه لم يكن ليحدث لولا الاختلال الجسيم في بنيان الوطن، اختلال سوف يؤدي إلى اشتعال النار في الوطن كله. اختلال سببه تحالف شيطاني بين أمريكا وإسرائيل وشق مؤثر متغلب في النخبة الحاكمة وشق مؤثر غالب في قيادات النصارى والشق الأكبر من القوميين والعلمانيين والليبراليين والشيوعيين وجل أعضاء حزب التجمع. كل هؤلاء تحالفوا حلفا شيطانيا مؤداه أنهم يفضلون انفجار الوطن واحتراقه عن عودة التوازن الطبيعي إليه. التوازن الذي يعطي للمسلمين حقوقهم.

إن فقدان هذا التوازن الطبيعي سيظل لغما ينفجر في الوطن حتى يقضي على الوطن أو أن ينفجر اللغم في أصحابه فيقضي عليهم.

(١) كان هذا أول إرهاص بالشك في قيام الأجهزة القذرة في أمن قذر بتدبير الكارثة، ولم يكن هذا الاحتمال قد أثير قبل ذلك، ثم انفجرت الأخبار بعد ذلك مؤكدة تورط وزارة الداخلية في تدبير العملية كلها، وبرغم أنني كنت أول من أشار إلى هذا الاحتمال، فإنني ما زلت أضعه آخر قائمة الاحتمالات.

في العالم كله وفي الطبيعة كلها فإن فقدان التوازن يؤدي إلى كوارث هائلة (من أول ثقب الأوزون والاحتباس الحراري حتى هجوم سمك القرش على السياح). وإن حرمان المسلمين من حقوقهم الطبيعية لابد أن يؤدي إلى كوارث هائلة أتهم من يتجاهلها بالخيانة العظمى.

إن الشحن الغبي المتواصل للنصارى بالأفكار الخاطئة أدى إلى أن رد فعلهم الأول بعد الحادث الأخير هو الاعتداء على مسجد. ثم الاعتداء اللفظي والجسدي على الوزراء الذين ذهبوا للتعزية، وإنني ألتمس كثيرا من المعاذير لعامة النصارى، الذين تعودوا أن يحتكر القسس تفسير الإنجيل لهم، عندما يستمعون إلى أكاذيبهم وأفكارهم الخاطئة ليتعاملوا معها على أنها الصواب الوحيد، ويصدقون على سبيل المثال أنهم سكان مصر الأصليون وأن المسلمين ضيوف وأن القرآن وضع في عهد سيدنا عثمان ﷺ. إن المنطق السليم كان كفيلا بجعل الأقباط ممتنين جدا لكن عندما يملي عليهم المخرفون أن مصر بلادهم وأننا ضيوف عليهم فلابد أن يشعروا بالضيق لأننا نزاحمهم فيها ولأن فترة الضيافة طالت كثيرا.

إن الذي يدس هذه الأفكار في وعي عامة النصارى ولا وعيهم ليس غبيا ومجنونا فقط. بل لماذا لا تفكر أجهزة الأمن في أنه عميل مدسوس للمخابرات الصهيوصليبية.

لكن أجهزة الأمن تفكر في أمور أخرى، وقد تم برمجتها على النظام الأمريكي الصهيوني فأصبح المسلم عدوا واليهودي صديقا وإسرائيل جارة مأمونة وحماس بؤرة إرهاب. وتعرضت الأغلبية لاستفزاز مستمر لا يكاد يصدق. وفي ظل هذه البرمجة المجرمة يمكن للتحالف الإجرامي أن يعمد إلى مزيد من الإخلال بالتوازن بمزيد من الإقصاء والحصار للإسلام. للإسلام لا للإخوان المسلمين. فالمستهدف هو الإسلام. المستهدف هو الإسلام. المستهدف هو الإسلام.

لشد ما أخشى أن يعالج الأغبياء الكارثة بمزيد من الداء. لأنهم بهذا يسكبون آبارا من النفط على جمر يتأجج. إنهم يتصرفون تصرف المرأتين أمام نبي الله سليمان، حين تنازلت أم الطفل الحقيقية عنه إبقاء على حياته. كذلك، فإن التحالف المجرم يريد من المسلمين التنازل عن حقوقهم إبقاء على مصر!.

إن عمليات الشحن الإعلامي الهائل في الوسائل الإعلامية تشي بل تفضح قرارات خطيرة سيتخذها النظام ضد الإسلام خلال أيام أو ساعات. لكن المشكلة أن هذه الإجراءات ستزيد من الخلل وستشعل مزيدا من النيران وستزيد من شبهة تورط جهات معينة.

هذا الشحن لم يتورع عن الميلودراما الفاقعة لاستدرار الدموع بعرض أشلاء ٢١ من الضحايا. يحزننا الأمر، لكن لدينا في العراق فقط أشلاء مليوني مسلم. وفي مصر لدينا ما هو أقسى من الموت في مسالخ أجهزة الأمن. وكل الضحايا مسلمون.

والحقيقة أنني أحمل الحكومة وعلى رأسها الرئيس مبارك قسطا كبيرا من المسؤولية عن الفتنة الطائفية. وربما يرى البعض أن الكلام الذي سأقوله على الفور غير لائق في أجواء الكارثة وما تستلزمه من عزاء. لكنني أرى أن الصراحة والمواجهة مطلوبة الآن أكثر من أي وقت مضى. ولو أن الرئيس مبارك فعل كما فعل الرئيس السادات، عندما صرح بأنه رئيس مسلم لدولة مسلمة، وعندما واجه شنودة غير هياب ولا وجل فعزله، فوأد الفتنة. القسط الآخر من المسؤولية يحمله شنودة نفسه، ولا أريد تكرار التفاصيل التي سيسردها الكتاب.

قد يستطيع شنودة بالضغط والتخويف والغواية والاستقواء بأمريكا لا بالله أن يأخذ من مبارك ما يشاء، لكن كيف ينسى أن هناك عنصرا آخر هو الباقي وهو المؤثر وهو الذي سيكتب نهاية الحكاية. إن السواد الأعظم من المسلمين مسالمون جدا، لن أبالغ لأقول أنهم يفعلون ذلك تدينا–وإن كنت لا أنكره كله– وإنما أقول أنهم يفعلون

ذلك لعشرات العوامل منها الدين ومنها البطش والأمن المركزي ومباحث أمن الدولة وصحافيو أمن الدولة ومذيعو ومذيعات أمن الدولة. أضف إلى ذلك كثيرا من الفقر وكثيرا من الجبن. هم كذلك، في جل الأوقات كانوا كذلك. ويمكن أن يستمروا كذلك إلى وقت طويل جدا. لكنهم في مرحلة معينة يمكن أن ينقلبوا إلى أسود كاسرة.

يا له من ألم أن كل ما تنبأت به منذ عام ١٩٦٧ قد حدث.

يا له من ألم عندما أقرأ المستقبل.

سوف يركع نظام الحكم أمام شنودة بل سيسجد. سوف يسلم له بكل ما يريده. سوف يسقط الجرائم التي يرتكبها النصارى على الإسلاميين وسيحاول استئصال شأفتهم، سوف يهاجم النصارى الشرطة فتلفق التهم للإسلاميين. سوف يتحدى النصارى الدولة فيُنكل بالإسلاميين. سوف يحملون السلاح فتنسب الجريمة إلى الإسلاميين. سوف يمارسون الإرهاب فيتهم به الإسلاميون. سوف يطالبون بالمساواة والمساواة عندهم إلغاء وجود الإسلاميين وطرد المسلمين جميعا من مصر وهو الأمر الوحيد الذي يقنع شنودة وبيشوي.

سوف يحدث ذلك. وسوف تحقق سياسة شنودة نفس ما حققته سياسة هتلر في أوروبا في بداياتها. لكن كيف كانت النهاية. الدمار الكامل والسحق الشامل. ولو طال بمن يحملون هذه الرؤية الشاذة العمر لانتحروا كما انتحر هتلر. لست أدري لماذا يعرضون النصارى لكل هذه المخاطر. هل يدركون ماذا تعنيه حرب طائفية؟ في البداية سيقتل النصارى من المسلمين مائة ألف أو حتى مليون. لكن ماذا سيحدث بعد ذلك. كم سيبقى من النصارى؟ !. هل سيبقى منهم مائة ألف أو مليون. وهل سيقر للباقين قرار أم سيلحقون بإخوتهم المهاجرين إلى أمريكا. هل سيبقون مالا أو قوة؟ . سوف يدمر اقتصاد مصر. وسوف تتدخل أمريكا. لكن هل استطاعت أمريكا حماية نصارى العراق؟ وهل تستطيع كل قوى الدنيا أن تمنع

استشهاديا أو انتحاريا من تفجير نفسه أينما شاء؟ !. ثمة نقطة أخرى، إن الخراب الذي سيلحق بمصر لن يؤثر كثيرا في عامة الناس والمسلمين، فثرواتهم منذ البداية منهوبة وأقواتهم محدودة وتأثيرهم محيّد. لكنه سيؤثر على طغمة اللصوص المسيطرة الآن. ستضعف الدولة. سيتهاوى النظام. وبتهاوي النظام ستقوى الحركة الإسلامية إلى ما غير حد. وسوف يؤدي هذا إلى تنام مذهل للمد الإسلامي في العالم كله. فمصر دولة محورية، ويمكن إن غيرت موقفها أن تغير موازين السياسة في العالم.

يا شنودة: إنك لم تكف عن التصعيد منذ أربعين عاما، وإن كل ما يحدث الآن بسبب تصعيدك. أنت تريد معاملة المسلمين كعبيد لا حقوق لهم. وهذا لن يحدث. لقد واجهتك سلطة رخوة وشعب مقهور. لكن إذا ما واصلت الضغط والاستفزاز والابتزاز ستنهار السلطة وسينفجر الشعب.

يا شنودة لقد ردد أتباعك قدرا من الأكاذيب يحسدكم الشيطان عليها. دعنا من الأكاذيب البسيطة مثل قولكم أن عددكم ١٢٪ (بدلا من ٥-٦٪). لكنكم رددتم الأكاذيب حول اضطهادكم بينما لا توجد أقلية في الدنيا كلها تنعم بما تنعمون به. ودعوني أضرب لكم مثلا واحدا عن طريقة فاجرة في الكذب تنفجر كل آن وآخر. طريقة تنافس طريقة المثقفين الليبراليين الذين يعتبرون المايامس مثلا أعلى في الشرف. وهن لهم كذلك!. طريقة تقلب اىواقع تماما، تحوله إلى ضده، ثم تنسج الخرافات والأكاذيب حتى تتحول الأكذوبة إلى أسطورة والأسطورة إلى ملحمة يتغنون بها. من ذلك إشادتهم بالمجرم الجاسوس الخائن المعلم يعقوب. دونما خجل. دونما استتار. يبدون العورة وكأنها وسام افتخار. مثل هذا فعلوه في تخرصهم عن أكذوبة مذبحة السويس وحرق المسيحيين أحياء فيها. ورغم اهتمامي بالأمر كله ومحاولتي تقصي الحقائق فإنني لم أحط بالأمر إلا بعد أن شرحه المجاهد حافظ سلامة. كانت مواقع أقباط المهجر تقول أن المسلمين الإرهابيين القتلة الوحوش

جمعوا النصارى في كنيسة في السويس وأحرقوهم فيها. وتباينت أعداد المحروقين بين عشرات ومئات. الشيخ حافظ سلامة كان شاهد عيان على واقعة ادعاء حرق الكنيسة الأرثوذكسية في السويس يوم ٤ يناير ١٩٥٢. إنه يحكي الحكاية كما رآها:

« في ذلك التاريخ بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ بيننا وبين الإنجليز بعد صراع مرير من شعب مصر ضد الاحتلال الإنجليزي حينذاك وقيامنا بسحب العمالة المصرية من المعسكرات البريطانية فوجئنا بالمواطن محمد العربي يطلق النار على بعض الجنود الإنجليز في محطة بترول كانت خاصة بالقوات البريطانية عند المثلث في المكان المبنى به الآن مسجد الخلفاء الراشدين وكان يسمى من قبل بالمجاهدين. وإذا بالقوات البريطانية تطلق النار عشوائياً على المواطنين وسقط الكثير منهم شهداء وجرحى وحينذاك لم يكن لديّ سلاح لأقاوم به وللرد على العدوان البريطاني وإذا بي أجد اليوزباشي محمد البركيني ومحمد النفياوي ومع كل منهم حوالي من ١٥ إلى ٢٠ جندي بلك النظام (الأمن المركزي الآن) ومع كل منهم بندقية من عهد الخديوي التي يستعملونها طلقة طلقة وبالتالي قمت بمساعدتهم واشتركت معهم ضد الموقع الإنجليزي الذي يطلق النار على المدنيين ولكنهم طلبوا مني أن أزودهم بالذخيرة لأنها سوف تنفد منهم ولن يستطيعوا الاستمرار في المعركة ، فاضطررت إلى أن أتركهم لإحضار الذخيرة لهم، وإذا أبي أجد الصاغ زكي جبران مفتش القسم المخصوص (سابقاً .. أمن الدولة حالياً) يطلب مني أن آمر الضابطين وقواتهما بالكف عن إطلاق النار لأنه أتفق مع القيادة العسكرية البريطانية بوقف إطلاق النار بصفته ضابط الاتصال بين الشرطة المصرية والقوات البريطانية، ومعه اليوزباشي جرجس مينا لأن المكتب لم يكن به على مستوى المحافظة غير الصاغ زكي جبران واليوزباشي جرجس مينا واليوزباشي ميخائيل والكونسطبل المرحوم الحاج عبد المقصود والكونسطبل محمد التابعي، وهما المسلمان فقط بالمكتب لمراقبة المساجد. في هذا اليوم ٤ يناير ١٩٥٢ حاول الإنجليز دخول المدينة فتصدت

المقاومة لهم. وبدأ بعض الفدائيين يتخذون مواقعهم فوق أسطح بعض المنازل وكنت حينذاك – وكان اليوم جمعة – بالمستشفى العام لاستقبال الشهداء والجرحى وإذا أبي أسمع طلقات نارية قريبة منا وإذا بنا نرسل بعض الحراسات الموجودة بالمستشفى من جنود بلك النظام إلى مصدر هذه النيران وإذ بهم يجدون اثنين من المواطنين الأقباط فوق منزل الحاج المرحوم عبد العزيز البهنسي المواجهة للمستشفى يطلقون الرصاص على سيارات الإسعاف وعلى الأهالي الذين جاؤوا ليطمئنوا على ذويهم بالمستشفى ، وطلبنا من جنود بلك النظام أن يأتوا بهؤلاء ولكنهم من غضبهم أجهزوا على واحد منهم وجاؤوا ببندقيته وطلبنا عدم المساس بالآخر حتى نعلم من وراءهم وعلى الفور حضر الصاغ كامل سالم مأمور قسم السويس ليتولى بنفسه التحقيق ولكنه قال لي : يا شيخ حافظ هناك مظاهرة قامت من ميدان الأربعين عقب صلاة الجمعة ، ومعهم جثتان لاثنين من المواطنين كانوا يطلقون النار من منزل المواطن جورج سمعان بشارع صدقي على الفدائيين المنبطحين بالأسطح الذين يطلقون النار على الإنجليز، فاضطروا إلى إحضارهم وتم قتلهم بعد إحضار الأسلحة التي كانت بحوزتهم ، ويطلقون النار منها على الفدائيين.

فقلت للسيد المأمور : وأنت لماذا لم توقفهم وتسحب الجثث ؟ !! فقال لي : لم أستطع مع غضب المواطنين، فالحقهم لأنهم كانوا يقولون على الكنيسة على الكنيسة حتى لا تحدث فتنة. فقلت له : هما فين. قال لي : في طريقهم إلى الكنيسة. فقلت له : كيف أصل إليهم ؟ !! فقال: خذ سيارتي الميري علشان محدش يعترضك من الشرطة. ورغم العراقيل التي صادفتها من بعض ضباط الشرطة ومنهم القائم بالحملة الميكانيكية وكان ضابطًا مسيحيًا. ولكنني بفضل الله تبارك وتعالى استطعت أن أصل إلى الكنيسة ووجدت بها بعض الأقفاص والقش الذين كانوا سيقومون بحرقه وأربع دكك خشبية كانت موجودة على باب الكنيسة الداخلي وبفضل الله تبارك وتعالى ، أدركت هذا العمل قبل نشوبه وتفريق المتظاهرين. وقلت لهم : هذه

مؤامرة وخاصة أن مأمور قسم الأربعين ، قبض على اثنين من الأقباط كانوا يتزعمون المظاهرة معكم؛ والآن هم في قسم شرطة الأربعين. لا نريد فتنة حتى لا نسمح للإنجليز بالتدخل فانصرف جميع المواطنين ، وإذا بي أجد المرحوم اللواء/ محمود كفافي حكمدار السويس (مدير الأمن بعد ذلك) فقال لي: أنت سبقتني يا شيخ حافظ. فقلت له : حتى أدرك هذا الشباب المغرر بهم وخاصة بعد أن تم القبض على اثنين من النشطاء في المظاهرة وتبين أنهم من الأقباط. فقال لي : تعال نخش جوه الكنيسة حتى نرى من بالداخل ، فإذا بى أنادى ويخرج من فرن الكنيسة الخاصة بخبز القربان شخص يسمى ميخائيل. فقال : أنا استخبيت في الفرن لما شوفت المظاهرة فقال سيادة الحكمدار حينذاك : في حاجة في الكنيسة. فقال : مافيش حاجة داخل الكنيسة ولكن في فناء الكنيسة وعند الباب.»

يواصل المجاهد البطل الشريف الحر الصادق الأمين:

« وأتحدى شنودة أن يأتي بدليل أو بصور فوتوغرافية عن أي أضرار أصابت الكنيسة حينذاك. وإذا أنا واقف مع سيادة اللواء إذ حضر نزيه تناغو المحامي ومعه نصر الله سمعان الموظف بمحافظة السويس فقالوا لسيادة اللواء : أحنا ها نروح للقنصل الإنجليزي ، في بور توفيق ونطلب منه حماية الأقباط من عدوان المسلمين علينا فحاولنا تهدئتهم ، وإسكان غضبهم لعدم إثارة الفتن ، وأثبت سيادة اللواء ما شاهده وما تلفظ به نزيه تناغو ومن معه وهما في ملف كلٍّ إلى الآن في أمن الدولة.»

«هذه هي قصة المقتولين بذلك الحادث بذلك اليوم ، الذي غضب من أجله نظير جيد - الأنبا شنودة قبل أن يترهبن - ونشر افتراءات كثيرة واتهم فيها النظام والشرطة في تواطئهم وترك القتلى، وأتحداه أن يعود إلى ما ثبت في المستشفى العام من عدد الشهداء الذين استشهدوا في هذا اليوم برصاص الإنجليز ورصاص الخونة من الأقباط.»

انتهى الاستشهاد.

هذه هي الحكاية إذن.

يجعلون من الخونة أبطالا ومن الجواسيس مجاهدين ومن الجناة مجنيا عليهم.

يجعلون داعرة الليل قديسة بالنهار!!.

والآن لننظر إلى ما كتبه نظير جيد / البابا شنودة الثالث بعد ذلك:

استمعنا في ألم بالغ إلى حادث السويس، هدية العيد (الكريمة) وقد قدمها لنا مواطنونا المسلمون الذين ينادون بوحدة عنصري الأمة !! وعناق الهلال والصليب!!

وتتلخص القصة (وقد رواها أخوة لنا من السويس) في حـــرق بعض المسيحيين والطواف بهم محترقين في الطرقات ثم إلقائهم في الكنيسة وإشعال النار فيها.

أين كانت الحكومة ؟ ؟

شيء يمكن أن يحدث في بعض البلاد المتبربرة أو في العصور الوثنية والرق والوحشية، أما أن يحدث في القرن العشرين وفى السويس في بلد فيها محافظ ونيابة وبوليس وإدارة للأمن العام فأمر يدعو للدهشة والعجب، إنها ليست قرية نائية بعيدة عن إشراف رجال الإدارة وإنما هي محافظة، فأين المحافظ حين وقع هذا الاعتداء الوحشي؟ وما الدور الذي قام به رجاله (الساهرون) على الأمن وحماية الشعب[1]؟!

إننا نطالب الحكومة، لو كانت جادة فعلاً في الأمر لو كانت حريصة على احترام شعور ما لا يقل عن ٣ ملايين من رعاياها، نطالبها بمحاكمة المحافظ ومعرفة مدى قيامه بواجبه كشخص مسؤول وأن توقع عليه وعلى غيره من رجال الإدارة العقوبة التي يفرضها القانون.

نظير جيد / البابا شنودة الثالث البطريرك الـ ١١٧

العدد الأول والثاني لمجلة مدارس الأحد لعام ١٩٥٢ م

التربص إذا قديم، ونشر الأكاذيب قديم.

(١) هل يوجد فرق حقيقي بين نظير جيد وزكريا بطرس وموريس صادق؟!.

لقد تصورت في لحظة من اللحظات أن تحريفا وقع في الإنجيل يجعل من الكذب أفضل وسيلة للتقرب لله.

إنهم لا يكفون عن الكذب والادعاء أبدا حتى أنني أعذر بعض العلمانيين الأوروبيين الذين نقلوا الدين عندهم إلى أرفف الخرافات والأساطير في المكتبات.

لكن الدهشة تستبد بي، إذ أن المرء قد يغامر من أجل الفوز بمكسب، وقد يقامر من أجل نصر محتمل، فإذا قامر بعشيرته في معركة لا أمل أبدا في الانتصار فيها فليس هناك إلا تفسيرات توقع تحت طائلة القانون، وليس ثمة مثال إلا هتلر.

يوجد تفاصيل كثيرة عن حادث السويس جعلتني أكثر اقترابا من أن يكون مرتكب حادث الإسكندرية نصرانيا. لقد وصل الضغط إلى نهايته في حادث العمرانية ودارت الدائرة عليهم وانقلب عليهم مكرهم وتدبيرهم فكان لا بد من مخرج آخر(من كلاب العلمانية والليبرالية لا يوجد واحد فقط اعترض على مخالفة القانون وجمع النصارى ومحاصرة المحافظة وتدمير واجهتها وطابقها الأرضي والمباني المحيطة في محاولة لاتخاذ المحافظ رهينة! وكانت القيادة من القسس!. ماذا كان سيحدث للإسلاميين لو فعلوا عشر ذلك)؟ ؟

هل تتصور يا شنودة ماذا سيحدث إن اندلعت النار في مصر. هل تتصور رد فعل الأغلبية المقهورة التي باعها حكامها وخانتها نخبها؟ هل تتصور كم المجاهدين الذين سيتوافدون من العالم كله لحماية الإسلام في مصر؟ هل تتصور ما يمكن أن يحدث؟ . إنها معركة يائسة يا شنودة. معركة لن تنتصر فيها أبدا أنت ولا أتباعك. ستخرب مصر. لكن أكبر الخاسرين سيكون أنتم. أما المسلمون فسوف يخسرون كثيرا لكنهم سيكونون أقل الخاسرين. لأنهم سيكسبون في الوقت نفسه انهيار عدوين لدودين: أنت: كسياسة منحرفة لا كدين، ونظام حكم خان الله ورسوله والمؤمنين.

إنني أناشد المسلمين قبل الإسلاميين أن يضبطوا أنفسهم إلى ما غير حد، إلا

حدود الله. وأن يتجنبوا التصعيد ما استطاعوا. فربما يقيض الله غير شنودة واحدا من النصارى العقلاء الذين يجنبون عشيرتهم وأمتهم ودولتهم الخراب.

كطبيب مارس التفكير الأكاديمي والمنهج العلمي أكثر من أربعين عاما فإنني أميل إلى نفس المنهج في تناول الأمور الفكرية. وفي تشخيص ما يحدث، كما في تشخيص أي مرض، فإن سبب أي مرض ينقسم إلى قسمين: الأسباب المحيطة غير المباشرة والتي قد تتعدى المريض إلى ماضيه البعيد وإلى أسرته وعائلته وسكنه وبيئته، وقد تكون الأسباب غير المباشرة هي الأهم لكنها تحتاج إلى خطط شاملة طويلة المدى. أما القسم الثاني الذي يحتاج إلى تدخل عاجل فهو الأسباب المباشرة.

السبب المباشر للاحتقان الحالي يعود إلى شخصين:

البابا شنودة الذي استباح الدستور والقانون والوطن فاستقوى بالأجنبي وضغط على السلطة افتئاتا على حقوق المسلمين حتى وصل الأمر إلى اختطاف وسجن الأسيرات المسلمات.

أما الشخص الثاني فهو المسؤول الذي سمح له بذلك سواء كان زكريا عزمي أو الرئيس مبارك أو حتى مصطفى الفقي!.

لقد أثبتت الأحداث أن كل تنازل لا يعقبه إلا طلبات أخرى لمزيد من التنازل لأن غطرسة القوة لا تعرف الارتواء.

إن كل حل لا يعيد للمسلمين حقوقهم ليس إلا قنبلة موقوتة مؤجلة الانفجار.

وإنه يمكن للنصارى أن يستولوا من حكومة رخوة متخاذلة على حقوق ليست لهم، ولا نقول لهم أنهم يأكلون نارا في بطونهم وسيصلون سعيرا، بل نقول لهم: أنهم يبتلعون ألغاما ستنفجر فيهم.

خاتمة :
حسبنا الله ونعم الوكيل

في تلك اللحظة المروعة التي قرأت فيها كيف مات شهيد القرآن الدكتور محمد عبده يماني شعرت بألم شديد في قلبي ووجدتني أدعو دون تفكير:

يا ليتها كانت القاضية.

كنت أعلم أنه ما ينبغي لي أن أقولها.

كما كنت أعلم أنها جاءت في السياق على لسان كافر.

لكن الألم الصاخب لم يترك للعقل في البداية سبيلا.

الألم الفادح لإغلاق مكاتب تحفيظ القرآن في بلد القرآن.

وأن يموت محمد عبده يماني وهو يتوسل إلى مصدر القرار أن يرجع فيه.

وأن ينال من أصدر هذا القرار جائزة دولية -والصحيح أنها غربية والأصح صليبية- لأنه قدم أكثر مما طلب منه، بل ويشاع أنه يُربّى منذ عقود ليكون ملكا.

بيد أني ما لبثت -وأنا أسترجع وأحوقل- أن غرقت في استغفار دام ذبيح.

قبلها كنت مذبوحا مما يحدث في بلادي.

كنت أدرك أن كلاب الصيد التي يربيها الصليبيون واليهود في بلاد لا إله إلا الله محمد رسول الله منذ ثلاثين عاما وخمسين عاما ومائة عام قد ضريت واشتد عودها وأننا بصدد هجمة كاسحة جديدة على الإسلام لا تستهدف مجرد تجفيف منابعه بل اقتلاع جذوره.

وكنت أعلم أن الكلاب التي طالما استخفت قد شرعت مخالبها وسنت أنيابها وارتفع نباحها وعواؤها.

كنت أدرك أننا مقبلون على أيام سوداء نتمثل فيها قول الشاعر:

رب يوم بكيت منه   فلما انقضى بكيت عليه

وأننا سنبكي كالنساء دينا لم نداقع عنه كالرجال.

وأننا بعد أن غادرنا عصورا كعصر شمس بدران وحمزة البسيوني سنواجه عصرا يحكمنا فيه ويتحكم فينا شخصيات من نوع التوربيني وحناطة، غير أنهم سيكونون رؤساء ووزراء وقادة،

وأننا بعد أن استثقلنا الجهاد وأبينا الشهادة مأجورين سنموت ممزقين بأنياب الكلاب مأزورين.

أو: سنموت قهرا كما مات محمد عبده يماني، ويا ليتنا ننال ميتته.

وكنت أدرك أن ما يحدث في بلادي يحدث في سواها لأن منبع الغواية واحد.

كنت أبث شكواي إلى الله سبحانه- كشكوى سيد الشهداء الإمام الحسين:

عند الله نحتسب أنفسنا وفساد حكامنا: صبرا على قضائك لا إله سواك، هؤلاء القوم أقسموا على ألا يتركوا من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ويعمل بحقها.

نعم.

لقد أقسموا على القضاء على الإسلام.

ليس أعداؤنا، بل حكامنا وولاة أمورنا وكتابنا ونخبتنا.

ليس الكفار.

ليس اليهود ولا النصارى.

بل من يحملون أسماء مسلمين.

أقسموا ألا يتركوا للإسلام ركنا سليما ولا قاعدة صحيحة.

بل إنني أقسم، أن هؤلاء الذين يحملون أسماء المسلمين أقسى وأفجر ألف مرة ممن هم غير مسلمين.

والأمة كل الأمة تعرفهم، ولكنها لا تحرك ساكنا.

كنت أرقب ما يحدث في ذهول.

وكنت قد توقفت عن إدانة الحكام توقف اليائس من إصلاح حالهم، وعدم جدوى أن أندد بخياناتهم، فتلك وظيفتهم التي ارتضوها باختيارهم تماما كما ارتضي الشيطان باختياره أن يكفر بالله وأن يضل عباده. وإننا نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، لكننا لا نعاتبه ولا نطلب له الهداية، وأظن أن موقفي من حكامنا أصبح كذلك: لا عتاب، ولا دعاء بالهداية.

لم يكن ذهولي بسبب فجور ولاة الأمر.

لكنني كنت مذهولا بسبب صمت الناس.

أين هم.

أين هم.

أين هم؟ !

وانهار سد داخل نفسي، فسال مخزون الرغبة في الحديث إلى الناس، سالت الرغبة في الكتابة كطوفان من الماء تلقفته أرض خراب لا تحفظ ماء ولا تنبت ثمرا.

أين الناس.

وما جدوى الكتابة إذا كانت لا تصل إليهم، وما جدواها إذا كانت تصل إليهم فلا تؤثر فيهم، وما جدواها إذا تأثروا فلم يتحركوا.

هل خنعوا؟ .

هل التمسوا العزة في غير الإسلام فذلوا؟ !.

هل صدقوا الذئب الذي اتهمهم بتكدير الماء عليه؟ .

هل اقتنعوا بمن يتهمهم بالإرهاب والعنف؟ !.

هل خافوا.؟ .

هل ألقوا بأيديهم إلى التهلكة بالكف عن الجهاد.

أنا على العكس تماما، أتهمهم بأنهم لم يمارسوا الحد الأدنى من الإرهاب والعنف اللذين كانا ضروريين للحفاظ على كرامتهم وحياتهم.

كنت أرقب الأمثال يضربها لنا الله.

وكنت أرقب انتصار أفغانستان المذهل على أكبر إمبراطوريات في التاريخ منذ الإسكندر الأكبر وحتى بوش الأحقر وأوباما العاجز.

كنت أرقب كيف أذل الشيشانيون روسيا، وكيف أذلت القاعدة أمريكا وكيف أذل حزب الله إسرائيل فأهتف:

أين الناس، لماذا لا يتحركون؟ !.

كان ذل الناس واستسلامهم وخنوعهم جبل جليد انهار عليّ فدفنني في جلموده فأطفأ كل رغبة للكتابة في قلبي.

وقلت لنفسي : لن يبق لنار كتاباتك إلا سلبياتها، لن يستضيء الناس بنورها وقد يختنقون بدخانها.

وكنت أدرك –بعد إغلاق الفضائيات الإسلامية بقرار فاجر مجرم– أن دور المجلات والصحف قد حان.

ولم أكن أريد أن أكون سببا تغلق بحجته مجلة المختار الإسلامي، كما أغلقوا الشعب قبل ذلك وهددوا كل الصحف العربية والمحلية التي نشرت لي.

لذلك أنسحب من الكتابة إلى أجل معلوم.

لا أريد للمختار أن تعاني محنة بسببي.

خاصة أنني رأيت بعض الفضائيات الإسلامية التي عادت منكسرة مستسلمة ذليلة وكأنها مغتَصَبة عقدوا قرانها على من اغتصبها.

لا أريد أن تحاصر المختار في النفق المظلم الذي حوصرت فيه صحيفة

«الشعب»رحم الله كتابها وأهلك من أغلقها.

أتوقف لأن ما أريد كتابته لا يمكن أن تنشره مجلة ولا صحيفة، كان من المستحيل أن أنشر ما أحسه، وكان من المستحيل أن أخون الله ورسوله والمؤمنين فأتأول أو ألجأ للرمز، علمناها الشهيد سيد قطب، أمثالنا لا يباح لهم التقية ولا التأول، لذلك أتوقف.

أتوقف انسحابا.

وأتوقف احتجاجا.

وأتوقف اشمئزازا.

أتوقف وأنسحب.

أتوقف، ولو خيرت لاخترت أي سبيل آخر غير أن أتوقف.

أتوقف كقنبلة أفسد مفعولها صمت الناس.

أتوقف بقرار مني.

لكي يكون الأمر بيدي لا بيد عمرو.

بيدي لا بيد شنودة.

بيدي لا بيد بيشوي.

بيدي لا بيد ساويرس.

بيدي لا بيد خالد الفيصل.

ولو تيقنت أن صوتي سيصل لولي الأمر وأنه سيسمع ويعي لحاولت وحاولت وحاولت.

ولو كنت – معاذ الله- كاتبا نصرانيا أو يهوديا أو كافرا بالله لانقلبت الدنيا لتوقفي عن الكتابة ولجاءني كبير الياوران ووزير الإعلام لاصطحابي لمقابلة ولي الأمر في نفس اليوم.

لكن مع كاتب مسلم فإن ولي الأمر لن يعرف بما حدث أصلا.

ذلك أن يقينا يستقر داخلي الآن أن لجنة ثلاثية هي التي تدير البلاد فلا يصل للرئيس إلا ما تريد أن يصل إليه.

لجنة أطلقت يدها في البلاد تفعل فيها ما تشاء.

لجنة يرأسها شنودة، بعضوية بيشوي وساويرس، وربما ينضم إليهم زقزوق.

ويجاوب صداها على الناحية الأخرى من البحر فريدمان وخالد الفيصل.

أما الآخرون، كل الآخرين فمجرد موظفين في الحاشية وممثلين يؤدون ما يسند إليهم من أدوار. فثمة من يمثل دور ملك وهناك من يمثل دور رئيس وثالث يمثل دور كاتب. لم يعد المستقبل سوى ماض سابق التجهيز.

إن لم يكن على سبيل الحقيقة فعلى سبيل المجاز.

بعد أن هدد الأذل أنه سيطرد الأعز صرخ أحد كتاب المدونات مرة: ماذا لو هدى الله شنودة للإسلام؟ هل كانوا سيطردونه إلى بلاد البدو؟! هل كان سيفقد مصريته وحقه في البلاد؟ .

أما أنا فأتساءل: ماذا لو تنصر حكامنا، هل كانوا سيفعلون بنا أكثر مما يفعلون؟ !

لا أملك إلا الانسحاب شاكيا في أنين:

حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل[1].

---

(١) نشر هذا المقال في مجلة المختار الإسلامي- وعلى موقعي وموقع العرب نيوز بالإضافة إلى عشرات المواقع الإليكترونية- في أول شهر يناير عام ٢٠١١. وفي الخامس والعشرين من نفس الشهر: قامت الثورة!.

كتب للمؤلف

اسم الكتاب	السنة	النوع	دار النشر
اغتيال أمة- طبعة أولى	١٩٨٧	سياسي	مكتبة مدبولى
الحاكم لصا	١٩٨٩	رواية	مكتبة مدبولى
مباحث أمن الوطن – صودرت بعد الطبع.	١٩٩١	قصص قصيرة	مكتبة مدبولى
اغتيال أمة -طبعة ثانية مزيدة	١٩٩١	سياسي	مكتبة مدبولى
قصر العيني	١٩٩٢	رواية	مكتبة مدبولى
من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك	١٩٩٣	سياسي	الشركة العربية للطباعة والنشر
إعلانات مبوبة	١٩٩٤	قصص	دار جهاد للنشر
مباحث أمن الوطن (غير المصادرة)	١٩٩٧	رواية	مدبولى الصغير
أنى أرى الملك عاريا	١٩٩٩	سياسي	مكتبة مدبولى
بغداد عروس عروبتكم	٢٠٠٠	سياسي	مدبولى الصغير
الوعي ينزف من ثقوب الذاكرة	٢٠٠١	سياسي	مكتبة مدبولى
بل هي حرب على الإسلام	٢٠٠٢	سياسي	مكتبة مدبولى
الإخوان المسلمون (جزءان)	٢٠٠٨	سياسي- تاريخي	المختار الإسلامي
غزة .. عروس عروبتكم حفل إفطار رمضاني	٢٠٠٩	سياسي قصص	

اسم الكتاب	السنة	النوع	دار النشر
تحت الطبع			
هلك الفاجر		سياسة	
بروتوكولات حكماء العرب		رواية	



الفهرس



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com